مع أسرة الرعية الجامعية

في دمشق

في أمسِها وحاضرِها وغدِها

بقلم

الأب الياس زحلاوي

2017

مع أسرة الرعية الجامعية في دمشق

في أمسِها وحاضرِها وغدِها

بقلم الأب الياس زحلاوي

2017

على دربِ الإيمان... فلنَسِرْ دوماً

مع أسرة الرعية الجامعية في دمشق

في أمسِها وحاضرِها وغدِها

الأب الياس زحلاوي

مع أسرة الرعية الجامعية في دمشق

في أمسِها وحاضرِها وغدِها

بقلم

الأب الياس زحلاوي

2017

حقـوق الطبـع محفوظـة للمؤلف

الطبعـــــة الأولى

2017

إهــــداء

...

سورية... !

مقدمة

في يومي 23-24 شباط من عام 1968، عقدت الكنيسة الكاثوليكية في دمشق، بحضور البطريرك مكسيموس الخامس حكيم، والسفير البابوي آنذاك وجميع الأساقفة الكاثوليكيين، وبمشاركة عدد كبير من كهنتها وراهباتها، وعدد آخر من مثقفيها وشبيبتها، مؤتمراً، في مدرسة راهبات المحبة (البيزنسون) في حي باب توما، تحت عنوان "كنيسة دمشق، إلى أين؟".

ألقيت في هذا المؤتمر، أحاديث هامة حول تجذر المسيحية في الشرق العربي عامة، وسورية خاصة، وحول رسالتها الراهنة والقادمة... وكان من أبرز المتحدثين المطران يوسف طويل والأستاذ أنطون المقدسي. كما طلب مني حديث بعنوان: "تطلعات ومقترحات". وما جرى من تبادل للآراء في هذين اليومين، في صراحة ومودة، فاجأ الجميع وفاق كل التوقعات.

وقد خلص المؤتمر إلى قرارات كثيرة، كان منها ضرورة الاهتمام بقطاع الشبيبة الجامعية. وكُلّفتُ يومها رسمياً الاضطلاع بهذا العمل.

هذا التكليف الهام، رويت قصته بإيجاز كبير، في كتابي الذي صدر في أواخر عام 2014، بعنوان "قد يكون لي ما أقوله". وقد ذكرت أيضاً فيه ما كنا انتهينا إليه، مع بعض الشبان والشابات، من ابتكار صيغة كنسية جديدة، أطلقنا عليها اسم "أسرة الرعية الجامعية". وقد شئناها يومها، بكل تواضع، "حبّة خردل"، كما جاء في الإنجيل، تُلقى في أرض الشبيبة الجامعيّة. وإذ بها تبدو لنا بعد فترة وجيزة، وكأن الله شاء لها في حكمته، أن تتحول إلى شجرة وارفة، أخذ الكثيرون يستظلون فيها، منذ ذلك الحين حتى اليوم من شهر نيسان عام 2016!...

وكان أن تلقيت، بعد صدور كتابي "قد يكون لي ما أقوله"، ردود أفعال مختلفة، منها الشفهي ومنها الكتابي. فكان من بعض من قرأ ما جاء فيه حول "أسرة الرعيّة الجامعيّة"، أن ألحّ في مطالبتي بدراسة وافية عنها لسببين وجيهين. كان أولهما يعود إلى أن أولئك كانوا من الناشطين في هذه الأسرة، وقد وجدوا أني لم أفِها حقَّها، في ما كان لها من دور فعال في مجالات كثيرة، منها كنسي صرف، ومنها اجتماعي وثقافي، محلي وعالمي، أجل محلي وعالمي! أما السبب الثاني، فأكثر حسماً، وهو يعود في نظرهم إلى أن سورية تواجه منذ أربع سنوات ونيف، محنة، أقل ما يقال فيها إنها مصيرية، وأنه يتحتم عليها بالتالي أن تستنفر في سبيلها جميع ما لديها من طاقات في الداخل والخارج، تأتي في طليعتها حتماً، طاقات أبنائها وبناتها، من جامعيين مقيمين، ومن متخصصين منتشرين في العالم كلّه، كان لأسرة الرعية الجامعية دور كبير أو صغير، في تكوينهم أملاً منهم بأن يسهم ذلك، بشكل أو بآخر، في إعادة إعمار سورية الجديدة.

إزاء هذا المطلب المحقّ، رأيت لزاماً عليّ أن أستجيب. فعدت إلى جميع ما لديّ من وثائق تخص "أسرة الرعيّة الجامعيّة". وكنت لحسن الحظ، قد أعدت ترتيبها، وفق تسلسلها الزمني، منذ فترة قريبة. فأعدت قراءتها بتمعّن، فوجدتني مشدوداً إليها، في محاولة عنيدة لاستحضار الوجوه والأسماء، وكذلك الأحداث. كما وجدتني تلقائياً أعيد قراءتها للمرة الثانية والثالثة، في متعة ودهشة، اشتهيتهما لجميع من ساهموا - وما أكثرهم، وما أحبهم! - في زرع "حبة الخردل" هذه، ورعايتها منذ سبعة وأربعين عاماً، ومَن مُنحوا، عبر مسيرتها الوئيدة، ولكن العنيدة والمبدعة، فرح إزهارها، من شبان وشابات، من كهنة وراهبات، ومَن ساهموا في تحفيز قدراتها وتوجيهها، وتقييم إبداعاتها، الصغيرة والكبيرة، ومواكبتها، بل وتطويرها وصمودها حتى اللحظة الحاضرة!

صحيح أن هذه الوثائق تعود إلى فترات زمنية متباعدة، وترصد حالات في حياة "أسرة الرعيّة"، تفاوت فيها النجاح والإخفاق، كما في كل حياة، من

حيث إقبال الشبيبة عليها أو إحجامهم عنها، ومن حيث الزخم الروحي فيها أو الرتابة المتثاقلة عليها، ومن حيث السوية الفكرية أو العطالة المتجذّرة، وكذلك من حيث انتعاش العلاقات الإنسانية أو الانكماش الكلي، بل والتمزق الفردي، ومن حيث الثبات والاندفاع في الخدمات الدراسية والاجتماعية، أو الانطواء الأناني... ولكم من قامة جذابة وقيادية، نهضت خلال تلك المسيرة، كانت تنوء بأثقال ذاتية وأسرية واجتماعية، وأحياناً جسدية، بل وتاريخية، كانت تكبلها، ولا تدري كيف تنعتق منها أو من بعضها! ولكم من عقبة، منها ما هو خفي وما هو معلن، اعترضت سبيل هؤلاء الشبان والشابات، فكان أن وجدوا في أسرتهم تلك، في كلمة أو موقف، وفي حوار أو صلاة، القدرة على التحدي فالمضي بذواتهم وبمن حولهم، مصعّدين نحو لقاء صادق ومكلف، مع الله والإنسان معاً!

وإن لفي مثل هذه الدعوة إلى النهوض الدائم، تبثّها "أسرة الرعيّة الجامعيّة"، بإصرار، ما أتاح لها أن تظل قائمة حتى اليوم، في قلب هذه الجحيم المتأججة في سورية وعليها من أطراف الدنيا جميعاً. وهي هي التي أمدّت وتمدّ الكثيرين من طلبة الجامعة وسواهم، بأسباب من الإيمان والرجاء، والصداقة والفرح، بل والحب المفضي أحياناً إلى نشوء أسرة في الوطن أو في المغترب، تختلف في الغالب، عن نمط الأسر المألوف، تماسكاً وصفاءً، وعلماً وثقافةً وبناءً!...

وقد تبين لي، من خلال استعراضي لهذه الوثائق، أن هذا الذي أصابني من دهشة ومتعة، لا بد له أن يصيب الكثيرين من أفراد هذه الأسرة، حيث هم في شتى أرجاء الأرض، إذا ما أُتيح لهم أن يطالعوها بدورهم، حتى في وضعها الراهن، كما كتبت لهم وعنهم، أو كما كتبوها هم، ودون المساس بأي حرف من حروفها، كما ورد في زمانه وسياقه.

وانتهيت إلى اليقين - أجل اليقين! - بأن مجرد نشر هذه الوثائق في ترتيبها الزمني، سوف يستنهض اليوم العديد من أفرادها وسواهم الكثيرين،

على ما هم عليه الآن، من حيرة وتمزّق، أو من تطور وغربة، من أجل ابتكار وقفات لهم مع وطنهم الأم، سورية، في محنتها المصيرية هذه، مثلما هي استنهضتهم بالأمس البعيد، يوم كانوا طلاباً حائرين، ويوم كانوا يتخبطون، ولكن في بحث صادق، فأثمروا في كنائس دمشق ومجتمعها، عطاءً غنيّاً مذهلاً، واجتذبوا إليها، طوال سنوات، مؤسسات روحيّةً وثقافيةً، محلية ودولية، واضطلعوا بمبادرات سبّاقة ومبدعة، في الشأن الاجتماعي والثقافي. وقد كانت كلها إنجازات يجدر بنا اليوم بالذات، أن نذكّرهم هم بها، وأن نذكّر أيضاً أبناء سورية جميعاً، بها! ثم، من يدري، فقد تكون هذه الوثائق، على ما هي عليه من ارتجال أو إتقان، مَعلَماً مضيئاً، هنا وهناك، للعديد من الناس، داخل سورية وخارجها، الذين يبحثون عن طرائق في التفكير والصلاة والعمل، يحققون بها وجودهم، ويحركون بها مجتمعاتهم!...

ذلك هو محتوى هذا الكتاب، الذي سيحكي قصة "أسرة الرعيّة الجامعيّة"، من خلال وثائقها، التي سأوردها على ما هي عليه من قِدَم وحَرْفية وبساطة. ولسوف أضيف إليها في الختام، الشهادات الشخصية، التي وافاني بها الكثيرون، والتي يروون فيها بعض ما عاشوه فيها، وبعض ما حملوه منها، في حياتهم الشخصية والعائلية، والمهنية والاجتماعية، بل الوطنية والقومية مما لم يعد من الممكن فكاكهم منه!

الأب الياس زحلاوي

دمشق في 2016/4/2

الفصل الأوّل

أولى ملامح أسرة الرعية الجامعية

بعيداً عن أي محاولة استعادية نافلة، تتعلق بما عُرف، في ما بعد، بأسرة الرعية الجامعية، إن من حيث تسميتها أو عملها أو هدفها أو انتشارها، وإن من حيث علاقتها بالمؤسسة الكنسية أو البيئة الطلابية الجامعية، رأيت أن أرسم ملامحها الحقيقية آنذاك، من خلال مقالين، كتبتُهما نزولاً عند رغبة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم، باللغة الفرنسية، ونُشرا في مجلة البطريركية، المسمّاة "الرابطة"، والصادرة باللغة الفرنسية (le lien)، وقد صدر أولهما في العدد الثالث من عام 1969، تحت عنوان "الرعيّة الجامعيّة بدمشق"، وصدر ثانيهما في العدد الثالث أيضاً من عام 1971، تحت العنوان نفسه.

سوف أنقل بالحرف الواحد، المقال الأول إلى العربية، ثم أنقل من الثاني فقرات، بحرفيتها، تبرز الجوانب الجديدة التي ارتسمت ملامحها ما بين عام 1969 وعام 1971. ومن ثم أنتقل إلى إدراج التعريف الرسمي الذي اعتمدناه في شهر أيار من عام 1972.

1- المقال الأول:

« يبدو من الواضح أن الشبيبة الجامعية، المسمّاة مسيحيّة، بعيدة كل البعد عن الكنيسة، على الرغم من جهود هذا أو ذاك من الكهنة، الذين استطاعوا أن ينظموا، على الصعيد الجامعي، حلقاتٍ إنجيليّةً أو بحثيّةً. ويقارب عدد الشبيبة الجامعية المسيحية /4500/ طالب من أصل /30.000/، تضمهم جامعة دمشق. وقد قررت الكنيسة أن تبذل مجهوداً خاصاً من أجل التواصل معهم. وجاء هذا القرار في أعقاب الجهد الكنسي الكبير، الذي أفرزته أزمة المدارس في سورية، والذي نجم عن المؤتمر الشهير الذي عقدته الكنيسة الكاثوليكية بدمشق، خلال شهر شباط من عام 1968. وكلّف أحد الكهنة رسمياً بتنظيم هذا العمل الخاص بالطلبة الجامعيين.

كيف السبيل إلى التواصل المجدي مع هذه الشبيبة؟

اقتضى الأمر بحثاً دؤوباً وصبوراً، قام في تعاون وثيق، بين هذا الكاهن وطلاب ينتمون إلى مختلف الكليات في جامعة دمشق. وانتهوا إلى أن صيغة "الرعيّة الجامعيّة" هي الصيغة الفضلى. وتقرر أن يُركّز العمل على نقاط ثلاث محددة، هي: الحياة الروحية، والحياة الثقافية، والحياة الشخصية.

- **الحياة الروحية**

أعلن في جميع الكنائس الكاثوليكية بدمشق، عن إقامة قداس خاص بالطلبة الجامعيين، مساء كل يوم جمعة (وهو يوم العطلة الأسبوعية في سورية)، في كنيسة واحدة، يجتمع فيها الطلاب الكاثوليكيون، أية كانت انتماءاتهم الكنسية. وتُرِك للكاهن المرشد ولمساعديه من طلبة جامعيين، مهمة إحياء هذه الصلاة، وتشجيع الشبيبة على المشاركة الفعالة فيها، وعلى الربط بين القداس ومشاكلهم الحياتية. وفي سبيل تحقيق هذه الأمور، تقرر:

1- اعتماد الترنيم المتناوب مع الأجوبة والصلوات خلال القداديس.

2- تحضير العظة واختيارها، عمل مشترك يقوم به المرشد والشبيبة، وينبع من برنامج السنة.

3- اختتام القداس بتأمّل يكتبه أو يرتجله أحد الحضور، في مسعى منه إلى ربطه بالإنجيل الحي.

• **الحياة الثقافية**

تبين لنا، من خلال سبر عميق أجري في وسط الشبيبة الجامعية، أنها تعاني من لامبالاة واسعة. فقررنا أن نجري سلسلة من المحاضرات، تُوزّع على مدار السنة، وتهدف إلى إحياء الحوار. وقد أخذنا بعين الاعتبار إيقاع حياة الطلاب وامتحاناتهم، وحاولنا أن ندرس مشكلة اللامبالاة على الأصعدة الوطنية والاجتماعية والدينية.

• **الحياة الشخصية**

لما كانت العلاقات الشخصية تثقل بعمق علاقات الشبيبة بالله، خططنا مع فريق الطلبة المسؤولين، برنامجاً يمكّنهم من إحياء الروابط التي أخذت تتراخى تحت وطأة الجهل أو الغربة في المدينة. وتقرر:

1- أن نؤمن حضوراً نظامياً للكاهن المرشد في مكان محدد، وفي ساعات محددة.

2- أن نؤمن حضوراً كهنوتياً نظامياً، إما في الجامعة، وإما من خلال زيارات منتظمة لعائلات الطلبة، أو للمدينة الجامعية، حيث سكن الطلاب.

بالطبع لم يكن هذا البرنامج وافياً. إنما كان ذلك مجرد بداية. ثمة إمكانيات أخرى كثيرة.

والسؤال الآن: هذا البرنامج، ما الذي آل إليه؟

1. **على صعيد الحياة الروحية**

يسعنا أن نسجل بفرح نجاحاً طفيفاً. فالشبيبة التزمت بالبرنامج المرسوم. وشاركت فيه مشاركة فعالة. وكان القداس، في بعض الأحيان، يضم ثمانين طالباً، وفدوا من جميع أحياء المدينة، وهم ينتمون إلى جميع الكنائس المسيحية. وكان القداس، الذي يبدو أحياناً جامداً، وبعيداً جداً عن عقلية الشبيبة، على درجة كبيرة من الحيوية، بفضل المشاركة الفعالة والقوية، التي عاشتها الشبيبة خلاله.

2. على صعيد الحياة الثقافية

لم يتسنّ لنا أن نلتزم بالبرنامج الـذي كنّـا قـد رسمناه. فقد اضطرّتنا الظروف لتكثيفه في لقاءين روحيين فقط، أُقيما يـومي الجمعـة العظيمـة مـن هذا العام، إذ كان عيد الفصح فيه يقام بفارق أسبوع واحد. وقد أحيى هذين اللقاءين، المرشد وفريق الشبيبة المسؤول، مع أستاذ جامعي وأحد المهندسين، وطالب طب. وشارك في هذين اللقاءين، ما لا يقل عن ثلاثمائة شاب وشابة.

كان اللقاء الأول عبارة عن رتبة توبة، تدور حول عودة الابن الضال إلى أبيه. وقد ألقى العظة فيها طالب من كلية الطب، فيما كان خمسة كهنة يستمعون إلى اعترافات الشبيبة.

وكان اللقاء الثاني يدور حول رسالة الإنسان، ويحيل إلى موضوع الخلق والصلب، ويؤكد على ضرورة تحقيق كل مسيحي وجوده من خلال التزامه.

وقد نجمت عن هذين اللقاءين، رغبة لدى الكثيرين في ابتكار مشاريع جديدة.

3. على صعيد الحياة الشخصية

لم ينل هذا الصعيد ما يستحق من الاهتمام، إذ حالت ظروف صحية دون حضور المرشد الدائم في المواعيد المطلوبة. كما أن التعاون البسيط والأخوي مع كهنة آخرين، لم يكن على المستوى المطلوب.

مع ذلك، فإنّ الرعية الجامعية تنطوي على آمال كثيرة. ثم إن الشبيبة الجامعية في سورية تشكل عالماً زاخراً بالتحدي. »

ههنا ينتهي المقال الأول

2- المقال الثاني

هو يعود إلى عام 1971، فإنه ينطوي على ملامح جديدة، اكتسبتها خبرة الرعيّة الجامعيّة، وعلى مشكلة هامة هي مشكلة التمويل. وحسبي أن أشير إلى كل ذلك، من خلال فقرات وردت في هذا المقال، وأترجمها بحرفيتها:

1. خبرات جديدة اكتسبتها الرعية الجامعية خلال العام الدراسي 1970-1971

1) انتدبت رهبانيّتا "الراهبات الفرنسيسكانيات" و"القلبين الأقدسين"، راهبتين جامعيتين، للخدمة الروحية في الرعية الجامعية، هما الأخت ماري تيريز بسيليس، والأخت دنيز ماري.

2) نُظِّمت زيارات منزلية من قبل المرشدين والراهبتين، للطلاب الجامعيين.

3) نَظَّمت الرعيّة الجامعيّة ثلاث رحلات ضمّت ما مجموعه /150/ شاباً وفتاة، مما أتاح لهم فرصة اكتشاف البلد، والتعارف فيما بينهم.

4) أقامت الرعيّة الجامعيّة، ليلة الميلاد، سهرة روحية، تخلّلها قداس، وضمّت قرابة خمسين شابّاً وفتاة.

5) استطاعت الرعيّة الجامعيّة أن تجد لبعض طلاب الطب، في سنتهم الأخيرة، قبولاً في بعض مشافي لبنان.

2. بشأن الميزانية

"إنّ الميزانية السنوية تسبّب قلقاً كبيراً للكاهنين المرشدين، وتحدّ من نشاطهما بعض الشيء. ذلك بأن المسؤولين الكنسيين (الكاثوليكيين) بدمشق لم يقدّموا حتى الآن الدعم المالي الذي كانوا قد وعدوا به، مع أنهم يعترفون بأهمية عملها، ويشجّعون كثيراً مرشدَيها. هذا وقد تلقّت الرعيّة الجامعيّة، بصورة استثنائية، خلال العام الدراسي 69-70، /700/ ل. س من الأب انطوان مساميري، وخلال العام الدراسي 70-71، /1000/ ل. س من السفير البابوي بدمشق، علماً بأنّ

المرشدَين يقومان بعملهما طوعاً، في حين أن للرعية الجامعيّة نفقات عامة ضرورية، مثل شراء بعض الكتب، وأشرطة التسجيل، ونسخ من الإنجيل، ومثل استئجار الكراسي وتقديم بعض الهدايا للمحاضرين. ثم إنهما يضطران أحياناً لتقديم بعض المساعدة السرّيّة لطلاب في حاجة ماسّة. »

3. التعريف المعتمد

خلال شهر أيار من عام 1972، صدر التعريف المعتمد لأسرة الرعية الجامعية، وكان ممهوراً بتوقيع زميلي الأب صالح نعمة اليسوعي، وتوقيعي، إذ كنّا، في تلك الفترة، مرشدَيها الروحيّين. ولا بدّ لي من الاعتراف بأنّ هذا التعريف جاء وليد جهود طويلة، بل مضنية، من التفكير والتشاور بين المرشدين والراهبتين والعدد الأكبر من أفراد الرعية. ولا يحرجني البتّة أن أضيف أن ذلك التعريف كان يبدو لنا يومها، ناقصاً، إذ كنّا نرمي دائماً إلى توسيع النشاط الجامعي، بحيث يشمل جميع الطلبة الجامعيّين المسيحيّين، بالطبع في نطاق الكنائس الكاثوليكية، إذ كانت هي التي كلّفتني هذه المهمة عام 1968.

وكان أن واصلنا المساعي من أجل توحيد العمل الروحي والثقافي في نطاق الجامعيين. ووجدنا تجاوباً صريحاً وسريعاً لدى العديد من الكهنة الكاثوليك، ووقّعنا معهم على التعريف الصادر عام 1972، خلال شهر كانون الثاني من عام 1975. ووزّعناه على معظم الكنائس في دمشق، ومن ثم في سورية. وقد جاء ممهوراً بتواقيع كل من الأب يوسف بربي (وهو يسوعي حلّ محلّ الأب صالح نعمة، إذ كان غادرنا إلى لبنان)، والأب يوسف عبدالله من السريان الكاثوليك، والأب فكتور شلحط اليسوعي، والأب أوجين قمر عن الكنيسة اللاتينية، والأب جورج آغيا عن الكنيسة الأرمنية الكاثوليكية، وتوقيعي، ويؤسفني أن أضيف أن هذا البيان المشترك ظلّ حبراً على ورق، لأن هذا أو ذاك من الأساقفة ظلّ متمسّكاً بما أراده يومها رعيّة جامعيّةً خاصّة بطائفته.

أما التعريف المعتمد، فهوذا بحرفيته، كما ورد عام 1972 وعام 1975:

« أسرة الرعية الجامعية

على معظم كنائس دمشق، علّق إعلان جاء فيه:

"تقيم أسرة الرعيّة الجامعيّة لقاءً أسبوعياً يتخلّله قداس، وذلك مساء كل يوم جمعة الساعة الخامسة، في كنيسة سيدة فاطمة، في شارع حلب – القصور. ويلتقي أعضاء الأسرة في ذات المكان مرة أخرى مساء كل أحد، من الساعة الخامسة حتى الثامنة".

كثيرون تساءلوا ويتساءلون: ما هي هذه الأسرة؟ وما عملها؟ وما غايتها؟ وقد حاول بعضهم معرفة الجواب بنفسه، فجاء ورأى... ولكن السؤال ظلّ مطروحاً، وهو يستدعي جواباً.

ما من أحد يسأل أو يتساءل لماذا يؤمّ الناس الكنائس، ويكوّنون رعايا مستقلّة. ذلك بأنّ لقاء المؤمنين حول "الراعي الصالح" الرب يسوع المسيح، أمر بديهي وضروري. فهو "الطريق والحقيقة والحياة"، يلتقون حوله، ليسيروا بهديه ويسمعوا صوته ويتعلّموا منه المحبة، خدمة وتضحية.

هذا ما تسعى إليه كل رعية، أي كل خلية من خلايا الكنيسة. وهذا هو بالذات ما تسعى إليه الرعيّة الجامعيّة، مع الفارق بأنّها تستهدف، في عملها، الشبيبة الجامعيّة فقط. وقد جاءت فكرة إنشائها تلبية لحاجة ماسة اتخذت طابع الضرورة. فهي تأتي في منطق التطور الشامل الذي يحرّك منذ سنوات المنطقة العربية عامّة، والقطر العربي السوري خاصة.

كان واضحاً، منذ مدة ليست بقصيرة، أن سورية العربية، مثلها مثل سائر البلاد العربية، تواجه تحدّياً مصيرياً. وقد قبلت التحدي وانتهجت في مواجهته خطاً ثورياً ونهجاً علمياً، من شأنهما أن يحقّقا لها ما تطمح إليه من تقدم ذاتي، ومن صيانة لكرامتها وأرضها، ومن مسايرة لركب الحضارة في العالم، بل والإسهام فيه.

وقد حقق هذا النهج الثوري الجديد إنجازات كبيرة، كان من أعظمها شأناً توسيع شبكة التعليم، بجميع مراحله، وتعميم مجانيته.

وكان أن اتسعت جامعة دمشق اتساعاً مذهلاً. فأقبل عليها الطلاب العرب من أبناء المدن والريف من داخل سورية وخارجها، حتى تجاوز عددهم سنة 1968 الثلاثين ألفاً.

ما كان للكنيسة العربية في سورية أن تعيش على هامش هذا المجهود المصيري الشامل. فرأت من واجبها أن تسهم في مدّ أبنائها من طلبة جامعيين، برؤية روحية تضاعف بها قدراتهم على العطاء والأمانة، في ظروف باتت فيها البلاد أحوج ما تكون إلى ترسيخ هذه الروح في كل فرد من أفرادها.

وكان واضحا أنّ المدّ العلمي، في نطاق الجامعة، على اختلاف قطاعاته، لم يكن يرافقه تطور ديني وروحي مماثل. فبين الشبيبة الجامعيّة وثقافتها الدينية، فجوة تتسع يوماً بعد يوم. وما كان يجوز التغاضي عن هذا الواقع. فليس من يجهل أن الدين محرّك عظيم في نفسية كل إنسان، لا سيما الإنسان العربي.

والعقيدة المسيحية تقوم على الإيمان بحب الله للإنسان حتى التجسد من أجله، وهي تفرض على كل مسيحي، لا سيما المثقف، أن يكون على معرفة صحيحة بهذه العقيدة، فيتسنى له أن يجسّد المحبة إياها في أرضه ومجتمعه وتاريخه، بكل ما يقتضي ذلك التجسد من صمود في البذل حتى الفداء، أسوة بالمعلّم الذي اعتلى الصليب حبّاً بالإنسان.

لذا قامت المحاولة التي أُطلِق عليها اسم أسرة الرعيّة الجامعيّة. وكان ذلك سنة 1968. وفي التسمية دلالة على المضمون. ولقد كانت، والحقّ يقال، بداية متواضعة جداً... كاهن وبضعة طلاب وطالبات لا يتجاوز عددهم أصابع اليدين. رأسمالهم الأكبر، فضلاً عن تحصيلهم الجامعي، إيمان بالله وبالإنسان عظيم. أما أهدافهم فحدّدت في ثلاثة:

أولاً، إن الإيمان بالله وبالإنسان وجهان لحقيقة واحدة. فمحك الإيمان بالله إنما هو خدمة الإنسان، وكلاهما متماسك متفاعل. فعلى الدين أن يكون في خدمة الإنسان، من حيث خلقه كائناً اجتماعياً، لا من حيث كونه فرداً مستقلاً لا يقيم وزناً أو قيمة إلاّ لذاته فقط.

ثانياً، إنّ بثّ روح الإنجيل القائم على المحبة حتى الفداء، أمر مصيري وحيوي بالنظر إلى شبيبتنا المثقفة، لكي تعرف كيف تعيش العلم الذي تتلقّاه، في سورية أو خارجها، في مشاركة إنسانية محرِّرة، لا في أنانية فردية استغلالية.

ثالثاً، إن مثل هذه المشاركة لا يمكن أن تتحقق إلا ضمن رابطة روحية توفر علاقة إنسانية تبلغ من الصفاء والمتانة ما يجعلها تشد ابن الريف والمدينة، وابن العامل والتاجر والفلاح، وكذلك ابن المثقف والأمّي، الواحد إلى الآخر، شداً حيوياً وثيقاً، كما في أسرة واحدة، توفر بدورها لأعضائها دفعاً روحياً يؤهلهم لمشاركة الأسرة العربية الكبرى، داخل سورية وخارجها، في مواجهة التحدي المصيري الذي يعترضها.

ما كان بخافٍ على أحد أنّ إنشاء مثل هذه النواة الكنسية يقتضي تجاوزاً للتنظيم الكنسي الراهن، كما أن ما يرمي إليه من مشاركة فعلية، على صعيد المعرفة والإيمان والمحبة، في أوساط الشبيبة الجامعية، يفرض مثل هذا التجاوز.

وكان اللقاء الأول للأسرة في قداس خاص، شارك فيه ثمانية طلاب وطالبة فقط. واستمرّ أسبوعاً بعد أسبوع، لقاء صلاة وتفكير، بين أخوة، حول أخيهم الأكبر يسوع المسيح، في قاعة أسموها بيت الأسرة، ضمن إطار جديد من العلاقات، لا ينتمي إلى طائفة معينة، ولا إلى أي تنظيم معين.

وبمنتهى التواضع بدأت الأسرة عملها، في تعاون مخلص بين الكاهن والطلبة. كان ذلك منذ أربع سنوات. واستمرت الحال إلى اليوم. صحيح أن العمل عرف تطورات كثيرة، ومارس العديد من المحاولات... صحيح أيضاً أن أسرة الرعية اضطرت بدافع

تزايد عدد أفرادها، ولشعورهم بالحاجة الملحة إلى نوعية من اللقاء توفر لهم المزيد من القربى الإنسانية، للانتقال من مكان لآخر، حتى استقرت اليوم في قاعة إحدى الكنائس، وليس في كنيسة. إلا أن الغاية بقيت هي هي: اكتشاف هويتنا المسيحية الحقّة، من خلال اكتشاف شخصية المسيح، وذلك في سبيل انغراسنا الكامل في أرضنا ومجتمعنا وتاريخنا. فالأساس هو العلاقة، وليس الشكل، علاقتنا بالله، وتبعاً لذلك علاقتنا بالإنسان، الإنسان عامة، وإنساننا العربي خاصة، في ماضيه، وحاضره، وغده.

واتسعت أسرة الرعيّة الجامعيّة، عملاً وعدداً. وباتساعها أصبح لها كاهنان مرشدان. وكما لكل أسرة، كان لها مظاهر حياة متعددة، منها: الروحية والفكرية والاجتماعية والترفيهية. وما كانت تريد أن تنمّي إحداها على حساب أخرى، لإيمان أفرادها بأن الإنسان، فرداً كان أم جماعة، كل متكامل يساند بعضه بعضاً، وينمّي بعضه بعضاً.

ونظّم كل هذه الحياة برنامج تبلور شيئاً فشيئاً، جاء نتيجة بحث طويل وتعاون متصل بين المرشدين والطلبة من جهة، وبعض أصدقاء الأسرة من كهنة وأساتذة ومفكرين من جهة ثانية.

أما برنامج هذا العام، فقد اتسع نطاقه بحيث أنه شمل جانباً فكرياً، عمّقت فيه الرعية مفهومها للإنسان، في سلسلة متوازية متكاملة من الحلقات الإنجيلية والمحاضرات الدينية والفلسفية، والندوات الدراسية، تناولت بالبحث الإنسان في مختلف أبعاده الذاتية والاجتماعية والإنسانية.

كما أنه شمل جانباً ثقافياً حضارياً، كان يهدف إلى ترسيخ جذور الأسرة في حاضرها، وحفز تطلعات أفرادها المستقبلية، من خلال ربطهم بواقعهم، مجتمعاً نامياً، وبماضيهم، تراثاً حضارياً وثقافة فكرية. وقد تحقق لهم بعض ذلك عبر رحلات استطلعوا أثناءها معالم الحضارات التي ابتناها الإنسان بالأمس على أرضهم في تدمر وبصرى... ويبتنيها اليوم في الرستن والفرات.

أما الجانب الأسروي من حياة الرعية، من تلاقٍ وانفتاح وألفة إنسانية، فإنه

يتجلى في نوعية العلاقات القائمة بين أفرادها، من كلا الجنسين، في لقاءاتهم الدورية الأسبوعية، كما أنه يتجلى في سهرات ترفيهية يحيونها في عيدي الميلاد والفصح. وقد يبلغ هذا الجانب حدّاً مرموقاً من الصفاء والأخوة، خلال الرحلات العديدة التي يقومون بها.

إلا أن جميع تلك الجوانب من حياة أسرة الرعيّة الجامعيّة، ما كانت لتقوم لها قائمة ولا قيمة، لولا القاعدة الروحية المتينة التي نستند إليها. فليس من مبرر لوجودها إلا يسوع المسيح، وحبه للإنسان. وما غايتها إلا ترسيخ حضور المسيح في أعماق أفرادها – ولا غاية لها سواها – ليعيشوا بدورهم، في مجتمعهم العربي اليوم وغداً، حب الإنسان الذي عاشه المسيح، عبر ممارسة يومية قد تصل بصاحبها إلى صليب شهادة بطولية، أياً كان نوع هذه الشهادة.

لذا احتلت الصلاة في حياة الرعية، منذ نشأتها إلى اليوم، مكان القلب من الجسم. ولما كان الصليب والقيامة قمّة حياة الرب يسوع، رأت الرعية أن تجعل من القداس، وهو حضور الرب مصلوباً وقائماً من بين الأموات، محور حياتها وحياة أفرادها. وقد أبدت السلطة الكنسية من التفهم ما أتاح للمشرفين على الرعية، أن يدخلوا عليه من التجديدات والتعديلات – دون المس بجوهره – ما حوّله إلى عملية مشاركة روحية لا يقدر طاقتها وفاعليتها إلا من عاشها.

تلك هي أسرة الرعيّة الجامعيّة، بنشاطها وأهدافها ووسائل عملها. ولئن كان لنا أن نصفها بكلمة جامعة، لقلنا إنها أسرة من الشباب العربي المسيحي المثقف، ما شاءت لنفسها الانعزال الطبقي ولا الديني، بل الانفتاح الكامل على يسوع المسيح، لتجسده اليوم وكل يوم، على أرضها العربية بالذات، صلاة منفتحة، وعلماً مسؤولاً، ومحبة محرّرة ومشاركة إنسانية.

دمشق – أيار 1972 المرشدان

الأب الياس زحلاوي والأب صالح نعمة

الفصل الثاني

ثمار أولى وتلمّسات جديدة...

عملاً بما جاء في المقدمة، وإصراراً مني على إتاحة الفرصة للوثائق كي تتكلم بنفسها عمّا كانت عليه الأحوال في "أسرة الرعيّة الجامعيّة"، أورد في هذا الفصل أربع وثائق بحرفيتها. الأولى منها تحمل عنواناً هو "تقرير أسرة الرعية الجامعية في دمشق، لسنة 1972-1973". وتحمل الثانية عنواناً هو "برنامج لقاء صافيتا من 3 إلى 1973/8/8". وتحمل الثالثة عنواناً هو: "تقرير أسرة الرعيّة الجامعيّة السنوي عن لقائها في صافيتا من 3 إلى 1973/8/8". أما الرابعة فهي رسالة خطية وردتني من الأب بطرس المعلم البولسي، بتاريخ 1973/11/23.

هذه الوثائق سأوردها بحرفيتها، دون أي تعليق. ففيها من الوضوح ما يفوق كل بلاغة.

1. الوثيقة الأولى:

تقرير أسرة الرعية الجامعية بدمشق، لسنة 1972–1973

« تقرير أسرة الرعية الجامعية في دمشق لسنة 1972–1973

هذا التقرير يأتي تتمة للتقارير التالية،

– تقرير قُدّم في 15 ت2 للسنة الجامعية 1969–1970

– تقرير قُدّم في 15 ت2 للسنة الجامعية 1970–1971

– تقرير قُدّم في 8 حزيران للسنة الجامعية 1971–1972

– والرسالة الخاصة الموجهة إلى السادة الأساقفة حول الوضع المالي بتاريخ 1972/6/8.

1- لقاء صافيتا السنوي.

1) صافيتا بلدة سورية تعد قرابة /12000/ نفس، وهي تقع على بعد 250 كم شمال غربي دمشق، بالقرب من الساحل، في منطقة جبلية، رائعة الجمال، رحبة الأفق، يجعل منها خير مكان للاختلاء الفكري والروحي وللتأمل. وقد كنا خبرنا ذلك جيداً قبل ذلك بعام.

2) كان عدد المشتركين في لقاء صافيتا، عشرين طالباً جامعياً، وراهبتين والكاهنين المرشدين، بالإضافة إلى الأستاذ أنطون المقدسي الذي لبّى رغبة الجميع وقضى معنا فترة اللقاء بكاملها، وقد امتدت من 4 آب إلى 9 منه.

3) كان لنا ثلاثة أهداف:

– أن نقضي معاً أسبوعاً من الأخوّة والمشاركة الإنسانية بين مرح وتفكير وصلاة.

– وأن نعيد النظر في أسرتنا، ولا سيما بالنسبة إلى السنة 1971–1972.

– وأن نعود بخطة عمل للعام القادم على كل من الصعيد الروحي والفكري والعملي.

4) لم يخلُ الجو الذي ساد هذا اللقاء من بعض الاضطراب والتشوش، بسبب

عدد المشتركين أولاً وصعوبة البرنامج الذي كنا نبحث عنه لعامنا الجديد ثانياً. إلا أن المحاولة كانت على العموم جدية وإيجابية جداً.

– أما البرنامج فقد تقرر أن يتناول معضلة المواجهة بين الإيمان والحداثة. وإن النظرة شبه الشاملة للموضوع جعلتنا نخطط لبرنامج من المحاضرات والأبحاث، يمتد برحابته إلى سنوات عديدة. إلا أنّا كنّا بكل واقعية نعتبر هذا البرنامج محاولة ليس إلاّ، وهو بالتالي ليس كلاماً متزلاً ولا خطة نهائية لا يجوز أن نحيد عنها أو أن نستبدلها بأفضل منها إذا ما دعت الحاجة.

2- الشرط الأساسي لتطبيق هذا البرنامج، المشاركة في المسؤولية.

1) إن رحابة البرنامج وضرورات العمل، والرغبة الصادقة في المشاركة الفعلية في العمل، كل ذلك دفعنا إلى السعي لتشكيل نواة مسؤولة تكون بالنسبة إلى الرعية ككل، أشبه شيء بالفكر المخطط، وتعمل على إحداث مجموعات عمل من مهامها العمل على تنفيذ البرنامج على كل من الصعيد الروحي والفكري والاجتماعي.

2) وفي الواقع أُحدثت هذه النواة المسؤولة، وباشرت أول أعمالها بصياغة تقرير لقاء صافيتا، ثم قامت بمهمة توزيع البرنامج على مدار السنة وفق مقتضيات العمل.

3- نشاطات هذا العام 1972-1973

هناك مجالات ثلاثة شملتها نشاطاتنا هذا العام، لا يسعنا إلا أن نشير إليها بكل بساطة، المجال المحلي، والمجال العربي، والمجال الدولي.

1) المجال المحلي أولاً.

❖ على الصعيد الروحي

+) البرنامج العادي.

ثمة أمران تجدر الإشارة إليهما:

– أولاً ترتيب البرنامج العام على أساس مبدئي من المشاركة، وعملي من قبل مجموعة عمل روحية كانت تهيئ للقاءات الروحية، ولا سيما القداس الأسبوعي.

– ثانياً اللقاءان الكبيران في عيدي الميلاد والفصح.

+) محاولة تجديد.

نود أن نشير هنا إلى أمور ثلاثة.

– أولاً القداس نفتتح به بعض لقاءاتنا أو نختمها به. وقد كانت مبادرة عفوية في أول الأمر، ثم رغب فيها الشباب حتى تكررت إقامة الذبيحة مراراً على هذا النحو.

– ثانياً اللقاءات الروحية الإضافية، غير المقررة ضمن البرنامج، والتي جاءت مبادرتها أيضاً من الشباب أنفسهم، وكأني بها تلبي حاجة ملحة لديهم. وقد حدثت هذه اللقاءات ثلاث مرات، أولاها قبيل الميلاد، والثانية في بدء الصيام الأربعيني، والثالثة قبيل أسبوع الآلام. وقد نُظِمت كلها خارج دمشق، مرتين في دير السيدة بصيدنايا، ومرة في مقام مار الياس في المعرة.

– القداس يقام على نطاق ضيق، وخارج برنامج الرعية الرسمي، وخارج نطاق القداس الأسبوعي. وقد جاء هو أيضاً نتيجة مبادرة عفوية تماماً، ثم تحول إلى ما يشبه الحاجة لدى المشتركين فيه، بفضل المشاركة العميقة، سواء على الصعيد الروحي أو الإنساني، الذي عاشها ويعيشها العدد القليل الذي كان يقيم – إن صح التعبير – هذه الذبيحة. وإنا لنرى في هذه الصيغة ما قد يكون مفتاحاً لحياة روحية جديدة في أسرة الرعية.

❖ على الصعيد الثقافِي أو الفكري

انطلاقاً من معضلة مواجهة الإيمان للحداثة، تقرر إقامة سلسلة من المحاضرات تنتهي أولاها بلقاء عيد الميلاد، والثانية بلقاء عيد الفصح. وقد نُظِمت قائمة المحاضرات التالية:

1) القلق والإيمان: الأستاذ انطون المقدسي

2) الإيمان والحداثة: طرح المعضلة: الأستاذ أنطون المقدسي.

3) **الحداثة في السينما السورية (رافق الحديث عرض لفيلم عن سد الفرات): عمر اميرالاي مخرجه.**

4) **الكتاب المقدس في مواجهة الحداثة: الأستاذ نديم طرزي**

5) **الحداثة في الموسيقى الحديثة: سمر مقدسي وسحر ملحم، من المعهد الموسيقي في دمشق**

6) **نصل إلى الله عبر الأرض والإنسان: لقاء الميلاد:**

– المخرج علاء الدين كوكش – الدكتور إميل شاهين

– الطالب سامي شلهوب – الأب مسعود مسعود

7) **الأيديولوجيات في العالم عامة وفي العالم العربي خاصة: الدكتور أديب اللجمي.**

8) **بروز الإنسان في المسرح الحديث: الأستاذ علي عقلة عرسان**

9) **الاشتراكية، إحدى أبرز ظواهر الحداثة: الدكتور مطانيوس حبيب**

10) **صراع الأجيال، إحدى أبرز نتاج الحداثة: الدكتورة فاطمة الجيوشي.**

11) **ظاهرة الدين: هل هي ايديولوجيا أم ماذا؟ الأب مكرم قزح**

12) **ظاهرة المسيحية والعالم الحديث: الدكتور ألبير لحام**

13) **الكنيسة ودورها في العالم الحديث عامة، والعربي خاصة: الأستاذ غبرييل حبيب.**

14) **أسرة الرعية الجامعية: لماذا؟ إلى أين؟ وكيف؟ الأب الياس زحلاوي.**

15)**انتصار الحياة على الموت، لقاء الفصح: الأب فرنسيس اليسوعي.**

16) **أسرة الرعيّة الجامعيّة في المؤتمر الدولي للطلبة المسيحيين، المنعقد في أديس أبابا: الطالب الدكتور رياض حنا**

❖ **على الصعيد الاجتماعي**

+) **البرنامج العادي.**

– **لقاء الأحد مساء، لم يعد يحدث إلا بمناسبة إقامة ندوة حول المسرح أو السينما الخ...**

– لقاء عيد الميلاد "الساهر" ألغي، واستعيض عنه بقداس تلته سهرة بسيطة جداً.
– لقاء الفصح ظل على ما هو عليه، وقد أجري أثناءه استقصاء حول علاقة الشباب بالرعية. وتجدر الإشارة إلى أن هذا اللقاء أقيم، كما ألفنا ذلك، عشية العيد وفق التقويم الشرقي.
– اللقاءات الشخصية، وكانت تتم بشكل زيارات يقوم بها الكهنة للطلبة أو الطلبة للكهنة، كما كانت تقوم بهذه الزيارات الراهبات أيضاً. وقد اعتدنا أن نصطحب معنا في هذه الزيارات عدداً من الطلبة لتوثيق العلاقة مع أفراد الأسرة من طلبة وأهل.
– أما الرحلات فقد انخفض عددها إلى ثلاث، ومنها خصوصاً رحلة إلى سد الفرات دامت ثلاثة أيام.

+) محاولة تجديد.

– قداس خاص بأهل الطلبة، أقيم بمناسبة عيد الأم، وقد عقبه حديث للأهل عن الرعية.
– لقاء مع بعض الطلبة في حلب، أقمنا فيه القداس معاً، ثم تلاه حوار حول طريقة العمل في حلب ودمشق. وقد كان لنا ذلك أثناء الرحلة إلى مدينة الثورة (الطبقة).
– لقاء مع العمال: الأول في أسبوع الشهداء، والثاني في أسبوع الإنتاج، وقد عمل الطلبة في المعمل مدة نصف نهار جنباً إلى جنب مع العمال والعاملات، وكان هذا أول لقاء لنا من نوعه.
– نخص بالذكر اتصالات شخصية كثيرة مع عدد من المسؤولين في الكنيسة الأرثوذكسية، في دمشق مع صاحب الغبطة الياس الرابع وسيادة المطران الكسي، وفي اللاذقية مع سيادة المطران اغناطيوس هزيم، وفي حمص مع سيادة المطران الكسي مجدداً.

2) المجال العربي ثانياً.

وجه مكتب العلاقات المسكونية للشبيبة والطلبة المسيحيين في الشرق الأوسط، الدعوة لأسرة الرعية للاشتراك في لقاء نظمه في برمانا بلبنان، في أواخر آب 1972، حول دور الكنيسة في التنمية عامة، ودور الطلبة خاصة في معركة البناء والتحرير. وقد شارك في هذا اللقاء ست طلاب وطالبة، أوفدهم أسرة الرعية الجامعية برفقة أحد المرشدين. وكانت تلك أول دعوة من نوعها تتلقاها أسرة الرعية.

3) المجال الدولي ثالثاً.

وجه المكتب نفسه الدعوة للرعية الجامعية للاشتراك بمؤتمر يعقد في أديس أبابا بالحبشة، ينظمه اتحاد الشبيبة العالمي المسيحي. وقد عقد من 29 كانون الأول 1972 إلى 9 كانون الثاني 1973. وقد اختار أفراد الأسرة مندوباً عنهم، أحد طلاب كلية الطب بدمشق. وكنا نعلم أنه ينقصنا الكثير على دربنا الجديد. ومع ذلك فوجئنا بالترحاب الحار والمندهش الذي وجدته صيغة أسرة الرعية لدى المشتركين في المؤتمر.

4- أهم المنجزات والمآخذ والمقترحات.

سوف نشير بإيجاز كبير إلى بعضها، على كل من الصعيد الروحي والفكري والاجتماعي.

*** على الصعيد الروحي**

+) المنجزات.

– اللقاءات الروحية الإضافية، التي طالب بها الطلبة، بعيداً عن أي خطة مسبقة، ودون أن تكون هناك مناسبة تستدعي ذلك.

– القداس الذي أقيم في حلقة ضيقة، خارج نطاق قداس الأسبوع، وقد تحققت فيه مشاركة مدهشة، حتى بتنا نعتقد أن هذه الصيغة قد تكون الفضلى في المستقبل.

+) المآخذ.

– تسرب الرتابة إلى القداس الأسبوعي.

– واقع ضيق وتقلص عدد الذين يقومون بتهيئة القداس الأسبوعي، من حيث العظة وكتابة الطلبات الجديدة والتأمل الخ...

+) مقترحات.

– السعي للعودة إلى الإنجيل في مشاركة تشمل القداس والحلقات...

– البحث في خط القداس الذي نقيمه على نطاق ضيق، وقد خبرنا قيمته طوال ثلاثة أشهر ونيف وما زلنا.

* على الصعيد الفكري أو الثقافي

+) المنجزات.

– تحقيق شيء من الاندماج بين أسرة الرعية والمحاضرين فيها، وذلك من خلال زيارات كنا نقوم بها لبعضهم بصورة شبه دائمة، وأحياناً من خلال اشتراك بعضهم معنا في القداس.

– توفير عدد من الكتابات والمؤلفات العربية ذات الاتجاه أو المضمون المسيحي، إما بالمجان وإما بأسعار زهيدة.

– نسخ المحاضرات التي أُلقيت في الرعية ووضعها في متناول أفراد الأسرة، طبعاً بعد الحصول على موافقة المحاضرين.

+) المآخذ.

– لم نستطع أن ننظم الحلقات المقررة بشأن التهيئة للمحاضرات، ودراستها بعد إلقائها.

– توقّف حلقتين من الحلقات الدراسية الثلاث، التي كانت نظمت العام الماضي.

– ضعف الارتباط بين النشاط الثقافي في الرعية والنشاط الثقافي العام في الجامعة والبلد.

+) مقترحات.

– السعي إلى نشر المحاضرات التي ألقيت في الرعية بشكل كتاب مستقل.

– السعي لتحقيق اندماج أفضل بين أسرة الرعية والمحاضرين.

– السعي لتحقيق انفتاح أفضل على الحياة الثقافية في العاصمة والبلد.

*** على الصعيد الاجتماعي**

+) المنجزات.

– محاولة جادة للاتصال بالأهل والطلبة والأساتذة، من خلال زيارات شخصية لهم.

– محاولة جادة، وإن محدودة، للانفتاح على دنيا العامل.

– محاولة جادة لتعميق العلاقة بين أفراد الأسرة، من خلال مشاركة عميقة في القداس.

+) المآخذ.

– تغيير أحد الكاهنين المرشدين بصورة غير متوقعة من قبل رؤسائه.

– إلغاء سهرة عيد الميلاد وانخفاض عدد الرحلات.

– حملة التشويه والتشهير التي شنّت ضد الرعية، بتوزيع رسائل مغفلة على العديد من الناس، سبّبت كثيراً من الارتباك وعكّرت الجو لفترة.

+) مقترحات.

– العمل على أن يستقبل بيت الأسرة أفرادها يومياً، بعد إذ أصبح لنا بيتنا الخاص، مع ما يجب أن يتوفر فيه من حضور... وتجهيز غرف للمطالعة والموسيقى واللقاءات...

– بذل محاولة جدية وواقعية للانتقال بالرعية إلى حيز الالتزام الفعلي (مكافحة الأمية... الخ)

5- **الميزانية العامة للسنة** 1972-1973.

1) **ناقص حساب العام الماضي** 108.00 **ل.س**

2) الوارد

من غبطة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم	1000.00	ل.س
من سيادة المطران بولس كوسا	100.00	ل.س
من سيادة المطران بطرس كامل مدور	100.00	ل.س
من اللجنة العامة للتعليم المسيحي	1000.00	ل.س
من محسن عربي مسيحي من سورية	2000.00	ل.س
من محسن عربي مسيحي من سورية	1000.00	ل.س
الآنسة ماري كحيل	235.00	ل.س
مساهمة الطلاب	78.35	ل.س
من بيع بطاقات عيد الفصح	129.00	ل.س
من سهرة الفصح	60.00	ل.س
المجموع	5702.35	ل.س

3) الصادر

نقص من السنة السابقة	108.00	ل.س
مكتبة	126.00	ل.س
هدايا للمحاضرين	350.25	ل.س
طبع المحاضرات ونسخها	449.25	ل.س
نفقات عادية: - مازوت	100.00	ل.س
- شراء خزانة ألمنيوم	300.00	ل.س
- أجر حارس البيت السابق	150.00	ل.س
- ديكور، تنقلات الخ...	144.50	ل.س
لقاءات ورياضات روحية	90.00	ل.س
مراسلة	62.75	ل.س
لقاء صافيتا لسنة 1972	2209.20	ل.س
لقاء برمانا لسنة 1972	100.00	ل.س
مؤتمر أديس أبابا	640.00	ل.س

خسارة رحلة الرعية إلى سد الفرات	281.40	ل.س
تصليح بعض الآلات وشراء أشرطة تسجيل	178.50	ل.س
مساعدات لطلاب في ضيق	246.00	ل.س
المجموع	5538.85	ل.س

4) الرصيد العام

الوارد	5702.35	ل.س
الصادر	5541.85	ل.س
	160.50	ل.س

5) بعض الملاحظات لا بد منها.

*) ثمة واقعتان لا بد من الإشارة إليهما، ويلحظهما من يرافق تطور مسيرة الرعية:

الأولى: هي تنامي اهتمام العلمانيين بالرعية، اهتماماً يذهب إلى حد تقديم مساعدة لها مالية، بصورة عفوية، لا ندري كيف كنا تدبرنا أمرنا لولاها...

والثانية هي تناقص اهتمام السلطة الكاثوليكية بها، برغم التفويض الذي منحنا للعمل في نطاقها، بل لتأسيسها، وبرغم النداءات الملحّة والمتكررة، التي رفعناها مواجهة وكتابة... وبرغم ما نلقى من تشجيع كلامي مفرط... وإن لنظرة سريعة تلقى على رقمين لا غير لتكشف عن عمق هذه المشكلة:

– إن مجموع ما أنفق في الرعية في السنتين الأخيرتين بلغ تماماً:
9798.85 ل. س

– بينما لا يتجاوز مجموع ما تلقيناه من السلطة الكاثوليكية المحلية:
1200.00 ل. س

*) وهناك واقعة أخرى تستوقفنا بالضرورة:

لم يتلقّ أحد المرشدين والراهبتان اللتان تعملان في الرعية أي أجر لقاء أتعابهم.

علماً بأن أبسط مبادئ العدالة تقتضي أن يعيش الإنسان من خدمته، وهكذا يفعل سائر الكهنة والراهبات... فما العمل؟؟؟

***) اقتراح.**

نرى أنه ما عاد يجوز لنا الاستمرار على هذه الحال، فالعمل الجيد يقتضي مورداً كافياً يحرر الرعية مما أرغمت عليه إلى الآن من انتهاج التسول...

نسأل بإلحاح أن يصار إلى تخصيص وقف لها... هل هذا مستحيل؟؟؟

6) مشاريعنا لهذا الصيف.

- **متابعة إقامة القداس أيام الجمعة.**
- **إقامة لقاء في صافيتا، وقد تقرر من 3 آب القادم إلى 8 منه، يشترك فيه قرابة 20 طالب وطالبة، فضلاً عن المرشدين والراهبتين. كما أن طالبين من جامعة حلب طلبا الاشتراك فيه.**
- **العمل على طباعة محاضرات أسرة الرعية في كتاب مستقل.**
- **مواصلة الاهتمام بالمكتبة.**
- **متابعة ترتيب الأرشيف الخاص بالرعية منذ نشأتها.**

دمشق في 24 تموز سنة 1973 **الأبوان المرشدان**

الياس زحلاوي – يوسف بربي

2. الوثيقة الثانية: "برنامج لقاء صافيتا 3-8 آب 1973"

هذه الوثيقة تضم ورقتين:

الأولى: وفيها تفصيل برنامج الأيام الخمسة في صافيتا

الثانية: وفيها أسماء الحضور وتفصيل البرنامج اليومي.

(اقتراح وضع الوثيقة "لماذا؟... كيف؟... إلى أين؟..." منفصلة لأنها لا علاقة لها بصافيتا)

الأولى:

« برنامج لقاء صافيتا 1973

1- قطبا هذا اللقاء: - من نحن في أسرة الرعية؟

- من هو يسوع بالنسبة إلينا في أسرة الرعية؟

2- الوثائق المرفقة:

القطب الأول:

- نشرة "أسرة الرعيّة الجامعيّة"

- تقرير صافيتا لسنة 1972

- تقرير الرعية لهذه السنة

- تقارير اللقاءات مع بعض رجال الكنيسة والمثقفين والأساتذة.

- رسم محاضرة: أسرة الرعيّة الجامعيّة: لماذا؟ كيف؟ إلى أين؟

القطب الثاني:

- كيف أفهم يسوع المسيح اليوم؟ (موجودة في كتاب: ومن الكلمات بعضها، ص 15-31)

- "الصلاة المسيحية"

- "القداس"

3- البرنامج اليومي:

1) **يوم الجمعة 3 آب:**

- **الذهاب صباحاً**
- **مساء قداس وفترة مطالعة مع الملاحظات مكتوبة...**

2) **يوم السبت 4:**

- 9-10:30 **لقاء إنجيلي مع الأستاذ مقدسي**
- 11-12:30 **دراسة في حلقات: أسرة الرعية: لماذا الخ**
- 4:30-6:30 **نتائج الحلقات مكتوبة...**
- 7 **قداس**

3) **يوم الأحد:**

- 11-12:30 **دراسة القطب الثاني: يسوع: كيف أفهم...**
- 4:30-6:30 **تقديم نتائج الحلقات مكتوبة**

4) **يوم الإثنين 6 عيد التجلي:**

- **حلقة قبل الظهر: حول القداس والصلاة**
- **حلقة بعد الظهر: على الشاطئ في طرطوس**

5) **يوم الثلاثاء 7:**

حلقتان قبل الظهر - دراسة البرنامج السنوي في حلقات،

- **فكرية اجتماعية روحية**
- **مناقشة البرنامج وإقراره.**

بعد الظهر حلقتان، إحداهما ضيقة لصياغة التقرير النهائي والثانية لقاء مودة ومكاشفة حول لقائنا في صافيتا.

مساء: القداس، وبعده العشاء والسهرة.

6) **يوم الأربعاء 8: العودة** »

الثانية:

« **لقاء صافيتا الثالث**

لبحث حياة أسرة الرعية الجامعية في الخمس سنوات الماضية

وتخطيط برنامج العام القادم

المشتركون: الأب الياس زحلاوي

الأب يوسف بربي	
الأخت دنيز ماري	**إجازة بالفلسفة**
الأخت ماري تيريز بسيليس	**إجازة بالأدب العربي**
الأستاذ أنطون مقدسي	**أستاذ الفلسفة بجامعة دمشق**
الدكتورة فاطمة الجيوشي	**دكتورة علم النفس والتربية**
إيلي غربي	**طب سنة خامسة**
إبراهيم عبدلكي	**إجازة أدب عربي**
اليان مسعد	**طب سنة ثانية**
جاك توماجيان	**إجازة بالأدب الانكليزي**
سامي شلهوب	**علوم سنة رابعة**
نهاد اميرخانيان	**إجازة بالحقوق**
غسان بتراكي	**زراعة سنة ثالثة**
عزيز حلاق	**علوم سنة رابعة**
مروان طرابسلي	**هندسة سنة ثالثة**
ليلى شلهوب	**أدب فرنسي سنة ثانية**
كلوديا مزق	**إجازة أدب فرنسي**
منى جبيلي	**أهلية التعليم**
رياض حنا	**طبيب انتهى في عام** 72–73

يوم الجمعة في 3 آب 1973

1.30 الوصول إلى صافيتا والغداء

3.00 اجتماع لترتيب برنامج اليوم

7.30–5.30 فترة مطالعة شخصية مع الملاحظات مكتوبة

8.30–7.30 قداس (مَثَل الزارع)

9.15–8.30 عشاء

10.00–9.15 فترة استراحة

2.00–10.00 بعد منتصف الليل: حوار تعارف ومكاشفة شخصية مع مناقشة النهار

يوم السبت في 4 آب 1973

8.30–7.30 قداس (الإنجيل عن يوحنا المعمدان)

9.00–8.30 فطور

11.00–9.00 تأملات لاهوتية حول تجلي المسيح من خلال حياة يوحنا المعمدان في الإنجيل للأستاذ أنطون المقدسي

1.00–11.00 حلقات حول كيف أفهم يسوع المسيح اليوم؟ للأب الياس زحلاوي

2.00–1.00 غداء

4.30–2.00 قيلولة (لكن... توبعت المناقشة ضمن الحلقات الثلاث)

7.30–4.30 الاستماع ومناقشة لنتائج الحلقات

8.30–7.30 العشاء

9.00–8.30 استراحة

11.30–9.00 الاستماع إلى تقارير حول لقاءات أفراد من الرعية مع بعض المسؤولين الروحيين والأساتذة ثم لقاء مع الدكتورة فاطمة الجيوشي حول رأيها بالرعية ثم مناقشة اليوم.

يوم الأحد في 5 آب 1973

8.30–7.30	**قداس (الإنجيل حول تجربة يسوع في البرية)**
9.00–8.30	**الفطور**
11.00–9.00	**تأملات لاهوتية حول إنجيل تجربة يسوع في البرية للأستاذ انطون المقدسي**
1.00–11.00	**حلقات حول أسرة الرعية الجامعية – لماذ؟ كيف؟ إلى أين؟**
2.00–1.00	**غداء**
4.30–2.00	**قيلولة (لكن... توبعت المناقشة ضمن الحلقات الثلاث)**
7.45–4.30	**الاستماع ومناقشة نتائج الحلقات**
8.30–7.45	**عشاء**
9.30–8.30	**استراحة**
12.30–9.30	**سهرة ثم بحث كيفية تطبيق برنامج السنة القادمة ومراجعة النهار**

يوم الإثنين في 6 آب 1973

8.30–7.30	**قداس (إنجيل التجلي)**
9.00–8.30	**الفطور**
12.30–9.00	**حلقات لبحث برنامج الرعية من روحي واجتماعي وفكري**
1.30–12.30	**الغداء**
7.30–1.30	**النزول إلى طرطوس**
9.30–8.30	**العشاء**
–9.30	**فترة حرة حتى النوم**

يوم الثلاثاء في 7 آب 1973

8.30–7.30	**قداس**
9.15–8.30	**فطور**

10.45–9.15	**حديث الأستاذ مقدسي عن إنجيل توبة خاطئة**
1.00–10.45	**مناقشة برنامج أسرة الرعية للعام القادم**
2.00–1.00	**غداء**
4.30–2.00	**استراحة – وضع التقارير النهائية للمجموعات الروحية والفكرية والاجتماعية**
7.00–4.30	**مناقشة البرنامج وإقراره**
8.30–7.00	**وقت حر وحضور صلاة البراكليسي**
9.30–8.30	**عشاء**
–9.30	**سهرة بمناسبة انتهاء الدورة.**

3. الوثيقة الثالثة:

"أسرة الرعية الجامعية: لماذا؟... كيف؟... إلى أين؟..."

I. مقدمة:

- ثمة تساؤلات مطروحة عن أسرة الرعية:
  - داخلها... إلى حد ما...
  - وخارجها... على نطاق واسع
  - هذا الحديث يأتي تعميقاً للنشرة التي تحمل عنوان:

أسرة الرعية الجامعية

II. لماذا؟...

(1.) جاءت أسرة الرعية جواباً على أوضاع عديدة ومختلفة... حسبنا استعراض بعضها دون تقويمها...

1- أوضاع تعني المواطنين عامة:

- سلبياً: قلق... حيرة... شك... ضياع... لامبالاة وتفاهة...
- إيجابياً: آ. شعور بالحاجة إلى الخروج من كل هذا عن طريق مشاركة ما... ونقاء ما... ووضوح ما... وتضحية ما...

ب. تحول هذا الشعور إلى بداية واقع... في حرب تشرين.

2- أوضاع تعني المسيحيين:

- المسيحيين ككل:
  - سلبياً:
  - فيما بينهم...
    - انقسامات طائفية: مجموعة موزاييك
    - تزايد الجهل الديني والتاريخي
    - تنامي النزعة إلى الهروب وضعف الالتزام (تهريب الأموال... هجرة الأدمغة الخ...

- مع المسلمين مواجهة... أو موازاة، لا معايشة...

(مثال على ذلك: الـ guetto)

تعايش مفروض إلى حد ما... لا تعاون تام

- إيجابياً:

- فيما بينهم...

▪ شعور قوي بالانتماء إلى مسيح واحد

▪ رغبة صادقة في تجاوز الطائفية

▪ إقبال متزايد على العلم والمعرفة (الفتيات)

- مع المسلمين

▪ تفكك المنعزلات السكنية إلى حد بعيد

▪ واختلاط متزايد

▪ تنامي الشعور بالمشاركة في الأرض والمصير

3- الشباب العربي المسيحي:

- هو ابن بيئته...

- وهو ابن وعي جديد هو وعي علمي (هام جداً: قيمة الإنسان بوعيه)

- وهذا من شأنه أن يضاعف من ألمه من حيث هو ابن لبيئة حمل ترسباتها وضغوطها...

- وهو من شأنه أن يضاعف من ألمه من حيث هو شاب مثقف (أو متعلم) ينتمي:

- إلى أسرة:

▪ شديدة الرابطة العاطفية (الحرية... الفتاة خصوصاً)

▪ (المشكلة العاطفية والجنسية) (... الصراحة...)

▪ غالباً ما تكون أمية:

- أمية الحرف...

- أمية الفكر...

- وكثيراً ما تكون متوسطة الحال أو فقيرتها (الفقر)

- **إلى مجتمع:**
  - **- تقليدي... حتى الجمود والتجمد (الحكم العثماني...)**
  - **- يقلد ذاته: يجترّ قديمَه دون كلل (القناعة كنز لا يفنى)**
  - **- يقلد غيره: يأخذ بسرعة الجديد السطحي... أشبه شيء بقردة... على ما في هذا "التقليد" من دلائل التحدي... السطحية...**
  - **- محافظ: يمارس فيه كل استعباد، لغيره على شكل هرمي (أكبر منك بيوم أعرف منك بسنة)**
  - **- مقنّع يفتقر إلى الشجاعة والصدق والأصالة: هناك أكثر من ازدواجية... هناك تعددية (الكذب ملح الرجال... أعذب الشعر أكذبه...)**
  - **متقلّب... بكل ما فيه... عدا اتكاليته واستسلامه**
  - **متخلّف... بمؤسساته، برجاله، بعقليته، كأنه طفل لم ينمُ.**
  - **إذ لا يحمل نفسه عناء المساهمة سوى بالاستهلاك**
  - **وإذ يعتبر ما يقوله واقعاً... وما يقال له حقيقة**

  من هنا كان له نظر قصير المدى... فينطلق بسرعة... ونفس قصير المدى... فينهار بسرعة

  - **خانق... إذ بسبب كل ذلك، يشد إلى الوراء كل محاولة تجديد...**

  ومن هنا كان ميله المتفشي كالوباء في النقد الهدّام... وفي التصنيف النهائي المميت... وبالتالي بالحكم بالموت على كل ما ينتقده، ومَن ينتقده.

  - **ومع ذلك طامح في التجديد بكل قواه، وشاعر بضرورته**
  - **وهو مهدّد في أرضه... وثقته... وغده... وإذن في مصيره ووجوده... (الصهيونية)**

- إلى كنيسة:
  - جليلة بتاريخها الطويل...
  - أصيلة في البلد...
  - متمرسة بالنضال...
  - ولكنها اليوم:

+ منقسمة على نفسها شيعاً وطوائف مبعثرة... ومتناحرة
+ هرمة بمؤسساتها ورجالها وعقليتها وعاداتها وفكرها ولغتها.
+ محافظة حتى الجمود... على امتيازات وهمية

وعلى أوقاف حجرية... (البشر؟)

+ خائفة على مصيرها... المصير الذي رسمته هي لنفسها
  - منكفئة على نفسها
  - تجتر الماضي بلغة الماضي
  - ولا تدري من شؤون الناس إلا القليل
  - ولا تسهم في شؤون الناس إلا بالقليل

- حصيلة كل ذلك: ضياع بطيء، ولكن واضح ومؤكد لهوية الشاب الجامعي
  - على الصعيد الإنساني كشاب مثقف...
  - وعلى الصعيد الديني كمثقف مسيحي...
  - وعلى الصعيد القومي كمسيحي عربي...

أكتفي بالإشارة دون التفصيل...

وإن نظرة صادقة يلقيها أي منا على ذاته... تكشف له صحة هذا التشخيص على سرعته.

- من هنا كانت المحاولة المسماة بأسرة الرعية الجامعية... وهي لن تُفهَم خارج هذا الإطار العام.
  - إنها محاولة ليس إلا... (هنا نبتت... ولم تُستَورد)

- وكمحاولة هي قابلة للنمو والتطور والتكيف...
- وكمحاولة تعني الشباب، تدعو الجميع إلى المشاركة فيها...

- هذه المحاولة هي إذن محاولة جماعية وحية للعودة بالشباب الجامعي العربي المسيحي إلى حقيقته... الحقيقة الموحدة.
  - التي يريدها هو لذاته
  - والتي يريدها له مجتمعه: الأسرة، البيئة، الجامعة، الكنيسة...
  - والتي يريدها الله له.
  - ▪ أي: - أن يعرف هويته
    - وأن يريد أن يحقق هذه الهوية
    - وأن يكون ما يريده خيراً له وللناس من حوله بآن واحد

- عند هذا تبدو أسرة الرعية وكأنها محاولة جماعية للاستجابة إلى حاجات الشباب الكبرى

فهو في الأسرة يبحث عن محبة تتجسد في تفاهم

وفي الجامعة يبحث عن معرفة تحقق فعاليته

وفي المجتمع يبحث عن عطاء يحترم شخصيته

وتأتي أسرة الرعية لتسد حاجته الكبرى إلى إضفاء معنى وروح على كل هذا أي على حياته كلها... أولاً كشباب مثقف

ثانياً كشباب مثقف مسيحي

ثالثاً كشباب مثقف مسيحي عربي...

ذلك هو جوابنا في أسرة الرعية على الأوضاع القائمة...

(2.) الجواب على مثل هذا الجواب:

- إن كانت الحال في أسرة الرعية على ما يقال، فما من شك أن أسرة الرعية
  - تريد تغيير المجتمع من أساسه...
  - تريد أن تحل محل الأسرة والجامعة والمجتمع والكنيسة

- **جوابنا على هذا:**

- إن مثل هذا التفكير سوء فهم فاضح... بل جنون

- على كل، ليس هذا بأول حكم خاطئ يصدر بحق أسرة الرعية

- أما الجواب فغاية في البساطة والوضوح، وهو وحده يبرر وجود أسرة الرعية، ولا مبرر لها سواه... ألخصه بما يلي:

- قناعتي الشخصية والمطلقة هي بأن اكتشاف هويتنا الحقّة، عبر اكتشاف شخصية يسوع ومعايشته، كأفراد وكمجموعة، كفيل بأن يمكّننا من العيش وفق هذه الهوية أياً كانت الظروف، أي:

- **بمحبة في أسرة البيت الذي يفتقر إلى التفاهم (تصدّع الذات)**
- **وبانفتاح في أسرة الجامعة التي تفتقر إلى المشاركة (تسطّح العقل)**
- **وبعطاء في أسرة المجتمع الذي يفتقر إلى الاستقرار...**

- إذن مبرر وجود أسرة الرعية هو محاولة أصيلة لإنشاء جيل مثقف مسيحي عربي يعيش مع المسيح، فيستطيع أن يتجاوز التناقضات الراهنة والمقبلة،

فيسير، مع من يسيرون، حيث يُشَلّ غيره...
ويصمد، مع من يصمدون، حيث يهرب غيره...
ويعطي، مع من يُعطون، حيث يبخل غيره...
ويحرر، مع من يحررون، حيث يكبّل غيره...

<u>عند هذا تبدو أسرة الرعية الجامعية:</u>

مدرسة معرفة ومحبة ليس إلا...
معلمها يسوع المسيح
تلامذتها نحن...
موضوعها الإنسان، بدءاً من الإنسان العربي
ومجالها الأرض كلها، بدءاً من الأرض العربية

III. كيف؟...

1) **السؤال كما يطرح نفسه:**

كيف نحقق هذه المحاولة؟ أو كيف نجسد هذه الرؤيا؟

2) **الجواب كما أراه: - هو ينطلق من منطلقين:**

(أ) كون أسرة الرعية واقعاً جماعياً، لا عملاً فردياً...

فمن حيث كونه واقعاً اجتماعياً: تفاوت كبير بين...

أسبابه: في المجتمع

في الأهل

في الشباب نفسه

في الكنيسة

في الرعية ذاتها: - لا مكان لها

- المرشدون

- دورية الحياة الدراسية

- نوعية العمل في أسرة الرعية

(ب) كون أسرة الرعية حاجة جماعية، لا حلماً فردياً...

ومن حيث كونه حاجة جماعية هو يفرض إذن:

على الصعيد النفسي:

- **تنمية روح التحدي لدى الفرد، بدءاً من تحديه لنفسه**
- **وتنمية روح المشاركة لدى المجموع، بدءاً من المجموع نفسه**

على الصعيد الروحي:

- **تعميق العلاقة مع الإنسان عن طريق العلاقة مع يسوع**
- **بالإنجيل... فهو يحدثنا عن الإنسان أكثر مما يحدثنا عن الله**
- **بالصلاة... من حيث أنه صلة جديدة تدعونا إلى التجدد المستمر**
- **وهذا يصح على الصعيد الفردي والجماعي**
- **الإنجيل: مطالعة شخصية... أو جماعية...**

- الصلاة: الفردية... أو الجماعية بالقداس

مثال على ثورية الصلاة - القداس: جسدي يكسر لأجلكم

دمي يهراق لأجلكم

على الصعيد الفكري:

- السعي لمعرفة الإنسان عامة والإنسان العربي خاصة، على حقيقته: من خلال سلسلة من المحاضرات الهادفة

- التدرب على البحث العلمي الدؤوب والموضوعي: من خلال سلسلة من الحلقات (الدراسية والفنية والعلمية الخ...)

- والتمرس بالتثقيف الذاتي:

من خلال مطالعات شخصية منظمة (مكتبة الخ...)

على الصعيد الاجتماعي:

- السعي إلى الانفتاح الصادق والحر والمحب على المجتمع

... في لقاءات صلاة...

... في لقاءات الزيارات الشخصية والجماعية للطلاب والأهل الخ

... وفي لقاءات الرحلات التثقيفية والترفيهية...

... وفي لقاءات العمل الملتزم والجدّي

باختصار إذن:

الجواب كما أراه، وهذا لا يستنفد ما يراه غيري، يتلخص بكلمتين:

<u>المعرفة</u> <u>والمحبة</u>

- معرفة الرب يسوع ومعرفة الإنسان، سيما الإنسان العربي

- ومحبة الرب يسوع ومحبة الإنسان، سيما الإنسان العربي

وذلك عن طريق مبادرات فردية وجماعية

- تمليها علينا الحاجات الراهنة...

- وتبدعها قدرة المحبة فينا... إذ إن لا خلق حيث لا محبة

وإذن ما يحدث الآن في أسرة الرعية قليل من كثير، وهذا يقتضي من الجميع المزيد من المساهمة، مشاركة وإبداعاً...

IV. إلى أين؟...

1- **يوم بدأنا... اخترنا إنجيل حبة الخردل في أول قداس، وكنا فقط ثمانية**

2- **اليوم... ما نراه نحن... سلبياً...**

إيجابياً...

ما يراه غيرنا: مقياس عام، فغالباً ما تأتي معرفة الذات عن طريق الغير...

- **من خلال نظرة سطحية:**

- **من لم يعرفنا مطلقاً: حزب سياسي... خلية حزبية... ماسونية متسترة**
- **من يمرّ بنا مرور الكرام: متفرّج...**
- **من يأتينا كطفل مستهلك، لا كرجل منتج**
- **الجيران (شبان وفتيات)**
- **بعض أهل الطالبات**
- **بعض من خاب أملهم في تحقيق كسب عاطفي أو زعامي... أو سياسي**

- **من خلال نظرة أكثر عمقاً قليلاً:**
  - **موقف الأساقفة والكهنة منا: مسايرة**

    استغراب

    تعاون
  - **موقف من سبقونا على الدرب منا: مكتب اتحاد الشبيبة**
    + **في برمانا...**
    + **في أديس أبابا**
    + **في القاهرة**
    + **في تيزة بفرنسا**
  - **بعض المسؤولين والمثقفين والمحاضرين...**
  - **بعض المؤمنين العلمانيين الواعين: مساعدة مادية عفوية**

3- غداً؟

لست أدري فهذا في علم الرب وهو رهن بإرادة الشباب ووعيهم ومدى التزامهم: - هنا

- وفي الخارج

- **كل ما أرجوه هو أن يفهم البعض لماذا وجدت أسرة الرعية، ليكون له حصة في وجودها...**
- **ولتستطيع أسرة الرعية بالتالي أن تسهم في إنشاء جيل مثقف عربي مسيحي ملتزم... (المسيحي = مواطن + خدمة)**
- **قيل: أسرة الرعية هي عقدة الأب زحلاوي... الواقع أن عقدتي هي الإنسان، كل إنسان، والإنسان العربي خاصة، كما أرى فيه يسوع المسيح، وكما أراه في يسوع المسيح. رجائي أن تصبح هذه العقدة عقدة كل واحد منكم.**

4. الوثيقة الرابعة

تقرير أسرة الرعيّة الجامعيّة السنوي عن لقائها في صافيتا

من 3 آب إلى 8 منه سنة 1973

1- المقدمة:

أقامت أسرة الرعية الجامعية لقاءها السنوي الثالث في بلدة صافيتا، وقد ضم عشرين شخصاً بين طالب وطالبة وأستاذ جامعة وكاهن وراهبة. وقد انصب تفكيرنا وصلاتنا على سؤالين رئيسين هما:

أولاً- من هو يسوع بالنسبة إلينا كشباب جامعي عربي؟

ثانياً- كيف نستطيع، في أسرة الرعية أن نجسد من جديد، اليوم وغداً، محبة يسوع للإنسان في مجتمعنا هذا العربي بالذات؟

وقد تمت أعمال هذا اللقاء في جو أسروي فريد من المشاركة الإنسانية، أتاحت لنا أن نرسم برنامجاً متناسقاً بمجالاته الروحية والفكرية والاجتماعية، نعتقد أنه يمهد لنا وللكثيرين من الجامعيين، أن يعيشوا، منذ اليوم، محبة يسوع للإنسان العربي، خدمة وتضحية، في نطاق العلم الذي نتلقاه، بدءاً من أسرتنا بالذات.

2- برنامج الحياة الروحية:

من البديهي أن حياتنا الروحية في أسرة الرعية هي الأساس لمختلف مظاهر الحياة فيها. ولما كان مبرر وجودها الأوحد هو يسوع وحبه للإنسان، فقد أردنا هذه الحياة:

- تعميقاً لاتحادنا بيسوع، لتكون لنا شركة أعمق فيما بيننا، وشركة أوسع مع جميع الناس، بدءاً من أبناء مجتمعنا العربي.

- محاولة لإزالة التفاوت الكبير بين مستوانا العلمي والثقافي من جهة، ومستوانا الديني، وذلك سعياً وراء ربط حياتنا العلمية بحياتنا الروحية.

- دراسة منتظمة للإنجيل وسيرة يسوع أولاً، فسيرة بعض من ساروا على

خطاه عبر التاريخ ثانياً، ليقيننا بأن مثل هذه الدراسة تصلنا بالإنسان، كل إنسان في أبعاده كلها.

وقد تقرر أن تنظم هذه الحياة في أطر ثلاثة هي: الحلقة الروحية والقداس واللقاءات الروحية.

(1) - الحلقة الروحية:

تبين أن مثل هذه الحلقة أمر ضروري. وقد اتُّفق بشأنها على ما يلي:

- تشكليها:

مفتوح لمن يشاء، فيعلق إعلان في بيت الأسرة، يطلب فيه ممن يرغب أن يسجل اسمه في قائمة المشتركين فيها. والمرجو الاستمرار على الحضور والمشاركة، ولكن دون أي إلزام.

- مجال نشاطها:

... دراسة الإنجيل.

... تحضير لقاءات روحية عبر السنة.

... تحضير لقاءات الميلاد والفصح.

... دراسة سيرة أحد المسيحيين، الذين عاشوا على نحو ممتاز حياة يسوع مجدداً في بيئاتهم المختلفة، فسُمّوا قديسين.

- طريقة العمل:

... تلتقي بصورة دورية مرة واحدة كل أسبوعين إن أمكن، ومن المفضل أن يكون ذلك في بيت الأسرة.

... يترك تحديد أسلوب العمل لموجّه الحلقة وأفرادها.

... يشترط فيها وجود مجموعة تعمل على نقل نتائج الحلقة إلى سائر أفراد الأسرة. وقد اقترح أن يكون ذلك:

أولاً: عن طريق دفتر خاص تدوّن عليه كل أعمال الحلقة، ويوضع في بيت الأسرة تحت تصرف الجميع.

ثانياً: عن طريق حديث يلقيه أحد أفراد الحلقة، يقدم فيه نتاج العمل لفترة ما، وذلك في لقاء عام مع أفراد الأسرة.

(2) - القداس:

أصبح من النافل أن نؤكد أن القداس، أي الاشتراك الجماعي في سر الفداء، هو قلب أسرتنا. وقد رأينا أن نسعى وراء أعمق مشاركة ممكنة، على ضوء التجربة السابقة بما اعتراها من رتابة أو تجدد. وقد قرّ رأينا على ما يلي:

- **متابعة إقامة القداس الأسبوعي يوم الجمعة بعد الظهر.**
- **تطويره بحيث تُستبدَل بعض الطلبات أو الصلوات، بطلبات أو صلوات يصوغها الطلبة أنفسهم، تأتي متلائمة مع الأحداث التي نعيشها، شخصية كانت، أم عربية أما عالمية.**
- **اختيار القراءات الكتابية أو غيرها، اختياراً يتلاءم والإعداد الكلي للقداس.**
- **اعتماد ترتيل متقن من وقت لآخر إن أمكن.**
- **العمل على تنظيم لقاءات ترفيهية من وقت لآخر بعد القداس، تحقق مزيداً من التعارف والتحاب.**
- **إقامة قداس يومي في بيت الأسرة، بعد الظهر، في وقت يحدد في حينه، وذلك على ضوء التجربة الجديدة التي عشناها بضعة أشهر في أسرتنا هذا العام، في نطاق قداس كنا نقيمة ضمن مجموعة ضيقة، وتحققت لنا فيه مشاركة روحية وإنسانية بالغة الأثر.**

(3) - اللقاءات الروحية:

- **العادية منها، وقد شدّد على ضرورة الإبقاء على اللقاءين الروحيين اللذين اعتدنا أن نقيمهما قبيل الميلاد والفصح.**
- **الاستثنائية، وقد طلب أن تجدّد المحاولة التي بذلت العام الماضي، لإقامة لقاءات روحية بصورة رحلات يوضع لها برنامج خاص بها.**

(4) - اقتراحات:

- **من الضروري وجود المرشدين على نحو دائم في بيت الأسرة، في أوقات محددة يعلن عنها، لكي يسهل الاتصال بهم دون هدر للوقت.**

- من الضروري أيضاً وجود لوحة إعلانات تعرّف الجميع على مختلف أوجه النشاط الروحي، سواء ما يتعلق منها بالحلقة الروحية أم بالقداس، أم باللقاءات الروحية.
- من الضروري تزويد مكتبتنا بكتب عربية ذات مستوى روحي. ولما كانت الكتب العربية المقصودة نادرة جداً، فقد تقرر أن تشكل مجموعة تعمل على ترجمة ما يُنتَقى لها من كتب أو نشرات، يُعمَد بعدها إلى نشرها.
- من الضروري العمل على نسخ المحاضرات الروحية المسجلة سابقاً، للسعي إلى نشرها.

3- برنامج الحياة الفكرية:

(1) - الخط الفكري العام:

استناداً إلى اللقاء الذي جرى في اليومين الأولين، حول تلمّسنا وجه المسيح في الوقت الحاضر، وحول فهمنا الرعية ومبررات وجودها وأهدافها، حدّدنا الخط الفكري لهذا العام الدراسي 73-1974، وقد ربطناه بالعنوان التالي:

"البشرى المسيحية ومعايشة الإنسان لروح العصر"

هذا الخط لن يكون مستقلاً عن مختلف النشاطات الفكرية والاجتماعية والروحية التي اعتمدناها. إنما سنحاول أن نصبّ خبرتنا الروحية والاجتماعية على اختلاف وجوهها، في قالب معرفة أعمق لمعاناة الإنسان الجديد في العصر الحاضر في وطننا العربي أولاً، وفي العالم ثانياً، لنتعرف على جوانبها، ضمن الظروف الاجتماعية والتقنية التي تجتاح العالم منذ أمد قريب.

ونقطة البداية هنا هي واقع التخلف الذي نعاني منه، أفراداً ومجتمعاً، في وجه حضارة تُفرَض علينا فرضاً، في حين نود أن نقف منها موقف المنتج والمبدع أيضاً، وليس موقف المستهلك اللاهث فقط.

وقد قرّ رأينا أن نقصر بحثنا على هذه المعاناة، في نطاق شهادات شخصية يقدمها بعض من التزموا بمجتمعهم حتى الصميم، فيتناول

بعضها معاناة الإنسان العربي، وبعضها معاناة الإنسان الغربي المعاصر. ونحن نرمي من وراء ذلك إلى تنقية رؤيانا للإنسان المعاصر، من العموميات المبهمة والأحكام المسبقة غير الواقعية.

لذا سوف نمهد لهذه الأحاديث والشهادات بتحليل موضوعي، يتناول ارتكاسات الحضارة الحديثة على الإنسان عامة، والإنسان العربي خاصة، فرداً ومجتمعاً، قيماً وغايات. ونختمها بنظرة مدققة إلى الإنسان الجديد، كما جاءت خطوطه في بشارة يسوع، علّنا نتعرف على وجهنا الحقيقي، من خلال اكتشافنا الوجه الحقيقي للمسيح في إنسان اليوم.

كل هذا في سلسلة من المحاضرات سوف لا تتجاوز الخمس، تُلقَى في فترات متباعدة بحيث يُترك المجال بينها مفتوحاً للحلقات الدراسية لتقديم إنتاجها، أو لتقديم محاضرة طارئة نرى ضرورتها أثناء السنة، حول حدث ما... سياسي أو ثقافي أو فني.

(2) - **الحلقات:**

ورد في تقرير العام الماضي أمر تشكيل حلقات دراسية أو اجتماعية أو ما سواها. ولكن أموراً كثيرة حالت دون تحقيق ذلك. لذا عملنا، قبل لقائنا هذا في صافيتا، على الاتصال بعدد من أساتذة الجامعة وغيرهم، وقد أبدوا ترحيباً للاشتراك مع مجموعة من الشباب في دراسة موضوع يهم مجتمعنا ككل. وقد تأكّد من حيث المبدأ إمكانية إنشاء خمس حلقات.

هذه الحلقات يُحدّد برنامجها وطريقة عملها المسؤولون عنها، على أن يقدم كل من هؤلاء المسؤولين، خلال الأسابيع الخمسة الأولى من السنة الدراسية، موضوع حلقته وطريقة عملها وهدفها، في حديث عام في أسرة الرعية، ليفسح المجال أمام الشباب لاختيار الحلقة الموافقة لرغباتهم أو اهتماماتهم.

وتجري الاجتماعات بصورة دورية، يتفق عليها المشتركون مع موجّه الحلقة. وأما فائدة هذه الحلقات، فلن تقف عند المشتركين فيها. بل يُطلب منها تقديم بعض الأحاديث التي ترى فيها فائدة لجميع أفراد الرعية، حول

الأبحاث والنتائج التي انتهت إليها، وذلك وفق تنسيق ينظّم هذه الحلقات ضمن البرنامج العام، يشرف عليها أحد الموجّهين أو الطلاب، ويستهدف ربط هذه الأحاديث بالخط الفكري العام.

(3) - المكتبة:

أما مكان المكتبة من حياة الرعية الفكرية، فقد ذكر على أنها مرجع يفيدنا في تعميق الخط الفكري، كما وأنها تشكل مجالاً للتشجيع على المطالعة، وإمكانية للحصول على كتب منتقاة، وحافزاً لمن لم يتعود القراءة للإقبال عليها.

لذا وجب انتقاء الكتب بطريقة توفّر أكبر قدر من الفائدة، وذلك بالرجوع إلى فهارس الكتب الصادرة حديثاً، والكتب المختصة بكل موضوع، وبالاستعانة بمراجع المراكز الثقافية والنشرات التي تذكر أحدث الكتب.

وإن أهمية المكتبة هذه تتطلب مسؤولين ينتقون الكتب ويصنّفونها، ويعلنون عنها في لوحة خاصة، وينظّمون الاستفادة منها.

(4) - المحاضرات:

- تقرر أن نواصل نشر المحاضرات التي تُلقى في الرعية بطريقة النسخ لتعميم الفائدة.
- تبين أنه من الضروري العمل على نسخ المحاضرات السابقة المسجلة، للسعي إلى نشرها في كتاب مستقل.

4- برنامج الحياة الاجتماعية:

من الواضح أن الحياة الاجتماعية في أسرتنا، كما في كل أسرة، لا يمكن أن تخضع لبرنامج يحدّها ويحدّدها. فالحياة في الأسرة محبة ومشاركة ومباشرة، وهذه كلها أمور لا تخضع لتخطيط، بل هي نقاش في ابتكار وتجدد.

ومع ذلك فكان لا بد لنا، ورغبتنا واضحة في أن نجعل من أسرتنا صورة لارتباطها بأسرة مجتمعنا العربي، من أن ننظّم هذه الحياة، جهد المستطاع، في أسلوب عملي يساعدنا ويساعد من يتردّد

على أسرتنا، على تطبيق الخط العام الذي انتهجناه، ألا وهو تعميق محبة المسيح من خلال خدمة القريب.

وقد أردنا للحياة الاجتماعية في أسرة الرعية أن تكون:

- لقاء إخوة ينتمون إلى أسرة واحدة، فيلتقون في بيت واحد، في جو من الصفاء والفرح...

- لقاء إخوة يتمرّسون بالخدمة منذ اليوم، ليعيشوها غداً منهاج حياة في سبيل أسرة الوطن...

- منطلقاً لعمل جماعي منتج، منفتح على كل ما يبني الإنسان والمجتمع.

ففي نطاق الفقرة الأولى قررنا:

أولاً: أن يستقبل بيت الأسرة الجديد، في قبو كنيسة سيدة دمشق بحي القصور، كل الوافدين إليه يومياً على مدار السنة أولاً، من الساعة الرابعة والنصف حتى الثامنة والنصف، طوال النهار ثانياً، منذ التاسعة صباحاً حتى التاسعة ليلاً، في الأيام التي تسبق وترافق الامتحانات.

ثانياً: أن يصار بسرعة إلى تجهيز الغرف الملحقة بالصالة الكبرى، بكل ما يوفر للطالب الهدوء والانصراف إلى حديث هادئ أو المطالعة الشخصية أو الكتابة، في جو من الموسيقى الهادئة، أو التأمل والصلاة...

ثالثاً: أن تقام لقاءات ترفيهية، بعد القداس الأسبوعي إن أمكن، من وقت لآخر، تزيد الشباب تعارفاً فيما بينهم، وتُخرِجهم مما يعانون من وحدة وغربة.

رابعاً: أن يصار إلى تنظيم لقاءات مفتوحة، تُناقَش فيها بعض مواضيع الساعة أو الأحداث، نتمرّس فيها بالحوار الهادئ البنّاء.

خامساً: أن نعمل على تنظيم رحلات تجمع بين الترفيه والتثقيف، نعيش خلالها ما نصبو إليه من أخوّة وصفاء، ونكتشف معالم وطننا الحضارية، القديمة والحديثة منها على حد سواء.

وقد شُدّد على ضرورة الاشتراك في الرحلات التي تنظمها الجامعة، للإبقاء على الصلة والتفاعل كاملين، مع المجال الحيوي الجامعي الذي نعيش فيه ونعمل معه.

سادسا: أن نحقق الصلة المباشرة بين أسرة الرعية وأسر أفرادها، وذلك عن طريق:

- **الزيارات الشخصية (فردية كانت أم جماعية) بمناسبة الأعياد الشخصية أو المرض الخ...**
- **بموافاتهم ببطاقات في بعض المناسبات...**
- **بدعوتهم للقاء عام، أقله مرة في العام.**

سابعاً: أن نُبقي على علاقات الأخوة والصداقة مع الأخوة الذين غادرونا للتخصص، علّنا نمتّن علاقتهم بأسرة الوطن، فنسهم في عودتهم إليه...

وفي نطاق الفقرة الثانية: نرى أن الإنسان يقاس بقدرته على الخدمة وقد قررنا:

أولاً: أن نسعى إلى خدمة الطلاب أنفسهم في ما يحتاجون إليه، سواء في نطاق البحث عن سكن، أو في نطاق الخدمات الجامعية من تسجيل ومتابعة معاملات الخ...

ثانياً: أن نسعى إلى تدريب الطلاب على خدمة أنفسهم بأنفسهم في بيت أسرة الرعية، فيشرفون بأنفسهم على ترتيبه وتنظيفه الخ... وتأمين الدوام فيه بصورة دورية...

ثالثاً: أن يستقبل بيت الأسرة، عند الحاجة ولمدة لا تتجاوز الليلتين أو الثلاث فقط، أي طالب يقصده، ريثما يوفق بغرفة يسكنها.

وفي نطاق الفقرة الثالثة: تبين لنا:

أولاً: أن مجالات العمل المنتج والجماعي واسعة جداً في البلد، وأنه لا بد لنا من الإسهام فيها بكل ما أوتينا من طاقات... منها دورات الإسعاف والتمريض، مكافحة الأمية، التشجير، أسابيع الإنتاج، المعسكرات الجامعية، دورات دراسية الخ.

ثانياً: أنه ثمة مجال لخدمات أخرى، تأتي في نطاق مبادرات شخصية، لا بد من التشديد عليها والتذكير بها من وقت لآخر (تبرع بالدم...)

وقد تقرر توجيه الدعوة في مختلف الكنائس، وبالاتصال الشخصي، للقاء عام خلال شهر تشرين الثاني، يكون مجالاً لتعارف أوسع بين الطلاب، يُعرَض أثناءه برنامج أسرة الرعية لهذا العام.

5- خاتمة:

من الواضح أن البرنامج واسع جداً، وقد ينطوي على كثير من الطموح. ولكنا مقتنعون بأنه دون ما يجب أن نقدّم من خدمة لمجتمعنا العربي، في فترة هي من أصعب ما عرف عبر تاريخه الطويل. وإن مصدر هذا الاقتناع هو واقع هذا المجتمع بالذات، ومقتضيات إيماننا بيسوع.

وقد تبين للذين عاشوا لقاء صافيتا هذا العام، أننا لن نكون في مستوى المسؤولية كشباب جامعي عربي مؤمن، إلا إذا عشناها مشاركة حقيقية في الفكر والصلاة والعمل... والجَيْب!

ولنا في ذلك كلمة من الرب تضيء لنا الدرب:

أَعطوا تُعطَوا: مجاناً أخذتم مجاناً أعطوا".

دمشق 1973/8/18 أسرة الرعية الجامعية

طبع من هذا التقرير 300 نسخة على حدة،

بعد أن نشر في "النشرة العائلية" (صافيتا)

5. الوثيقة الخامسة:

رسالة الأب بطرس المعلم البولسي إلى الأب الياس زحلاوي

« أبت الحبيب الياس،

قبلة أخوية وأدعية حارّة.

أما بعد، فقد قرأت في "النشرة العائلية" (العدد 8)، تقرير أسرة الرعية الجامعية السنوي، عن لقائها في صافيتا الصيف الماضي، فأعجبت بمضمونه أيّما إعجاب، وتدارسته مع عدد من الشبان الملتزمين مسيحيّاً في بيروت، من جامعيين وموظفين وسواهم، فنال إعجابهم كذلك، لما فيه من عمق الرؤية وشمولها، في مختلف نواحي الحياة الروحية والفكرية والاجتماعية، لا على صعيد النظريات والمبادئ فحسب، بل على صعيد التطبيقات العملية الملتصقة بالحياة اليومية.

فهنيئاً لك يا أخي أن تصل الرعية اليوم إلى ما وصلت إليه، بفضل جهودك الكثيرة، وجهود الذين قدّروا عملك وساهموا في مؤازرته، وبفضل تجاوب هذه القلوب الفتية السخية، التائقة إلى النور والحق والحياة. وأرجو أن تكون نقطة الوصول التي بلغتموها، هي نفسها نقطة الانطلاق على دروب التأنسن اللامحدود، في خطى من هو وحده "ابن الإنسان"

1973/11/23 الأب بطرس المعلم البولسي ».

الفصل الثالث

قفزة ذات معنى:

ههنا أيضاً، في كلمات هذا التقرير- الوثيقة، ما يغني عن أي تعليق

تقرير أسرة الرعية الجامعية عن لقائها في صافيتا

9–16 آب 1974

« **كلمات قيلت...**

- أسرة الرعية علّمتني، من أنا...
- ما أحببته في أسرة الرعية أنها صالحتني مع نفسي ومع العالم...
- الصلاة تجمعني، في حين أن كل شيء يفتتني...
- المواقف التقليدية للكنيسة "تغرّب" المسيحيين في هذا الوطن...
- إن العَرَق يوفّر الدم...
- نريد أن نستفيد دون أن نعمل... لماذا؟؟؟
- علينا أن نعيش بصمت كمجموعة عطاء اجتماعي على هذه الأرض...

- أريد أن أعيش لا كما يريد لي أهلي، بل كما أريد أنا، حاجتي الأولى الحرية...

- أعتقد أن دور الرعية وإنجازاتها هو إعادة المعنى لحياة الشباب، عن طريق ربط تطلعاته كعربي بتطلعاته الشخصية، إضافة إلى قيمته المطلقة كإنسان...

- أكره البلد، الفتاة فيه مخنوقة...

- إلى متى سأظل أعيش ازدواجية صدقي في صلاتي من جهة، وتطلعي الجنسي من جهة أخرى؟

- الشهادة وسيلة لتحريري كفتاة، واعتمادي على ذاتي، فلا أنتظر الإنسان الذي سيتزوجني ويريح أهلي مني...

- العلاقة الإنسانية هي تقاسم للماضي، ومشاركة في الحاضر، وتوق للإسهام في بناء المستقبل

- الغرب ليس بشيء، نحن أفضل منه... ما ينقصنا هو الثقة بالنفس.

- العالم مليء بأناس طيبين. علينا نحن أن ننطلق نحوهم...

- عندما أرى طفلاً مشرداً، أنا المسؤولة... وعندما أسمع حديثاً سخيفاً في الإذاعة، أنا المسؤولة...

ما الذي جرى في صافيتا؟

تلك بعض من كلمات قيلت في لقاء صافيتا، تبدو لأول وهلة هذياناً... هي بالحقيقة هذيان، إنما لا الغائب في نومه أو السكير، بل هذيان من يحاول الغوص في أعماقه، من يحاول الاستيقاظ من سبات طويل، من يركض باحثاً بمرارة عن هويته وانتمائه.

هذه جمل لم يقلها كاتب، ولم تنسق لغرض ما... وإنما هي بعض مما قاله المجتمعون في صافيتا. كانوا سبعة وعشرين. خبروا طوال أسبوع كامل العيش المشترك، عبر الصلاة والمكاشفة والمرح، في محاولة للكشف عن أعماقهم الشخصية، وتطلعاتهم الاجتماعية والقومية.

بدأ اللقاء منذ اليوم الأول بمكاشفة جماعية، كان أن تكلم فيها كل فرد عن معاناته وطريقة تفكيره إزاء الأمور، وعما يطمح إليه، على مختلف الأصعدة. ولعل ما ساعد على سقوط الأقنعة، ومدّ كلاً منا بالجرأة الضرورية للتحدث عن نفسه، هو الفترة التي امتدت بين حرب تشرين والأشهر التي عقبتها، بما تم فيها من مشاركة شاملة تمنينا لو تصل بنا إلى بذل الدم، وصلاة نبعت من واقع حياتنا أثناء الحرب، تأصلت في صلة روحية حكمت مجمل العلاقات بين أفراد الأسرة. وقد كان لهذا الدفء الإنساني والروحي، أن مهد لنجاح لقاء صافيتا على صعيد المشاركة العميقة والغريبة التي تمّت فيه.

القضايا والتطلعات...

لعل أبرز ما جاء في هذه الشهادات هو تعبيرها دائماً عن أزمة علاقة أو صلة تتحكم بالشبيبة، وتنجم عنها أزمات على صعيد العلاقات الشخصية والعائلية والجامعية والاجتماعية والقومية الخ...

1) أزمة علاقة الجامعي مع نفسه...

هذه الأزمة هي نتيجة وجوده في مجتمع غير متماسك في بنياته الدينية والثقافية والاجتماعية... فمنذ طفولته تنساب إلى أعماقه بذور التشتت والازدواجية... من ذلك مثلاً البون الشاسع بين ما يفكر به وما يعمله، بين صَلاته وحياته اليومية، من عاطفية وجنسية الخ... من هنا كانت صعوبة إدراكه لحقيقته الذاتية وحقيقة انتمائه الاجتماعي، الأمر الذي يبعثر إمكانياته، ويستلب حضوره على مختلف الأصعدة الأخرى. وإذا به، رغم تحصيله العلمي، سلبي يعيش غربة تمنعه من المشاركة الفعالة في كل ما حوله: أسرة، كنيسة، وطن، قريب...

2) أزمة علاقة الجامعي بالله والكنيسة...

لم يعد الجامعي يقبل الصور المشوهة عن الله الغيبي والمخيف حليف الأقوياء والمستغلين، حليف كل تحجّر وتخلف، تلك الصور التي رسمتها عصور الانحطاط في بلادنا.

في صافيتا جرى التفريق بين تلك الصور التي يمكن رسمها لله الذي لا يوصف أصلاً، وبين رب الإنجيل، يسوع المسيح، الذي أحبنا وعاش بيننا. كما جرى الإصرار على أن ما نتطلع إلى بنائه ليس "دكان كنيسة" تبتاع منه منتجات أي دين من طقوس جامدة ومفرغة من محتواها"، وإنما بناء حياة جديدة للإنسان الجديد الذي بشّر به الإنجيل.

وقد وعينا تماماً أيضاً فقرنا الروحي وجهلنا أصول المسيحية، وسطحية مفاهيمنا حول الكنيسة والقريب والصلاة والقداس، ومحتوى الإنجيل، الأمر الذي يقضينا البحث والتعميق.

كل ذلك يريده الجامعي عن طريق تطوير للذات داخلي ومستمر - ثورة أخلاقية، أو بتعبير الإنجيل "ولادة روحية" - عبر صلاة - ذروتها القداس - تشكل صلة مثلثة بين الإنسان وذاته والقريب والله، رافضاً الاجترار والتكرار لكلمات مجوّفة، فقدت أو كادت معناها، راغباً في إفساح المجال في القداس لما يعبّر به بعفوية عن تطلعاته وآماله وآلامه، مجسداً اشتراكه العميق مع سائر المصلين في المشاركة الجماعية في كلام الرب وجسده.

3) <u>أزمة علاقة الجامعي بمجتمعه...</u>

ثمة عاملان لفتا انتباه المجتمعين في صافيتا، ساهما في تخلف الجامعي عن مسؤولياته. العامل الأول هو تشتته الذاتي وغربته الذاتية. والعامل الثاني هو الاغتراب الذي عاشته المؤسسة الكنسية، بصورة عامة، عن شؤون الإنسان العامة. الأمر الذي أدى بالجامعي إلى تقصير يصل إلى حدود التنكر لبلده والهجرة بعيداً عنه، مخلفاً وراءه أرضاً وإنساناً مهدّدين بالسلب، يعانيان شتى أنواع التمزق والتخلف.

وإن وعينا لغربتنا كمسيحيين عرب، حفز فينا التوق إلى تعميق هويتنا وانتمائنا. وقد تبين لنا أن خير وسيلة ننتهجها في هذا السبيل، هو العيش بصمت في خدمة تبني الإنسان والبلد. ونحن على يقين من أن مثل هذا لن يكون إلا في المحبة التي بشّر بها يسوع، تلك المحبة التي بدونها يفقد كل عمل "طعمه" الأصيل. وإنا لندرك تماماً أن إيماننا هو الحب العامل، وإن

اشتراكنا في جسد الرب وكلامه، يلزمنا بالضرورة، إن كنا صادقين، بالنضال ضد كل ما يعوق نمو الإنسان والبلد، انطلاقاً من حاجاتهما الواقعية، كي يكون لهما ما يصبوان إليه من وضع حد لكل التمزقات الشخصية والدينية والاجتماعية والقومية.

ونحن نرى في أسرتنا، أسرة الرعية الجامعية، محاولة واعدة تمكّن الجامعي من الربط بين تطلّعه الإنساني والقومي من جهة، وتطلّعه الروحي من جهة ثانية.

خطوط البرنامج الجديد.

انطلاقاً مما اكتشفناه في لقائنا في صافيتا، وحاولنا إيجازه في هذا التقرير، رأينا أن نرسم لنا برنامجاً يساعدنا على مواجهة بعض المشاكل والقضايا المطروحة التي لا بد لنا من مواجهتها. فكان البرنامج التالي، بخطيه الفكري الثقافي، والعملي الاجتماعي.

❖ **الخط الفكري:**

1- على صعيد المحاضرات: تحت عنوان "تطلعات شباب اليوم والمسيح"، تأتي كما يلي:

- ظاهرة التمرد والتجدد في المجتمع المعاصر عامة، والعربي خاصة.
- ظاهرة التجدد في الكنيسة عالمياً ومحلياً.
- لقاء الميلاد: البحث عن المعنى لدى الشباب المعاصر.
- الحب والجنس والإيمان.
- المسيحي والعنف الثوري
- لقاء الفصح: المسيح في أدب الشباب، رمزاً للفداء والقيامة...

2- على صعيد الحلقات: الهدف منها ربط أسرة الرعية بجذور المسيحي وبأسرة البلد ثقافياً.

- الأصول المسيحية
- حركات التجدد في المسيحية اليوم

- نحن والإنجيل
- الفن وقضايا الإنسان
- الحركة الثقافية في القطر.

❖ **الخط الاجتماعي:**

لم نخطط لبرنامج اجتماعي مفصل، برغم سهولة مثل هذا التخطيط... برنامج العام الماضي، وهو في تصرفنا جميعاً، يشتمل على ما يفيض عن حاجتنا!! فما نود تحقيقه في الواقع، أن نحاول العيش بصدق كأسرة لا يمكن أن تخضع لتنسيق مسبق، بل تعيش في عفوية وابتكار وتجدد، عبر صلاة واقعية تكرس وتنمي صِلات صادقة ومعقولة، نتجاوز بها كل فروقاتنا الشخصية والطائفية والاجتماعية والعلمية، في سبيل تحقيق مشاركة تمكّننا من الإسهام في بناء أسرة الأمة الكبرى.

خاتمة:

أن تبقى هذه الكلمات المكتوبة حبراً على ورق، أو أن تترجم إلى واقع حي... أمر منوط بكل منا. وكلنا يعرف تماماً أن تحويل الإيمان إلى فعل حب يقتضي منا طول نفس، وقدرة على الاستمرار، وصدقاً في الالتزام، ورغبة في التعاون، توصلنا حتماً إلى بناء الإنسان العربي، على هذه الأرض التي اختارها الرب لنا، ضمن ما مُنِحناه من إمكانيات، ونعطي أنفسنا من مسؤولية، ونحصّل من علم.

فنحن إذن على موعد وعلى وعد!

أسرة الرعيّة الجامعيّة

دمشق في 1974/11/8 »

الفصل الرابع

ملامح جديدة وغنية

عاماً بعد عام، تكتسب أسرة الرعيّة الجامعيّة، في عملية تطور، طبيعية، هادئة، ملامح جديدة، متميزة. هنا أيضاً، أترك للتقرير السنوي، الصادر في 1974/10/25، أن يُبيّنها بخطوطها الكبرى، دون أن أضيف إليه أي تعليق.

« تقرير أسرة الرعيّة الجامعيّة السنوي

1974 - 1973

ملاحظة هامة:

هذا التقرير يشمل الفترة الواقعة بين أوائل آب 1973، وأواخر تشرين الأول 1974. فهو يضم لقاءين لأسرة الرعية في صافيتا، الأول بمثابة مقدمة، والثاني بمثابة خاتمة.

1- لقاء صافيتا صيف 1973

ضم هذا اللقاء عشرين شخصاً بين طالب وطالبة، وأستاذ جامعة، وكاهن وراهبة، وقد عقد ما بين 3 و8 آب.

انصب التفكير والصلاة فيه على سؤالين رئيسيين هما:

1. **من هو يسوع بالنسبة إلينا كشباب جامعي عربي؟**
2. **كيف نستطيع، في أسرة الرعية، أن نجسد من جديد، اليوم وغداً، محبة يسوع للإنسان في مجتمعنا هذا العربي بالذات.**

ساد هذا اللقاء جو أسروي فريد من المشاركة الإنسانية، والصفاء الروحي، والتطلع القومي. وقد خرجنا منه ببرنامج متناسق في مجالاته الروحية والفكرية والاجتماعية، كنا على يقين من أنه يمهد لنا وللكثيرين من الجامعيين، أن نعيش محبة يسوع للإنسان العربي خدمة وتضحية، في نطاق العلم الذي نتلقاه، وذلك بدءاً من أسرتنا الصغيرة بالذات.

كان البرنامج كله يدور حول قطبين اثنين:

- **الارتباط بالرب يسوع...**
- **والارتباط بالأرض والإنسان...**

وكنا على بيّنة كاملة من خطورته وصعوبته أيضاً. وقد جاء في التقرير حول هذا اللقاء بتاريخ 1973/8/18.

"من الواضح أن البرنامج واسع جداً. وقد ينطوي على كثير من الطموح. ولكنا مقتنعون بأنه دون ما يجب أن نقدّم من خدمة لمجتمعنا العربي، في فترة هي من أصعب ما عرف عبر تاريخه الطويل. وإن مصدر هذا الاقتناع هو واقع هذا المجتمع بالذات، ومقتضيات إيماننا بيسوع".

ليس ما يدعو إلى تفصيل البرنامج، إذ إنا نرفق نسخة منه بهذا التقرير، ولا بد من الاطلاع عليه. وكنا على وعي تام بأن تنفيذ هذا البرنامج يتوقف إلى حد بعيد على وجود "بيت" لأسرة الرعية دائم وثابت. وكنا قد تلقينا الوعد من السلطة الكنسية، بأن يكون هذا البيت القبو الكائن تحت كنيسة سيدة دمشق الجديدة في حي القصور، في حين تخصص غرفتان فيه لإقامة مرشد الأسرة على نحو دائم.

فما الذي حصل هذا العام؟ ما تحقق؟ وما لم يتحقق؟ ولماذا؟

2- حقائق ثلاث

في أسرة الرعية مسلّمات كثيرة تترسخ يوماً بعد يوم وسنة بعد سنة.

إلا أن هناك حقائق أبرزتها تطورات هذا العام، لا بد لنا من التوقف عندها والتأمل فيها:

الحقيقة الأولى: صعوبة التوفيق بين تطلّع الشباب وتجسيده في الواقع.

ليس هذا بالأمر الجديد، لا على أسرة الرعية، ولا على أي محاولة جادة لبناء الجديد إلا أن ما لمسناه هذا العام من صعوبة في تحقيق البرنامج بكل شموليته، يدعو في ظاهر الأمور للتخلي عن مثل هذا الطموح.

فمن الواضح أننا على الصعيد الروحي والفكري والاجتماعي، لم نحقق إلا النذر القليل. بل إن نظرة سطحية إلى الأمور قد دفعت البعض إلى طرح السؤال بكل جدية، حول جدوى أسرة الرعية.

وإن لهذا السؤال ما يبرّره في مجتمع لا يسلّم إلا بما يملأ الدنيا ضجيجاً...

ففي أسرة الرعية... نفتقر إلى بيت دائم كبير وجذاب...

ونفتقر إلى العدد الوفير...

ونفتقر إلى المال الكثير...

ونفتقر إلى الدعاية الطنانة...

ونفتقر حتى إلى سيارة...

ولكن ما تحقق هذا العام، في صمت وصبر، ليس في نظرنا بالقليل، بل إنه لكثير، هو نعمة. هو ما أردناه دوماً هدفاً أساسياً أوحد لأسرتنا: تعميق ارتباطنا بالرب... وتعميق ارتباطنا بالأرض.

نترك للفقرتين التاليتين مهمة توضيح هذه الفكرة الهامة.

الحقيقة الثانية: غربة أسرة الرعية في الكنيسة.

بعض الحقائق تصدم، ولكن لا بد من مواجهتها بصدق.

أسرة الرعيّة الجامعيّة ابنة الكنيسة في دمشق. وهي قامت كعضو في جسد الكنيسة. هذا أمر لا يختلف فيه اثنان.

إلا أن العلاقة بين الكنيسة في بنيتها الطائفية والتقليدية، وأسرة الرعية في بنيتها اللاطائفية والتطلعية، لا تخلو من الغرابة. وقد تبدو أحياناً وكأنها وجه من وجوه الصراع بين القديم والجديد.

وإن لنا في افتقار أسرة الرعية إلى بيت خاص بها حتى اليوم، وفي تقاعس الرئاسة الكنسية عن المساهمة المالية الجدية في نفقاتها، وفي مواقف بعضهم منها، سواء على الصعيد الكنسي العام، أو على صعيد طائفته الخاصة، وكذلك في مواقف بعض المقربين إلى الرئاسة الكنسية من العلمانيين... ما يبرر لدينا هذا الاعتقاد.

وقد يكون للرئاسة الكنسية أيضاً ما يبرّر لديها مثل هذا الاعتقاد، قد يرى بعضهم فيها محاولة طائفية خاصة لا تتعدى حدود الطائفة الواحدة... وقد يرى غيرهم أنها محاولة كنسية لامتصاص هذه الفئة أو تلك من الشباب المسيحي... وقد يرى الجميع أنها بدأت تشكل ظاهرة جديدة على الصعيد المسيحي العام، ليس من السهل التغاضي عنها، ولا بأولى حجة استيعابها...

لهذا كله شعرنا ونشعر في أسرة الرعية بغربة متزايدة في كنيسة دمشق...

وكنا نسعى دوماً إلى تبديد الشكوك أو الأوهام التي تحيط بنا، باتصالات مستمرة مع الرئاسة الكنسية. ولكن الحقيقة تقتضينا أن نعلن بأننا ما شعرنا يوماً بغربة مع يسوع... ولا مع الكنيسة العربية التي نتطلع إليها كلنا.

الحقيقة الثالثة: أسرة الرعية ابنة تطلع عربي مسيحي أصيل

الكل يعلم أن أسرة الرعية ليست مستوردة، لا في بنيتها ولا في رؤيتها. بل هي نبتت من محاولة متواضعة جداً قام بها ثمانية من الطلبة ينتمون إلى محافظات وطوائف متعددة، يجمعهم أمران: إيمانهم بالرب وبالأرض، وتطلعهم إلى تسخير علمهم لبلدهم وأمتهم، بوحي من هذا الإيمان.

وإنه لمن الواضح لمتتبّعيها أنها عملت منذ اللحظة الأولى على تعميق هذا الإيمان لدى أفرادها. وقد انتهجت في سبيل ذلك نهجاً بسيطاً وجذرياً معاً:

التحديق في الواقع العربي، والتحديق في الإنجيل. حتى باتت محاضراتها وصلواتها جديدة تفاجئ وتصدم المسامع، فينفر منها من لا يريد إلا كلمات تردّد ما يقوله هو أو ما يقال من حوله أو من ظن فيها تملقاً للسلطة أو مزاودة عروبية" ويقبل عليها من أخذ الأمور بروية وبعد نظر.

وقد كان من نتيجة هذا الاتجاه أن حقق الوحدة الكيانية في أعماق أفرادها بين إيمانهم المسيحي وانتمائهم القومي. فبات المسيح يتجلى لهم في الواقع العربي اليومي، وباتت أمانتهم لهذا الواقع مقياس أمانتهم للمسيح. يشددون على اكتشاف معالم هذا الواقع بكل إيجابياته وسلبياته، يشددون على تحويل علمهم اليوم وغداً إلى وسيلة خدمة للمساهمة في تحرير الإنسان العربي من جوانب التخلف في هذا الواقع، ويشددون على الانغراس في الأرض العربية، خدمة وتضحية، كما يشددون على ضرورة العودة إليها والبقاء فيها بعد التخصص خارج المنطقة العربية.

كل هذا واقع نعيشه بعمق متزايد في أسرة الرعية منذ سنوات...

ولكنه لم يبلغ يوماً العمق والذروة اللذين بلغهما إبان حرب تشرين... حيث تبدت أسرة الرعية خلية حية في جسد الأمة الكلي، تسارع إلى المستشفيات والمعامل من كل أطراف العاصمة ويحيون فيها صلاة عرفت كيف توفق بين الحرب والقداس في خط الفداء، فباتت مثالاً يحتذى في بعض الأوساط المسيحية، في سورية ولبنان ومصر.

ولقد كان من اشتراك بعض أفراد الأسرة في مؤتمرات دولية سابقة، وفي مؤتمر تيزة (فرنسا) والقاهرة هذا العام، ما رسخ لديها الإيمان بأصالة نشأتها وسلامة خطها.

3- رصيد هذا العام الروحي والثقافي والاجتماعي:

ثمة ملاحظة أساسية تأتي في مطلع هذه الفقرة: إن افتقار أسرتنا هذا العام بالذات إلى بيت عرقل إلى حد بعيد تنفيذ برنامج كنا نرجو منه خيراً كبيراً. ذلك بأن مجمل البرنامج وضع وفق خطة تعتمد بالدرجة الأولى على وجود بيت دائم خاص بالأسرة. ولذلك تقلص البرنامج إلى حده الأدنى، فكان منه ما يلي:

(1) على الصعيد الروحي:

- لم نستطع إقامة القداس اليومي الذي كان الشباب قد طالبوا به بإلحاح...

- لم تشكل الحلقة الروحية التي كانت ستكلف بدراسة الإنجيل وسيرة القديسين...

- لم تشكل حلقة الترجمة التي لمس الشباب ضرورتها...

- لم تنسخ المحاضرات الروحية ولم تنشر، كما كان الشباب رغبوا في ذلك...

❖ ما تحقق:

- على الصعيد العام:

❖ إقامة القداس الأسبوعي عرفت تجدداً جديراً بالاهتمام، خصوصاً عن طريق المشاركة الإنجيلية التي حلت محل العظة، وعن طريق الطلبات التي يرتجلها الشباب بدل الطلبات المعروفة والمألوفة...

❖ لقاء الميلاد والفصح عرفا أيضاً تهيئة ومشاركة عميقة. وكان موضوعهما:

الميلاد: البشرى المسيحية والإنسان الجديد: الأب فرانس اليسوعي
الفصح: القيامة والإنسان الجديد: الأستاذ أنطون المقدسي.

- على الصعيد الخاص:

❖ أعظم ما يلفت الانتباه حاجة البعض - وعددهم في تزايد - إلى قداس خاص يأتي بدعوة من أحدهم، فيقام في بساطة كلية ومشاركة لا تقيمان للوقت أي حساب.

❖ وكانت هذه الظاهرة قد برزت فجأة إبان حرب تشرين، واستمرت تتعمق وتتسع، حتى أصبحت أحد أهم وأعمق عوامل تجديد الحياة الروحية والاجتماعية والقومية في أسرتنا.

(2) **على الصعيد الثقافي:**

- حرب تشرين جعلتنا نتخلى عن المشروع الذي كنا بنينا عليه سلسلة المحاضرات، وتبنينا على الفور موضوعات أخرى لا تسلخنا كلياً عن المشروع الأول، وتأخذ معطيات تشرين بعين الاعتبار. فألقيت في الأسرة المحاضرات التالية:
  - المسيحية بين الحرب والسلم: لسيادة المطران الياس نجمة.
  - حرب تشرين والتعريب: الأستاذ أنطون المقدسي
  - الحضارة الحديثة والإنسان العربي: الأستاذ أديب اللجمي.
  - التبدل الذي أحدثته معركة تشرين في التوازن العالمي: الأستاذ غسان الرفاعي.
- الحلقات الثلاث التي كانت مقررة، لم يستمر منها إلى آخر العام إلا حلقة واحدة، عالجت موضوع هجرة الأدمغة والعالم الثالث، وقد قدم الأستاذ سهيل شباط "موجّهها"، ملخصاً وافياً عنها في آخر العام.
- بُذل مجهود خاص بالنسبة إلى المكتبة. وتم شراء ما لا يقل عن مئة وخمسين كتاباً، كما تم الاشتراك في عدد من المجلات العربية السورية والفلسطينية والإفرنسية.

(3) **على الصعيد الاجتماعي:**

- من يقرأ الفقرة الخاصة بالحياة الاجتماعية في تقرير صافيتا، يجد على الفور استحالة تحقيق كل بنودها تقريباً: من وجود البيت أولاً، إلى وضعه تحت تصرف الطلاب ثانياً، إلى تحويله إلى ملتقى يعيش فيه الطلاب حياة أخوة وخدمة وترفيه، كما يتمنون وكما تقتضي منهم ظروفهم الجامعية الخ... وإذا كانت الأسرة المؤلفة من أب وأم وأخوة قلائل، يضمهم بيت واحد، تفتقر أكثر فأكثر كما يلاحظ إلى مثل هذا الترابط، فما قولنا في طلاب وطالبات بينهم شتى أنواع التفاوت والاختلافات، ولا يستطيع سقف واحد أن يضمهم إلا لساعتين فقط في الأسبوع؟

- ومع ذلك فما من شك أن الأسرة استطاعت أن تتحدى إلى حد بعيد كل هذه العقبات، وعاشت من الألفة الأسروية بين أفرادها، ما بات يلفت أنظار البعض إليها، لا سيما وأن الغربة التي تحيط بالطالب، وخصوصاً الطالب غير الدمشقي، تزيده تحسساً بكل مظاهر المحبة والتآلف، مهما كانت بسيطة وعادية. وقد تجلت هذه الألفة بالزيارات التي يقوم بها أفراد الأسرة في ما بينهم، لمناسبة، وخصوصاً لغير مناسبة... وبانفتاحهم على مشاكلهم الخاصة، حتى المادية منها، وبالمساهمة حتى مادياً في حلها، في تكتم تام، وأحياناً على حسابهم الخاص...

- ثمة أسباب كثيرة ساعدت الأسرة على تحقيق هذا الأمر، وقد كان من أهمها، إن لم نقل أهمها، وضع راهبات التجارة بيتهم تحت تصرفنا تقريباً، وكأنه بيتنا.

- ومن مظاهر هذه الحياة الاجتماعية، ارتباط الأسرة بأسرة البلد في محاولات جماعية وفردية محددة، منها: العمل مع العمال في المصنع، وقد حدث ذلك مرتين بعد حرب تشرين، بينما كان يحدث كل يوم إبانها. ومنها أيضاً السعي إلى تأمين غرف للطلاب، أو ملاحقة بعض المعاملات في الجامعة وخارجها.

- وقد ساهمت بعض الرحلات، لا سيما رحلة الأيام الثلاثة إلى الطبقة، في تعميق هذه الألفة والمودة.

4- رصيد هذا العام الروحي والثقافي والاجتماعي:

دعيت الأسرة للقاءين هذا العام، أولهما في فرنسا بمناسبة المجمع العالمي للشباب في تيزة، وقد اشترك فيه ما لا يقل عن خمسة وثلاثين ألف شاب من كل أنحاء العالم... وثانيهما في القاهرة، اشترك فيه خمسة وستون طالباً.

منظمو لقاء تيزة دعوا أسرة الرعية على حسابهم، ولكنهم أخلّوا بالدعوة وبالوعد بعد وصول المندوبين إلى فرنسا. الأمر الذي كلف الأسرة مبلغاً لا

يستهان به، كما هو مبين في الفقرة التالية. حسبنا أننا ساهمنا في شرح قضية صراعنا مع إسرائيل أمام ألوف من الشباب الأجانب، لا سيما وأن عدد الطلاب العرب هناك ما كان ليتجاوز العشرة. وكان مندوبانا قد زُوِّدا بشتى المنشورات والأفلام عن سورية وقضية فلسطين.

أما لقاء القاهرة فقد كان كله على نفقة منظميه، وهم إداريو مكتب اتحاد الطلبة المسيحيين في الشرق العربي. وقد دار حول دور الطالب العربي المسيحي في معركة التنمية والتحرير.

وقد قدم في بيت الأسرة الحالي حديثان حول لقاء تيزة أولاً، ثم حول لقاء القاهرة.

5- رصيد الأسرة المالي:

ثمة ملاحظات أربع:

1. حسابات هذا الرصيد تبدأ حيث انتهى العام الماضي، وتنتهي بتاريخ اليوم 1974/10/25
2. يلاحظ على الفور ارتفاع مذهل في مساهمة الطلاب هذا العام، وهذا مؤشر وعي كبير
3. مساهمة السلطة الكنسية ازدادت قليلاً، ولكنها نسبياً دون مساهمة العام الماضي.
4. المساعدات السرية التي أعطيت للطلاب والطالبات تفوق كثيراً ما أعطي في العام الماضي. ذلك بأن انفتاح الأسرة على الواقع المادي للطلاب، كشف أمامها أوضاعاً تكاد لا تصدق. نذكر منها مثلين: طالبة عاشت العام بكامله بمعدل إنفاق يومي لا يتجاوز الليرتين، بما في ذلك طعامها وتنقلاتها. وطالب قضى العام بمعدل إنفاق يومي لا يتجاوز الليرة الواحدة!!!

❖ **تفصيل الرصيد:**

1) الوارد

1. **من العام الماضي**	160.50
2. **مساهمة الطلاب (وأصروا جميعاً على كتم أسمائهم)**	1932.20
3. **خارج سورية:**	
- **السيدة ماري كحيل (القاهرة)**	110.00
- **عربي مسيحي سوري**	2000.00
- **عربي مسيحي سوري**	2487.25
- **عربي مسيحي سوري**	310.00
- **عربي مسيحي سوري**	1533.00
4. **صينية الأحد قبل تشرين 1973 وبعده**	325.00
المجموع	20137.95

1) الصادر

1. **مطبوعات: ورق، حرير، نسخ، مصنفات الخ...**	687.20
2. **مكتبة كتبية وموسيقية: كتب، مجلات، أسطوانات، أشرطة تسجيل، بيك آب الخ...**	615.25
3. **تجهيز "البيت": لوكس، صحون، ملاعق، كؤوس، طاولات فورمايكا، نيون، هاتف، مكانس، مفاتيح، دهان، فرشاة، الخ...**	843.75
4. **مساعدات سرية للطلاب والطالبات**	6845.00
5. **لقاءات:**	
- **في "بيت" الأسرة وبيت الراهبات في حي التجارة**	165.70
- **في صافيتا صيف 1973**	977.25
- **في صافيتا صيف 1974**	2500.00
- **في تيزة (فرنسا) أيلول 1974**	1772.00

6. **أجر رمزي لأحد المرشدين والراهبة:**

- **الأب يوسف بربي**	600.00
- **الأخت ماري تيريز بسيليس**	600.00
7. **تنقلات**	424.00
8. **هدايا للمحاضرين وأصدقاء الأسرة**	417.00
المجموع	16447.15

الباقي في الصندوق

1. **مجموع الوارد**	20137.95
2. **مجموع الصادر**	16447.15
3. **الباقي**	3690.80

6- خاتمة: لقاء صافيتا الثاني 11-18 آب 1974.

نشير إشارة عابرة إلى هذا اللقاء الذي سنخصه بتقرير كامل يبين خط الأسرة للعام القادم. إنما ما نود الإشارة إليه هو المحاولة القائمة حالياً بين عدد من الكهنة لتوسيع نطاق الأسرة ضمن الرؤية التي انفردت بها، بحثاً عن التزام أعمق وأوسع لشبابنا الجامعي بقضايا بلده وأمته.

هذه المحاولة جاءت نتيجة لقاء صافيتا، ونتيجة بحث حول الطرق الكفيلة بتطبيق البرنامج الذي اتفق عليه فيه.

وهي تقوم بالتعاون التام مع عدد من الطلاب والطالبات، في لقاءات دورية نبدؤها دوماً بمشاركة إنجيلية، نتخطى فيها ما يفصلنا لنلتقي عند ما يجمعنا، في جو تسوده الصراحة والمحبة، تعمقهما فينا صلاة مشتركة تجمعنا حول ذبيحة الصليب والقيامة.

دمشق في 1974/10/25

الأب الياس زحلاوي **الأب يوسف بربي »**

الفصل الخامس

لمحات جديدة بارزة

هذا الفصل يضم وثيقتين.

الأولى بعنوان "مجد الله هو الإنسان الحي"

تقرير أسرة الرعية الجامعية عن لقائها السنوي في صافيتا

من 7/23 إلى 1975/7/20

الثانية بعنوان "تقرير أسرة الرعية الجامعية السنوي

1975–1974

سأوردهما الواحدة تلو الأخرى بحرفيتهما.

"مجد الله هو الإنسان الحي"

تقرير أسرة الرعيّة الجامعيّة عن لقائها السنوي
في صافيتا من 23 تموز إلى 30 منه 1975

1- لقاء صافيتا والموضوعات المطروحة:

للقاء صافيتا مكانة خاصة في حياة الأسرة. فهو صلة بين عامين متتاليين. فخبرة عام مضى تتحول إلى آمال، تترجم إلى مخطط عام يوحد نشاطاتنا المختلفة. ومن ثم فهو لقاء لا يقتصر على التقييم والتخطيط، بل يشكل مدرسة معايشة يومية، بين أفراد يسعون لإنشاء علاقة محبة وخدمة في ما بينهم، تعمق ارتباطها بالإنسان والأرض، وتستمد طاقة تماسكها وترابطها من الرب يسوع.

وإذ نسلط الأنوار على واقع حياتنا في الأسرة وفي المجتمع، نسعى لتلمس ملامح الرؤية، لنسهم في بناء إنسان عربي جديد، يتخذ من الإيمان بيسوع محركاً يدفعه ويدفعنا لنحقق وجودنا كعرب مسيحيين.

وقد تم ذلك بطرح مجموعة من التساؤلات تناولت الأمور التالية:

1) **من نحن كشباب جامعي؟**

2) **ما هي أسرة الرعية بالنسبة إلينا؟**

3) **ماذا عن المسيح بالنسبة إلى المفكرين العرب المسيحيين في السابق، وماذا يعني لنا اليوم؟**

4) **ما هو نهجنا في بناء إنسان جديد:**

- **متحرر من الفردية، والازدواجية، والاتكالية، والتزعم.**
- **متسلح بالروح الجماعية، والمسؤولية، والمبادرة، وحب الخدمة.**

وقد عالجنا هذه الأمور في سلسلة من الأحاديث والمطارحات، خلصنا منها إلى ما يلي:

(1) في نطاق الشباب:

ثمة ملامح كثيرة لجيلنا، نشير إلى بعضها مما شدد عليه الشباب: هذا الجيل، جيل رافض، لكنه خائف، وخائف لأنه خائب... جيل طموح، لكنه مكبل... متطلع إلى التجديد، لكنه مستهتر... وليد تربية جنحت به نحو الاتكالية، لكنه يحاول أن يجد له دوراً ومسؤولية... تعوّد النظر إلى الإنسان كإلى شيء، لأن لديه الإحساس بأنه يعامل كشيء...

من هنا كانت أزمة العلاقة مع ذاته ومع الآخر... ومن هنا نزعته إلى الفردية، وإلى الازدواجية والتزعم... في الوقت الذي يضع فيه أمام نفسه مخاوف لا وجود لها، ويضعف أمام عيوبه، فيحاول إخفاءها أو التستّر عليها، فيُسقط تصوّره على الآخرين... ولما كان يصعب عليه التخلي عن فرديته، يحكم على نفسه بالعيش في ازدواجية، تأخذ وتُؤخذ بالظاهر، على حساب الجوهر...

من هنا أيضاً كانت أزمة علاقته بأرضه: فهو إذ يقلّد الغرب ويتطلع إليه، يسعى صادقاً إلى إيجاد دور له في بلده... ولما كانت الأمور لا تسير وفق هواه، ولا تقع تحت مدى بصره، نجده يتحرك باندفاع سريع، وبنَفَس قصير... يطالب بالتغيير دون أن يكلّف نفسه عناء المبادرة لتحقيق بعض هذا التغيير...

(2) في نطاق التجسد:

نرى أن التجسد هو تأصل الإنسان تأصلاً تاماً، في موقع محدد، من أجل مجتمع يتحقق فيه مجد الله في إنسان يعيش هذا المجد عدالة وحرية وكرامة ضمن أسرته القومية أولاً، وأسرة الإنسانية جمعاء ثانياً. لذا نرى أنه لا بد لإنساننا هذا من أن يتسلح بركيزتين أساسيتين، هما العلم والمحبة، تتجليان، على صعيد الممارسة العملية، في البناء والخدمة. ونحن نرى أن هذا البناء لا يكون خدمة، إلا على أساس من التضحية بالذات من أجل الجماعة، في عملية فداء يومية، قد تكلف الإنسان من البذل أكثر مما يكلفه أي بذل آخر.

كما أننا نرى أخيراً أن موقع هذا البناء وهذه الخدمة، هو الأرض العربية، التي تعيش الفداء اليوم، كما لم تعشه في أي وقت مضى، مواجهة مع ذاتها ومع الصهيونية، باهظة الثمن، ومصيرية.
وبذا نفهم التجسد اليوم تجسيداً لإنسان عربي مسيحي جديد، يسهم في خلق إنسان عربي جديد، يقيم على أرضه حضارة شاملة وعميقة، قومياً وإنسانياً.

(3) وفي نطاق الكنيسة:

تسعى أسرة الرعية منذ أُنشئت، لأن تكون الصورة المسبقة والصغيرة للكنيسة العربية، القادرة على تحقيق تجسيد واحد ومتناسق للمسيح في الواقع العربي.
فهي تتجاوز، منذ أنشئت، كل روح طائفية، وتتطلع إلى تجاوز البنى الطائفية كلها، مؤكدة على وحدة الإيمان بالرب، وعلى حتمية الالتقاء فيه، عبر كنيسة واحدة، تتخذ من تراث الماضي الروحي والفكري، منطلقاً للتقارب والاتحاد والعمل المشترك، لا مواقع للتجمّد والتباعد والتناحر.

وإن أسرة الرعية لتلتقي هنا التقاء تاماً مع بعض المفكرين العرب المسيحيين، الذين عاشوا هذا التطلع، ودعوا إليه، وأرادوه كنيسة عربية منغرسة في أرض عربية، لا تعيش الفداء تشبثاً كنسياً بالماضي، بل تحديقاً إنسانياً وقومياً بالواقع، وتطلعاً إلى المستقبل العربي المشترك.

(4) وفي نطاق الأسرة بالذات:

ومن هنا كل تبرير لوجود أسرة الرعية، وكل إصرار على استمرارها...
ومن هنا أيضاً أننا نعتبرها محاولة ليس إلا، تعترف بأخطائها، وترحب بكل إسهام فردي وجماعي، ينسجم مع رؤياها تلك وسعيها.
وإننا لنؤكد على الروح والنهج الجماعيين، عبر كلمات ثلاث هي:

- **الصلاة، أساساً لعلاقتنا بالله،**
- **الصداقة، أساساً لعلاقتنا في ما بيننا،**

- والصدق، أساساً لمواجهة الإنسان لنفسه...

ومن هذا المنظور بالذات، تبين لنا أن أسرة الرعية قد أدت مساهمة، وإن متواضعة، بحضورها الحي والفعال، في صمت وتكتّم، في تغيير ملامح الإنسان العربي المسيحي. وقد تبدى ذلك في شخصية بعض الذين عايشوها وتفاعلوا معها، إذ عمّقت فيهم تأصّلهم في المسيح يسوع، وفي الأرض العربية. وهذا يصدق في الطلاب المقيمين داخل الوطن العربي، والموجودين خارجه بقصد التخصص سواء بسواء.

2- محاولة رسم برنامج شامل يجسد بعض تطلعاتنا:

لكل أسرة بيت. وهو ملتقى حياتها كلها. وهكذا شئنا البيت بيت أسرتنا، بعد أن ظللنا مدة ست سنوات دون بيت. فكان لنا، العام الماضي، تجربة في نطاق بيتنا الجديد، نريد أن تكون أساساً لتجربة جديدة، تقوم على اعتبار البيت ملتقى صلاة وتفكير وخدمة، في نطاق جماعي، وليس فسحة للتسكع وهدر الوقت.

وقد اتفقنا على النقاط التالية:

- بشأن الدوام فيه:

- يداوم فيه يومياً، صباحاً ومساءً أحد المرشدين أو المرشدات على أن يكون الدوام الصباحي مكرساً للمرشدين، يتفرغون فيه للصلاة والتأمل والكتابة. فلا يقصدهم إلا من كان مضطراً. وفي هذا خدمة للمرشدين ولأفراد الأسرة أنفسهم.
- يداوم فيه بعد الظهر ومساء بعض أفراد الأسرة بالتناوب.

- بشأن التردد إليه:

- باختصار، يقصد البيت لأسباب هادفة: صلاة، اجتماع، عمل...
- تحدد فترة دردشة ثابتة، يتفق على مدتها وعددها مع أفراد الأسرة في لقاء لاحق.

- **بشأن الخدمة فيه:**
- **كل فرد في أسرة خادم للجميع**
- **وكل شيء في الأسرة في خدمة الجميع**
- **شريطة أن يساهم الجميع في الترتيب والنظافة والخدمة والنفقات، دفعاً لروح الاتكالية والاستغلال الرخيصين.**

- **بشأن المبيت فيه:**
- **درجنا على استضافة الطلاب الشبان لليلة أو ليلتين، في ظروف طارئة، وسوف نبقي على هذه العادة، بينما تستضيف راهبات دار السلام الطالبات لليلة أو لفترة ما، في ظروف طارئة أيضاً، كما فعلن منذ سنتين إلى اليوم، بناء على مبادرة منهن للتعاون مع الأسرة.**
- **لذا يحافظ بدقة على وظيفة الغرف في بيت الأسرة.**

أما مظاهر حياة الأسرة الأخرى، فقد حدّدت على النحو التالي، ونوردها بإيجاز:

1) **الحياة الروحية: الصلاة.**

الصلاة باتت محور حياتنا في الأسرة. وقد تعلمناها إصغاء مشتركاً لكلمة الرب في إنجيله، واشتراكاً جماعياً في هذه الكلمة حول جسد الرب ودمه.

ولقد خبرناها طاقة تحرك التزامنا، وتسهّل تخطّينا للكثير من الفروقات الشخصية والاجتماعية والنفسية والثقافية والطائفية، في تطلعنا المشترك نحو الكنيسة العربية الواحدة، والأرض العربية الواحدة.

لذا رأينا:

- **على صعيد الأسرة بالذات:**
- **التأكيد على القداس الأسبوعي يوم الجمعة، مع بذل محاولة لإدخال الترنيم عليه، وتوزيع صفحة أسبوعية نكشف فيه مشاركاتنا الإنجيلية.**

- الاحتفاظ بقداس الثلاثاء المسائي لمن يرغب كالعادة.
- إحداث لقاء نصف شهري قوامه: قداس، وتناول عشاء مع أحد المثقفين أو أحد أصدقاء الأسرة، وذلك مساء الخميس.
- الإكثار من اللقاءات الروحية خارج دمشق، في صيدنايا أو المعرة أو معلولا.

- وعلى صعيد كنيسة دمشق:
- الترحيب باقتراح لإحياء قداس رعية القصور التي تحتضننا، مرتين في الشهر.
- الإعداد له بصورة جدية ومستمرة، ففيه، في اعتقادنا، الخير العميم لأسرتنا ولكنيسة دمشق.

- وعلى صعيد المناسبات الكبرى: (الفصح والميلاد ورأس السنة الخ...)
- الإعداد لها بأكبر مساهمة ممكنة في الطلبة أنفسهم.
- الإسهام مع كنيسة دمشق في سبيل إحيائها.

2) الحياة الثقافية: الفكر.

نؤمن بأن للفكر الإسهام الأكبر في بناء الإنسان والأمم. وقد اتضح لنا أن الخط الفكري الذي قامت عليه أسرتنا، جاد ومستقبلي معاً. فهو يدور حول قطبين اثنين نعتبرهما ركيزتي حياتنا: المسيح والواقع. وواقعنا هو واقعنا العربي أولاً، ومن ثم الواقع الإنساني.

وكان لنا في ذلك سعي فكري، رأينا أن نعمم فائدته من جهة، ونواصل تعميقه من جهة ثانية، ونوسع حدوده من جهة ثالثة.

- فعلى صعيد الفائدة، قررنا:
- الإسراع في نشر أهم المحاضرات التي ألقيت في بيت الأسرة، في كتاب مستقل.
- الإسراع أيضاً في ترجمة كتاب "شارع الحرية"، الذي بدأنا ترجمته جماعياً.

- العمل على جمع مقالات وأبحاث الأستاذ أنطون مقدسي، لأنها تشكل، في نظرنا، رصيداً قومياً ومسيحياً فذاً.

- وعلى صعيد تعميق هذا السعي الفكري، رأينا أن نركز على مفهوم الإنسان الجديد وتطلعاته، وفق خط فكري، يشتمل تحت شعار "نحن والجيل الجديد"، على المحاضرات التالية:
- العقل العربي أمام التحدي الحضاري
- العلائق الإنسانية في المجتمع العربي
- لقاء الميلاد تحت عنوان "عنف المحبة"
- الإنسان العربي الجديد بين الحرية والتحرر
- الإنسان والعنف الثوري
- لقاء الفصح تحت عنوان: "القيامة ومعوقات الوحدة المسيحية في العالم العربي"

- وعلى صعيد توسيع حدود ثقافتنا، اتفقنا على ما يلي:
- تشجيع المطالعة الشخصية، على أن تكون موجهة إلى حد ما، مسيحياً، وعربياً وإنسانياً، الأمر الذي يفترض اقتناء كتب جديدة، وتنظيم المطالعة بصورة أنجع.
- الاستمرار في دمج فرقة المسرح بالأسرة، إذ هي ترفد الأسرة بأسلوب جديد وفسحة واسعة، نطرح بهما الفكر الذي نعيش.
- الاستمرار في الدورات اللغوية وتنشيطها بالوسائل السمعية والبصرية إن أمكن.
- تشجيع مواهب أفراد الأسرة، عن طريق أمسيات قصصية أو ثقافية أو فنية، يحيونها بأنفسهم.
- تشجيع اللقاء بين الأسرة والعديد من الأساتذة الجامعيين من جهة، والنشاط الثقافي في الجامعة ومدينة دمشق من جهة ثانية.

- المبادرة إلى إطلاع الأهل والمسؤولين الكنسيين على نشاطاتنا، وموافاتهم بما سوف ننشر دونما انقطاع.
- إحداث ثلاث حلقات بحث تتناول:
  - ❖ الإنجيل، من خلال سهرات إنجيلية تقام في بيوت الطلاب ومع الأهل إن أمكن.
  - ❖ الحضور المسيحي في التاريخ العربي.
  - ❖ الأدب والفن والمسرح.

3) الحياة الاجتماعية: الخدمة.

الحياة الاجتماعية للأفراد انعكاس لحياتهم الروحية والثقافية. وإننا، إذ تلمسنا بعض الثغرات في حياتنا الاجتماعية السابقة، وددنا لو تكون حياتنا هذا العام، منصبّة على مكافحة الغربة على اختلاف أشكالها: الشخصية والعائلية والاجتماعية والقومية والكنسية.

ولذا رأينا أن نسعى لجعل البيت ملتقى أخوة، نشارك فيه بعضنا بعضاً، همومنا وأفراحنا وأحزاننا وتطلعاتنا...

فاللقاء بأحد المرشدين متاح في أي لحظة... والبيت يُفتح في أوقات محددة ولغايات مقصودة، والخدمة فيه من نصيب الجميع، ولصالح الجميع.

والأسرة تضع أفرادها وإمكانياته في خدمة الجميع، أياً كانوا ومن أنى جاؤوا، وأنى كانوا. فثمة مساعدات كثيرة يحتاج إليها الطلبة أو يقدمونها: مادية كانت أم معنوية أم دراسية، صحية كانت أم منزلية أم عائلية (منها البحث عن غرفة مثلاً، أو تعقيب معاملة الخ...)

كما أننا اتفقنا من أجل الاستمرار في خلق جو أسروي يفتقده الطالب، ولا سيما ذاك البعيد عن أهله.

- على وضع لوحة إعلانات في البيت تسجل عليها كل المناسبات (المفرحة من مولد وزواج، ونجاح وتخرج أو سفر - والمؤلمة من مرض أو وفاة أو حادث)، والحاجات (إلى عمل أو غرفة الخ...)

- على تنظيم زيارات للأهل والجيران والطلاب، والأساتذة والرؤساء الروحيين والأصدقاء، وفق جدول مخطط.
- على تنظيم لقاء شهري يحتفل فيه بأفراح الأسرة خلال الشهر.
- على الاهتمام باستقبال ووداع الأخوة المسافرين.
- على تنظيم المراسلة بين أفراد الأسرة وأصدقائها الموجودين خارج القطر، من باب المودة أولاً، ثم من باب السعي إلى الإكثار من علاقاتهم بالوطن.
- على تنظيم رحلات ليوم أو يومين، من حين لآخر، بقصد تنمية العلاقات الأسروية في ما بيننا، والاطلاع على المعالم الحضارية القديمة والجديدة، في القطر.

3- الالتزام ما بين القول والعمل:

وتبقى الحياة، داخل الأسرة أو خارجها، رهناً بالتزامنا، أي بردم الهوة الكبيرة القائمة بين ما نقول وما نفعل حقاً.

وما نرجوه هو أن يكون هذا الالتزام واقعياً وشاملاً في آن، أي أن يبدأ بأقرب الناس إلينا، خدمة ومشاركة، وينتهي بالقضايا العالمية اطلاعاً وتتبعاً.

وإننا لنصر على أن يكون هذا الالتزام، التزاماً شخصياً، لا يتخذ من أسرة الرعية مهرباً، ولا غطاء لغوغائية، شخصية أو جماعية.

كما أننا نطالب أفراد الأسرة بأن يحققوا التزامهم، من خلال المؤسسات القائمة في الجامعة والبلد والكنيسة.

أسرة الرعية الجامعية

دمشق في 21 تشرين الأول 1975

تقرير أسرة الرعيّة الجامعيّة السنوي
1974 - 1975

هذا التقرير يشمل الفترة الواقعة ما بين 25 تشرين الأول 1974، و5 تشرين الثاني 75. وهو يأتي، هذا العام، بعد تقرير لقاء صافيتا السنوي، الذي تحدد فيه خطة العام.

أولاً- ماذا عن العام 1974-1975، بصورة عامة؟

في مطلع تقرير عام 1973–1974، أشرنا إلى ما أسميناه بالحقائق الثلاث التي برزت من خلال عملنا، والتي عرفناها على النحو التالي:

- **صعوبة التوفيق بين تطلع الشباب وتجسيده في الواقع.**
- **غربة أسرة الرعية الجامعية في كنيسة دمشق.**
- **أسرة الرعية الجامعية ابنة تطلع عربي مسيحي أصيل.**

نرى اليوم أيضاً لزاماً علينا توضيح بعض النقاط المتعلقة بهذه الحقائق، ففيها بيان عام لحالة الأسرة كما عشناها خلال الفترة التي يتناولها التقرير.

1) **على صعيد الصعوبة في التوفيق بين تطلع الشباب وتجسيده في الواقع:**

1- **يبقى تطلع الشباب هو هو تطلع الحياة نفسها، بكل عنفوانها واندفاعها وسذاجتها.**

2- **لذا هو يمر بفترات من الصعود والهبوط، تقتضي ممن يتعامل معهم صبراً كثيراً ونفساً طويلاً، ينبعان من إيمان بهم عظيم، لأنه إيمان بالحياة نفسها.**

3- **ويبقى العمل بالتالي مع الشباب لا يعرف الركود أولاً، ويتلمس الدرب ثانياً، بإلحاح وتأرجح، حتى تترسخ الأقدام في بعض المواقع الهامة، ويتأصل الإنسان في ذاته ووجوده، من خلال وأثناء تأصله في هذه المواقع بالذات.**

4- ومن المواقع الرئيسية التي تبيّنها الشباب في لقاء صافيتا عام 1974، وقرر مواجهتها، بل والوقوف فوقها، موقع الغربة: الغربة من ذاته، من مجتمعه، من ربه.

5- وكان أن ترجم هذا القرار:

- على صعيد المواجهة الروحية، وهي الأساس والمنبع: في سلسلة من لقاءات دورية تعمق تأصّله الشخصي والجماعي في الرب.
- على صعيد المواجهة الفكرية: في مجموعة من المحاضرات والحلقات، أراد لها أن تتصدى لعدد من المشكلات القائمة في العالم عامة، والوطن العربي خاصة: التمرد، التجدد، الجنس، الفداء...
- وعلى صعيد المواجهة الحياتية: في علاقة مزدوجة مع ذاته ومع مجتمعه، أرادها جديدة، وقد هيّأ له توفّر بيت للأسرة هذا العام، فرصة ساعدته إلى حد بعيد، على تجاوز هذه الغربة، حتى جاء يوم بات يحس فيه وكأنه مهدد بغربة جديدة، تغريه بها الحياة داخل أسرة الرعية، التي أرادها في الأصل منطلقاً لاندماج أفضل في المجتمع... وقد كان لهذا الأساس أهمية كبرى في توجيه لقاء صافيتا لعام 1975، ورسم برنامج العام الحالي أيضاً 1975-1976.

2) على صعيد غربة أسرة الرعية في كنيسة دمشق:

1- كنيسة دمشق أمنا، وجذورها في التاريخ تتصل بجذور المسيحية الأولى، تماماً ككنيسة القدس بالذات.

2- لكن كنيسة دمشق، على إيمانها بالرب يسوع الواحد، متعددة المؤسسات والرئاسات والعقليات، ووريثة تاريخ وتعدد الجروح والحساسيات...

3- لذا يستبد بها، في نظرنا، عاملان أساسيان، نرى من واجبنا الإشارة إليهما:

- العامل الأول هو انكماش كل طائفة فيها على نفسها، في الحالة الطبيعية أولاً، وتحسّبها القلق ثانياً من كل مبادرة تأتيها من خارج

أطرها التقليدية... وهذا ينطبق على المسؤولين الكنسيين، إياهم الذين كلفونا بالعمل في الوسط الجامعي. فما القول في المسؤولين الكنسيين الذين يرون فيها محاولة مبطّنة ليس إلا لاقتناص شبيبتهم، وإخراجها من حظيرتهم، ويصرحون بذلك علناً...

- والعامل الثاني هو تمسك مختلف الطوائف بما يضمن لها ظاهر الاستقرار والاستمرار، الذي يتمثل اجتماعياً وبديهياً بالأجيال المستقرة سناً وعملاً ومالاً، إن لم نقل بالطبقات المستقرة والمزدهرة... وينتج عن ذلك تخوّف من كل جديد، متمثل في الجيل الجديد، هذا الجيل الذي يشكل ركيزة الغد القريب والقريب جداً، في حين تتّسع الهوة بينه وبين الكنيسة بسرعة كبيرة...

4- وقد كان لنا موقف من هذا الواقع، هو التالي:

- حاولنا مراراً وبصراحة تامة، إطلاع كنيسة دمشق على واقع شبيبتنا الجامعية أولاً، وعلى واقع أسرة الرعية الجامعية ثانياً، بوصفها محاولة ليس إلا للاستجابة لبعض متطلبات هذه الشبيبة...

  حاولنا ذلك بالاتصال الشخصي أحياناً، والجماعي أحياناً أخرى، مع المسؤولين الكنسيين الأعلين، من بطاركة وأساقفة، سواء منهم الكاثوليك أو الأرثوذكس، ثم مع عدد من الكهنة الذين يسترعي جانباً من اهتمامهم الشباب الجامعي، ثم مع مجموع راهبات دمشق... فلقينا تشجيعات كبيرة... ولكن، على العموم، ظل كل في قاعدته...

- ولذلك فنحن ننظر بعين الرضا والشكر والقلق الكبير في آن واحد، إلى ما يبديه من اهتمام، بل ورعاية، واحد فقط من المسؤولين الكنسيين، هو سيادة المطران الياس نجمة... ذلك بأننا نصر على كوننا خلية وحدوية في جسد الكنيسة المبعثر، ونرفض أن نظهر بمظهر التابعين لطائفة ما...

- ومع ذلك، قررنا في لقاء صافيتا في صيف 1975، أن نشترك، كما طالبنا به، وطلب إلينا، في إحياء قداس نصف شهري في كنيسة الرعية التي تحتضننا، أملاً منا بأن تحذو سائر الكنائس حذوها، فتعرف نَفَساً جديداً، ينفحه فيها أبناؤها الشباب... كما قررنا أيضاً الإسهام في تحرير النشرة الأسبوعية، التي تصدر عن البطريركية التي تعود إليها هذه الرعية، أملاً منا متواضعاً بأن يتسرب هذا النَفَس الجديد إلى العديد من المصلين وغير المصلين... وإلى المؤسسة الكنسية ككل...

3) على صعيد تأصل أسرة الرعية في بيئة عربية مسيحية أصيلة:

1- نؤمن بحقيقة التجسد المسيحي تجسداً تاماً، أخذ فيه الرب على نفسه واقع الإنسان كاملاً، فرداً ومجتمعاً، بدءاً من الإنسان المسحوق والمجتمعات المسحوقة.

2- ونؤمن بضرورة إعادة هذا التجسد اليوم، في كنيسة تأخذ بدورها على نفسها، واقع الإنسان العربي كاملاً - ولا سيما الإنسان العربي المسحوق والشعوب العربية المسحوقة.

3- نؤمن أيضاً بأن التجسد يظل منقوصاً، أو مشوهاً، أو قاصراً، ما لم يتحقق في كيان موحد لا يعرف التجزئة. وإن هو عرفها، لسبب ما، يرفضها بقوة ويسعى صادقاً إلى نبذها.

4- ونؤمن أخيراً بأن التحقيق الأمثل للتجسد اليوم، هو إنسان عربي مكتمل البنيان، أي إنسان يقبل بواقعه كله، ويحاول أن ينسجم معه في رفض تام لجميع عوامل التجزئة والاستغلال والتخلف.

من هنا كان إصرارنا منذ اللحظة الأولى:

1- على اعتبار انتمائنا القومي العربي الجسد الاجتماعي الأساسي، الذي يتحقق فيه تجسّدنا كعرب.

2- على اعتبار تطلعنا الوحدوي المسيحي الجسد الكنسي الأساسي الذي يتحقق فيه تجسدنا كمسيحيين.

3- على اعتبار وطننا العربي اليوم الواقعَ الجديد الذي يحتاج فداؤه، لا إلى المصانع والأسلحة فحسب، بل أيضاً وخصوصاً إلى إنسان سوي، متعلم ومثقف ومعطاء في آن واحد.

4- على انتهاج نهج روحي وثقافي واجتماعي، من شأنه أن يدرّب كل فرد في الأسرة على تحقيق هذا التجسد، فداء يواجه به قضايا أمته، بدءاً من ذاته، دون أي منّة ولا هروب.

وإن لنا من المؤشرات التالية ما يؤكد لنا صحة هذه النظرة وهذا النهج:

1- التوافق الذي استطاع أن يحققه الذين عايشوا الأسرة، بين البُعد القومي والبُعد الإيماني، في حياتهم ونظرتهم.

2- الاعتراض... أو الاهتمام اللذان تلقاهما أسرة الرعية في اللقاءات المسكونية أو الدولية، التي تدعى إليها، كما حدث لها هذا العام أيضاً في لقاء بيروت المسكوني (كانون الأول 1974) وفي لقاء القاهرة (نيسان 1975).

3- تعميق الارتباط القومي لدى الطلاب الذين عايشوا الأسرة لفترة ما، وذهبوا يحصّلون تخصصهم العالي خارج الوطن العربي.

ثانياً- ماذا عن العام 1974 - 1975، بصورة مفصلة؟

1) على الصعيد الروحي:

نكتفي بإشارتين:

الأولى أن الحياة الروحية في الأسرة قد انتظمت، بحيث لم يعد من المهم قطعاً ذكر تسلسلها بالتفصيل: من القداسين الأسبوعيين، إلى لقاءي الميلاد والفصح، إلى اللقاءات الروحية خارج مدينة دمشق، أو في بيت أحد أفراد الأسرة، إلى القداس الشخصي الذي كثيراً ما يقام باشتراك واحد فقط من أفراد الأسرة، وذلك بناء على طلبه الخاص، إلى المشاركة في الصلوات التي تقام في بعض المناسبات العامة...

الثانية، ونشير إليها بارتياح كبير، لأنها قد تكون مؤشراً على درب الأسرة: وهي اختيار أحد أفراد الأسرة الكهنوتَ سبيلَ حياة له، وهو اليوم في السنة الثانية من اختياره هذا، وهو يحمل إجازة في العلوم وشهادة ديبلوم التربية.

2) على الصعيد الثقافي:

قبل تفصيل ما تحقق من البرنامج، نود أن نشير إلى أمور ثلاثة:

الأول، في نطاق العطاء الثقافي: لم تعد الأسرة تتلقى وحسب، بل هي تحاول أن تنتقل إلى طور العطاء، وإن كان بنسبة متواضعة:

1- عن طريق المسرح، وذلك باندماج فرقة "هواة المسرح العشرون" بأسرة الرعية، متخذين من المسرح فسحة جديدة نطرح فيها الفكر الذي نعيشه في الأسرة.

2- عن طريق نشر المحاضرات السابقة، وقد أنجز نسخها كاملاً، ونحن الآن قيد إعادة النظر فيها مع المحاضرين، كي نصل إلى النص النهائي الذي يرتضونه منشوراً.

3- عن طريق الترجمة، إذ أخذنا على أنفسنا ترجمة كتاب ذي قيمة قومية ومسيحية هامة.

4- عن طريق تنظيم دورات لغوية ودراسية، جماعية، بل وشخصية عندما تدعو الحاجة.

5- عن طريق إسهام أفراد الأسرة بصورة أو بأخرى، بمناسبة عقد مؤتمرات دولية في دمشق، كما حدث إبان عقد المؤتمر الطلابي العالمي (أذار 1975)، ومؤتمر الحقوقيين العالمي (تشرين الأول 1975).

6- عن طريق إسهام أفراد الأسرة، بما أوتوا من مواهب أدبية وفكرية، في إحياء أمسيات قصصية وشعرية.

الثاني، في نطاق النشاطات الجديدة: بدأت الأسرة عرض بعض الأفلام، وكنا نرجو أن نتبعها بنقاش نتعود فيه الحوار الهادئ البناء... ولكن ظروفاً ما حالت دون الاستمرار في ذلك، وقد نعود إلى هذا النشاط، عندما تتاح لنا الفرصة.

الثالث، في نطاق المحاضرين: اتضح لنا بصورة قاطعة أنه لا بد لنا من الاعتماد على مثقفينا في القطر، دون الاستعانة بأي مثقف من خارج القطر.

أما تفصيل النشاط الثقافي لهذا العم، فكان كالآتي:

1- الخط الفكري العام والمرسوم:

- مظاهر التمرد والتجدد في العالم عامة والعالم العربي خاصة: د. ميشل أبو عسلة.
- مظاهر التجدد في الكنيسة عامة، وكنيسة الشرق العربي خاصة: الأستاذ سهيل شباط.
- البحث عن المعنى لدى الشباب المعاصر: الأستاذ أنطون مقدسي.
- المسيح، رمزاً للفداء والقيامة في شعر الشباب: الطالبان غسان ماريني وجميل حتمل.
- أسرة الرعية الجامعية: لماذا؟..إلى أين؟..وكيف؟..الأب الياس زحلاوي

- المسيحي والعنف الثوري - الحب والجنس والإيمان	لم تقدما بسبب تخلف المحاضرين مراراً عن الموعد، وهما من خارج القطر

2- لقاءات من وحي الحياة القومية والثقافية:

- شهادة شخصية عن الحرب والأسر: الرائد الطيار غازي أديب.
- مجلس الكنائس العالمي والقضية الفلسطينية: أ.كابي حبيب
- ندوة حول فيلم "القتلة القانونيون": د.نجيب حداد
- ندوة حول مسرحية "الغرباء" مع المؤلف والمخرج: الأستاذ علي عقلة عرسان
- ندوة حول مسرحية "انتيغون" - لهانوي مع المخرج الأستاذ علي عقلة عرسان
- أمسية شعرية مع الشاعر ميخائيل عيد
- مع خمسة عشر فتاة وراهبات يسوع الصغيرات في جولة إلى روما: الآنسة منى قس يوسف.

3- **النشاط المسرحي:**

- **عرض مسرحية "المدينة المصلوبة" للأب الياس زحلاوي في حلب وصافيتا.**
- **عرض المسرحية نفسها في دمشق في عيد الفصح.**
- **استضافة فرقة حلب المسرحية (هواة المسرح العشرون - فرع حلب) في بيت الأسرة وتقديم عرضها في دمشق.**

4- **الدورات الدراسية:**

- **دورات لغوية: اللغة الإنكليزية والإفرنسية واللاتينية.**
- **دورات دراسية: لصفي الكفاءة والثانوية.**

5- **مساهمات أفراد الأسرة:**

- **المقيمون داخل القطر: - أمسية قصصية: جميل حتمل**
  - **أمسية قصصية: سمير غريبة**
  - **أمسية قصصية: سليم محسن**
- **الموجودون خارج القطر: ندوة أحياها كل من الدكتور بطرس حلاق (باريس)، وجاك توماجيان (لندن)، حول:**
  معالم الإنسان الغربي في الحضارة الغربية
  ومعالم الإنسان العربي من خلال اكتشافك الحضارة الغربية.

6- **عروض سينمائية:**

- **أفلام فلسطينية: "قطاع غزة" و"عدوان صهيوني"**
- **الليلة الثانية عشرة لشكسبير**
- **نزهة كلب: فيلم فرنسي حديث.**

2) **على الصعيد الاجتماعي:**

ثمة ملاحظات ثلاث لا بد منها:

<u>الأولى</u>: هذا العام كان لنا بيت... وقد خضنا فيه تجربة حياة مشتركة، لا نغالي إن قلنا إنها فريدة من نوعها: هي تجربة حياة مفتوحة

على كل غادٍ ورائح، يعيشها عدد من الكهنة وراهبة واحدة، مع العديد من الطلبة الجامعيين، في انفتاح تام ومشاركة تامة، لولا سرية اللقاءات الشخصية مع المرشدة أو المرشد.

وقد حاولنا جاهدين أن نضفي على هذا الجو الأسروي، ما أمكن من الصفاء والانضباط. كما حاولنا أن نبتكر من وسائل اللقاء الأسروي، ما يمكّن الجميع من العيش بمحبة وصفاء يفتقدونهما عموماً. من ذلك مثلاً لقاء الخميس الأسبوعي مساء، نتناول فيه العشاء بسيطاً جماعياً. من ذلك أيضاً تسليم المفاتيح لبعض أفراد الأسرة، يؤتمنون على البيت وعلى بعضهم البعض، سواء في حضور المرشدين أو في غيابهم. ومن ذلك تحويل البيت إلى ملتقى يقصده كل ذي حاجة من الطلبة - وأحياناً من ذويهم، أكانت هذه الحاجة جلسة هادئة، أو حواراً صريحاً، أو بحثاً عن غرفة أو عمل أو صديق أو مال... أو من أجل قضاء ليلة أو أكثر، ريثما يوفق بغرفة له[1]. من ذلك أيضاً التوزيع الموسيقي في غرف البيت الأربع، وكذلك وجود مكتبة تحت تصرف الطلبة، بإشراف أحدهم. ومن ذلك حفلات الميلاد الشخصية تقام في بيت الأسرة، أو بيت أهل المحتفى به... ومن ذلك أخيراً، وليس آخراً، الاستقبال والوداع بمناسبة سفر أحد أفراد الأسرة، كلما سنحت الفرصة...

الثانية: وهي بديهية جداً، وهي أن هذا كله جديد على شبابنا أولاً، وعلى مجتمعنا العربي وخصوصاً الدمشقي ثانياً، وعلى الكنيسة ثالثاً. وهذا يعني بصريح العبارة أنه، إلى جانب العديد من النواحي الإيجابية لهذه المحاولة، برزت أخطاء، تافهة كل التفاهة للمطلعين على هذه المحاولة، ولكنها لا تُغتَفر في مجتمع ضيق كمجتمعنا،

---

1) يطيب لنا أن نشير هنا إلى إن سيادة المطران نجمة قد استضاف في الدار البطريركية مدة سنة كاملة طالباً في ضيق.

يحلو له الحكم المسبق والإدانة العامة، تبريراً لتقاعس لا يغتفر. نخص بالذكر منها: الضجيج الذي رافق سهرات الخميس الأسبوعية، التي كانت، على نقائها، توحي بجو من الصخب غير الطبيعي، لبعض من الناس المتربصين بكل شاردة وواردة. كما نذكر أيضاً الانفلاش والتبجّحات التي مارسها بعض الطلبة تحت ستار الأسرة، فأساؤوا إليها، مرشدين وطلاّباً، من حيث يدرون أو لا يدرون، وأساؤوا بذلك إلى العديد من الطلبة الذين باتوا لا يعرفون عن الأسرة إلا هذا المظهر الشخصي الملتبس، أو حكماً مسبقاً جائراً، في حين أنها جاءت لتخدمهم.

الثالثة: هي أنه لا يستطيع أن يفهم الأسرة إلا من عاشها من الداخل ولفترة ما... وهذا العيش من الداخل يقتضي أحياناً كثيرة تحرراً من عقد شخصية، كثيراً ما تكبّل شبابنا، لأن الأسرة بصيغتها الحالية والمثلى تُلحّ عليه بالخروج من ذاته وبالانطلاق نحو الآخرين. وتلك هي في رأينا مشكلتنا الكبرى، ومشكلة كل محاولة جادة، أياً كان القطاع الذي تتصدى له. والحق أن العديد من الطلاب استطاعوا أن يدخلوا إلى أعماق حياة الأسرة، ولكن دورتهم الدراسية تُبعدهم عنها لفترة قد تطول وقد تقصر، مما يضطرها لإعادة الكرة في بناء طلاب جدد. ويطيب لنا أن نشير إلى أن التفاعل آخذ بالنمو بين أسرة الرعية وعدد من الأهل والأصدقاء، وهو يتجلى في مشاركتهم إيانا في صلواتنا أحياناً، وأحياناً أخرى في المساهمة في تجهيز البيت (من تقديم جهاز هاتف مثلاً، أو مقعد كبير، أو إسفنج للديوانين الكبيرين، وخِياطة الستائر، أو إهدائنا بعض المؤونة من أرز وسكر الخ...)، أو بتحمّل قسم كبير من النفقات المادية بعفوية وتكتّم شبه تأمين، أو بالمساعدة على حل مشكلات بعض الطلبة، كإيجاد عمل لهم أو ما سوى ذلك...

نورد الآن بعض جوانب الحياة الاجتماعية في الأسرة:

1- **القيام برحلات لنصف يوم أو يوم واحد، أو بضعة أيام، إلى كل من: الغوطة والمعرة وصيدنايا ومعلولا، وبصرى والمزيريب، والحصن والكفرون، وحلب وصافيتا. وقد تجلت فيها كلها روح من المشاركة الجماعية، بلغت الذروة في لقاء في صافيتا دام أسبوعين، قضاهما مجموعة من الطلبة مع أحد المرشدين، استعداداً للامتحانات النهائية.**

2- **تنظيم لقاءات داخل الأسرة، يشترك في إحيائها عدد وافر من الطلبة والأهل، وقد كان أبرز هذه اللقاءات، استضافة فرقة حلب المسرحية المؤلفة من 27 عضواً، وزعوا ما بين بيت الأسرة (الشبان)، وبيت الراهبات الفرنسيسكانيات في حي التجارة (الفتيات)، مدة ثلاثة أيام... ولقاء البربارة الذي أقيم تحت رعاية بَطَلين من أبطال حرب تشرين التحريرية، هما العقيد الطيار عدنان الحاج خضر، والرائد الطيار غازي أديب، وعدد من السادة الأساقفة.**

3- **تنظيم المراسلة من الطلاب الموجودين خارج القطر، وتقديم ما يحتاجون إليه من خدمات، والإبقاء على علاقة مودة مع ذويهم.**

4- **تبني العديد من الطلبة، سواء أكانوا ممن يترددون على الأسرة أو لا، ومعالجة قضاياهم بتكتّم تام.**

ثالثاً- رصيد الأسرة المالي:

ليس بودنا أن نورد أية ملاحظة بهذا الشأن، تاركين للقراء أن يستنطقوا الأرقام بأنفسهم.

1) **الوارد:**

1- **من العام الماضي** 3690.80

2- **مساهمة الطلاب:**[1]

- **مساهمات شخصية (أصروا جميعاً على كتمها)**	1974.00
- **لقاء حلب - صافيتا المسرحي**	1400.00
- **لقاء دمشق - حلب المسرحي**	1312.00
- **لقاء صافيتا السنوي** 1975	1328.00
- **لقاءات عامة ورحلات**	347.95
- **هاتف**	202.25
- **دورات دراسية**	240.00

ملاحظة: قد تذهب مساهمة الطلاب من ليرتين إلى 300 ليرة أو أكثر... وقد كتب أحدهم بطاقة سرية وضع فيها 25 ل.س. جاء فيها "من أول قطفة لوز إلى أسرتي..."

3- **من السلطة الكنسية:**

1. **داخل القطر العربي السوري:**

- **سيادة المطران بطرس كامل مدور**	520.00
- **سيادة المطران الياس نجمة**	600.00
- **سيادة المطران بولس كوسا**	100.00
- **أسقف عربي سوري**	400.00

2. **خارج القطر:**

- **أسقف عربي**	365.00
- **سيادة المطران الياس زغبي**	80.00

4- **من أصدقاء الأسرة:**

1. **داخل القطر العربي السوري:**

- **صديقة**	2000.00

---

1) قد تذهب مساهمة الطلاب من ليرتين إلى 300 ليرة وأكثر... وقد كتب أحدهم بطاقة سرية وضع فيها 25 ل. س. جاء فيها "من أول قطفة لوز إلى أسرتي..."

- **صديق**	1200.00
- **السيد جورج سارة**	1250.00
- **السيد ادغار زكرت**	1074.00
- **صديق طبيب**	500.00
- **الاتحاد الوطني لطلبة سورية**	350.00
- **صديقة**	300.00
- **كاهن عربي صديق**	300.00
- **راهبات حي التجارة الفرنسيسكانيات**	300.00
- **أسرة صديقة**	200.00
- **السيدة ايفلين ميشيل سلوم**	200.00
- **صديق**	300.00
- **الأب سامي علام**	330.00
- **راهبات البيزنسون**	225.00
- **الأب دنيس فيتز باتريك**	150.00
- **أصدقاء**	150.00
- **الآنسة منى كردي**	150.00
- **صديقات راهبات**[1]	150.00
- **السيد جان سامي خياط**	100.00
- **رئيسة الراهبات الفرنسيسكانيات**	100.00
- **والدة الطالبة منى بنا**	100.00
- **مجموع راهبات دمشق**	75.00
- **السيد خليل فريجات**	50.00
- **السيدة عفاف زريبة**	40.00

1) ملاحظة: هؤلاء الراهبات رفضن أولاً أن يذكر اسمهن. وعند إلحاحنا سمحن لنا بذكر كلمة جاءت في الرسالة التي رافقت المبلغ الذي قدمنه، تقول: "هذا المبلغ جاء من عدد من الراهبات يعشن من عملهن وقد قمنا بصيام لمدة أيام حتى استطعن أن يجمعن هذا المبلغ للطلاب السوريين الذين قد يكونون في حاجة أكبر إليه".

- صديق	50.00
- السيد طوني كينة	25.00
- السيد لويس قشيشو	25.00
- مجهول	25.00
- السيد حبيب أبرص	10.00
- صديقة	10.00
- صديق	5.00
2. خارج القطر العربي السوري:	
- صديق عربي في باريس	1600.00
- السيد بيير سارة	425.00
مجموع الوارد	24354.00
2) الصادر:	
1- مساعدات سرية للطلاب:	6972.90
2- تجهيز البيت وتموينه	3196.65
3- لقاءات:	
- عامة: في بيت الأسرة وخارجه:	910.45
- محددة - لقاء صافيتا عام 1975	2217.00
- لقاء حلب صافيتا المسرحي	2207.35
- لقاء دمشق حلب المسرحي	965.00
4- هدايا للأصدقاء من محاضرين ومتبرعين	1112.70
5- أجر رمزي للمرشدين[1]	
- الأب يوسف بربي اليسوعي	600.00
- الأخت ماري تيريز بسيليس	600.00

[1] بناء على إلحاح غبطة البطريرك يشير الأب الياس زحلاوي إلى أن راتبه الكامل يتقاضاه من بطريركية الروم الكاثوليك وهو يبلغ 300 ل. س. بما فيه حسنات القداديس.

6- **كهربائيات: وتصليح أشرطة تسجيل**	1062.30
7- **تنقلات**	818.40
8- **مطبوعات**	591.80
9- **مكتبة ومجلات**	482.00
10- **هاتف**	480.00
مؤتمرا بيروت والقاهرة	250.00
مجموع الصادر	22611.55
الباقي في الصندوق:	1742.45 **ل. س.**

رابعاً- كلمة ختام

ثمة كلمتان نختم بهما هذا التقرير:

ما جاء في هذا التقرير محاولة رسم لعمل هو في نتيجة المطاف تجربة روحية وثقافية واجتماعية، اخترناها بوحي من وضع اختاره الرب لنا. وقد تبدو طبيعة عملنا غريبة بعض الشيء... لذا نحب أن نذكّر بأن قناعتنا هي أننا ما نزال في أول الدرب، في بحثنا عن مسيحية عربية جديدة. فلا نريد أن نستعجل الأمور، ونرجو أصدقاءنا ألا يستعجلوها بالنسبة إلينا. فالعمل دقيق، ولا سيما مع الطلبة، بنفسياتهم ومستوياتهم المتفاوتة، وبيئاتهم الاجتماعية المتعددة، بل والمتعارضة أحياناً - وانتماءاتهم الدينية والسياسية المختلفة. وقد ذكرنا في مطلع هذا التقرير، أن أسرة الرعية في غربة عن محيطها الكنسي، مع أنها منبثقة من صميم أبنائه، ومعبرة إلى حد بعيد عن بعض ما يتمخض عنه. والسبب في ذلك هو أن هذه الأسرة تحاول أن تشق طريقاً جديدة لمسيحية، تحافظ على قدسية تقاليدها، وفي الوقت ذاته تلائم التطورات التي تطرأ على العالم برمته، وعلى الوطن العربي بشكل خاص. فنحن لا نشك أننا على عتبة تطورات خطيرة في كافة البنى الاجتماعية والسياسية والثقافية والدينية وغيرها. وسر التجسد

يقتضي منا أن نعيد النظر بتؤدة في كافة بنانا القديمة، للحفاظ على روحها. لذا نرجو من كل إنسان، كائناً من كان، له علاقة ما بهذه الرعية الطلابية، أن ينفتح لها، كي يفهم حقيقتها وينقدنا نقداً بنّاءً، فيسهم بذلك من موقعه، في تقدّم هذه الفئة من الناس، الذين تطوعوا مجاناً لتجسيد المسيح في عالم الغد.

أخيراً كلمة شكر إلى كل صديق قدم لنا محبته في صلاة أو خدمة أو مال أو نصح أو حديث أو نقد بناء.

دمشق في 5 تشرين الثاني 1975

المرشدون: الأب الياس زحلاوي

الأب يوسف بربي

الأخت ماري تيريز بسيليس

الفَصْلُ السَّادِسُ

طفلة في حضن أمّها

من يتابع تكوّن أسرة الرعيّة الجامعيّة، يكتشف بسرعة ووضوح، أن وجودها تلازم، بُعيد انطلاقتها بفترة وجيزة، مع وجود كنيسة سيدة دمشق في حي القصور بدمشق حتى اليوم. وفي الحقيقة، فإن قصة بناء هذه الكنيسة الجديدة، وكذلك قصة احتضانها لأسرة الرعيّة الجامعيّة، تستحقان التأمل الطويل فيهما. ولقد رويت هاتين القصتين منذ سنوات بعيدة، بطلب من مسؤول كنسي كبير، في مقالين منفصلين وشاملين، ولكنهما لم يجدا سبيلهما إلى النشر آنذاك... كان الأول بتاريخ 1983/2/24، والثاني بتاريخ 1984/4/4.

أرى اليوم لزاماً عليّ نشرهما تباعاً، بحرفيتهما، في هذه الدراسة الوجيزة عن أسرة الرعيّة الجامعيّة.

المقال الأول:

كنيسة العذراء سيدة دمشق:

حبة الخردل... بين بناء الحجر وبناء البشر...

رفض موفق...

حي القصور بدمشق، في أوائل الستينات، حي جديد يتوسع بصورة مدهشة.

أقتني فيه طابق، يستخدم بمثابة كنيسة.

طرقت لاقتنائه، أبواب كثيرة للتبرع. وكالعادة كانت الأيدي والقلوب سخية.

إلا واحداً، فاجأ الجميع برفضه، هو المرحوم جورج صحناوي.

رفض يومها، وأبدى السبب: لا يليق بأن تقام كنيسة، يسكن فوقها وتحتها بشر...

وأسرّ لسيادة المطران بطرس كامل مدور، برغبته في تقديم مبلغ مائة ألف ليرة سورية، من أجل بناء كنيسة في هذا الحي، تقوم فيه بناءً مستقلاً متكاملاً...

وفي عام 1965، تسرب الخبر على نحو ما، إلى آذان بعض أبناء الحي. فتيقنوا من صحته من المطران مدور نفسه. وأبلغوا على الفور النائب البطريركي آنذاك، سيادة المطران يوسف طويل. فعقد اجتماع ضم المثلث الرحمات البطريرك مكسيموس صايغ والنائب البطريركي وبعض هؤلاء "الغيارى". وعُيّنت فيه لجنة لمراجعة آل الصحناوي. وعندما اتضح لهؤلاء التصميم على بناء الكنيسة، سلموا المبلغ الموقوف، بالإضافة إلى الفائدة المترتبة عليه، وقد بلغت آنذاك 12500 (اثنا عشر ألفاً وخمسمائة ليرة سورية). وتقرر البحث عن أرض في منطقة القصور. وعثر على فيلا المرحوم سامي الميداني، وكان يسكنها يومها مدير شركة "اي بي سي". وجرت مع المالك عدة اتصالات، تم على إثرها تأليف لجنة لشراء الأرض، قوامها: المطران يوسف طويل

والأب ميشــل رزق والســيدان انطــون وردة ومــتري حجــار. وفي 1 حزيــران عــام 1965، دفعــت الســلفة لشــراء الأرض، بقيمــة مائــة ألــف لــيرة ســورية، وتم التوقيــع علــى عقــد البيــع. وقــد اتفــق علــى أن يكــون الــثمن الإجمــالي 225.000 مائتين وخمسة وعشرين ألف ل. س.

ثـم تشـكلت عـدة لجـان للجبايـة. فنشـطت، وسـخا النـاس، فجُمـع المبلـغ المتبقي في فترة قياسية. وفي كانون الأول من العام نفسه، تم تسجيل الفيلا والأرض بالسجل العقاري على اسم البطريركية.

وبوشر في الوقت نفسه، برسم المخططات. وقد أصر يومها البطريرك الصايغ على أن يقوم بها المهندس الكونت الفريد دبانة.

تلـك كانـت المرحلـة الأولى. وقـد غـاب عنـا، في نهايتـها، المثلـث الرحمـات البطريرك مكسيموس صايغ، وخلفه في 22 تشرين الثاني عام 1967، غبطة البطريرك مكسيموس حكيم.

وبدأت المرحلة الثانية، مرحلة هدم الفيلا وبيع الأنقاض، وبناء الهيكل الإسمنتي بقسميه: القاعة والكنيسة وملحقاتهما.

بتاريخ 20 كانون الثاني 1968، صدر مرسوم بطريركي، يشتمل على أمور كثيرة، منها، تحديد اسم الكنيسة، وإذ به "كنيسة العذراء مريم سيدة دمشق".

وتحديد تاريخ عيدها السنوي، فهو 26 من كانون الأول.

وتأليف اللجان المختلفة، المكلفة بالإشراف على تنفيذ المشروع.

وكانت اللجان، كما جاء في المرسوم البطريركي، كالتالي:

"1- اللجنـة الفنيـة. وقوامهـا: المهندسـون السـيد ألـبير صـائغ كمنفّـذ رئيســي، والســيد إبــراهيم بيتنجانــة كمســاعد لــه، والســادة خليــل شنيارة ورولان لكح وانطون دياب كمستشارين فنيين. ويتـولى مكتـب المنفّذ الرئيسي المهندس ألـبير صـائغ، وضـع دراسـات كاملـة ودفـاتر شروط، تمهيداً لطرح المشروع في المناقصة، وذلك بعد أخذ موافقـة اللجنة الفنية.

"2- اللجنة الحقوقية. وقوامها السادة الأساتذة رجال القانون انطون شار، وإبراهيم البطل، والياس عبيد.

"3- اللجنة الإدارية. وقوامها السادة موسى حورانية وخليل لطفي وحنين حجار، ويوسف عبيد ومتري حجار وروفان صائغ والياس حورانية وانطون عبسي وجورج نشار ونقولا بربارة وفريد جناوي وانطون عرقتنجي وادمون زهر وجورج فرح، مع أعضاء اللجنة الفنية - على أن يقوم بأمانة السر والمحاسبة السيدان ادمون زهر وجورج فرح، وبأمانة الصندوق السيد موسى حورانية".

وفي عام 1972، تم تنفيذ المرحلة الثانية.

ثم تشكلت لجنة أخيرة من أجل الإشراف على مرحلة الإكمال والإكساء، قوامها: السادة يوسف عبسي ومتري حجار وروفان صائغ وجورج فرح والمرحوم انطون زيات، بالإضافة إلى المهندس السيد ألبير صائغ.

وفي 17 نيسان عام 1975، دشّن غبطة البطريرك مكسيموس حكيم الكنيسة الجديدة، كنيسة مريم العذراء سيدة دمشق.

يتضح من البيان المالي، وهو قيد الطبع، أن الكلفة الإجمالية للمشروع بلغت:

225.000 في مرحلة شراء الفيلا والأرض

180.000 في مرحلة بناء الهيكل الإسمنتي

1.362.000 (مليون وثلاثمائة واثنان وستون ألف ل.س.) في مرحلة الإكمال والإكساء.

وكان حتى ذلك الحين يخدم الرعية الأبوان بولس شنيارة والياس بلدي. وقد واصلا خدمتهما حتى الأول من تموز من عام 1977، حيث عيّن لخدمتها الآباء جبرائيل معلوف، وميشل حلاق (وقد حل مكانه عام 1981 الأب الياس صارجي) والياس زحلاوي.

محاولة رعوية جديدة...

أول ما قام به كهنة الكنيسة الجدد، نداء وجّهوه في الكنيسة، منذ الأحد الأول، إلى كافة العلمانيين، من أجل إنشاء مجلس رعوي، يتدارس وإياهم مسؤولية الخدمة.

واستجاب العلمانيون كالعادة بسخاء وحماس. وعقدت عدة جلسات نوقشت فيها شتى الأمور المتعلقة بالحياة الروحية والطقسية، وبالنشاط الثقافي والاجتماعي. وقد برزت أمور أربعة، لا بد من الإشارة إليها:

أولها، ضرورة قيام تعاون صادق ومحب بين الكهنة والعلمانيين، يحقق الجماعية في العمل الرعوي.

ثانيها، ضرورة إدخال بعض التعديلات على الصلوات، بدءاً من الذبيحة الإلهية، بإشراف وتوجيه السلطة الكنسية العليا، تحقق أكبر قدر ممكن من المشاركة في الصلاة.

ثالثها، ضرورة العمل على إنشاء جوقة، لا تكون غاية في ذاتها، ولكن وسيلة ليس إلا، بقصد أداء خدمة لائقة أولاً، وبقصد تعليم المصلين الترنيم عن طريقها ثانياً.

رابعها: الحاجة الملحة إلى قاعة كبيرة، تكون مجالاً رحباً للنشاطات الروحية والثقافية والاجتماعية والفنية، للمنطقة برمتها، التي يزداد اتساعها بصورة مذهلة، والتي تفتقر بالكامل إلى قاعة كبيرة، والتي يجب أن تحتل الكنيسة مكان القلب منها.

وبوشر بتنفيذ مختلف نقاط البرنامج هذا.

ولكن سرعان ما اتضح للجميع، بدءاً من الرئاسة الكنسية، أن النقطة الأخيرة تشكل عقبة كأداء في وجه تحقيق القسم الأكبر من البرنامج... وبانتظار معالجتها، انصرف الكهنة مع بعض العلمانيين إلى معالجة كل من النقطتين الثانية والثالثة، محققين بذلك عملياً النقطة الأولى.

النقطة الثانية: روح الصلاة...

في نطاق القداس اقتُرح بعض التعديلات، تناول تقليص عدد الطلبات المكررة، واستبدال بعض الكلمات بسواها، والتخلي عن المرنم المنفرد، على أن يقوم حوار طوال القداس بين الكاهن والمصلين، تُتلى فيه علناً الطلبات والصلوات بكاملها، ويقتصر الترنيم على الحد الأدنى المعقول، وذلك أثناء نقل القرابين والتناول مثلاً... واستُلهم في هذا الإصلاح البسيط ما كانت أسرة الرعية الجامعية قد حققته منذ سنوات، بموافقة المسؤولين في الكنيسة طبعاً. فحظي الاقتراح بموافقة غبطة البطريرك ونائبه آنذاك، المطران فرنسوا أبو مخ، وطبع كتيب القداس ليتداوله المصلون، واتفق أن تقوم المحاولة على سبيل الاختبار ليس إلا... وقامت المحاولة. وقد تسنى لبعض المسؤولين أن يحضروها كمصلّين، وأن يخبروا بأنفسهم مدى تقبل الناس لها، بل مدى تجاوبهم معها.

النقطة الثالثة: جمال الصلاة...

في نطاق الجوقة، بوشر بإنشاء جوقة من الشبان والشابات، كانت نواتها الرئيسة، الجوقة السابقة، أو بالأحرى بعض عناصرها. وانضم إليهم شيئاً فشيئاً عناصر أخرى اتسع نطاقها مع الزمن. وما بين مد وجزر، نمت الجوقة عدداً وأداءً... وكان الترنيم يتبع نسقاً ميلودياً واحداً، فأدخل عليه تعدد الأصوات، مع تشدد في الإتقان اقتضى تدريبات أسبوعية منتظمة، لا تتوقف على مدار السنة - بل تكثّف قبيل الأعياد الكبرى - إلا في فترات الامتحانات الجامعية. وتواصل نمو الجوقة، حتى باتت تضم اليوم ثمانين عنصراً، تتراوح أعمارهم بين اثنين وستين عاماً وخمسة عشر عاماً. كما أن قدرتها على استيعاب الألحان، واستمرارها على التدريبات الأسبوعية مكّناها من تغطية القسم الأكبر من الترانيم على مدار السنة، ولا سيما في الميلاد وأسبوع الآلام والفصح.

وفي معرض الحديث عن الجوقة، لا بد من الإشارة إلى أمور ثلاثة لها أهميتها.

أولها: الجوقة وسيلة، لا غاية. هذا لا يغيب عن بالنا يوماً. فلا يغيب بالتالي عن بالنا دورها في تعليم الناس الترنيم. وقد تحقق لها ذلك، في نطاق صلاة المدائح، حيث وقفت الجوقة في الصفوف الأمامية من الكنيسة، فباتت تشدّ بأصواتها أصوات المصلين وتشجعهم. ويدعم هذا المجهود وجود كتيب للمدائح، طبعته الكنيسة ووزعته على معظم كنائس دمشق والريف، فيما تسجيل الترانيم الحية ينقلها إلى البيوت.

ثانيها: إنشاء جوقة للأطفال، تتناوب على الترنيم كله مع جوقة الكبار. وقد ضمت هذه الجوقة "الصغرى"، إبان نشأتها، خمسة وخمسين عنصراً، وهي تضم اليوم قرابة المائة، فضلاً عن الرفد الغني الذي مدّت به الجوقة "الكبرى"، بعدد من العناصر الذين ترعرعوا فيها، ولم يعودوا أطفالاً... ولسوف نتوقف في فقرة أخرى، للتحدث عن الجوقة "الصغرى"... حسبنا الآن أن نشير إلى أهمية ترنيم الأطفال، بأصواتهم البكر القوية، في حمل الناس - بدءاً من ذويهم - على المجيء إلى الكنيسة، وفي حملهم أيضاً على تعلم الترانيم.

ثالثها: التنظيم الذي طرأ على حياة الجوقة وإدارتها ونشاطها. فقد بات لها اليوم نظام داخلي، وهيئة إدارية تشرف على سير العمل فيها، وتخطط لنشاطها الديني والرسولي، بل والترفيهي، داخل القطر وخارجه، وتدير شؤونها المالية الخاصة. ولقد بلغت هذه الجوقة من ثقتها بنفسها، أنها قامت بجولة في ربوع إيطاليا وفرنسا، دامت واحداً وعشرين يوماً، ما بين 28 تموز و18 آب عام 1982. وأقامت فيها الذبيحة الإلهية، باللغة العربية، مرات كثيرة، في روما، ثم في ليون ومارسيليا ولورد ونانت بفرنسا، توّجتها بالقداس الدولي الذي يقام كل عام في كاتدرائية نوتردام بباريس، يوم 15 آب 1982، أي يوم عيد هذه الكنيسة العظيمة، أمام حشد هائل من العرب والأجانب. وقد تزاوجت في هذا القداس الصلوات اللاتينية بمختلف اللغات الغربية والشرقية. وأما الترنيم، فكان كله باللغة العربية. وكانت تلك هي المرة

الأولى التي ترنم فيها جوقة عربية في كنيسة نوتردام بباريس. وكانت مفاجأة، لا قبلها ولا بعدها لمئات العرب الذين جاؤوا يحيوننا، وبعضهم يبكي، فيما كان الأجانب من فرنسيين وسواهم، يسألوننا باندهاش: أحقاً أنتم عرب مسيحيون؟... وقد كنا نؤمن، عندما غادرنا أرض القطر، أننا نحمل كنائسنا العربية ووطننا العربي كله، على نحو قد يعجز سوانا عن حمله...

وتجدر الإشارة أيضاً إلى أن الجوقة "الكبرى" قامت بجولة، هذا العام، في الأردن، شاركت خلالها المسيحيين هناك احتفالاتهم بأسبوع الآلام والفصح المجيد، وقد باتوا يحتفلون بها جميعاً وفق التقويم الشرقي.

أخيراً، لا نفشو سراً إذا أشرنا إلى أن الجوقة "الكبرى" تُعدّ لجولة في الولايات المتحدة الأميركية، في أواخر صيف 1984. ولسوف تحمل فيها أيضاً الكنائس العربية والوطن العربي. كما أنها ستحمل، إلى جانب الصلوات والترانيم، الفولكلور العربي...

ونبقى في نطاق النقطة الثانية، للحديث عن جوقة الأطفال.

أنشئت متواضعة جداً قبيل ميلاد عام 1977، فضمت خمسة وخمسين طفلاً تتراوح أعمارهم بين الرابعة والتاسعة... واتسع عددها شيئاً فشيئاً، خصوصاً بعد أن برهنت للجميع على أن الطفل طاقة كبيرة تستحق الثقة. وقد أدخل الأطفال على الصلوات بحضورهم وأصواتهم، نكهة فريدة جذابة. وبدورهم خضعوا لتدريبات متواصلة ومنتظمة، أسبوعية، وأحياناً يومية كما في العطلة الانتصافية. ولم يكن ثمة ما يغريهم، سوى - ربما! - إحساسهم بأنهم يقومون بعمل جميل، يخدمون به الرب... ويُدهَش له الكبار...

ومع الزمن، نظمت لهم بعض التسليات من رحلات وحفلات خاصة، بسيطة جداً، بمناسبة بعض الأعياد. إلا أن لقاء سنوياً أخذ يقام لهم، مدته أسبوع كامل، بعيداً عن دمشق، يقضونه في تدريب قليل وترفيه كثير، يحتضنهم فيه الجبل والبحر معاً، ويعودون منه بزاد من الثقة والفرح والتصميم على الاستمرار...

وأتقن الأطفال بدورهم القسم الأكبر من الترانيم والصلوات، وباتوا يخدمون جميع المناسبات الدينية، بالتناوب التام مع جوقة "الكبار"... دون أن يعيقهم في ذلك عائق، لا صعوبة النغم، ولا تعدد الأصوات... بل إنهم فاقوا أحياناً الجوقة "الكبرى"، بإتقانهم ترانيم لم يتح "للكبار" أن يتعلموها، كترانيم العرس، وباتوا كثيراً ما يُدعون لخدمة الأعراس.

تضم الجوقة الآن قرابة مائة طفل، بعضهم في الخامسة، وبعضهم سيلتحق بالجوقة "الكبرى"... وتشرف عليها منذ سنتين مجموعة أطلقت على نفسها اسم "مجموعة خدمة الأطفال"، ينشط فيها عدد من الوالدين - من رجال ونساء - وعدد من الشبان والشابات - فيهم الطالب الثانوي والجامعي، وفيهم الخريج الجامعي أيضاً والموظف. وكلهم يرافقون الأطفال في مختلف نشاطاتهم وتسلياتهم، وقد باتت كثيرة. فالنشاطات تضم الترنيم الديني، والغناء الفولكلوري ورقص السماح، والتمثيل والعمل اليدوي. وأما التسليات ففيها السباحة صيفاً - وأحياناً شتاءً في أحد المسابح المغلقة - والسينما والمطالعة والرحلات - داخل القطر فقط... للأسف، لأن الأهل لم يستوعبوا بعد فكرة رحلة يقوم بها "صغارهم" إلى أوروبا مثلاً... - وخصوصاً أسبوع التدريب والترفيه السنوي...

وقد أصبح لجوقة الأطفال أيضاً صندوقهم الخاص، يشرف عليه عناصر من "مجموعة الخدمة"، وتغذيه - بالإضافة إلى الاشتراكات والتبرعات - السهرات العائلية التي يقيمها ذووهم في قاعة الكنيسة، والتي يُعدّون لها الطعام بأنفسهم، بصورة دورية، ويقضون خلالها فترة لطيفة جداً ونقية تزيدهم محبةً وألفة.

<u>النقطة الرابعة: نبض الحياة في قاعة السواعد</u>

تلك كانت النقطة الرابعة، وهي استصلاح قاعة الكنيسة.

تبين أن الأمر ضروري، ولا مفر منه.

ولكن صعوبات كثيرة كانت تحول دونه، منها ما هو مادي، ومنها ما هو

معنوي. فالقاعة كبيرة وحديثة، وكلها مبلطة بالرخام. فليس من السهل فك الرخام والمغامرة بحفرها.

تدارس المسؤولون وعدد من المهندسين، وضع القاعة. وأقروا بضرورة استصلاحها، بعد سبر الأساسات. ولكن المال غير متوفر، فالكنيسة جديدة، وهي ما تزال في حاجة إلى إنفاقات باهظة.

وتقرر مع ذلك البدء بالعمل، اعتماداً على تصميم أفراد أسرة الرعيّة الجامعيّة الذين قرّروا أن يقوموا بالعمل طوعاً.

وجاء من عرف بالأمر، فقدم مبلغ عشرة آلاف ليرة سورية، وهو يصرّ على كتمان اسمه، ويؤكد في الوقت نفسه وقوفه التام إلى جانب العمل. فبوشر بالعمل، دون أي يد عاملة. باشر بذلك أفراد أسرة الرعيّة الجامعيّة، من شبان وشابات، بإشراف مهندس آمن بالفكرة وقدم عمله كله الفكري والفني، بل واليدوي - مجاناً، فيما كان سواه يقدم بين حين وآخر، بعض المساعدات المالية السرية، أو الفنية... واستمر العمل سنة كاملة. فُكّ الرخام - وكان يلصق على الفور، ما يكسر منه، وحُفرت القاعة بحفارات كهربائية، ورُحّلت كمية هائلة من البيتون والحجارة والأتربة، في قفف يحملها الشبان والشابات، فيما كانت مجموعة أخرى تُعدّ لهم الطعام والشاي. رُحّلت في شاحنات ضخمة قدمها مجاناً مع سائقيها، والد إحدى فتيات أسرة الرعية. وأعيد تجديد قسم من تمديدات التدفئة المركزية، بينما جُدّدت مجاري القاعة بالكامل. وغُيّر اتجاه القاعة، بحيث باتت المنصة المسرحية ترتفع عن مستوى الجمهور قرابة تسعين سنتيمتراً، في حين كان المستويان في السابق، يتساويان، مما يحول دون رؤية المنصة ومَن عليها. واكتسبت المنصة الجديدة عرضاً وعمقاً وارتفاعاً. وشُيّدت خلف المنصة غرفة واسعة تستخدم بمثابة كوليس خلال العروض المسرحية أو الفنية، وتستخدم كمكتبة تضم مئات الكتب في الأيام العادية. كما شيدت غرفة لا بأس بها فوق قسم من المنصة السابقة، تستخدم كغرفة تحكّم بالصوت والضوء... ذلك بأن بعض

الأصدقاء، إذ رأوا عمل شبان وشابات أسرة الرعية المجاني والمدهش، أرادوا المساهمة بدورهم في تجهيز القاعة، كي تصبح ما أريد لها أن تكون: مجالاً رحباً للقاءات ثقافية وفنية واجتماعية ودينية، تُغني المنطقة والمدينة معاً.

استمر هذا العمل عاماً كاملاً. فعل أفراد أسرة الرعيّة الجامعيّة كل ما كان بوسعهم أن ينجزوا. ولكن الأمور الفنية احتاجت إلى يد مختصة قامت بها، منها تمديدات التدفئة المركزية، والتبليط، وبناء غرفة التحكم. وفي نهاية العام، أعيد الرخام نفسه إلى أرض القاعة. وقد قام بالتبليط أصدقاء تبرعوا هم أيضاً بعملهم، ولم يتقاضوا سوى أجر العمال، وكان في الحقيقة زهيداً.

وفي يوم عيد البربارة، عام 1978، دُشّنت القاعة بحضور غبطة البطريرك مكسيموس حكيم وأطلق عليها اسم "قاعة السواعد"، إحياء لذكرى عمل الشباب الطوعي.

ومن يومها، فتحت القاعة أبوابها أمام كل نشاط بنّاء. احتضنت نشاطات جمعت بين مختلف أحياء المدينة وأطراف الريف، وبين مختلف الأعمار والطوائف والمذاهب والاتجاهات.

احتضنتهم جميعاً بفرح، وأتاحت لهم مجالاً يقدمون فيه للكثيرين ما تبدعه محبتهم ومواهبهم وخدماتهم، من ألوان المشاركة الاجتماعية والإنسانية والقومية والثقافية. ولم تفرض إلى اليوم أي أجر محدد، بل تركت لهم حرية المساهمة - أو عدمها - في نفقات التجهيز الكثيرة.

واستقبلت مجموعات كبيرة من الأطفال والطلاب والطالبات، من مختلف المراحل الدراسية، جاؤوا إليها يجتمعون فيها بصورة ثابتة ومنتظمة، وقد اتخذوا منها بيتاً لهم وملتقى، يتزودون فيه بمزيد من الإيمان بالرب وبالإنسان، ويتمرسون فيه على العمل الجماعي والخدمة الاجتماعية...

مجموعة أطفال التعليم المسيحي...

مجموعة أخوية مريم...

مجموعة رسالة الأولاد...

مجموعة فرسان المحبة الإعدادية...

مجموعة فرسان المحبة الثانوية...

مجموع أطفال جوقة أبناء الفرح...

مجموع الجوقة "الكبرى" جوقة الفرح...

مجموعة الخريجين... من أفراد الرعيّة الجامعيّة، الذين باتوا يخوضون معترك الحياة، والذين شعروا بضرورة العودة إلى روح إنجيلية، فيها صلاة ومحبة ولقاء هادئ.

مجموعة أسر أطفال الجوقة، التي تعقد فيها اجتماعاتها وتنظم وتحيي سهراتها العائلية الفريدة بأجوائها العفوية، وبساطة تعاملها...

مجموعة خدمة الأطفال، التي تنظم أيضاً نشاط الأطفال على مدار السنة...

وأخيراً مجموعة الإشراف على القاعة، التي تضم بالإضافة إلى كهنة الرعية الثلاثة، ثلاثة من وكلاء الكنيسة، وممثّلَين اثنين عن كل مجموعة تستخدم القاعة بصورة ثابتة... وهي آخر مجموعة تشكلت، وقد بدأت منذ أيام، بسهرة عائلية افتتحها غبطة البطريرك حكيم، نشاطاً سوف يشتمل على نواحٍ ثقافية واجتماعية وسياحية ودينية، بعيدة المدى.

كل هذه المجموعات، لها كيانها الخاص، وإدارتها الخاصة يشرف عليها مع الكاهن، عدد من الشبان والشابات والجامعيين أو الخريجين، ولها ميزانيتها المستقلة، ونشاطها الثابت والمتحرك على مدار السنة...

كل منها يستحق وقفة خاصة، تكشف الأبعاد الغنية، إنسانياً ومسيحياً وقومياً، للنشاط المتعدد الذي تقوم به...

إلا أن ثمة مجموعة، لا بد من وقفة خاصة بها، ذكرت مراراً في هذا التقرير الوجيز، ولكن لم تُعرف بعد. ونرى أن نخصها بكلمة عجلى، هي الأخيرة، في هذا الموجز عن الحياة الغنية، تتفاعل بين جدران كنيسة سيدة دمشق وتحت جناحيها.

أسرة الرعية الجامعية: خلية مسيحية وحدوية.

تلك هي هذه المجموعة الأخيرة.

إن هي إلا محاولة، قامت منذ منتصف عام 1968، بتكليف من رؤساء الطوائف الكاثوليكية، لخدمة الشباب الجامعي دينياً وثقافياً.

وقد كان الكاهن الذي كلف يومها بهذه الخدمة، مؤمناً بأن نطاقها يجب أن يتسع إلى جميع الطلبة الجامعيين، إن أمكن. وكان الغرض منها أيضاً محاولة ردم الهوة القائمة والآخذة في الاتساع، بين الشبيبة المسيحية المتعلمة من جهة، والرب يسوع والكنيسة من جهة ثانية.

لم يكن ثمة أي صيغة جاهزة.

تلمس الكاهن المكلف، مع مجموعة من الشبان والشابات لا تتجاوز الثمانية، الدرب إلى تجسيد هذه الفكرة... وبعد مداولات مطولة ومضنية، قرروا البدء ببساطة، بقداس يجمعهم حول الرب في ذبيحته العظمى... وشيئاً فشيئاً، توضحت معالم الطريق. وارتسمت خطوط ثلاثة، هي الخط الروحي، ومحوره القداس الإلهي، والخط الثقافي تشقه سلسلة من المحاضرات على مدار السنة، والخط الاجتماعي ينبع من كلا الخطين السابقين ويغتذي بهما، ويترجم إلى صداقات تريد أن تكون نقية، وخدمات متبادلة في شتى مستويات الحياة، الدراسية والعلمية والعملية والسكنية، بل والمالية.

أما القطبان الرئيسان اللذان تدور حولهما حياة أسرة الرعيّة الجامعيّة، فهما:

قطب الرب يسوع الواحد... من هنا كان تخطي أفراد الأسرة لكل تفرقة طائفية، ودعوتهم للوحدة المسيحية، يحدوهم الأمل بأن يصبحوا يوماً خميرة في كنائسهم الخاصة، ليدفعوها إلى التحرك باتجاه الكنيسة العربية الواحدة، محط الرجاء الأكبر...

وقطب الأرض العربية، التي شاءها لنا الرب مجال تجسد ودرب حياة، يفضيان إلى قيامة هي قيامة الإنسان العربي، نرى فيه الرب يسوع، وفيه نخدمه ونحبه.

كل ذلك كان يتم تبلوره خلال لقاء سنوي بات تقليداً في أسرة الرعية، نعقده في صافيتا يدوم أسبوعاً كاملاً، نقضيه في مزيج من صلاة وتأمل ومرح، ويشاركنا فيه أحياناً بعض المثقفين في القطر، نخص بالذكر منهم الأستاذ انطون مقدسي.

أمل وحياة جديدة... ورسالة...

ولكن أيضاً ثمة مصاعب...

المصاعب في الداخل، لأن أسرة الرعية تحتضن عناصر تنتمي إلى مناطق وطوائف واتجاهات وشرائح اجتماعية... مختلفة...

المصاعب أيضاً مع الكنائس المختلفة، يراها بعضهم خطراً على أبنائه... فيما الآلاف من الشباب الجامعي لا يعرفون الطريق إلى الكنيسة منذ سنوات.

والمصاعب في مواجهة المجتمع أيضاً، لأنها حديثة العهد في شرق عربي كل ما فيه، من شؤون الدين والدنيا، قديم قديم... من مفاهيم وبنى ومؤسسات وعقليات...

ومن هنا بالذات كانت رسالتها: الدعوة إلى عودة للجذور المسيحية الأولى، وإلى انتماء عربي كامل وصادق، وذلك عملاً بعقيدة التجسد، التي تحتل القلب من المسيحية.

ومن هنا أيضاً الرسالة التي طُلِب إليها مراراً أن تحملها، في نطاق محلي عربي، وأحياناً في نطاق دولي، لتسمع صوتها الجديد...

تلك هي الأسرة التي اتخذت لها منذ عام 1973، من قاعة كنيسة سيدة دمشق - التي أصبحت "قاعة السواعد" بفضل سواعد شبابها - بيتاً ومصلّى...

في أول قداس أقامته، قرئ إنجيل حبة الخردل... أصغر الحبوب... تنمو ليستظل بها كثيرون...

وها هي اليوم، وقد نمت قليلاً، بل قليلاً جداً، تستظل بجناح حبة خردل أخرى، هي كنيسة سيدة دمشق، التي زرعتها أيدٍ مؤمنة قوية، فباتت شجرة، تبدو كبيرة يستظل بها كثيرون، ولكنها تصبو لأن تصبح كبيرة، كبيرة يستظل بها العدد الأكبر من الأجنحة الباحثة عن الملكوت...

صحيح... صحيح ما قال بولس:

"ما هو بولس؟... وما هو أُبُلّس؟

"ليس الغارس بشيء ولا الساقي...

"بل ذاك الذي ينمّي... وهو الله...

"فنحن جميعاً عاملون مع الله،

"وأنتم حقل الله، وبنيان الله."

دمشق في 24 **أيار** 1983

المقال الثاني:

مع أسرة الرعيّة الجامعيّة في كنيسة سيدة دمشق

في الشرق العربي، ألف الناس أن يروا محاولات، على شتى الصعد، تقوم فجأة، ثم تنطفئ بأسرع مما قامت.

وكانت أسرة الرعية، التي شاءتها الكنيسة بدمشق، عام 1968، "حبة خردل" تحتوي أبناءها الجامعيين، من شتى الطوائف، كانت تطل، بين حين وآخر، بتقرير توافي به جميع المسؤولين الأعلين في الكنيسة، ومَن قد يهمّهم أمرها، من كهنة وعلمانيين.

وقد اتخذت لها، بعد سنوات تنقّل مزعج، بيتاً لها، تحت كنيسة سيدة دمشق، دون أن تكون وقفاً على الطائفة التي بنت هذه الكنيسة.

واتضح عاماً بعد عام، أن وجودها بات يزعج الكثيرين، حتى في صفوف أولئك الذين باركوا انطلاقتها.

وكان مرشدوها وبعض من أفرادها، يواصلون الاتصالات بإصرار وانفتاح، بأولئك المسؤولين عينهم.

ولكنهم كانوا منذ عام 1975، قد امتنعوا عن إصدار أي تقرير سنوي، مما حدا بالبعض إلى الاعتقاد بأن أسرة الرعية قد "انطفأت" كسواها من المحاولات...

أما أسباب هذين الإزعاج - غير المقصود قطعاً - والانزعاج، فكثيرة، أهمها:

<u>أولاً</u>، تأكيد أسرة الرعية في خطها وتقاريرها، على وقائع وحقائق اجتماعية - دينية تخص الشبيبة الجامعية، تبدو كأنها إدانة للمؤسسة الكنسية عامة.

<u>ثانياً</u>، تأكيد الأسرة، انطلاقاً من مرتكزها الأساسي في عقيدة التجسد، على التوجه المسيحي الشامل، الهادف إلى ربط الجامعي بالرب يسوع، بعيداً

عن أي إطار طائفي، كي يصبح بدوره خميرة في كنيسته بالذات، يحرّكها ذات يوم في اتجاه الكنيسة العربية الواحدة، المرجوة.

ثالثاً، التسرّع في إدانات قاسية واختلاقات محزنة، نجمت عما يرافق بالضرورة، كل تجديد يتلمس الدرب عبر المحاولة والخطأ، في شرق راسخ في القدم حتى التحجر.

لذا انقطعت التقارير... ولكن مسيرة الأسرة لم تتوقف... بل واصلت شق الدرب بجلد وصبر، على قلة في أفرادها ومرشديها، قد تنهض بعد مضي مثل هذه السنوات، ولكنها طبيعية بالنظر إلى تكوينها وإلى الظروف العامة، الكنسية وسواها، التي تعايشها.

ليس في نيتنا اليوم أن نقدم دراسة مفصلة عن هذه الأسرة.

إنما نود فقط، بعد ما قلناه في العدد الأخير من مجلة البطريركية عن مختلف النشاطات التي تحتضنها كنيسة سيدة دمشق، أن نكشف عن بعض جوانب الحياة في أسرة الرعية، وفي هذا العام الدراسي بالذات، نتناول فيها علاقتها بأفرادها الحاليين من جهة، وبذويهم المقيمين في دمشق من جهة ثانية، وبأبنائها "المهاجرين" للتخصص من جهة ثالثة.

لدينا الكثير لنقوله. ولكنا سنختصر.

علاقة أسرة الرعية بأفرادها الحاليين.

في نطاق الحياة الداخلية، تحاول الأسرة أن تغذّي ذاتها بما يتلاءم وغايتها الأساسية: تجذّر في الرب الواحد، وفي الأرض العربية الواحدة، في انفتاح على العالم الراهن.

من هنا كانت الخطة التي رسمها المشتركون في اللقاء السنوي، وقد عقد، هذا العام في بلودان، على مقربة من دمشق، مدة خمسة أيام، في نهاية أيلول. وقد شارك فيه الأستاذ انطون مقدسي، على عادته.

في هذا اللقاء، انصبت الصلاة والتفكير والندوات والحوار، على ضرورة العودة إلى الجذور، الكنسية والحضارية، وكذلك على مواجهة الواقع الراهن

في بعض جوانبه. حسبي التذكير بالبرنامج المرسوم، ما نفذ منه، وما هو قيد التنفيذ، ففيه الدلالة الكافية لمن يريد أن يقرأ.

- **القداس الافتتاحي في** 1983/10/14، **وقد جرت بعده محاولة تعريف بأسرة الرعية، شارك فيها بعض أفرادها ومرشداها.**
- **الثلاثاء** 1983/10/18، **القداس الإلهي، ثم لقاء مع أحد مرشديها وهو الأب يوسف بربي، حدثنا فيه عن اشتراكه في مؤتمر عالمي عقد في سويسرا، شارك فيه بضعة آلاف من الأسر المسيحية، ونوقشت فيه قضايا الأسرة المسيحية.**
- **الجمعة** 1983/10/21، **القداس الإلهي، ثم محاضرة حول "نشوء الكون" للسيد المهندس فايز فوق العادة، رئيس الجمعية الكونية السورية.**
- **الثلاثاء** 1983/10/25، **القداس الإلهي، ثم الاحتفال بخريجي العام الماضي، وتقديم التهاني لمواليد شهر تشرين الأول.**
- **الجمعة** 1983/10/28، **القداس الإلهي، ثم حديث للأستاذ انطون مقدسي حول "علاقة الرب يسوع بالعهد القديم".**
- **الثلاثاء** 1983/11/1، **القداس الإلهي، ثم عرض فيلم "غاندي" على الفيديو.**
- **الجمعة** 1983/11/4، **لقاء روحي في معلولا، ومساء القداس في بيت الأسرة.**
- **الثلاثاء** 1983/11/8، **حديث للأب الياس زحلاوي حول "الكنيسة ما بين صعود الرب ومنتصف القرن الأول".**
- **الجمعة** 1983/11/11، **القداس الإلهي، ثم الاحتفال بمواليد شهر تشرين الثاني.**
- **الثلاثاء** 1983/11/15، **حديث للأب يوسف بربي حول "الكنيسة في النصف الثاني من القرن الأول".**

- **الجمعة 1983/11/18، القداس الإلهي، ثم حديث للدكتور حافظ الجمالي حول "ظاهرة التخلف والعرب".**
- **الثلاثاء 1983/11/22، القداس الإلهي، ثم اجتماع عام للأسرة.**
- **الجمعة 1983/11/25، القداس الإلهي، ثم جلسة دردشة جماعية**
- **الثلاثاء 1983/11/29، القداس الإلهي، ثم عشاء جماعي بسيط في بيت الأسرة.**
- **الجمعة 1983/12/2، القداس الإلهي، ثم الاحتفال عائلياً بعيد القديسة بربارة.**
- **الثلاثاء 1983/12/6، القداس الإلهي، ثم عرض فيلم "الدم الأول" على الفيديو، ونقاش حول المحبة والعنف.**
- **الجمعة 1983/12/9، القداس الإلهي، ثم حديث للسيد المهندس سهيل شباط حول "آباء الكنيسة الأوائل".**
- **الثلاثاء 1983/12/13، القداس الإلهي، ثم حديث للسيد الياس طنوز، وهو من قدامى الأسرة، حول انطباعاته عن اليمن الشمالي، بمناسبة انعقاد مؤتمر عربي للإحصاء فيه.**
- **الجمعة 1983/12/16، القداس الإلهي، ثم حديث للأب الياس زحلاوي حول "الكنيسة في مطلع القرن الثالث".**
- **الثلاثاء 1983/12/20، القداس الإلهي، وجلسة دردشة.**
- **الجمعة 1983/12/23، لقاء الميلاد الروحي: رتبة توبة وحديث للأستاذ انطون مقدسي بعنوان "المسيحي في المجتمع العربي".**
- **الثلاثاء 1984/2/14، القداس الإلهي، والاحتفال بمواليد شهري كانون الأول وكانون الثاني.**
- **الجمعة 1984/2/17، القداس الإلهي، ثم حديث للسيد المهندس هاني عرنوق بعنوان "المنظومة الشمسية".**
- **الثلاثاء 1984/2/21، القداس الإلهي، ثم عرض فيلم "ايفيتا بيرون"**

بدلاً من فيلم "حذاء الصياد"، لتعذّر الحصول عليه، ونقاش حول الإنسان والحرية في العالم الثالث.

- الجمعة 1984/2/24، القداس الإلهي، ثم حديث للأب الياس زحلاوي بعنوان "من آباء الكنيسة: القديس جوستينوس النابلسي".
- الثلاثاء 1984/2/28، حوار حول بعض الآيات المبهمة في الإنجيل، يقوده طوني كردي.
- الجمعة 1984/3/2، القداس الإلهي، ثم حديث للأب الياس زحلاوي بعنوان: "من آباء الكنيسة: أوريجانوس المصري".
- الثلاثاء 1984/3/6، القداس الإلهي، ثم جلسة دردشة.
- الجمعة 1984/3/9، القداس الإلهي.
- الثلاثاء 1984/3/13، حديث للسيد المهندس برهان إبراهيم، وهو من قدامى الأسرة، حول "الاستشعار عن بعد".
- الجمعة 1984/3/16، القداس الإلهي، ثم حديث لميشيل أنطون مقدسي بعنوان "قراءة في آثار الساحل السوري".
- الثلاثاء 1984/3/20، حوار حول النصوص المبهمة في الإنجيل، يقوده طوني كردي.
- الجمعة 1984/3/23، الاحتفال بعيد الأم في حضور حشد كبير من الأهل، وذلك بالاشتراك مع أسرة الثانويين.
- الثلاثاء 1984/3/27، عرض فيلم "اليوم التالي" عن الحرب النووية، على الفيديو ونقاش.
- الجمعة 1984/3/30، القداس الإلهي، ثم جلسة دردشة.
- الثلاثاء 1984/4/3، ندوة حول المعوقين، يشارك فيها: بيبا خوري ومها مناشي، وجورج صراف وطوني عبود وحسيب اسبر، وهم ممن يساعدون أسرة المحبة في خدمتها للمعوقين.
- الجمعة 1984/4/6، حديث للأب اليسوعي روبير بندكتي حول كتاب

"مغامرة العقل الأولى" للسيد فراس السواح، و"علاقة التراث القديم بالعهد القديم".

- الثلاثاء 1984/4/10، القداس الإلهي، وأعياد الميلاد لشهري شباط وآذار.
- الجمعة 1984/4/13، القداس الإلهي، وندوة حول كتاب "لا أؤمن بهذا الإله"، يشارك فيها مترجمه الأب اليسوعي كميل حشيمي، ريما عيسى، وحنا خوري.
- الثلاثاء 1984/4/17، القداس الإلهي، وحوار مفتوح حول البرنامج العام.
- الجمعة 1984/4/22، صلاة رتبة التوبة وحديث للأستاذ أنطون مقدسي، بمناسبة أسبوع الآلام.
- الثلاثاء 1984/4/27، القداس الإلهي، ثم ندوة حول "المرأة" تشارك فيها الدكتورة آرليت قاضي حتحوت، وهشام السالم وأمل خوري.

تجدر الملاحظة، في نطاق الحياة الداخلية لأسرة الرعية:

أولاً، إن نصوص الإنجيل في القداس الإلهي، تُختار وفق الخط المرسوم، قدر الإمكان، كي تأتي الصلاة أيضاً والمشاركات الإنجيلية التي تتخللها، أساساً وامتداداً، في آن واحد، لحياة الأسرة الروحية والثقافية، وبالتالي الاجتماعية.

ثانياً، إن الفترات التي نتوقف فيها عن أي نشاط ثقافي، بسبب الامتحانات، النصفية أو النهائية، لا ننقطع فيها البتة عن إقامة الذبيحة الإلهية، فهي أساس حياتنا، حتى خلال العطلة الصيفية.

ثالثاً، إن تغيب كلا المرشدين عن اللقاءات - وإن كان ذلك يحدث نادراً - لا يسبب إلا الانقطاع يومها عن الذبيحة الإلهية، إذ إن الأسرة تجتمع تلقائياً لتعيش المشاركة الإنجيلية.

رابعاً، إن هذه الحياة الداخلية، نحاول أن نترجمها إلى نشاط يمتد إلى

مختلف الأسر التي نبتت تحت جناح كنيسة سيدة دمشق، أو التي اتخذت منها بيتاً لها: أطفال جوقة أبناء الفرح، أسرة الثانويين، أطفال التعليم المسيحي، رسالة الأولاد، المسرح الملتزم، جوقة الفرح، أخوية مريم... ثمة مجالات اجتماعية يمتد إليها هذا النشاط، كخدمة المسنّين، في بعض الأحياء الفقيرة، أو المعوقين، وذلك بالتعاون مع جمعية المحبة، أو قرية الأطفال (اس. او. اس) كما في السابق...

علاقة أسرة الرعية بأهل أفرادها.

أسرة الرعية محاولة جديدة، في صلب مجتمع قديم.

وهي، ككل جديد، اصطدمت وتصطدم بالمجتمع، وعلى رأسهم الأهل طبعاً.

لسنا الآن بصدد مناقشة هذا الواقع أو تقييمه، إنما نحن نشخص الواقع وحسب.

وعندما نقول الأهل، لا نعني الوالدين والأشقاء الكبار وحسب... ولكنا نعني أيضاً ما تعنيه كلمة الأهل في شرق تمتد شبكة العائلة فيه، إلى كل قطاع وكل عمق.

وفي شرق يتزيى بالجديد، ولكنه ما زال يجتر الماضي بألف شكل وشكل، بل ويقدسه حتى في أبعد أشكاله عن التقديس، يصبح كل جديد لا موضع شك وحسب، بل موضع اتهام قاطع لا يرحم.

وفي شرق يسيطر عليه الجنس، كبتاً قاتلاً وشكّاً مستديماً، يبدو الاختلاط فيه، حتى تحت جناح الكنيسة، مثاراً للاتهامات، وميداناً للاختلاقات الرخيصة، وأحياناً المغرضة.

صحيح أن بعض الأهل تجاوز هذا الجو الموبوء...

صحيح أن بعضهم أيضاً خبر بنفسه نتيجة هذا التعايش، الذي يحاول أن يكون نظيفاً، في أسرة الرعية، على أبنائه وبناته، حتى بات أحياناً كثيرة يلجأ بصورة تلقائية إلى مرشديها...

صحيح أيضاً أن العلاقة بين المرشدين وبعض أفراد الرعية من جهة، وبعض الأهل من جهة أخرى، باتت أكثر من عائلية، إن جاز التعبير...

ولكن الصحيح أيضاً أن كل ذلك لا يجعل المجتمع برمته يفهم حقيقة ما نعيش، أو يتفهم ضرورة حدوث بعض الهنات في هذا المجال أو في ذاك...

لذا يظل - وسيظل لفترة طويلة - الحكم جائراً... وتظل المواجهة صعبة على كل صعيد...

ومع ذلك فإن قوة الرب تتغلب، لدى هذا الشاب أو تلك الفتاة، لا على الرأي الاجتماعي المحدود وحسب، ولكن حتى على مقاومة أهل يرفضون كل علاقة لهم ولأبنائهم، بكل ما يمت إلى الله والكنيسة بصلة...

من هنا كانت ضرورة الإكثار من لقاء المرشدين بالأهل... ولكن مثل هذا الأمر ليس بالشيء السهل، بسبب ضغط العمل الذي يعيشه المرشدان، داخل أسرة الرعية وخارجها...

وكان أيضاً من الضروري تعريف الأهل بأفراد الأسرة، الذين يسير ابنهم أو ابنتهم، وإياهم، على دروب الرب، في نطاق أسرة الرعية...

وحصلت زيارات، بسبب وبغير سبب: مرض... سفر... عودة... فرح... حزن...

وحصلت وتحصل اتصالات هاتفية كثيرة، تنسج خيوط شبكة المحبة والصداقة والثقة...

وحاولنا في السابق أن نقيم بعض اللقاءات في بيت الأسرة، مع الأهل... ولكن بدا لنا عندها أن الأمر لا يعني الأهل كثيراً... ربما لخطأٍ منا، أو ربما أنهم لا يتوقعون من أبنائهم وبناتهم أن يقدموا شيئاً يُذكر في هذه اللقاءات...

وأخيراً جرت هذا العام محاولة، بمناسبة عيد الأم، كانت في الحقيقة ضربة معلم...

إلا أن الفضل في نجاحها، ونقول ذلك بكل صدق، يعود خصوصاً إلى أسرة الثانويين التي يشرف عليها سامر خلف وملك صروف ورنا مسوح وجوديت حداد ولينا خوري، وكلهم تقريباً من أفراد الأسرة القدامى والحاليين.

فقد قامت أسرة الثانويين بحملة تعرف على الأهل منذ نهاية الصيف الماضي، إثر لقائها السنوي في الزبداني، متّنت العلاقات بينهم، وزادت الأهل ثقة بالأسرة ومحبة لها.

تضافرت إذن جهود أسرة الرعية وأسرة الثانويين - علماً بأن فيها العديد من الجامعيين، الذين بات انسلاخهم عن إخوتهم في الأسرة، أمراً صعباً، على الرغم من اقتناعهم بضرورة العمل كلياً في نطاق أسرة الرعيّة الجامعيّة - في سبيل إنجاح اللقاء مع الأهل.

يقول المثل العامي: "الأم بتلمّ"...

ما أروعك أيتها الأم... كيف لمتنا، وكيف استجبت للرسالة التي وافاك بها أبناؤك وبناتك في كلتا الأسرتين.

هذه الرسالة، نوردها كاملة، لما تنطوي عليه من إشارات وكلمات ذات دلالة بعيدة:

« أهلنا الأحياء،

"كثيراً ما وجّعنا راسكم بذكر اسم الرعية، أو الرعية.

"وقلما جلسنا وإياكم لنحدثكم عنهما...

"وقد لاحظتم كثرة ترددنا عليهما... حتى تضايق الكثيرون منكم دون شك.

"ولكن قلب الأم وقلب الأب وُجدا ليتحملا بكل حب وصبر... ريثما يتسنى لنا أن نتعلم

"بدورنا، إبان أبوتنا وأمومتنا، أن نتحمل مثلكم وعلى غراركم...

"واليوم في ذكرى عيد الأم... والأب، في ذكرى الأسرة، أحببنا أن ننظم لجميع ذوينا، لقاء يضمنا "تحت جناح الكنيسة، أسرة كبيرة واحدة، نقدم لكم خلاله، بعض محبتنا، ونعرفكم فيه على بعض جوانب حياتنا في أسرة الرعية...

"لعل الفرح يغمرنا جميعاً عندها بالمزيد من الثقة واليقين بأننا في أسرة الرعية، إنما

نتعلم "الإيمان والمحبة... ولكن ربما على طريقتنا الخاصة التي تختلف بعض الشيء عن طريقتكم، دون أن تعارضها...

"فهلاّ ملأتم قلوبنا بالفرح، بالاشتراك معنا بهذا اللقاء الذي لولاكم، لما كان له مبرر.

"فكل عام وكل أم وكل أب بألف خير وفرح وعافية...

"وإلى اللقاء يوم الجمعة... 1984/3/23، الساعة الخامسة، في قاعة السواعد، في كنف كنيسة "سيدة دمشق.

أبناؤكم في أسرة الرعية »

كتبت الرسالة باليد، بخط جميل مثير... وصورت، وأرسلت باليد أيضاً، للأهل، في مغلفات خاصة. وطلب إلى أفراد الأسرتين أن يُلحّوا بعض الشيء على ذويهم، للاشتراك في اللقاء.

وغصّت القاعة بالحضور، قاعة السواعد...

واستمرت الحفلة من الخامسة حتى الثامنة والنصف...

افتتحت بتعريف لأسرة الرعية وأسرة الثانويين، شارك فيه الأب يوسف بربي، وبعض الشبان والشابات، بكلمات بسيطة، لا تخلو بالطبع من التردد والتلعثم، ولكنها انسابت إلى القلوب.

ثم قدّمت فقرات اللقاء من تمثيليات وأغان ورقصات وقصائد وعزف...

في الختام، جاء الأهل يهنئون بعضهم بعضاً ويهنئون المرشدين... فكانت كلمة واحدة تردد بعفوية تامة: شو هذا؟... ما كنا نعرف ولادنا... نيالهن على هالجو!...

حسبنا هذه الشهادة.

الدرب طبعاً طويل وشاق... ولكن لا بد من زرعه دوماً ببذور الثقة والنقاء والمحبة... فليس كالثقة أساس للعمل في مثل هذا النطاق... وما أحوجنا إلى دروب تزهر جنباتها بالفرح!...

علاقة أسرة الرعية بأفرادها "المغتربين" للتخصص.

لنلاحظ:

أولاً، إن أسرة الرعية ليست سوى محطة عابرة على درب الطلبة الجامعيين، إما طوال دراستهم، وإما خلال دراستهم. وهي تأبى أن تكون غير ذلك. فما إن ينتهي الطلبة من الدراسة، حتى يعودوا إلى دورة الحياة الطبيعية في المجتمع، إلى مدنهم وقراهم، إلى خدمة العلم، أو إلى عمل حر أو في مؤسسة حكومية، أو إلى بيت أصبح... البيت الزوجي!... والجميع، في نطاق الصلاة، يعودون إلى كنائسهم المختلفة، ويمارسون فيها نشاطاً ما... فيما كان الكثيرون منهم في السابق لا يعرفون دروب الكنائس بالمرة... وقد يحاول بعضهم أن ينشئ، ضمن كنيسته وطائفته، وبالتعاون مع أسرة الرعية، أسرة جامعية أخرى. وهذا بالذات ما حدث داخل طائفة السريان الأرثوذكس، بمبادرة إبراهيم عبدلكي، وبمساعدة كل من منصور إبراهيم وجورج كردي.

ثانياً، إن العديد من أفراد الأسرة وُفّق بالسفر إلى الخارج للتخصص. وهم اليوم متناثرون في شتى أنحاء العالم، شرقية وغربية، فيما عاد بعضهم إلى الوطن وقد أنهى تخصصه.

ثالثاً، إن أسرة الرعية تحاول، ما أمكن، الحفاظ على خيوط المحبة والصداقة، ولا سيما مع أولئك الذين ما زالوا يتخصصون، وحتى مع الذين، خلافاً لخطّها وتصميمهم السابق، آثروا أن يستقروا في المهاجر.

العلاقة إذن قائمة ومستمرة.

وهي متبادلة، بكل ما في كلمة تبادل من معنى، مادياً ومعنوياً.

وهي تترجم من كلا الجانبين، بالرسائل والزيارات والخدمات المختلفة...

أما رسائل الأسرة، وإن كانت تلتزم بإيقاع الأعياد، كالميلاد والفصح، فهي تتسم دائماً بطابع شخصي. إلا أن معظم الرسائل الصادرة عن الأسرة، رسائل شخصية، تسجِّل عبر الأشهر والسنوات، مراحل تطور الأسرة والأفراد معاً.

وقد ينقطع بعضهم عن المراسلة لأسباب كثيرة، لا علاقة للأسرة بها... وقد يتقاطع بعضهم لفترة، بسبب التشديد عليهم بضرورة العودة إلى الوطن... إلا أن المحبة والحنين إلى الأسرة يتغلبان، فتربط المحبة مجدداً ما انقطع في لحظة تأزم أو "هروب"...

ومن الرسائل ما يمكنه أن يكون، لو نشر، مدرسة قائمة بذاتها للطلبة العرب، الذين يقصدون الخارج للتخصص.

لعله حان الوقت لإيراد بعض مقتطفات منها، فهي خير ما أختم به هذا الوصف الوجيز.

كتب أحدهم من باريس يقول:

« حالتي لا بأس بها رغم كل شيء. تمرّ عليّ لحظات قاسية، لكنها لا تصل إلى اليأس، لأنه الموت. "أنا أشعر، وهذه حقيقة، أني أعيش في كل لحظة. إن الوقت يمر بسرعة، وبسرعة هائلة أقيسها "بالنسبة لما أعيش. فأرى أن تجربتي تستمر وتطول وتصل في بعض اللحظات لحد الاختلاط. "ولكني ما زلت طامعاً بالمزيد. في كل مرة تخطر ببالي فكرة أحدد نفسي بها، تتلوها أفكار عن "إمكانيات كثيرة أخرى في مجالات كثيرة من المعرفة والحياة. أما إلى أين، فلا أعرف، لأنني في "اللحظات التي كنت أعرف فيها، كشفت لي اللحظات التي تلتها، خطأ معرفتي. إنما رغبتي واحدة: "هي أن أعرف أنه حيثما أذهب، فليس نحو الموت، ولا هرباً من الموت. هذه رغبتي، وقد أكون بقولي "هذا مخطئاً. »

وكتب آخر من بريطانيا يقول، وهو أرمني:

« دعني الآن أشكرك وأفراد الرعية على بطاقة الميلاد الموقعة بأكثر من عشرين توقيعاً. لقد أثلجت، والحق أقول، نفسي. أهناك كل هؤلاء الناس الطيبين في الرعية؟... ولا زالوا يذكرونني أيضاً؟... الحق أقول: لقد أخجلتني كثرة التواقيع، إذ إن بعض الأسماء والوجوه، قد غاب عن ذهني، وبعضها بهتت معالمه. ولكن دعني أكرر أن استلام البطاقة كان حدثاً مفرحاً، أكد على صلة ربما بدت

واهنة لطول الانقطاع. فشكري الصادق للرعية على البطاقة. وشكري لكل الموقعين على البطاقة فرداً فرداً، زميلات وزملاء. سلامي الخاص للأب بربي. في جلسة عمل في صافيتا!... هل لي أن أعتذر عن عدم إرسالي أي بطاقة لكم؟ ليس لي عذر سوى غمّ نفسي وانقباضي لفترة طويلة. قد تعذرني إن علمت أني لم أستطع حتى إرسال بطاقة لأهلي. ولكنهم، "وأنت يا أبونا، والرعية، كنتم في فكري، واسمح لي أن أقول: في صلاتي أيضاً. »

ومن بطاقات الأعياد في الميلاد، هذه البطاقة، من فتاة تواصل تخصصها في الولايات المتحدة:

« جاء يسوع هذا العام كعادته... ونحن نتلهف لقدومه في صلب حياتنا وقلوبنا...

"جاء ونحن في لجة الانتظار، لأننا دائماً ننتظر الرب، ونحيا في أمل عطائه اللامتناهي لنا...

"ماذا احضر لنا؟... ماذا خبأ لنا؟

"مغارة... مذود... دفء... نور... نور نجمة ساهرة...

"خراف... وقش... وحطب...

"لقد أحضر كل شيء... لقد أحضر أعظم شيء...

"عاش في قلوبنا المشتاقة له من جديد...

"أحضر ذاته...

"أحضر النور، نوره الذي لا ينطفئ... »

ومن باريس أيضاً، هذه الكلمات المعبرة، لشاب طبيب:

« أريد أن أقول كلمتين:

"لقد زرعت أسرة الرعية نبتات خضراء تستشم الأمل، وتتجه إلى حيث الضوء، في صحراء مقفرة مظلمة. وثق تماماً يا أبونا أنها ستستمر في الحياة التي أعطتها إياها، كشوك الصحراء الذي يقاوم كل حر وكل عطش وكل موت...»

ورداً على بطاقتنا الجماعية في ميلاد عام 1983، جاءتنا رسالة مدهشة من كاهن صديق اسمه الأب حليم عبدالله، وهو لبناني ماروني مقيم حالياً في فرنسا. نوردها بالحرف الواحد، ولكم كنا نود لو تنشر مصورة:

« أخواتي، إخوتي،

"من الخوري حليم إلى الأبوين الياس ويوسف، وإلى الأخوة والأخوات: راجي، وحنان، وعطية، "وسمير، وميشيل، ورويدة، ومها، وسامي، وجوني، وتوفيق، وهاني، وسناء، وماجدة، ورانيا، ونبيل، "وحنا، وميشيل، وأيضاً إلى الذين لم أستطع أن أقرأ أسماءهم، شكر ومحبة وسلام بالرب يسوع.

"إن البطاقة التي تحمل أسماءكم وتمنياتكم، باقية أمامي تذكرني في ساعات المصاعب والمتاعب، "أنني لست وحدي. لي أخوة وأخوات يقفون قدّام، رافعي الأيدي "كتقدمة المساء". وتذكرني أيضاً "بالتزاماتي تجاه أخوة وأخوات "مشرورين" في حقل العالم، يواجهون مصاعب، ومحناً، لتجسيد "المسيح في حياتهم وفي محيطهم. فالتجسد هو بدء الخلاص.

"وخطيئة المسيحيين، في نظري، أنهم خافوا التجسد في الشرق، فتعلّقوا بالغرب. فعُدّوا في أعين "الشرق عملاء، وفي أعين الغرب مَوالي. فالشرق نبذهم واضطهدهم، والغرب المادي العاهر "استغلهم مطية لكي ينفذ إلى الشرق ويعبث به. فنحن اليوم بحاجة إلى أبطال مثلكم يقولون "للغرب. نحن من الشرق ولَهُ (يعني: حلّ عنّا!)، وللشرق: نحن معك متضامنون، ولنا عليك حق "أن تقبلنا مسيحيين. وإذا لم يحصل ذلك، فالمسيحيون والمسلمون – في نظري – يُسهمون من "حيث لا يدرون في تحقيق أهداف الصهيونية العالمية: شرذمة المسيحية والإسلام معاً، وضربهما "الواحدة بالأخرى للقضاء عليهما. فمن يَعش في الغرب ويراقب، يرَ هذا العمل الخفي الدؤوب، "الذي تقوم به الصهيونية العالمية لتقويض الاثنين معاً، والهيمنة على العالم كله في كل "القطاعات.

"أجدد لكم شكري وامتناني. وأؤكد لكم اتحادي معكم في الصلاة من أجل شرقنا المعذب. وسلمتم إلى أخيكم في الرب حليم عبدالله. »

ثمة رسائل أيضاً تصلنا، وهي تحتضن صورة طفل أو طفلة، مرفقة بكلمة "منه" أو من والديه. حسبنا أن نور نموذجين منهما، لست أرى أي حرج في إيراد الجواب الكامل على إحداهما.

هوذا النموذج الأول، الوارد من الولايات المتحدة باسم "نينا فكتوريا":

« باركنا يا أبت فقد أصبحنا ثلاثة بقدوم ملاكنا الصغير "نينا فيكتوريا" 28 أيلول 83

والوزن 4 كيلو

والطول 21 إنش (كل إنش 52. سم)

والأصابع طويلة والبال طويل والطبع هادئ. تنقص الصلوات والبركة مع كل محبتنا وأشواقنا، آملين لك الصحة.

وكل التوفيق مع سلامنا للجميع.

الياس وفاء ونينا »

أما النموذج الثاني، فقد تضمن صورة لطفل، كتب على قفاها "بيده":

« إلى أبينا وصديقنا زحلاوي.

"أقدم لك نفسي بتواضع

"سُميت ريام... وكنيتي عبدالله... ريام اسم يمني عربي قديم...

"حماني الله من معارف والدي التاريخية، وفزلكات أمي النفسية...

"أريد أن أنضم فوراً لجوقتكم...

"مواليد 1983/8/5، في باريس...

"قوي، أحب الرضاعة، أتمتع بذلك، أحاول التكيف قدر الإمكان مع هذا العالم.

"عمري في الصورة يومان فقط. »

وكتب له أحد مرشدي أسرة الرعية يقول بالحرف الواحد:

« حبيبي ريام،

"أكبرت فيك الذكاء، فآثرت أن أكتب لك مباشرة، لئلا يُشوّه والداك ما أريد

أن أقول لك... فالكبار لهم دوماً لغة خاصة، يقرأونها في عقولهم المعقدة، ويدعون عيونهم "تفك" الحروف الخارجية ليس إلا... فيُسقطون عليها الكثير مما كتبه في أعماقهم تاريخ طويل طويل، أنت قادم من ثناياه... فلماذا لا أخاطبك مباشرة بهذه اللغة المشتركة التي بيني وبين الأطفال، وتلك أيضاً التي بينك وبين التاريخ؟!

"ريام... تساءلت وأنا أقرأ اسمك، ما إذا كان الوالد في "علمه للتاريخ"

"لم يخطئ في كتابة اسمك... فالكتابة القديمة محاها قليلاً الزمان وصروف الدهر... وقد يكون أيضاً دخلها بعض التزوير... لذا تصوّرت أن اسمك ينبع من صميم التاريخ العربي القديم... وأنت ابن اليمن القديم الذي كان يسمى، إن لم تخنّي الذاكرة، باليمن السعيد... والتاريخ العربي القديم كله "وئام"! لذا تصوّرتك "وئام" لا "ريام"... فأرجو أن تفيدني عن حقيقة اسمك كي أعرف بعد اليوم، كيف أناديك دون أن أمس شعورك العربي القديم، يا ابن اليمن السعيد...

"وأكبرت فيك رغبتك في الانضمام إلى الجوقة التي، في صغر عقلي وثقتي العمياء بالإنسان، أنشأتها في دمشق العربية اليوم... إلا أني أريد قبل كل شيء أن أختبر صوتك بنفسي، وليس من خلال الإعلام المعروف لدينا... وكل ما أخشاه ألا يقارب صوتُك صوتَ من نسمع على الأثير، من أصوات عربية، بتنا لا ندري من أين تأتينا... لذا أرجو أن تتاح لي الفرصة قريباً – أرجو ذلك – لألتقي والديك وأستمع أولاً إلى صوتهما، ثم إلى صوتك، خشية أن يكون ما في صوتنا العربي اليوم من تزوير قد تسرب إلى صوتك... وإلا، فعلى الرغم من محبتي لك ولوالديك وللإنسان فيك، فلن أقبلك في الجوقة، ولو هدّدتني قبائل اليمن القديمة والحديثة مجتمعة...

"ويبدو أنك كما تقول لي: قوي!... احتفظ بقوتك، وخصوصاً من خلال تمسكك بثدي أمك... تمسك به بقوة... واستمتع بذلك إلى أبعد حدود الاستمتاع... فقد ترسخ لديك العادة مع الحليب، ومع الدفء الداخلي، ومع

الصدر الحنون، بالتمسك، عندما تكبر، بصدر تلك الأم الكبيرة الكــبيرة، الــتي بات أبناؤها اليوم يتخلّون عنها بأسرع مما يتخلى الإنسان عن برازه!

"أحبك يا ريام – وئام...

"وأحب أختك عُلى...

"وأحب والديك فيصل ورفاه...

"وأحب من جمعني بهما وبكما. ربي وأرضي – أمي...

"أقبلكم من عيونكم بكل ما في عيوني من شوق إليكم...

أخوك الصغير الأب الياس زحلاوي »

أطلت...؟

ربما...!

ولكن هل يُلام إنسان إن تحدث عمن يحب؟ بل اللوم على من سأله ذلك!

في 1984/4/4

الأب الياس زحلاوي - كنيسة سيدة دمشق

الفصل السابع

إنجاز أم إعجاز؟

رويت في كتابي السابق "قد يكون لي ما أقوله"، قصة إقدام "أسرة الرعيّة الجامعيّة" على استصلاح قاعة كنيسة سيدة دمشق الجديدة، ما بين يوم 1977/12/4، ويوم 1978/12/4، بحيث باتت حتى اليوم قاعة متعددة الاستعمال، بعد أن كانت لا تصلح لشيء إلا لأن تكون "مستودعاً"، كما وصفها المهندس الدكتور ميشل سالم العيسى، أمام لجنة من أحد عشر مهندساً، اجتمعوا ليبدوا رأيهم في إمكانية استصلاحها، بناء على رغبة البطريرك مكسيموس الخامس حكيم، وبحضور نائبه آنذاك، المطران الياس نجمة.

وإني لأجد بكل صدق وأمانة، أن ما رويته في كتاب "قد يكون لي ما أقوله"، لا يعفيني من ذكره هنا، بل يلزمني به، تعميماً لمعرفته، وتأكيداً صارخاً على إيماني بشبيبتنا الجامعية، وبقدرتها على البذل دون حدود. ولسوف أقتطف من ذاك الكتاب، من الصفحات ما يتعلق حصراً باستصلاح الكنيسة، أي الفقرة الأخيرة من الصفحة 329، حتى منتصف الصفحة 335 منه. وإني لأنقلها بحرفيتها، في الصفحات التالية.

« وبقيت عقبة القبو الكأداء. وكان هو "المحرّم" الأكبر. وظلّ "موّال" استصلاحه يصدح في رأسي، ولم يكن هناك من يسمع. وكانت أسرة الرعية الجامعية تُقيم فيه القداس، يوم الجمعة بعد الظهر، ثم تتابع فيه اجتماعاتها أو محاضراتها، على علاّته. وكان عيد الأسرة السنوي، وهو يقع دائماً في الرابع من شهر كانون الأول من كلّ عام. وقد أَلِف الشبّان والشابّات أن يقدّموا فيه بعض اللوحات المسرحية، وأن يُلقوا بعض القصائد أو بعض القصص، وكلّها محمّلة برموز المحبّة والتضحية، لأنّ ذلك اليوم هو يوم عيد القدّيسة بربارة والقدّيس يوحنا الدمشقي، وكلاهما اسم كبير في عالم الشهادة والعيش المشترك بين المسيحيين والمسلمين. وفي يوم الرابع من كانون الأول عام 1977، أقيم الاحتفال بحضور الأستاذ أديب اللجمي، وكان آنذاك أميناً عامّاً لوزارة الثقافة، وكان يعترف لي ولصديقه انطون المقدسي، بأنّ أسرة الرعية الجامعية تشكّل في نظره "بؤرة رجاء كبير في دمشق". وكان حاضراً أيضاً عددٌ من الفنانين والأدباء، بينهم صديقي رياض عصمت. إلاّ أنّ عدد الشبّان والشابّات الذين دخلوا القاعة يومها، بلغ، تبعاً للبطاقات المعطاة، سبعمائة! وكنت قد ألححت على المطران الياس نجمة، الذي كان نائباً للبطريرك الحكيم، أن يحضر، وأتى، فاكتشف بأمّ عينه ما كنت أردّده على مسامعه ومسامع البطريرك، من أنّ القاعة بوضعها الراهن، بحاجة قاهرة لعملية استصلاح. واعترف لي بذلك. واتفقتُ معه على القيام سريعاً بزيارة للبطريرك، يُطلِعه فيها أمامي على ما وصل إليه من نتيجة لا مفرّ منها. وهكذا كان. وبعد أخذ ورد، وافق البطريرك، بحضور المطران، على تخفيض أرض القبو، ضمن شرطين اثنين، الأوّل أن توافق على التخفيض لجنة من المهندسين، يكون على رأسها، المهندس المنفّذ، كي يتثبّتوا من أنّ أساسات الكنيسة تُجيز الحفر، ومدى هذا الحفر، والثاني كان عدم مطالبة البطريركية بأية مساهمة في النفقات المترتّبة على الحفر أوّلاً، ثم على إعادة تأهيل القبو. فرحّبت، وكان جوابي: "سيّدنا، اعتمادي على الله، وعلى الشباب!". وجاء جوابه: "ولكن الشباب سيتخلّون عنك!" فقلت له ضاحكاً: "سترى!" وأجريتُ الاتصالات بسرعة مع عدد من المهندسين، فبُلِّغتُ ضرورة إجراء

سبر للكشف عن عمق الأساسات. وأُجري السبر بسواعد الشبان، وبإشراف مهندس يدعى "ادكار زكرت"، كان قد عاد حديثاً من ألمانيا الغربية آنذاك، وكان قد تحمّس كثيراً لهذا المشروع، وتشبّع من ضرورته ومن حاجة المنطقة كلّها إليه، بحيث إنّه أبدى استعداده التام للإشراف بنفسه، وعلى نحو دائم، على الحفريات، وعلى سائر الأعمال المترتّبة على تجهيز القاعة حتى اكتمالها، ودون أي مقابل! وعُقِد اجتماع ضمّ اثني عشر مهندساً، مسيحيّين ومسلمين، وقد جاؤوا كلّهم طواعيةً، وكان على رأسهم المهندس المنفّذ! وكشفوا عن نقطة السبر، فتبيّن لهم أنّ الحفر ممكن، إلا أنّ التمديدات الكهربائية الأساسية، كانت قائمة على عمق متر واحد، فتقرّر التخفيض حتى تسعين سنتمتراً. وهنا لا بد لي من أن أذكر كلمتين، حسمتا الموضوع لصالح الحفر. فالأولى قالها المهندس الذي صمّم ونفّذ القصر العدلي بدمشق، عند الكشف عن نقطة السبر. قال: "إنّ ما وُضِع في هذا القبو من إسمنت وحجارة، يصلح لمهبط مطار!". وأما الثانية، فقد قالها صديقي المهندس الدكتور ميشل سالم العيسى، في ختام المداولات كلّها: "هذا القبو، إذا لم يُحفَر، لا يصلح إلا لشيء واحد: أن يكون مستودعاً!".

وأخبرت أسرة الرعية الجامعية بالموافقة على الحفر. فأبدى الكثيرون استعدادهم للمشاركة في أعمال الحفر. فاشترينا بعض الأزاميل، المختلفة الأشكال، وكذلك عدداً من المطارق الحديدية، وباشرنا بقلع الرخام. وكنت بالطبع، مع المهندس ادكار زكرت، في طليعة المتطوّعين. وكان العمل يتواصل طوال أيام الأسبوع، وكان الطلاب يرتّبون مجيئهم، تبعاً لبرامجهم الدراسية. وقد كنّا، منذ اليوم الأول، عملنا بنصح المهندس ادكار، ففرزنا الرخام، بين سالم ومكسور، وكنّا ننظّفه كلّه من كل ما كان عالقاً فيه من تراب أو إسمنت. وقد أدهشت كمية الرخام السالم، مهندساً صديقاً زارنا ليتفقّد الورشة، فقال: "لكأني بالشباب قد فكّوا الرخام بريف عيونهم!". ثم انتقلنا إلى مرحلة حفر الأتربة والإسمنت. ولكم فوجئنا عندما وجدنا أنّ كثافة الإسمنت، عند أعلى نقطة في القبو، تبلغ ستين سنتيمتراً، وأنّ

فراشاً من الحجارة الكبيرة، يغطي مساحة القبو كلّها... وعندها اكتشفنا حاجتنا إلى حفارة كهربائية. فاتصلتُ بزوجة المتعهّد فؤاد تقلا، السيّدة منى مسمار، إذ كانت تُنشِد في جوقتي الأولى. فأرسل لنا على الفور حفارة كهربائية، وعاملاً مختصّاً بها، فأنجز عمله في ثلاثة أيام، حيث قطّع المساحة الإسمنتية الواسعة، إلى كتل صغيرة، ترتّب علينا تقسيمها إلى قطع صغيرة، بواسطة مطارق حديدية كبيرة، كي يسهل علينا حملها إلى الشاحنات الكبيرة. وكانت عملية ترحيل الأتربة والإسمنت والحجارة، تتمّ يوم الجمعة، إذ كان يحضر في هذا اليوم، عدد كبير جداً من الشبّان والشابّات، لا يقلّ عن ستّين، وكان أحياناً يبلغ الثمانين. وكانوا كلّهم يتوزّعون إلى ثلاث فئات: واحدة من الشبّان لمواصلة الحفر، وواحدة مختلَطة من شبّان وشابّات، لنقل القفف المعبّأة إلى الشاحنات، وواحدة لتقديم الشاي طوال النهار "للعمال"، ثم لتحضير المجدّرة والسَلطَة للغداء، الذي يشارك فيه الجميع، بما فيهم سائقو الشاحنات الثلاث ومعاونوهم! وكانت الشاحنات تأتينا مجاناً، بفضل والد إحدى الصبايا، واسمه أسعد يعقوب. كما أنّ شابّاً شهماً من صيدنايا، يدعى جورج عازر، كان يأتينا مع شاحنته كل يوم جمعة. وقد تواصل هذا العمل دون انقطاع، مدة لا تقلّ عن عشرة أشهر.

ثمّة حدث هام برز خلال الحفر، لا بد من التوقّف عنده. فقد تبيّن لنا وجود خلل في التمديدات الصحية الخاصة بالكنيسة وملحقاتها، تسبّب في تسرّب كمّية كبيرة من المياه في أساسات البناء. وقد أرعبني الأمر عندما اكتشفناه. إلا أنّ المهندس "ادكار زكرت" طمأنني ودعاني لشكر الله، لأننا قمنا بالحفر. وإلا فقد كانت الكنيسة، بعد فترة طويلة أو قصيرة، انهارت، بفعل تسرّب المياه الكثيرة إلى أساساتها! وبالمناسبة، لا بدّ لي من الإشارة إلى أنّ هذه القاعة الكبيرة، وهي بطول 26 متراً، وعرض 16 متراً، قد حرصنا على تزويدها بمجرور يعمل كهربائياً.

خلال هذا الوقت، كنت أواصل تدريسي في الجامعة، وفي المعهد العالي للفنون المسرحية. وأحبّ أن أذكر أنّ طلاب المعهد سألوني ذات يوم، عن النص الجديد الذي

كنت أكتبه، فحدّثتهم عن "مسرحية جديدة، استثنائية، أكتبها مع الشبيبة الجامعية، بالتراب والإسمنت والرخام"... وحدّثتهم عن عملية استصلاحنا لهذه القاعة، كي نجعلها في يوم قريب ملتقى ثقافياً لكلّ راغب. فجاء بعضهم وشاركنا العمل في القاعة.

وكان هناك من الأصدقاء مَن يتابع عملنا في شغف كبير، وأخصّ بالذكر منهم انطون المقدسي، وصديقنا المشترك أديب اللجمي، وكان يومها أميناً عاماً لوزارة الثقافة. وكنت أحيط المقدسي علماً بتطوّر العمل. وأما أديب اللجمي، فقد بلغ من حماسه أنه جاء ليطّلع بنفسه على العمل. فما إن دخل ورأى ما رأى، حتى التفت إليّ وقال: "أب الياس، هذا عمل جبابرة! أهنّئكم على إقدامكم عليه!" ويومها أَنساني كلامُه الطيب والصادق هذا، ما كان قاله لي، قبل فترة وجيزة، الوكيل الوحيد الذي زار الورشة على نحو مفاجئ، طوال هذه الأشهر، والذي ألقى نظرة سريعة من علُ، ثم قال: "ماذا تُراك فعلت؟... مجرّد كأس ماء دلقته على الأرض!" وخرج.

وطرح الصديق أديب اللجمي العديد من الأسئلة، ومنها كيفية تغطية النفقات المترتّبة على هذا العمل... فدهش عندما علم أنّ العمل كلّه قائم على التطوّع، بدءاً من المهندس ادكار زكرت، إلى الشبيبة الجامعية، وانتهاء بالشاحنات، وأنّ الكلفة الوحيدة كانت تخصّ ما اشترينا من مطارق ومناكيش ورفوش وأزاميل وقفف، وما قدّمنا من مكافأة لعامل الحفارة الكهربائية. وقد سُرّ إذ علم أنّ من الأصدقاء من كانوا يحملون إليّ بعض المبالغ، مساهمة منهم في نفقات عمل، لم يكن بمكنتهم المشاركة فيه، بحكم سنّهم أو مركزهم! ولكم ضحك عندما علم أني كنت أأتمن على هذه المبالغ، رئيسة راهبات البيزنسون، الأخت "بيرانتيد"، في حال حدوث أي طارئ لي، وذلك بمعرفة صديقي المهندس ادكار. وكان منه، في ختام هذه الزيارة، أن وعدني بتجهيز القاعة، بمجموعة من "الأنوار الكاشفة" (البروجكتورات) الضرورية لِمنصّة المسرح، في حينها. وقد نفّذ ما وعدنا به.

وكان أن جاءنا أيضاً، المهندس فؤاد تقلا، فوقف مدهوشاً أمام ما رأى. وقبل أن

يغادر، تعهّد لي بجميع التمديدات الكهربائية لإنارة القاعة كلّها، ومِنصّة المسرح. وهو أيضاً كان عند وعده.

ولما آن أوان التبليط، اتصلتُ بصديق عتيق كالذهب، كان قد جمعني به سمير سلمون، وتعاونّا طويلاً في فرقة "هواة المسرح العشرون"، أعني به "ألبير حلال". وهو معلّم في مهنة التبليط. فأتى مع كامل ورشته، بما فيها ولداه منصور وسمير. وفرشوا القاعة بالبلاطات نفسها، التي كنا اقتلعناها قبيل سنة، ولم يحتاجوا إلى مزيد من رخام. وعندما هممتُ بالمحاسبة، قال لي: "أبونا الياس، ألا يحقّ لي أنا أيضاً مع أولادي، أن أتبرّع مثلك ومثل هؤلاء الشباب، لخدمة الكنيسة والمجتمع؟... أمّا هؤلاء العمال، فليسوا ملزمين مثلنا، وهم وعيالهم بحاجة!". وهكذا كان!

وعندما اكتملت القاعة، وتمّ تجهيز المنصة المسرحيّة، اتفقت مع أفراد الرعية الجامعية، ومهندسنا ادكار زكرت، على أن نطلق عليها اسم "قاعة السواعد"، إحياء لذكرى العمل الذي قمنا به، بفضل سواعدهم! ولكم يطيب لي أن أذكر أنّنا أعددنا، خلف المنصة المسرحية، حيث كان يقوم مجلى كبير لا حاجة إليه البتة، مكتبة واسعة، وجهّزناها بخزائن حديدية وخشبية، استقبلت في ما بعد آلاف الكتب!

وهنا، أرى لزاماً عليّ، قبل أن أطوي موضوع "قاعة السواعد"، أن أذكر حادثة، تبدو لي من تدبير غير بشري.

كنا قد ألفنا في أسرة الرعيّة الجامعية، طوال فترة استصلاح قبو الكنيسة، أن نلتقي مساء كل ثلاثاء للصلاة، ثم للدردشة وتناول لقمة بسيطة. وكان المهندس ادكار زكرت، على عادته، دائم الحضور والفعالية في هذا اللقاء العائلي. وقد قدم ذات مساء، مع سيدة أجنبية، متقدّمة قليلاً في السن، تدعى "كونيا بيروشكا". فعرّفنا بها، وإذ بها نمساوية، تدرّس في جامعات فيينا. فشاركتنا الصلاة واللقمة. وقد أبدت ارتياحها لهذا الجو البسيط. وقبل أن تغادرنا، سألتنا ما إذا كنّا بحاجة إلى خدمة يتسنّى لها تقديمها لنا في النمسا أو في ألمانيا. فرجوت ادكار أن يوصيها بشاب سوري، يدعى جهاد ناصيف، كان يدرس اللاهوت في لبنان، ثم أمره أسقفه بالعودة إلى سورية،

وكنتُ قد ساعدته مع المطران الياس نجمة على السفر إلى ألمانيا، ليتابع دراسة اللاهوت هناك، ويعود إلى سورية كاهناً. وإذ بأسقفه يأمره من جديد بالعودة من ألمانيا إلى سورية. وكنت أنا أتوسم فيه خيراً كثيراً. وأعطيتها عنوانه الكامل هناك. فوعدتنا خيراً ومضت. وما هي إلا فترة وجيزة، وإذ بادكار يحمل لي نبأ حصول جهاد على منحة دراسية تضمن بقاءه في ألمانيا حتى فترة سيامته كاهناً. وهكذا كان، وقد عاد إلى سورية، ونشط نشاطاً واسعاً في كنيسة اللاذقية عشرات السنين.

وفي الرابع من شهر كانون الأول من عام 1978، أي بعد سنة كاملة من يوم عيد أسرة الرعية السابق، أقمنا حفل التدشين. ودعونا كلَّ مَن كان يترتب علينا دعوتهم، وعلى رأسهم البطريرك مكسيموس الحكيم. ولكني لم أسأله أي كلمة. وقد تخلّل الحفل بعض اللوحات المسرحية، وبعض الرقصات والأغاني، وكانت كلّها من وحي العمل الذي أنجز في القاعة. وفي لحظة ما، رأيت البطريرك ينهض من كرسيه، ويلتفت نحو الجمهور ويرفع يده للكلام. فقُدِّم له الميكرفون، فقال كلمة وجيزة جداً، ولكنها بقيت عالقة في ذهني، كما لو كان يلقيها الآن أمامي! قال:

"لم يَرِد اسمي بين المتكلّمين. ولكني رأيت أن أقول لكم كلمةً صريحةً. فأنا الآن واقف معكم في هذه القاعة، ولا أصدّق ما أرى. عندما جاءني الأب زحلاوي، ليحدّثني عن مشروع حفر القبو، سألته علامَ يعتمد في هذا المشروع، فقال: "الله، والشباب". فقلت له: "الله، أكيد. ولكن الشباب سيخذلونك". فأكّد لي بكل ثقة أنهم لن يخذلوه. وأنا الآن أرى أنكم لم تخذلوه! أهنّئه بكم! وأهنئكم به. وهنا تحضرني منذ دخلت القاعة، كلمة مشهورة تُنسَب للقائد الروماني يوليوس قيصر، فيُروى أنه كان يقول حيثما أتى ليقاتل: (Veni, Vidi, Vici)، وهذا يعني: "أتيت، رأيت، انتصرت!". وأنا الآن أريد أن أستخدم هذه العبارة أيضاً، وأغيّر فيها الكلمة الأخيرة، فأقول أمامكم: "أتيت، ورأيت، فانتصر الأب زحلاوي!".

والحقيقة أنّ الذي انتصر كان المجتمع برمّته، من خلال الكنيسة، والشبيبة

الناشطة فيها. ذلك بأنّ "قاعة السواعد" لم تعتّم أن أصبحت ملتقى ثقافيّاً وتربويّاً، يضجّ بالحياة والحركة. فبات يؤمّها الكثيرون في مجانية مطلقة، تاركين لهم حرية التبرع وحسب، مساهمة منهم في نفقاتها. ولكم كان الفرح يعمر قلبي بتزايد النشاط فيها، أسبوعاً بعد آخر. وجاء يوم، طلب فيه طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية، ممارسة بعض تدريباتهم فيها، فوُضِعت في تصرّفهم. بل إنّ أحد أساتذتهم، وهو صديقي المخرج إيليا قجميني، الذي كان عائداً حديثاً من إيطاليا، استخدمها لأيام عديدة، قبل أن يقدّم على مسرحها، مع طلابه في المعهد، ملحمة جلجامش، في عمل مسرحي خارق. ولا يفتني بالطبع أن أذكر أنّ مختلف الحركات، التي قُيِّض لها أن تقوم في هذه الكنيسة الجديدة، وتلك التي كانت قائمة في كنائس أخرى، تفتقر إلى قاعة، باتت تُحيي في "قاعة السواعد"، اجتماعاتها ونشاطاتها. وكان أن جاء يوم، استدعى فيه أحد أعلى المراجع الكنسية في دمشق، صديقي المهندس ميشل سالم العيسى، وطلب منه إعداد دراسة من أجل "قيام قاعة شبيهة بقاعة السواعد"، في إحدى أهم كنائسه. ولكم أثلج قلبي يومها مثل هذا الكلام. وهنا، هنا بالذات، يسعدني أن أقول بمنتهى البساطة والصراحة، أني، خلال جميع مراحل هذا العمل، كنت أستمدّ قوّتي وفرحي وقدرتي على التحدّي، مما كنت أراه بعين إيماني، من "مشاهداتي الذاتية"، لجموع الأطفال والشبان والشابات والعائلات، التي ستملأ القاعة، ذات يوم قريب، والتي قُيِّض لها أن تملأها بالفعل حتى اليوم!

إلا أنّ فرحي وفرح أسرة الرعية الجامعية والكثيرين، بوجود "قاعة السواعد"، بتوجّهها الثقافي والتربوي، المنفتح والمجاني، لم يكن ليريح "بعضهم"... وانتهز هذا "البعض" فترة غيابي في باريس، بقصد العلاج، في صيف عام 1982، ليستصدروا قراراً من البطريركية، بتشكيل لجنة جديدة للقاعة، على رأسها أحد كاهني الرعية، وبتغيير أقفالها، وإقصاء أسرة الرعية الجامعيّة كلّياً عنها، وباستعادة اسمها القديم، "قاعة كنيسة سيدة دمشق".

وعند عودتي، فوجئت كغيري بما جرى. إلا أني آثرت ألا أراجع أحداً من المسؤولين الكنسيّين في الأمر. وعندما أتاني شبّان وشابّات أسرة الرعية الجامعية، غاضبين، يُبدون كامل استعدادهم لأي إجراء أقترحه عليهم، هدّأتهم وأقنعتهم بضرورة التحلّي بالصبر والحكمة وبُعد النظر... وتابعنا نشاطنا في غرفة أخرى، ضاقت على نحو واضح بالحضور المعتاد... »

وختاماً لحديثي عن استصلاح القاعة، يطيب لي أن أورد بحرفيتها الرسالة التي كتبتها مع الكاهنين الآخرين المسؤولين في الكنيسة يومذاك، الأب جبرائيل معلوف والأب ميشل حلاق، لجميع الساكنين في جوار الكنيسة، بتاريخ 1978/12/21. قلنا لهم فيها:

« دمشق في 21 كانون الأول 1978

أصدقاءنا،

منذ سنة ونصف نعيش في جواركم، دون أن يكون تسنى لنا أن نتعرف إليكم شخصياً.

ولكم كنا نود أن نقوم بخطوة تجمعنا بكم في هذه الفترة بالذات، وفي منازلكم العامرة. ولم يتسنّ لنا ذلك.

فقررنا أن نوافيكم، أقله، بكلمة، قد تفاجئكم، ولكنها تحمل لكم محبتنا و... شكرنا، بالإضافة إلى دعوة نرجو أن تلبّوها.

ذلك بأنكم كنتم جميعاً خير الجيران... صمتاً وصبراً، وبالتالي محبة.

فقد لاحظتم ولا شك أن عملاً كبيراً قام في قبو الكنيسة، منذ عشرة أشهر، ولما ينتهِ بعد، وإن كان أنجز معظمه.

رأيتم ولا شك شباناً وشابات يحملون الأطنان من البيتون والحجارة والأتربة، ويرحّلونها على شاحنات كبيرة... وكلهم بعمر البعض من أبنائكم وبناتكم... وتحمّلتم من جراء ذلك ضجيج الحفارات الكهربائية ليل نهار... وضربات

المطارق، كما تحملتم الغبار الكثيف المتصاعد أحياناً مع أصوات الغناء... بصبر مذهل، وربما باستغراب...

كل ذلك، كان عملاً تطوعياً قام به طلاب وطالبات جامعيون – هم أفراد أسرة الرعيّة الجامعيّة – من أجل استصلاح القبو الكبير، ليتاح لنا استخدامه كقاعة مسرح وسينما ومحاضرات وملتقى اجتماعي، منفتح على جميع أبناء المنطقة، وكل من يقصده، فيشكل بذلك مساهمة اجتماعية وثقافية، تُضَم إلى المساهمات القائمة في قطرنا.

هذا العمل الرئيسي أنجز،

ونحن اليوم بصدد الاحتفال بتدشين هذه القاعة التي أطلقنا عليها اسم "قاعة السواعد" إحياء لذكرى التعاون الرائع الذي كتبه شبابنا وشاباتنا، نشيدَ خدمة بالبيتون والرخام.

ويسعدنا كثيراً أن تشاركونا فرحة التدشين...

والتدشين هذا عبارة عن أربع سهرات تقام مساء الأحد 24 الجاري، الساعة الثامنة والنصف، ومساء كل من الثلاثاء والأربعاء والخميس (26، 27، 28) في الساعة السابعة والنصف.

أما مضمون السهرات فرقصة السماح وموشح اسق العطاش يقدمهما أطفال جوقة الكنيسة، بلباس شعبي، ثم نشيد المحبة لفيروز، ولوحة الميلاد، أيضاً من إنشاد وتقديم الأطفال أنفسهم، ويتخلل ذلك حوار غنائي وعزف على الغيتار والأرغن، يقدمهما أطفال أيضاً.

وتختم السهرة، كل يوم، ببرنامج خاص يقدمه الدكتور الشهير سالمون.

فهل لنا أن نسعد بحضوركم؟

نرجو ذلك.

مع تكرار الشكر لصبركم الكبير، ومحبتكم، نهديكم بدورنا محبتنا، راجين لكم أياماً كلها طمأنينة ومحبة. وكل عام وأنتم بخير.

الآباء جبرائيل معلوف – ميشل حلاق – الياس زحلاوي »

الفصل الثامن

"من ثمارهم تعرفونهم"

تلك الكلمة الرائعة، التي قالها يسوع منذ ألفي عام، تظل المعيار الصحيح لكل عمل إنساني. فكيف به إذا كان عملاً مسيحياً؟

دون مزاودة، وبعيداً عن أي اتضاع مصطنع، أريد الآن أن أذكر بعض ما أرى فيه ثماراً طيبة، نضجت على شجرة اسمها أسرة الرعيّة الجامعيّة. سوف أذكر كلاً منها بإيجاز، وأرفقها قدر الإمكان بوثيقة، ولسوف أذكرها وفق تسلسلها الزمني.

1) المشاركة في مؤتمرات طلابية مسيحية دولية

كانت أسرة الرعيّة الجامعيّة في سنتها الرابعة، عندما دعاها مكتب مجلس الكنائس العالمي في بيروت، للاشتراك في مؤتمر نظم للشباب العربي المسيحي، في بلدة برمانا بلبنان، في صيف 1972.

بعد ذلك، توالت الدعوات لها، كل عام دون توقف. فكان المؤتمر الثاني للشباب المسيحي، العربي والإفريقي في القاهرة، في صيف عام 1973، وأعقبه مؤتمر دولي شارك فيه وفود من /83/ بلداً، وقد عقد في أديس أبابا

بالحبشة، خلال شهر كانون الأول من عام 1973. وفي صيف عام 1974، عقد مؤتمر آخر في القاهرة أيضاً، ولكن لمرشدي هذه الحركات الطلابية، من أساقفة وكهنة وعلمانيين.

وفي صيف عام 1975، شاركت أسرة الرعية في مؤتمر للشباب العالمي، عقد في بلدة "تيزيه" بفرنسا، كما شاركت عام 1976 في مؤتمر عقد في واشنطن، وفي عام 1977، شاركت في مؤتمر عقد في جنيف بسويسرا.

إلا أننا، بعد ذلك، قررنا أن نرفض المشاركة في أي مؤتمر دولي، أياً كان الداعي إليه، وأنى كان مكان انعقاده.

بالطبع لدينا الكثير لنقوله بشأن هذه المؤتمرات، وقد روى المشاركون فيها الكثير عنها. إلا أن ما جاء في تقرير من كان مندوبنا الوحيد إلى مؤتمر الحبشة عام 1973، وهو الدكتور رياض حنا، يغني عن كل ما جاء في التقارير الأخرى. وإني لأنقل تقريره بحرفيته، وهو بتاريخ 2015/10/1

« شهادتي مع أسرة الرعية الجامعية في دمشق

وأبدأ من الأخير أو الوسط إن شئتم

قصة مشاركتي في مؤتمر الإتحاد العالمي للشبيبة المسيحية، والذي انعقد وللمرة الأولى بعد تأسيسه قبل 75 سنة (من 1972 أي تأسس عام 1897) في أفريقيا في قصر الاتحاد الإفريقي للمؤتمرات المبني حديثاً آنذاك في العاصمة الأثيوبية أديس أبابا (تقع على علو 2355 متر فوق سطح البحر).

قصة تلك المشاركة هي قصة لقائي المصيري بالأب الياس زحلاوي أواخر عام 1967، يومها كنت انتقلت من حلب إلى دمشق لدراسة الطب البشري في جامعتها.

لقد أثبتت السنوات صواب قراري تغيير الجو الاجتماعي المعاش 11 سنة في حلب، والانتقال لبيئة جديدة مختلفة في دمشق العاصمة.

لقائي بالأب والأخ والصديق والحبيب الياس زحلاوي أثر ومازال يؤثر جذرياً أفقيا وعامودياً على مجرى حياتي خاصة بمشاركتي بتأسيس أسرة

الرعية الجامعية وبوضعي كل إمكانياتي المتواضعة في خدمة وتحت تصرف الأسرة، بالإضافة لنشاطاتي التطوعية الأخرى منها:

- مشاركتي بمركز التعليم المسيحي في حي الطبالة ومن ثم تسلم إدارته.

- تأسيسي لفرقتين كشفيتين، الأولى تحت الترخيص رقم ؟؟؟ للفتيان من أعمار الخامسة حتى الثامنة عشرة، والثانية تحت الترخيص رقم ؟؟؟ للفتيات، من نفس الشريحة العمرية إيّاها.

- التزامي الفعلي والعملي كقائد في المفوضية العامة للكشاف السوري.

- العمل مع الأب بول سليمان في مشاريعه الإنسانية، ومشاركتي تأسيس أسرة الإخاء السورية.

نمّيت من خلال نشاطاتي والتزاماتي المختلفة والمتعددة، خاصة في، ومع أسرة الرعية الجامعية على الغالب، بالإضافة لنشاطي الديني والاجتماعي في مركز التعليم المسيحي مع الآباء اليسوعيين بدمشق، الذين أخص منهم الراقد في الرب الأب صالح نعمة، والأخوة اليسوعيين كابي برغل، وبطرس الحلاق. من ناحية أخرى كان لنشاطي الكشفي على كل الصعد، ولا بد من ذكر الأب معلولي القديس عند الرب، والطيب الذكر الأب بول سليمان، عامل آخر في تكوني الاجتماعي والنفسي الحياتي، والذي في قمته أدى لنيلي أعلى درجة كشفية، وهي الدرجة ألأولى في دورة قادة في معسكر الكشاف في الزبداني.

وكم أتألم كل يوم ومعركة الزبداني على أشدها!... نصر الرب سورية على أعدائها.

مما تقدم كان من البديهي أن يطرح أسمي من بين المرشحين لتمثيل الشبيبة السورية في المؤتمر المذكور أعلاه. وكان أن اختارتني أسرة الرعية الجامعية، لأسافر إلى أديس أبابا ضمن وفد إتحاد كنائس الشرق الأوسط، الذي طلب من الأبوين صالح نعمة اليسوعي رحمه الرب والأب الياس زحلاوي أمد الرب بعمره وأعطاه القوة والنعمة لسنين عديدة، طلب منهما إرسال شابة أو شاب ملتزمين في أسرة الرعية الجامعية كأول رعية جامعية

تأسست في سورية، ليعطي فكرة عن نشاطها، أهدافها، وطريقة تعاملها مع المجتمع المحيط.

بدأت المغامرة بإخراج جواز سفر هو الأول في حياتي وكان سهل المنال لأني كوحيد لأسرتي معفيّ من الخدمة العسكرية، ودون العودة لمكان تسجيل نفوسي باللاذقية. أخذته من دائرة نفوس دمشق.

لكن الصعوبة التالية كادت أن تفشل الرحلة نهائياً، حين رفضت الدولة الأثيوبية إعطائي كمواطن سوري فيزا الدخول لبلادها، حيث كانت بعلاقة مميزة بالدولة المسماة "إسرائيل" على أرض فلسطين المحتلة، وبارتباط مخابراتي أشد مع الصهيونية والموساد الاسرائيلي. وكان الرفض قاطعاً. وكم أمضيت أيام ما قبل ميلاد سنة 1972، في مكتب الأب الياس زحلاوي، متابعاً تحضيري لامتحان الطب البشري النهائي في صيف 1973 من ناحية، وتحضيري لامتحان ECFMG للاختصاص في الولايات المتحدة الأميريكية من ناحية أخرى، وترقبي لهاتف من لبنان بيروت، يعلمني بنيل الفيزا للسفر.

ولولا ضغط رئيس وفد الشرق الأوسط والأمين العام لكنائس الشرق الوسط آنذاك، الطيب الذكر كابي حبيب، مع رئيس الحركة الأرثوذوكسية آنذاك طارق متري، وتهديدهما بمقاطعة وفد الشرق الأوسط للمؤتمر، لما توصل المعنيون بالأمر إلى حل إعطائي الفيزا عند دخولي لمطار أديس أبابا.

سافرت إلى بيروت على ما أظن في 24 كانون أول، وسافرت على متن طائرة كارفيل لشركة MEA مع ممثل للكنيسة الأرمنية الأرثوذكسية في لبنان. وصلنا العاصمة اليونانية أثينا، الساعة الثامنة عشرة مساء عيد الميلاد. وتأخرت طائرة الخطوط الأثيوبية كالعادة، حيث بقينا في الترانزيت حتى الثانية والنصف صباح السادس والعشرين من ك1. واستقلينا طائرة الجمبو 747 في اتجاه أديس أبابا. طوال الرحلة نمت من التعب، واستيقظت حين حطت الطائرة لساعة في مطار أسمرة إريتريا.

أخذت الفيزا عند دخولي مطار أديس أبابا وبعد استلامي الغرفة في

فندق الهيلتون، كان الافتتاح والجلسة الأولى بعد الظهر، في قاعة المؤتمر (المؤتمر انعقد في قاعة المؤتمر الأفريقي المبني حديثا).

كان توزيع الأماكن حسب الأحرف الأجنبية لبلد الشخص المشارك، وكنت جالساً في منتصف نصف الدائرة. في نهاية الجلسة الأولى، جاء شخص لا أعرفه وحيّاني كسوري في الحبشة، واعتذر عن الصعوبات التي واجهتني في سبيل الحصول على الفيزا. بعد ذهابه سألت ممثل كولومبيا الجالس جانبي عنه، أجابني أنه وزير الخارجية الأثيوبي!

مساء أول يوم، كان على المؤتمرين انتخاب شخص واحد من كل القارات الخمسة، ومن وفد الشرق الأوسط المعدود الكتلة السادسة. الأشخاص الستة عليهم مسؤولية إدارة المؤتمر خلال الأسبوعين التاليين، وكان أن رشحني كابي حبيب ومعه وفد الشرق الأوسط، لأمثلهم في المجموعة الإدارية للمؤتمر.

وكان أول قراراتنا إبعاد كل الصحفيين من قاعة المؤتمرات، ليتمكن المجتمعون من التكلم عن مشاكلهم ومعاناتهم بكل شفافية وراحة، دون الخوف من العقوبة.

نشاطات المؤتمر كانت كثيرة متعددة ورائعة. أديس أبابا بلد كبير مسيحي، لكن فقير، مع أن ملكه هيلاسيلاسي لديه 86 قصر منيف. كنيسة أثيوبيا القبطية الأرثوذكسية، والمنفصلة إدارياً عن أختها في مصر (أي لديها بطريركها الخاص) هي أيضا فقيرة، ويتحكم بها الملك، وحين سألنا البطريرك لماذا يقبّل يد هيلاسيلاسي، أجاب بامتعاض واضح: حين يتكفّل الملك في معاشات مائتي ألف دارس للاهوت، أي مرشحين ليصيروا كهنة، فلا نستطيع إلا أن نقبل "أياديه البيضاء".

بعد إقصاء كل الصحفيين و المخبرين عن المشاركة في المؤتمر، حاولت السفارة المصرية وسفيرها السمج الذي كان سفيراً لبلده في سورية، حاولت عن طريق دعوة وفد الشرق الأوسط لعشائين فاخرين، لكننا شممنا الرائحة و تكلمنا عن كل شيء، عدا أعمال المؤتمر.

من ضمن النشاط مع السفارة المصرية، رحلة إلى أقدم المدن الأثرية المسيحية في الحبشة. ومرور سريع في مناطق فقيرة في أديس أبابا... الفقر واضح وأليم. الإحصائيات آنذاك تقول في هذه المناطق تكتظ العاهرات، ما يزيد عن خمسين ألف عاهرة!

****

العودة إلى المؤتمر: في اليوم السادس، السابق لرأس السنة الميلادية، كنت واحداً من الثلاثين ممثل لبلادهم من سمح لهم قراءة تقرير عن حياة الشبيبة المسيحية في بلادهم، وتفاعلها مع المحيط وخاصة الديانات الأخرى.

******

التقرير أعدّه الأبوان صالح نعمة اليسوعي رحمه الرب، والأب الياس زحلاوي أطال الرب بعمره، باللغة الفرنسية. وهو من ثلاث صفحات. قرأته من موقعي الجديد في المنصة، أول المقاعد الطرف الأيمن، وجلس ورائي كامل وفد الشرق الأوسط.

طالت المناقشة حوالي النصف الساعة، وتركزت حول حرية العبادة وقيام الشعائر الدينية، وحرية بناء الكنائس وإصلاحها، و حول العيش المشترك الواقعي، وليس الطوباوي لكن أفضل بكثير من المعاش في مناطق عربية أو في بعض البلاد الأخرى. بأخذ الاعتبار أن هناك الكثير ممّا يجب تصحيحه و تحسينه.

أيضاً دار النقاش حول مشاكل الشباب في التعليم والتوظيف الخ، أوضحت أن هذه المشاكل لا تفرق بين الأديان وموجودة بصورة عامة في سورية، التي هي في طور البناء في ظل نظام اجتماعي علماني، مع وجود أخطاء بالطبع، ووجود محاولات جادة وشريفة لتفاديها. ومع أني لم أصور الواقع بطوباوية أفلاطونية، كان الأغلبية متعجبين من ارتياح أوضاع مسيحيي سورية، حيث سوء وضعهم في كثير من البلاد العربية كمصر والسعودية مثلاً واقع مرير، حيث من خلال أحاديثنا اليومية مع الأقباط، الذين كانوا الفئة الكبرى من الوفد، تتضح لي الآن، وبعد أكثر من أربعين

عاماً، أن لا شيء تغيّر في مصر، والضغوطات والمضايقات، سواء من المسلمين أو من دولة مصر، لم تتغير من منع بناء أو إصلاح الكنائس، إلى عدم توظيفهم كمسيحيين، أو إجبارهم على اعتناق الإسلام، وإلى رفض تسجيل أبنائهم كمسيحيين.

طبعاً النقاش لم يتوقف على الجلسة، بل كان على مدى الأربعة عشر يوماً للمؤتمر على مستوى القارات الخمس، و ضمن مجموعة الشرق الأوسط، و قد فاجأتني معاناة المسيحيين المصريين بصورة خاصة، إذ كنت أعلم أن هناك مآسٍ، لكن ليس بهذه الفداحة. هناك محاولة مستمرة، سواء من الإسلاميين أو السلطة في مصر (في حقيقة الأمر أصحاب القرار هم أيضاً إسلاميون!)، إلى إنهاء أو إلغاء الوجود المسيحي في مصر، أهمها ما تتبعه الحكومة المصرية من مئات السنين، هو أولها عدم تعداد السكان بدقة. وهذا يفسر العمد إلى تسجيل الولادات للمسيحيين كمسلمين. وهكذا نفهم أن سكان مصر تضاعف في السنوات السبعين الماضية (88 مليون)، مع بقاء عدد المسيحيين 6 ملايين؟؟ الحقيقة عددهم الآن أكثر من 15 مليون، ولأن تكاثرهم مثل تكاثر الآخرين، إن لم يكن أكثر، و ثانيها الإجبار المتكرر لاعتناق الإسلام.

آنذاك شكرت الرب أن أحوال مسيحيي سورية، رغم كل المشاكل الطارئة والناتجة من الاحتكاك المباشر واليومي، في أفضل حال، وحرية الاعتقاد وممارسة الشعائر في دولة علمانية مع احترام الأخر، موجود فعلاً.

عن وضع الكنسية القبطية، تكلمت أعلاه عن ارتباطها بالملك، غير قادرة على التطور، أسرد باقتضاب عن زيارتنا قداس عيد الميلاد في الكاتدرائية. هناك يحتفلون بعيد الميلاد في السابع من كانون الثاني، القداس القبطي يمتد إلى أكثر من أربع ساعات!! في الكنيسة لا يوجد مقاعد. المصلون يفترشون الأرض، أغلبهم نيام!!!

استقبل القيصر هيلا سيلاسي أعضاء المؤتمر في رأس السنة، وفد الشرق الأوسط أراد إغاظته، ورتب أن يكون المشارك السوري خلف المشارك

الفلسطيني. وكان هناك من يعرّف علينا وتستطيعون تصور امتعاض القيصر (150 سم طول، جلدة وعضمة، تستطيع أن تعد أصابع يده، بجانبه كلب صغير أبيض، بعد أن قتل ابنه في صراع على السلطة)، للأسف الصور لم تصلني التي التقطت آنذاك.

من معالم أسرة الرعية الجامعية أنها مسيحية جامعة مسكونية... لم نكن نهتم بطائفة أي شابة أو شاب جامعي. كان يكفي أن يكون مسيحياً، وهذا لا يعني أننا كنا منغلقين عن الآخرين. لكن كان الرأي السائد أننا وقبل أن نتناقش مع الآخر، علينا أن نفهم من نحن، بغض النظر أننا كنا ندعو مثقفين من كل المذاهب، لنتعرف على فكر الآخر ونوسع آفاقنا؛ هذا الواقع أثار دهشة أعضاء وفد الشرق الأوسط، حين تعارفنا على بعضنا في أول يوم، الجميع كانوا من الطائفة الأرثوذكسية بمختلف شعوبها وافترض الجميع أني بالتالي من الطائفة الكاثوليكية، لأنهم اعتقدوا أن أسرة الرعية الجامعية هي كاثوليكية الاتجاه. فكانت المفاجأة أنني أرثوذكسي الانتماء، لكني كنت دوماً أعمل مع مختلف الأعمال المسيحية الكاثوليكية، سواء مع الآباء الساليزيان في حلب، أو الآباء الفرنسيسكان في حلب ودمشق، أو مع الآباء اليسوعيين بدمشق، منتهياً في أسرة الرعية الجامعية، الجامعة لكل المسيحيين. وبالتالي أوضحت لأعضاء الوفد، أن رعيتنا تأسست وتعمل لكل طلاب الجامعة المسيحيين دون استثناء، ومرشدوها سواء الأب الياس زحلاوي، أم الأب صالح نعمة (رحمه الرب)، أم الأب حنا التلي (الأرثوذكسي). هم منفتحون على كل الطوائف.

وهنا أخرج قليلاً عن الموضوع... وأسرد واقعة حدثت معي في صيف 1973، حين عملت في مستشفى زحلة المعلّقة بعد تخرجي، حين سألتني الأم الراهبة عن طائفتي وأجبتها نحن في أسرة الرعية الجامعية مسيحيون فقط، أجابتني يا ابني في لبنان الطائفة مهمة، لازم يتوظف معك خمسة من مختلف الطوائف، حسب قانون 6 و6 مكرر.

طبعا أسرة الرعية الجامعية المتجذرة في الأرض، لا يمكن أن تنسى

جنوب سورية السليب، **فلسطين**. فكان من البديهي أن آخذ معي فيلم عن مأساة القرى المسيحية "إقرت وبرعم"، وقتل أهلها من قبل العصابات اليهودية عام 1948، للمخرج على ما أظن، فيصل الياسري.

الفلم لم يكن على USB Stick كما تتصورون، بل كان في علبة كبيرة معدنية بقطر 35 سم، وأكثر من خمسة كيلوغرام، وكقارئ Krimi توقعت أن المخابرات الأثيوبية الحاضرة في كل مكان، سوف تقوم بسرقة الفلم حتى لا يتم عرضه وإزعاج أصدقائهم الإسرائيليين، فكانت أسطوانة الفلم تنام كل يوم في غرفة أحد أعضاء وفد الشرق الأوسط، متنقلة من غرفة إلى أخرى.

والآن اسمعوا هذه النكتة حين طلبنا آلة لعرض الفلم، تحجّج المسؤولون أن ليس لديهم آلة! وتصوروا أحدث وأكبر بناء للمؤتمرات آنذاك، وينقصه آلة عرض!!!!!!!!!!

لكن أصدقاءنا اليساريين من جنوب أميريكا، هاتفوا السفارة الروسية بأديس أبابا. وتم إرسال آلتين للاحتياط. تم العرض والشرح بمختلف اللغات، وكانت ردود الفعل أروع. أعدت الفلم معي إلى سورية. وبعد تقديمي فحص الـ ECFMG في الجامعة الأميريكية في بيروت، أعطيت شهادة في دمشق، عن رحلتي إلى أديس أبابا بعد قداس الرعية الجامعية الأسبوعي، مساء كل يوم جمعة. لست أدري تاريخه. أتوقع في آذار 1973 وبحضور ممثل عن التلفزيون العربي السوري...

في الثامن من كانون الثاني آن الوقت للعودة إلى دمشق، على طائرة الخطوط الأثيوبية. طرت عائداً إلى العاصمة اليونانية أثينا. وصلتها الرابعة بعد الظهر. وأخذت غرفة في فندق King Georg Hotel. في الساحة الرئيسية اسمها Syntagma-Platz. الغريب أني أتذكر الفندق. أتذكر أن على الاستقبال كان شخص قبطي مصري، وأن أجرة الليلة 5 دولارات فقط. وكان آنذاك سعر صرف الدولار الواحد 30 دراخمة.

المهم حاولت مشياً على الأقدام، خلال ثلاث ساعات، التعرف على المدينة. فجأة لاحظت وجود مكثف للشرطة. حاولت أن أكتشف السبب فلم أتمكن.

وبصورة عفوية تطلعت إلى الأعلى وإذ أتفاجأ بعلم إسرائيلي، وتأكدت أني جانب السفارة الإسرائيلية!

حين امتطيت طائرة الـ MEA (كرافيل) في التاسع من كانون الثاني، وأعطوني الجرائد العربية، أدركت سبب وجود الشرطة الكثيف، جانب سفارة الدولة العدوة.

لقد قامت إسرائيل في الثامن من كانون الثاني 1973، أي قبل يوم بقصف مدرسة لضباط الصف للجيش السوري - أعتقد في قطنا وقضى من جرائها أكثر من 80 شهيد.

أثناء عبورنا الأجواء القبرصية، مررنا بمنطقة سوء أحوال جوية: برق ورعد وعواصف، الطائرة أخذت تتحرك يميناً ويساراً للأعلى والأسفل، حتى إن أغطية الأمتعة فوق رؤوسنا انفتحت؛ بدأت بصلاة المسبحة، وسلمت أمري للرب. وعلى ما يظهر، لم يحن وقتي آنذاك، أوصلنا الباري إلى بر الأمان.

عود على بدء

لو شك العالم بوجود وفعل الروح القدس، فسيجدونه متجسداً في أسرة الرعية الجامعية في دمشق. كانت نهاية دراستي الثانوية، وامتحان البكلوريا، في بدء حرب حزيران المشؤومة، حيث توقفنا بعد أداء ثلاث فحوص في الخامس من حزيران 1967. وبعد خسارتنا أمام الاعتداء الإسرائيلي، توبعت فحوص البكالوريا في الخامس عشر من تموز إلى 31 منه.

سمحت لي علاماتي آنذاك للتسجيل في كلية الطب البشري، سواء في حلب أو في دمشق. وكان لإصرار أساتذتي الثانويين، في معهد الأرض المقدسة للآباء الفرنسيسكان، وحيث تعلمت فيه الإحدى عشرة سنة الماضية، أن ذهابي وتسجيلي في جامعة دمشق، سيوسع آفاقي. وأشكر الرب أن أهلي رحمهم الرب سمحوا لي بذلك؛ وهذه أول علامة على فعل الروح القدس، والمستمر دوماً في حياتي.

حال وصولي إلى العاصمة في أيلول 1967، بدأت أعمل مع الآباء

اليسوعيين في مركز التعليم المسيحي في الطبالة، والمبني حديثاً تحت كنيسة القديس يوسف للروم الكاثوليك؛ والطبالة هي منطقة بناء عشوائي أتى إليها آنذاك 16000 مواطن، نصفهم روم كاثوليك والنصف الأخر روم أرثوذوكس، هاربين من الجولان المحتل. ولم نكن نفرق أو نسأل عن الطائفة.

يومها سمعت عن كاهن شاب تختلف آراء الشبيبة في وصفه: رسول، مندفع، منفتح، نبوي، قريب للشبيبة، عنيف وثابت في الآراء، متصلب في رأيه، قاسٍ في الأحكام، ثوروي، ثابت في الأرض، سوري حتى العظم، وطني دون منازع، واسع الأفق، خلاق في الأفكار، منفتح، كاتب مسرحيات، مثقف غير عادي، رؤيوي *(visionnaire)*، واسمه الأب الياس زحلاوي.

من هذا الوصف اعتقدت أن بولس الرسول الذي انطلق من دمشق منذ 2000 عام قد عاد إليها الآن وكان لا بد لي أن أتعرف عليه.

وكانت روح الرب ساهرة. وها هي العلامة الثانية للروح القدس. وكان لقائي بالأب الياس طاقة نور إلهية خلاقة لي ولأسرتي القادمة، والتي لم يكن لدي أي تصور كم هي رائعة سوف تكون!!!!

يومها كانت الشبيبة المسيحية خاصة، وكل شعب سورية، يئنّون تحت معاناة من نتائج حرب الخامس من حزيران. وكان المسيحيين مخدرين من قرار وزير التعليم آنذاك، سليمان الخش في أيلول 1967 بتأميم جميع المدارس الخاصة المسيحية والإسلامية سواء بسواء.

فكان الواجب تجميع وتوجيه الطاقات الشبابية القادمة إلى العاصمة للدراسة في الجامعة، من كل أنحاء سورية وإعطائها منظوراً، وطاقة أمل للمستقبل. وبالرغم أن التعايش المسيحي الإسلامي كان على ما يرام، رغم بعض علاته، كان علينا، كما نوّهت أعلاه، أن نبدأ بالتعرف على علاّت التعايش المسيحي - المسيحي، وإزالة الهوات فيما بيننا أولاً، قبل الانطلاق للقاء الآخر، وعيننا على الوطن ومستقبله ومستقبلنا.

ومن كان أفضل من الأب الياس زحلاوي، ليقوم بهذه المهمة وبتوكيل من رؤساء الطوائف في دمشق، كنا حوالي 15 إلى 16 شابة وشاب، اجتمعوا

للصلاة يوم العطلة الأسبوعية الرسمية في سورية، يوم الجمعة مساء في الساعة الثامنة عشرة.

اتفقنا أن لا تسجيل أسماء، لا إدلاء بيانات، ولا سؤال عن الطائفة. يكفي مسيحي سوري فقط.

اتفقنا أن لا رئيس ولا مرؤوس، الكل مدعو للعمل في حقل الرب، ولإنجاح المشروع.

اتفقنا أن نتعلم من بعضنا، أن نحترم الآخر، ونتناقش معه قدر الإمكان بمحبة واحترام لرأي الآخر؛ بمحبة لأنه بالطبع لم نستطع أن نضبط أعصابنا دوماً، وأنا لا أتهم سوى ذاتي أولاً. لكن الأهم أننا، ورغم كل الجدال العنيف أحيانا، كنّا نتعانق في النهاية كأخوة في المسيح. وهذا ما تأثرت به، لأننا، ورغم اختلاف الأهواء والمشارب، مارسنا المناقشة والاختلاف بمحبة. هذه المناقشة التي يحتاجها الوطن الجريح الآن؛

هناك كثير من الشباب والشابات، سمحت لهم أسرة الرعية الجامعية، وللمرة الأولى، لقاء الجنس الآخر، في جو نظيف، يحترم فيه الجنسان بعضهم البعض، في زمان لم تكن المدارس المختلطة كثيرة في سورية.

أسرة الرعية الجامعية غيّرت حياتي بالكامل، وشاركت في اكتمال ونمو شخصيتي على كل الصعد. شجعت ما كنت بدأته في حلب: الالتزام بالعمل المسيحي، العطاء المجاني، الالتزام بالأرض، بسورية، التي بالرغم من أني منذ 40 سنة أعيش وأعمل في ألمانيا، إلا أني قلباً وقالباً ما أزال وما زالت سورية في القلب. و ما أزال أذكر ما أهداني إياه الأب الياس، حين غادرت في عام 1975 للاختصاص إلى ألمانيا: كتاب "المثقفون العرب والغرب". للمؤلف هشام شرابي، الذي يتكلم فيه عن هجرة الأدمغة (ما أقرب اليوم إلى البارحة!!!!)؛

وكأني بالأب الياس يدعوني أن لا أنسى سورية. هذا كان دأبه لتأكيد ارتباطنا في سورية، حتى ولو كنّا بأجسامنا بعيدين عنها؛ يومها تركت سورية، وكلي أمل أني عائد بعد نيلي الاختصاص للعمل في بلدي سورية:

أوصـيت علـى هـاتف للعيـادة والبيـت، وضـعت حجـر أسـاس في شـهادات الاستثمار... الخ.

كانت نهاية الاختصاص عام 1981. وأيضا ما أشبه اليوم بالبارحة. كانت حوادث الإخوان على أوجها. وكانت نصيحة الجميع أن نبقى، و قد أصبحنا أسرة مع ولدين، حيث نحن، إلى حين تهدأ الأوضاع؛ تواصلنا مع وعبر الأب زحلاوي الدائم المستمر، ربطنا بأرض الوطن أكثر وأكثر. وهذا أحد أعمال الروح القدس الكثيرة في أسرة الرعية الجامعية.

لا أنسى ما قال لي أبونا الياس: "أترك مجال للروح القدس ليعمل فيك!!" و من ذاك الزمان أرخيت كل ثقلي وفكري وأملي على الروح القدس. وصدقوني لم يخذلني حتى الآن؛ و لولا فعل الروح القدس، وبالتالي رحمة الله، لا يمكن لأسرة سورية أن تعيش في الغربة، وتربّي أولادها الأربعة على الحرية العقلانية الغربية، والأصول المسيحية السورية!

(كمن يمشي على حبل مشدود. وأنا كنت واثقاً دوماً أن روح الرب، إذا سقطت، يحملني، يحملنا كأسرة على أجنحته، وأيضاً لم يخذلنا أبداً).

الحديث يطول عن تأثير الرعية معي ومع الآخرين، في كل الصعد وأخشى أن يملّ القارئ. لكن أهم حدث في حياتي كلها، وأهم عمل للروح القدس، أن يضع في طريقي أطهر وأنقى وأطيب وأجمل فتاة عرفتها. وقد أتت لحسن حظي إلى دمشق، لتدرس في جامعتها لتحصل على دبلوم التربية، بعد حصولها على ليسانس الأدب الفرنسي في جامعة حلب.

****

و هنا لا بد أن أذكر دور أسرة الرعية الجامعية كبوتقة تجمع وتجذب كل الطلاب المسيحيين، الوافدين للدراسة في العاصمة دمشق؛ و لأن كلوديا الفتاة الملتزمة مسيحياً واجتماعياً في حلب، ولأنها كانت المسؤولة عن حركة الشبيبة الطالبة المسيحية في حلب، كان من البديهي أن يكون أول احتكاك مع الشبيبة والكنيسة بدمشق عن طريق أسرة الرعية الجامعية. وما أحلاه الروح القدس حين يخطط لبناء أسرة مسيحية على كيفه!!!!!

تصوروا: غادرتُ حلب للدراسة في دمشق، و لم أكن أعلم أني سوف أتعرف على كلوديا الساكنة 1.5 كيلو متر عن بيتنا بحلب!! و تقولون لي أن لا وجود و لا فعل للروح القدس في حياتنا!!

خلاصة الأمر، ولأن الحديث عن علاقتنا يطول، وليس مكانه هنا؛ الخبر المفرح أني تزوجت الروح القدس كلوديا، وثمرة حبنا أربعة أولاد، نفتخر بهم ومعهم وفيهم! وكما في الإنجيل: "إن كان الرب معنا، فممن نخاف"؟

أنهي شهادتي: إن كان الروح القدس زوجتي، فلماذا أقلق!!!

كثيرون قالوا في أسرة الرعية الجامعية، هناك اختلاط للشابات والشباب، ويتزوجون من بعضهم؛ أقول أين هو أفضل مكان يتعرف فيه الشبيبة على بعضهم، في جو نقي صحي، لا عيب فيه.

منذ أواخر عام 1967 إلى يومنا هذا، وعلاقة صداقة، محبة، أخوة، أبوة تجمعني مع الأب الياس زحلاوي، الذي رافق سنوات دراستي في جامعة الطب البشري. وهو الذي بارك ارتباطي الروحي مع كلوديا. وما زال رفيق رحلة عائلتنا الصغيرة، ومباركها. وأولادنا يكنون له معنا كل المحبة كفرد من أفراد أسرتنا.

نبويا كان تأسيس أسرة الرعية الجامعية نعمة ورحمة لكثير من الشبيبة السورية، التي كانت رائدة في الشرق الأوسط والعالم، حيث أصبح الاهتمام بالشبيبة الجامعية ومعاناتها وآمالها ومستقبلها من البديهيات؛

على فكرة تأسست الرعية الجامعية في لبنان عام 1979، أحد عشر عاماً بعد دمشق!!!!!!

من المؤكد أن حياتي كما سردت، كانت سوف تأخذ منحى آخر دون أسرة الرعية الجامعية فالشكر للرب دوماً.

رياض حنا - سورية في القلب

من مدينة شلانغن (ألمانيا) في 2015/10/1

2) مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإيمان.

في صيف عام 1973، عقدت كنيسة الروم الكاثوليكية، مقيمة ومغتربة، مؤتمراً دولياً لها في دير الآباء اليسوعيين في تعنايل بلبنان.

كان الهدف من المؤتمر إعادة النظر في وضع هذه الكنيسة من شؤون الناس في الوطن العربي والمغتربات.

وقد ترأسه البطريرك الحكيم وحضره عدد كبير من الأساقفة والكهنة والراهبات، المندوبين من جميع كنائس الطائفة، وعدد كبير أيضاً من المثقفين العلمانيين من سورية ومصر ولبنان ومن أهمهم كان انطون المقدسي.

دام المؤتمر ثلاثة أيام. وكانت المحاضرة الأخيرة لي، وهي بعنوان "مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإيمان".

بالطبع ما كان لي أن أغيّب خبرتي مع الشبيبة الجامعية عن هذا الموضوع الحساس، فما إن أنهيت كلامي والنقاش الذي دار بعده، حتى كان البطريرك وعدد من الأساقفة قد غادروا المؤتمر، مع أني كنت قد انتخبت قبل محاضرتي مباشرة، أميناً عاماً له!

أورد نص محاضرتي هنا بحرفيتها، وألحق بها الكلمة التي كتبها لي بعد ذلك بشهرين، كاهن ماروني يدعى الأب حليم ريشا، إذ كان يومها رئيساً لبرادو الشرق، وكان حاضراً في المؤتمر.

مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإيمان

محاضرة في مؤتمر تعنايل 12 **تموز** 1973

أبدأ حديثي بملاحظة منهجيّة صريحة لا بدّ منها.

عنوان الموضوع الذي طُلب إليّ معالجته هو: مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإيمان. إلاّ أنّ رؤيتي الشخصيّة للمشكلة، وتحسّسي لقضيّة الكهنوت، جعلاني أطرحها على النحو التالي:

مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإلحاد في الكنائس.

لماذا هذا العنوان الجديد؟

لا استفزازاً ولا مزايدة، وكلاهما رخيص وسهل. بل لأسباب ثلاثة هي:

أولاً، أنّ المشكلة المطروحة متعدّدة الجوانب، تكمن معالجتها بطرق مختلفة، اجتماعيّة ونفسيّة وثقافيّة الخ... وقد أُشيرَ إلى العديد منها، بشكل أو بآخر، في أحاديث اليومين السابقين. فلا أريد أن أتطرّق إليها، لأنها قد تسهّل إلى حدٍّ بعيد، اللجوء، وأكاد أقول الهروب، إلى تحليلات عامة، قد لا تقدّم ولا تؤخر، لا في المشكلة ذاتها، ولا خصوصاً في الذين يطرحونها، أي فينا نحن. وإني لأنكر على نفسي، سواء في نطاق لقاءاتنا هذه أو خارجها، أن أتصدّى لمثل هذا الموضوع، إلا على نحوٍ يضعنا، جميعاً، في موضع تساؤل مع ذواتنا، لعلّه يعقب هذا التساؤل، تغيير ما...

ثانياً، إني أعتقد، جازماً، بأنّ الإيمان، إذ هو شهادة، يرتكز بصورة أساسية، وفي نهاية المطاف، على قيمة الشاهد بالذات، أية كانت العوامل النفسية أو الفكرية أو الروحية أو العلمية، التي تحرّك الإنسان في سعيه نحو الإيمان، ودون الانتقاص من هذه العوامل وتأثيرها.

وهذا الشاهد هو اليوم، نحن، نحن كنائس وجهازاً كنسيّاً...

ثالثاً، إني أعتبر أنّ الشهادة التي تؤدّيها اليوم المؤسسة الكنسية، ولا سيما أمام الجيل الجديد، جيل الرفض والحب والتضحية، شهادة إلحاد، لا شهادة إيمان.

لذلك كلّه، طرحت المشكلة بالصيغة التي اقترحت، لا رغبة مني في المفارقة، بل لأنّ المؤسسة الكنسية، إذ أصبحت إطاراً اجتماعياً وحسب، فقدت الوظيفة التي كانت لها في السابق، وكادت أن تتفرّغ من محتواها.

وإني لأريد لحديثي أن يكون شهادةً شخصيّةً وتشخيصاً لواقع، دون الغوص في أسبابه. وأرجو أن يُفهَم على أنه شهادة ليس إلا... بمحدوديّتها وهِناتها.

ولأني أردت لحديثي أن يكون شهادةً، أطمئنكم بأني لن أطيل.

أمّا الموضوع، فسأقصره، أوّلاً، على تعريف سريع ووجيز للإيمان كما أراه، ثانياً على تبيان تعارضه مع ما أسميته شهادة الكنائس.

كيف أفهم الإيمان، إذن؟

أترك جانباً تعريف الإيمان الفلسفي في أوسع مدى له من حيث كونه اعترافاً ما بإلهٍ ما...

وأترك جانباً، أيضاً، تعريفه السوسيولوجيّ بأنّه ممارسة شكليّة لبعض الطقوس ليس إلاّ...

وأترك جانباً أخيراً تعريفه النفسي بأنه إحساسٌ غامضٌ بوجود قوّة ما عُليا، قد لا يجمعنا بها جامع عمليّ...

فالإيمان الذي لا يفعل في المؤمن إيجاباً، لا يعدو كونه مجرّد أفيون... وفي أفضل الاحتمالات، مرتكزاً لإيمانٍ حي كالذي أبحث عنه...

فإنما أنا أطلب الإيمان الذي يحيلنا إليه الإنجيل ومن عاش الإنجيل.

هذا الإيمان، ما هو؟

أرى أنه نزول الله من عليائه، ودخوله في حياة الإنسان، حتى إنه أقام بينه وبين الإنسان جسراً دائماً وداخلياً وذاتياً لا يُنسف، هو علاقة معرفة ومحبّة متنامية، بها

يخلق كلّ منهما الآخر، على نحوٍ ما كان ليخطر على قلب بشر، ولا سمعت به أذن...

وفي ضوء هذا الإيمان، أرى أنّ الله، الذي سعى إليه الإنسان مذ كان، والذي لم يكن أحدٌ، قطّ، قد رآه، أخذ مبادرة الحضور إلى العالم، فأفرغ ذاته ليس فقط من كلّ ما يخلعه عليه البشر من صفات وألقاب وحُجُب، ومن كلّ تعالٍ وجبروتٍ ورهبة، بل ومن ذاته، أيضاً وخصوصاً، وأتى إلى ساحة الأرض إنساناً فقيراً مُحِبّاً وديعاً، وشارك الإنسان في أوضاعه كلّها، خلا الخطيئة.

فكان لنا في يسوع إله، لا يماثله ولا يدانيه إله...

إلهٌ يقف على طرفي نقيض من منطق العالم، منطق التجبّر أياً كان اسمه، سلطة أم مالاً أم عِلماً... ومنطق اقتطاع العالم ملكاً خاصاً، وسلعةً خاصةً، ومتعةً خاصةً... ومنطق التألّه عِصمةً وتكريماً...

وعرف الإنسان الله في يسوع، عرفه بطرس ويعقوب ويوحنا، وغيرهم كثيرون عرفوه... بعضهم رفضه... وبعضهم أحبه... فكان من هذا الإله أن أبدع ممن أحب وبادله الحب كائنات جديدة رائعة تجلّى هو نفسه فيهم، على ما كانوا عليه من طباع خاصة ومن هِنات...

ووقف أتباع يسوع موقفه من العالم، فرفضوا منطق التجبّر أياً كان اسمه، سلطةً أم مالاً أم علماً... ورفضوا اقتطاع العالم ملكاً خاصاً، وسلعةً خاصةً، ومتعةً خاصةً، ورفضوا التألّه، عصمةً وتكريماً...

وكان من هذا الإله يسوع... ومن هؤلاء الناس تلاميذه، ما كان وما نعرف جميعاً...

وكان ممّن ساروا على خطاهم، من بولس إلى شربل فيعقوب الكبوشي، ما كان وما نعرفه أيضاً جيمعاً...

وهكذا أرى الإيمان علاقةً شخصيّة، تتوسّطها المؤسّسة، بين كائنين حيّين، هما

يسوع والإنسان، حاضرين كل للآخر، وحاضرين كل في الآخر وبالآخر... وأراها بالتالي معرفة متبادلة ومتنامية، ومحبّة متبادلة ومتعاظمة، وإذن علاقة خلق – إن صحّ التعبير – متبادل ومتواصل... وليس علاقة مجرّدة، سواء كانت طقوسيّة أم تمثيلية، بين إله متقوقع في عليائه، وإنسانٍ يُدير له الظهر كلّيّاً، بعد إذ يؤدّي له فرائض العبادة بخوراً يخدّر به ضميره...

بعبارة أخرى، أرى الإيمان علاقةً ثقةٍ بين يسوع وكنيسته، بها يأتمنها على ذاته، عبر التاريخ البشري كلّه، إلى اليوم... وإلى ما شاء...

وقد شاء يسوع، تأكيداً على استمرار حضوره بين الناس، أن يجعل من كلّ إنسان ذاتَه هو، وخصوصاً المحروم والفقير والمظلوم...

تلك هي أمانة الإيمان، الوزنة الوديعة التي وُضعت في يد كل كاهن قرباناً ذبيحة، يوم حلّت فيه نعمة الكهنوت...

فما هو مصير هذه الأمانة اليوم؟ وبعبارة أخرى أكثر دقّة: ما هو موقف الناس عامة، والجيل الجديد خاصة، من يسوع؟

هذا هو في رأيي السؤال الملحّ والأساسي.

ولا بدّ من جواب.

أترك جانباً كل الاعتبارات والمتغيرات التاريخيّة أو الاجتماعية أو السياسيّة أو التكنولوجيّة أو الثقافيّة، مما قد يهيّئ أو لا يهيّئ لقيام علاقة بين الله والإنسان. أتركها لأصحابها يكتبون ويقولون لنا فيها رأيهم وكلمتهم.

كما إني أترك جانباً أيضاً شفاعة القديسين، وقداسة بعض الكهنة الصامتة، التي لولاها لما كانت كنيسة...

وأتوقّف، ككاهن يؤدّي شهادة، عند جانب واحد من الموضوع ألزمتُ به نفسي بادئ ذي بدء، هو جانب مساهمة الشهود في حياة أو موت من يؤدّون الشهادة له.

إذن، ما هو مصير يسوع اليوم؟

الجواب، في تقديري، لا يحتمل التردّد:

إنّ مصير يسوع لدى الجيل الجديد، يتوقّف إلى حد بعيد، إن لم أقل أساسـي، على قيمة شهوده، وإذن على نوعيّتهم. وإنّ إيمان الجيل الجديد بيسوع هو بنسبة إيمانه أيضاً بشهوده.

وهؤلاء الشهود هم في نتيجة الأمر... نحن!

فما هي نسبة إيمان الجيل الجديد منا؟

دون إطالة، ودون "لفلفة"، ودون أي رغبة في الاستفزاز الرخيص، أقول بـألم ومرارة:

يبدو لي أنّه ليس فينا، نحن شهود يسوع، ما يُغري الجيل الجديد وغير الجديـد، بالإيمان بيسوع!

أترك الماضي، ببطولاته الصحيحة والمزعومة، أتركه لحكم الربّ... وأحدِّق، أنا الكاهن، في واقع كنائسنا اليومي. وإنّي، إذ أحاول أن أعرف كيف تعيش ولمـا تعيش، وكيف تفكّر وبما تفكّر، وكيف تظهر للناس ولما تظهر للنـاس، أجـدني مضطرّاً للاعتراف بحرقة: بأنّه ليس فينا ما يُغري الإنسان بيسوع...

ذلك لأن المؤسّسة الكنسية لم تعد تقوم بوظيفتها الأساسية، ألا وهي أن تكـون هذا المجال الحيوي الذي يتيح للإنسان – الكاهن والعلماني على حدّ سواء – أن يرى وجه يسوع المتأنّس...

أكثر من هذا.

يبدو لي أنّ الكنائس القائمة تنطوي على كل ما من شأنه أن يحمل على الكفـر بيسوع...

هذا الواقع العام، لا أستثني منه إلا أفراداً قلائل – طبعاً لست منـهم – لا يعـدل مَثَلُهم بأي حال مَثَلَ المجموعة الكنسية ككل، بل قد يخلع عليه مزيداً من بروز وبشاعة.

فما هي الصورة التي نعكسها في الواقع ليسوع، فينا كأفراد؟

وما هي الصورة التي نعكسها في الواقع ليسوع، فينـــا كمجموعـــة كنـــائس؟ وبعبارة أخرى:

ما هو الإله الذي يرى الناس، وبصورة خاصة الجيل الجديد، وجهه في وجوهنا!

هل هو حقاً إله الإنجيل؟

هل هو، حقاً، الإله الذي آثر الإنسان على ذاته، فالتصق به كلياً وأبداً، وصار منه وله؟

الإله الذي أراد أن يكون الإنسان غايته هو، كي يريد الإنسان بدوره أن يتّخذ منه غايته؟...

الإله الذي فرض على الإنسان مطلقاً أوحد هو المحبّة؟

الإله الذي جعل من كل الوجود، أجل كل الوجود، وسيلةً لتحقيـــق إنســـانيّة الإنسان: من ذاته ومن الكون والأرض، ومن المال والسلطة والمعرفة؟

الإله الذي حدّد لشهوده عرشاً واحداً يعتلونه في حياهم، هو أقدام القريـــب، والقريب دوماً فقير، وقد مات هو من أجله على صليب؟

هذا الإله، هل يراه، حقاً، الجيل الجديد فينا، أفراداً ومؤسّسة، حتى يؤمنوا به؟

بالتأكيد: لا!

فمظاهر الإلحاد في الكنائس كثيرة...

وأكثر منها مظاهر الإلحاد في حياة ممثّلي يسوع، الرسميين وغير الرسميين.

وبين هذه المظاهر وتلك، قاسم مشترك، هو العلاقة القائمة داخل الكنيسة أولاً، وبين الكنيسة والعالم ثانياً، تلك العلاقة التي تبدو لي وكأنّها تجعل من الله وســـيلة، ومن المؤسّسة غاية، أسميت هذه المؤسّسة بلداً، أم طائفة، أم رهبانيّة أم جمعيـــة أم أبرشية أم مشروعاً، أم مركزاً أم كرسيّاً!

وهذا هو في تقديري الطريق إلى الكفـــر... أن يُحـــوَّل الله إلى وســـيلة، وأن يُستبدل بصنم.

وما أكثر ما رفعنا من أصنام!

فقد رفعنا صنم القداسة... نعتصم باسمه في أبراجنا العاجيّة، نغسل فيها الأيدي من عالم عربي، ما كان الله أن يحكم علينا بالعيش فيه، فما عدنا نرى فيه إلا وجهه المتردّي، لا وجه القريب يسوع.

ورفعنا صنم الحقيقة... نُبقي باسمه على جسد المسيح ممزّقاً، ونجلس نتباكى عليه...

ورفعنا صنم الوصوليّة... نستخدمه ونستخدم القريب باسمه، ونحن نتحدّث عن الكرامة...

ورفعنا صنم الطاعة... نحبس به حريّة الناس... ونحن أوّل من يعصي الله.

ورفعنا صنم العصمة... نترّل باسمه على الناس أحكامنا، وقد نتجاوز كل الحدود، بما فيها بشارة يسوع...

ورفعنا صنم الجهل... نستره وراء الصيغ الشكليّة، تُبعدنا عن الناس، وتنفّر الناس منّا...

ورفعنا أصناماً أخرى كثيرةً، أغضّ عن ذكرها... وأنتهي إلى الصنم الذي يتلاشى أمامه كل ما سواه، والذي يكاد يكثّفها جميعاً، عنيت به صنم المال...

المال... إله ولا كالآلهة، طال السجود أمامه، ولّما ينتهِ... وقد لا ينتهي إلاّ بعودة للمسيح كما في الهيكل.

كلّ هذه الأصنام تكشف عن وجود فصام عجيب.

فصام بين الله والذات...

وفصام بين الصلاة الخاشعة والحياة الواقعيّة...

وفصام بين الكلام الحلو والسلوك الشخصيّ...

وفصام بين ادعاء المشاركة والقسوة العمليّة...

حتى بتّ أعتقد، أنا الكاهن، أنّ المحبّة فارقت المؤسّسة التي تدّعي تمثيل إله المحبّة..

وبتّ أتساءل كيف يطيق البعض أن يهدروا ما يكاد يكون العمر كلّه والطاقات كلها، في إبعاد معوّقات تأتيهم، في نطاق حياهم وعملهم، ممّن يُفترض فيهم أن يزوّدوهم بالقدوة والقوة...

وبتّ أيضاً لا أصدّق كيف لا يختنق البعض من روح الخوف والخنوع، والامتثاليّة والعدوانيّة، والدّسيسة والكسب الخسيس، يتأكّل كالسرطان من يُفترض فيهم أن يكونوا نماذج قدوةٍ في الحرية والرجولة والنزاهة...

فهل من عجب، بعد كلّ هذا، أن تظهر هذه الكنائس بمثل ما تظهر به من عُقم روحي وثقافي وإنسانيّ؟

مع أنّنا نقول ونؤمن بأنّ الكنيسة أمّ!

وإنها، حقاً، لأمٌّ عجيبة، تلك التي ترى بعض أبنائها مثلاً، بل بعض شعوبها، يُظلَمون ويُقتَلون، فلا يرتفع لها صوت، على ما به من "بحّة" مستعصية، مصطنعة وموقّتة!

وأعجب من ذلك ألاّ يمتدّ خيال تلك الأم – وخيال الحب لا يحدّ – إلى ما هو أبعد وأفضل من تشييد أبنية للصلاة وغير الصلاة، تُرصد لها الملايين... وبعض أبنائها يصرخ جوعاً إلى اللقمة والعلم والكلمة...

ما أرهبه من صنم، صنم الحجر يُشاد على البشر باسم الله، ويُشاد عليهم عالياً ضخماً، تغطية لفراغ داخلي، أخشى ألاّ يكون من بعدُ مكان ليسوع فيه!

نبحث عن مشكلة الإيمان لدى الجيل الجديد؟

تلك هي المشكلة.

تلك هي، في تقديري، مشكلة المشاكل، بكل واقعيتها وحدّها.

إنها مشكلة القدوة والشاهد القدوة.

ففي عصرٍ يموت فيه، كل يوم، وفي أمكنة كثيرة، بل قريباً منا، وعلى أرضنا العربية بالذات، شهود كثيرون، من أجل عقيدة أو أرض أو كرامة، وبكلمة

واحدة، من أجل الإنسان، لا يمكن أن يؤمن الجيل الجديد، وبعضه من هؤلاء الشهود الشهداء، بمؤسّسة، كل ما فيها يدفعها في الاتجاه المعاكس، حيث تختنق الحياة، حياة الروح والفكر والسعادة، في أبنائها، بدءاً من الكهنة.

فمن أين لنا أن نحلم بإقدام بعضهم على الكهنوت، سبيل حياة وعطاء لهم وللناس من حولهم؟

ألا، ما أروع الكهنوت مثلاً!

وما أغربه واقعاً!

هكذا أفهم مشكلة مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإيمان.

وتلك هي شهادتي. وإنها لقائمة، ولا شكّ. وقد يرى البعض أنني أفرطت في تسويد هذا الواقع. فليسمح لي هؤلاء، في ختام حديثي، بطرح السؤال التالي بصراحة.

لو أتيح لكل منّا أن يعود بالزمان إلى الوراء، بحيث يختار من جديد نمط حياة خاصّاً به، هل تراه كان يختار الكهنوت مرة أخرى؟...

صحيح أني لست أنا الذي اخترت دعوتي، إنما يسوع هو الذي اختارني.

ولكني أسائل نفسي دوماً ما الذي فعلته لأكون، جهد المستطاع، على مستوى هذا الاختيار؟

وإنّ الصدق في الإجابة ليضعنا، دون شكّ، أمام المشكلة الحقيقية المطروحة بحدّة بالنسبة إلى إيمان الجيل الجديد بيسوع أو الكفر به...

فأنا أعتقد أن ما نلمس من كفر يذهب في اتساع وفي عمق، هو في حقيقة الأمر، كفرٌ بنا نحن، وإيمان معكوس بيسوع...

فما زال يسوع هو هو أمس واليوم وغداً، يستحوذ على إعجاب الكثيرين. وإنّ لفي سواد شهادتنا ما يبرز سناء جماله هو.

كما إني أرى أنّ اكتشاف البعض من أبناء الجيل الجديد ليسوع، يرغمنا

وسيرغم الكنائس يوماً، على التزام جانب من الصدق أكبر وأعمق، وبالتالي على الكفر بمظاهر كفرها والعودة إلى يسوع...

وعندها تكون الأدوار قد انقلبت!

وإذا بالجيل الجديد، هذا الجيل المسمّى بالكافر والرافض، يقودنا مـــرغمين إلى الإيمان بيسوع، فيما كان يجب أن نقوده نحن إليه...

وتلك هي، في تقديري، إحدى أعظم عطايا الرب لنا.

رسالة الأب حليم ريشا رئيس برادو الشرق

« أخي إيلي،

إنّ شهادتك عن مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإلحاد في الكنائس، فيها نبرة يوحنا المعمدان. لوحاتٌ متسارعةٌ قاتمة، منعطفاتٌ عنيفةٌ ثائرة، لكنها في العمق صرخةٌ واقعيّة تعبّر عن ألم الشاهد الصادق.

إني لا أجد فيها أية غرابة. وقد ركّزتَ على عنف الألفاظ والمفردات، لتُظهِر عنف المواجهة والصدمة. كشفتَ صدمةً، فأحدثتَ صدمة.

كشفتَ صدمةَ الجيل الجديد أمام كذب الشهادة.

وأحدثتَ صدمةً في ضمير الشاهد المزيّف.

إنّ صوت المعمدان ما زال يدوّي في الصحراء...

لا تخف، فإن تعبتَ من الصراخ، لك منّا حناجر...

أخوك حليم

دمشق في 1973/9/6 »

3) "القدّاس والحرب".

نشبت حرب تشرين في الخامس منه عام 1973. وكان لأسرة الرعية الجامعية خلالها وبعدها، حضور فعال ومتعدد الوجوه، منه التبرع بالدم، وزيارة الجرحى في المشافي بصورة منتظمة، والعمل على زيادة الإنتاج بالتعاون مع بعض المعامل، ومنه خصوصاً الصلاة وإحياء القداس طوال فترة الحرب، وفترة حرب الاستنزاف. وقد كثّفنا مجمل جوانب هذه الحياة، في نص يحمل عنواناً مثيراً وصادماً، هو "القداس والحرب"، وهو يطرح رؤيانا الحقيقية لقضية السلام والحرب. وإني لأورده هنا بحرفيته، كما نشر في مجلة بطريركية الروم الكاثوليك الصادرة في شهر كانون الثاني عام 1974.

على درب المشاركة: القداس... والحرب

في أي معركة، العبرة أولاً لمعنويات المقاتل، معنويات تنبع من عدالة وقدسية القضية التي لأجلها يخوض المعركة وللتعبئة النفسية والروح الوطنية التي يعيش، ثم للتدريب التقني وقوة السلاح.

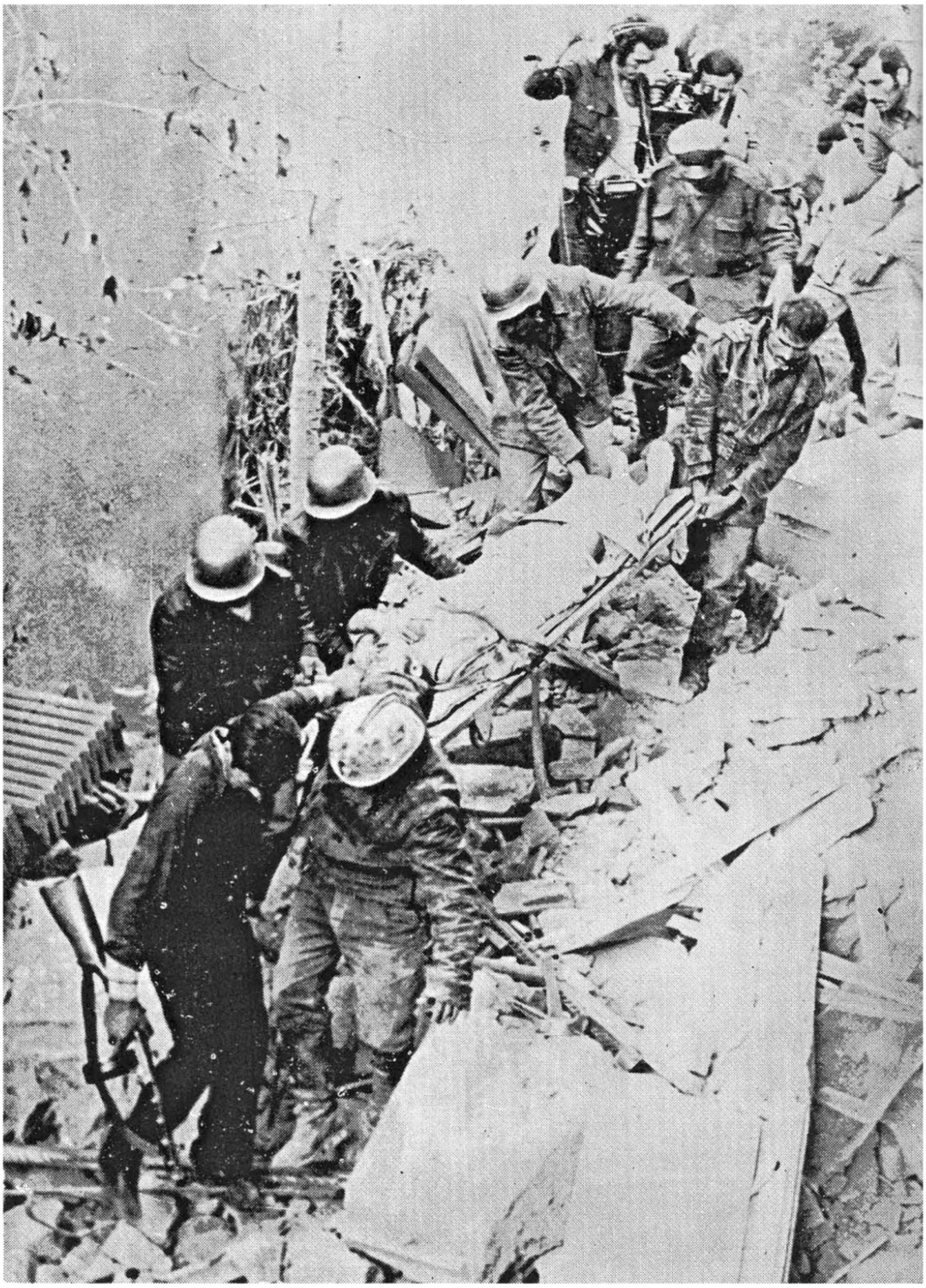

رجال الدفاع المدني يعملون على إخراج الضحايا المدنيين من تحت الأنقاض في حي أبي رمانة الذي قصفه الطيران الإسرائيلي.

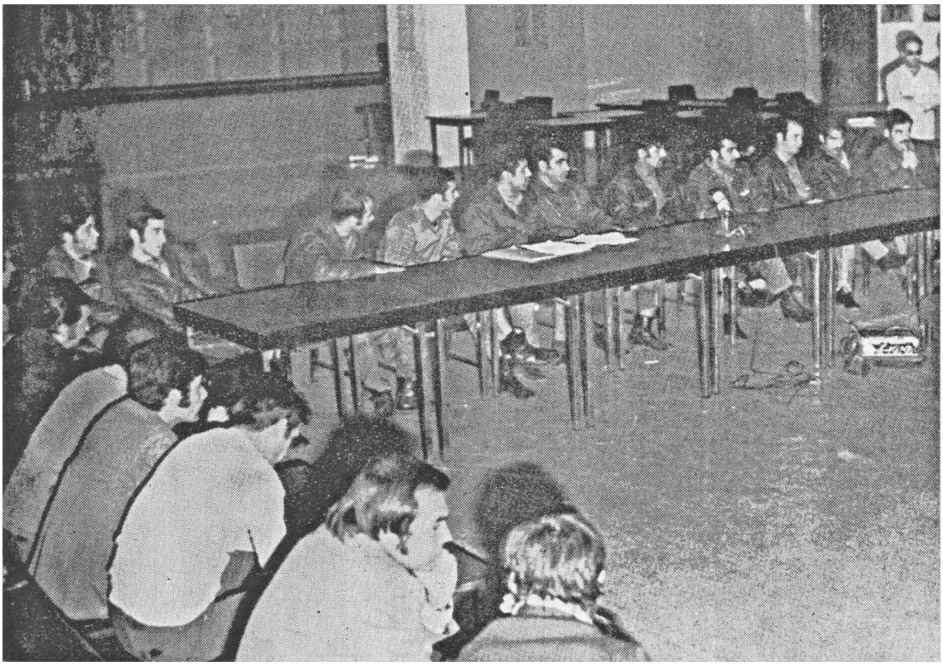

نسور قواتنا الجوية المسلحة في مؤتمرهم الصحفي بعد المعركة.

من كان يتوقع السادس من تشرين؟!

ومن كان يحلم بما حدث فيه وبعده؟!

أمران كانا في حكم المستحيل! أكانا حقاً في حكم المستحيل؟... ما حدث لم يكن حلماً، بل واقعاً عاشه كل إنسان عربي، فبُعِث إنساناً جديداً، من أعماق، هي والتاريخ واحد.

هذا الجديد يلف أسرة الأمة كلها من محيطها إلى خليجها، ما كان لأسرة الرعية الجامعية، وهي في دمشق – ودمشق يومها عادت ناراً ونوراً – إلا أن تعيشه، كما كل عربي، إشراقة ذهول، ورؤية يقين، وتدفق وعطاء.

عاشته الأسرة في المستشفيات العاملة، عناية بأجساد بعثت الروح في الأمة...

وعاشته في المعامل، وفي بيتها بالذات، مجهوداً متواضعاً يزيد من إنتاج يمدّ البلاد بأسباب النصر...

وعاشته صلاةً استعادت الجلجلة والقيامة، عبر الجولان وسيناء...

وكانت تلك الصلاة حقاً تجربةً فريدةً، أقله بالنسبة إلى البيئة الدمشقية.

كان الناس يلتقون مساء كل أحد، كما في كل كنيسة، في بيت الأسرة، للقداس الأسبوعي العادي. وإذا بأسرة الرعية تستجيب، بعفوية مطلقة، للنداء ينبع من الأعماق، فتفتح فكرها وقلبها وبيتها... للحرب، وتزجّ بها ذبائح سخية من الفداء العربي، على هيكل مَن ذبيحته رمز لكل فداء.

<u>أحرب وقداس؟!</u>

أجل، تعانقا، بعد إذ كانا يبدوان متباعدين كالنقيضين. فاحتضن القداس الحرب، وأحيت الحرب القداس.

لم يعد القداس قداساً كما ألفه الناس. لم يعد طقوساً... وكلمات... وترانيم... وإشارات! بل أصبح، بل عاد محرقة فداء، فيها حق مقدس اسمه الأرض والإنسان، يُصان بالسلاح، وفيها "يراق دم زكي" "من أجل الكثيرين"... وبعفوية مدهشة تمّ كل ذلك.

منذ اليوم الأول للحرب، أدرك بعض أفراد الأسرة أن الأمر يعنيهم إلى أبعد حد. وانطلاقاً من إيمانهم بقدسية القضية العربية، عملوا على الجمع بين هاتين القمتين، قمة الحياة المسيحية: القداس، وقمة التاريخ العربي الحديث كله: حرب تشرين. فاجتمعوا نفراً قليلاً من شبان وشابات، يستلهمون الإنجيل والأحداث في آن واحد، ويصوغونها آيات وصلوات يشاركون بها غيرهم من المؤمنين، في صلاة، هي في حقيقة الأمر، تجديد لصِلاتٍ تشدّهم إلى يسوع والإنسان معاً.

وما كان بالطبع لتقويم أو ترتيب طقسي أن يجمّد هذه الاندفاعة من الحياة. أفما قال يسوع: "إن السبت جعل للإنسان"؟!

كان الهيكل طاولة عادية، وقف وراءها الكاهن وجهاً لوجه في ملاصقة تامة مع الصفوف الأمامية من المصلين... والتزم في "العظة الإنجيلية"، بعد الأخذ برأي

هؤلاء، باللغة المحكية... وأتاح لشاب وفتاة أن ينقلا الكأس والصينية من مؤخرة "الكنيسة" إلى "الهيكل" عبر الممر الرئيسي، بينما كان بعضهم يجهرون بنياتهم الشخصية، بعفوية كلية، كان الشبان البادئين بها. واختير من الإنجيل آيات مناسبة، ومن الحياة وقائع يومية، وتليت الآيات الإنجيلية، تلاها شاب أو فتاة، وتُرجمت الوقائع صلوات مكتوبة، يجهر بها الجميع، بصوت واحد أو مناوبة. وكان يجمع بين هذه وتلك محور رئيسي يستقطب كل أسبوع التفكير والتأمل والعظة والصلاة.

وقائع وآيات

كان المحور الأول الفداء، شرطاً أساسياً من شروط المعركة، تخوضها الأمة العربية من أجل الحق والحياة. يقابله في الإنجيل قول يسوع أن "ما من حب أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه فداءً عن أحبائه". وكان المحور الثاني: ولادة الإنسان العربي الجديد، من حيث هو الرجاء الأكبر المرتقب. يقابله في الإنجيل قول يسوع: "إن لم تمت حبة الحنطة بقيت وحدها، وإن هي ماتت أتت بثمر كثير". وأما المحور الثالث فكان المشاركة، موقفاً أوحد يتوجب اتخاذه على كل إنسان ينشد الحق، ولا سيما الإنسان العربي. يقابله في الإنجيل حدث الصلب... وهكذا كل أسبوع... من محور حضور يسوع في الإنسان، ولا سيما الإنسان المعذب والمظلوم، إلى محور انغراس سيف المحبة في قلب المؤمن، قوة انعتاق وإعتاق... إلى محور سهر المؤمن حتى النهاية، بالقرب من يسوع في... جبل زيتون اتسع واتسع حتى شمل، بعد القدس وفلسطين، مصر وسورية والأردن ولبنان، وفيتنام وإيرلندا، وكمبوديا والتشيلي وجنوب إفريقيا، بل العالم كله... حيث المسحاء يتجرعون "الكأس" "من أجل الكثيرين...".

وبتكيف التأمل والصلاة أسبوعياً، مع الأحداث والإنجيل، كانت الطلبات المألوفة في بدء القداس وقبيل كسر الخبز، تتغير تلقائياً، لتحل محلها طلبات تنبض بنبض الحياة والأمل والقلق في قلوب الناس وبيوتهم، وفي شوارع المدينة وساحة

المعركة، والكل يختم بتأمل يعقب كسر الخبز، يتلوه شاب أو فتاة، يضيف به على رؤية المجموعة وحبها، شحنة من إيمانه وحبه.

وينطلق الجميع بسلام الرب وفرحه...

بذلك صاغ الجامعيون إنجيلاً مذهلاً بنبضه وحضوره، عاشوا بنوره حقيقة الحرب ذبيحة فداء، وواقع الموت مولداً للإنسان المرتقب، الإنسان العربي الجديد.

صلوات حيّة

من هذه الصلوات، وميض من حضور الرب اليوم، متمثلاً في المقاتل العربي.

- حاملاً صليب سلاحه:

يا رب، ذات مرة رأيت جندياً يتقدم رفاقه، سلاح حديدي على كتفه... فتمثلت لي تتقدم الجموع، وصليبك الخشبي يثقل كاهلك، وأنت صامت. فلأجل أن يحمل كل منا صليبه بصمت ويتبعك بشجاعة نصلي: يا رب ارحم.

- وسائراً على درب الفداء:

يا رب، في هذا الأسبوع، كان حضورك شاملاً. لقد التقيت مع الكثيرين منا على درب الفداء.

اجعل يا رب من درب الفداء هذا درب خلاص لنا، خلاص من فرديتنا، وخلاص من عزلتنا: استجب يا رب.

- يموت ليهب الحياة...

يا رب، لقد أعطيت ذاتك من أجل الإنسان...

واليوم لنا أخوة كثيرون يعطون ذواتهم من أجل تحرير الإنسان العربي. نسألك يا رب أن تكون عوناً لهم في الدفاع عن الحق والإنسان: استجب يا رب.

- ويغمر الوجود بالحب...

يا رب، قبل أسابيع كنا نشك في وجود الحب، نشك في كل إنسان من حولنا... واليوم، ومنذ أسبوع بالذات، نعيش في فضاء من الحب، الحب الذي

أفاضه علينا إخوتنا المقاتلون، فاجعلنا ندرك يا رب، أننا أخذنا كثيراً، وعلينا أن نعطي بالمقابل: استجب يا رب.

- ويدعو الناس للمشاركة...

يا يسوع، نعود من جديد لنلتقي حول ذبيحتك في وقت تحوّلت فيه أرضنا إلى مذبح، حيث يرتفع لنا إخوة ليلتقوا معك في ذبيحتك على الصليب.

نسألك يا رب ألا نبقى متفرجين على هذه الذبيحة، بل أن نشارك فيها: استجب يا رب.

- في عطاء به وحده يقيّم الإنسان...

يا يسوع، صليبك مقياس العطاء... عندما نقف أمامه نشعر بصغرنا...

واليوم ازداد عدد الصلبان، وازداد عدد الذين يبذلون أنفسهم من أجلنا...

نسألك يا رب أن تكون هذه الصلبان ناقوساً يدفع كلاً منّا إلى العطاء: استجب يا رب.

ومن هذه الصلوات أيضاً، دعوة ملحة للولادة الجديدة. تكون على الصعيد الشخصي:

- انعتاقاً من الذات:

يا رب، بالأمس فقط، ومع بدء المعركة، كنت أهتم بإرضاء أناي فقط. ولكنك جعلتني أدرك أن لا حق لي في التفكير بنفسي في هذا الوقت العصيب. جعلتني أكتشف ذاتي الحقيقية: لقد ولدت من جديد بين طلقات المدافع وضلوع الجنود والشهداء. لقد تحررت من أناي، وبتّ أفكر بالإنسان الذي يخترق جسده الرصاص، وهو صامد خلف سلاحه ليحمينا.

فلأجل أن يكتشف كل منا ذاته، ويتحرر من أناه نصلي: يا رب ارحم.

- وتجاوزاً لكل أسباب الهروب:

يا رب، على جبل الزيتون، كانت أعين التلاميذ ثقيلة... حتى أنهم ناموا...

وما أكثر ما كان يثقل أعيننا حتى اليوم: اللامبالاة، الاستهتار، الغضب، الحزن، الخوف، الأنانية، الحقد...

نسألك يا رب أن تساعدنا على تجاوز كل ما يمكن أن يدفعنا للنوم، لنستطيع أن "نسهر" معك، ومع جميع الساهرين على حياة البشر وكرامتهم: استجب يا رب.

- وقتلاً للرثاء...

يا يسوع، كنت ناصعاً في صداقتك، صادقاً في وفائك...

ونحن نغرق أنفسنا في بحر من العبودية والمذلة، بادعاءات المحبة والصداقة. ونحرق حتى قطرات الماء استغلالية وكذباً وحقداً.

فلأجل أن نتحرر من كذبنا واستغلاليتنا وحقدنا، نصلي: يا رب ارحم.

- وانفتاح عقل وقلب على الآخرين:

يا يسوع، لقد دام هطول المطر يومين متواصلين. لم يكن للكثيرين مأوى سوى خيمة يحتمون بها... لكنها لم تحمهم من الأمراض التي فتكت بهم من جراء البرد. ولم يكن لهم دواء! هذه المشاهد يا يسوع تملأ بلادي، وأنا لا أحس بها، لأني في منزلي الحجري الدافئ... فهل في ذلك يا رب أثر للمحبة التي مارستَها في حياتك؟ فافتح يا رب عيوننا وأذهاننا وقلوبنا، لنرى ونفهم ونعيش المحبة بصدق. آمين.

وتكون على صعيد الجوار القريب:

- اكتشافاً متبادلاً بين غرباء الأمس...

يا رب، صفارات الإنذار جمعتنا في ملجأ واحد. فوجئت بوجوه لم أكن أعرفها. عرفت فيها فيما بعد أخوة لي. شعرت ونحن نواجه خطراً واحداً، بحاجة كل منا للآخر، وعرفت، يا يسوع، أنك كنت ذلك الطفل المذعور، ذلك العاجز المحتاج إلى من يتكئ عليه. عرفتك في جميع... جيراني!

فلكي يعرف كل منا الآخر، نصلي: يا رب ارحم.

- **ومصالحة جذرية بعد جفاء...**

يا رب، كل صباح كنت أرى جنوداً كثيرين في الطريق. لم يكن لهم أي مكان في نفسي. لكنهم الآن يمنحوني حياتهم بدون مقابل. فمن أكون بالنسبة إليهم؟ ومن هم بالنسبة إلي؟ هل كنتَ تشير إليهم حين كنتَ تحدثنا عن القريب؟

فلأجل كل من دافع ويدافع عن الإنسان والوطن، نصلي: يا رب ارحم.

- **وابتهالاً من أجل كل أم يعيش ابنها الفداء...**

أيتها العذراء، ماذا قلت لأعداء ابنك حين أخذوا منك يسوعك؟ لقد آثرت الصمت، لأن يسوع كان طريق الحق والحياة وواهب الحياة لكل الأجيال. فكما أنك تقبّلت السيف الذي اخترق قلبك، نطلب إليك أن تساعدي كل أم على تقبّل صليبها، فتعرف أن ابنها مسيح آخر، يُصلَب من جديد لفداء الكثيرين...

فلأجل أن تتشبه بك كل أم، نصلي: يا رب ارحم.

وتكون على صعيد الجوار الأبعد:

- **إعجاباً بتضحية الآخرين...**

يا رب، أكياس القمح كادت تحترق. لكن إخوتنا أبوا أن نبقى بلا خبز، فتجندوا تحت خطر القصف، ونقلوا هذه الأكياس في ساعات.

نسألك يا رب أن نكون جميعاً وفي جميع الظروف، على هذا المستوى من التضحية: استجب يا رب.

- **ودعوة للتشبه بهم...**

يا رب، نكران الذات وحده يحقق المعجزات. فإنزال الذخيرة من السفينة كان في السابق يحتاج لأيام. لكنه تم خلال ساعات معدودة...

نسألك يا رب أن نعيش جميعاً هذا النكران للذات أسوة بإخوتنا: استجب يا رب.

- **ورغبة في العطاء على صورتهم...**

يا يسوع، "سيفك" مؤلم، لأنه سيف محبة وعطاء. فَهِم أبناء القطر بفطرتهم تلك

المحبة، فهبّوا لضم جهودهم إلى جهود إخوتهم العمال في أحد معامل المعلبات. ورفعوا بذلك الإنتاج من (7000) علبة إلى (22000) علبة في اليوم الواحد!

نسألك يا رب أن تبارك هذه الجهود كلها، لتدوم علينا نعمة الاستمرار في العطاء، استجب يا رب.

- وإرادة انعتاق من الذات في سبيل عطاء أوسع...

يا يسوع، تلميذك بولس قال: إن من تجند لا يرتبك بأمور الحياة، ليخدم الذي جنده. ونحن إذ نسمع هذا الكلام، نتذكر إخوة لنا في مكان ما من القطر، توافدوا تحت الخطر ليزيلوا الأتربة المتراكمة بفعل القصف الجوي على مهبط المطار، فأزالوها في ساعات، وكان مثل هذا العمل يستغرق أياماً...

نسألك يا رب أن نكون جنوداً لك في عطائنا، ولا نعود نرتبك بأمورنا الذاتية: استجب يا رب.

- وتطلعاً صادقاً إلى تحمل المسؤولية...

يا رب، في ساعة النصر نحن نندفع إلى المقدمة، ليكون لنا نصيب من الفخر. أما في الأزمات، فإننا نتأفف وننسحب ونكيل التهم لغيرنا... أما أنت يا يسوع فتندفع حين ينهزم التلاميذ، لتكون طليعة تُظهر وجه الفداء في الإنسان.

فلكي نشارك بصدق في وجودنا الإنساني، ونشعر بارتباطنا الصميمي بمجتمعنا العربي، فنتحمل مسؤولية كل ما يحدث فيه، ونندفع لدعم إيجابياته كلها، وللإسهام في معالجة سلبياته كلها، نصلي: يا رب ارحم.

- وانسلاخاً حراً حتى عن الأهل، في سبيل الحق والإنسان...

يا رب، أنت هو القائل: "من أحب أباً أو أماً أكثر مني فلا يستحقني"...

كثيرون يا رب فهموا هذه الكلمات على حقيقتها، فلم يعد غريباً أن نشاهد شباباً يتطوعون بملء حريتهم، ومنهم أحد إخوتنا في أسرة الرعية الجامعية، للاشتراك في معركة الدفاع عن الوطن والحق، تاركين وراءهم آباءهم وأمهاتهم.

نسألك يا رب أن نفهم جميعاً كلمتك، كلمة الحق، وأن نعمل بها: استجب يا رب.

- وسؤالاً إلى الرب للتشبه الأمثل به...

يا رب، هل حقاً لك دور في حياتنا، أم ترانا نكتفي بالكلمات الرنانة؟

ما أحوج عالمنا اليوم إلى أناس ثابتين يشهدون لك يا يسوع. إنه الكاهن، ذلك الإنسان الذي، إذ يذكرنا دوماً بك، ينبهنا إلى أن هناك من يترك العالم ليحمل صليبك ويكوي نفسه بنار المحبة والعطاء، كي يبذلها للناس بجرأة وصدق.

فلأجل أن تحيا يا يسوع في كل منا، فيكون كاهناً، مهما كان الثوب، نصلي: يا رب ارحم.

وتكون على صعيد الوطن العربي والعالم:

- ابتهاجاً بالتضامن بين فقراء العالم...

يا رب، أراك متجسداً في أمتي، وقد قلت: "متى اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون بينهم". ومن لا يريد أن يكون مع الرب؟... مغاوير من المغرب، مدرعات من العراق، لواء من الأردن، مساعدات طبية من لبنان وكوبا وباكستان وبنكلادش، شحنات الشاي والبطاطا من دول أكثر فقراً وحاجة منا... أرى في كل هؤلاء يا رب، وجوه من زاروك في مذودك، وقدّموا لك ما تملك أيديهم.

فمن أجل هؤلاء جميعاً نصلي: يا رب ارحم.

- وتضامناً مع الأحرار في العالم...

يا رب، لقد قلت لتلاميذك: "اسهروا وصلوا معي". لكنهم ناموا وتركوك تواجه مصيرك وحيداً. ونحن اليوم يا رب، إذ نحدّق في العالم من حولنا، نرى أن جبل الزيتون قد اتسع كثيراً... إنه العالم بأسره، إنه العالم الثالث المتخلف، إنه عالمنا العربي... ومسحاؤنا فيه اليوم كثيرون... فما أكثر المعذبين والجرحى والمضطهدين والجياع والمرضى والسجناء والفقراء والمناضلين... لكننا نحن

تلاميذك يا رب غفونا... فلأجل أن نسهر مع جميع مسحائنا على جبال زيتوننا، نصلي: يا رب ارحم.

- ودعوة لإزالة التفاوت في العالم...

يا محب البشر، كان عدد الجائعين في العالم سنة 1938، يمثل ثلث البشرية. أما اليوم فأصبح يساوي الثلثين. والتفاوت آخذ في التزايد بين الشعوب الفقيرة والدول الغنية... نسألك يا رب أن تسيّر خطى المسؤولين في العالم، ليجنّبوه كوارث المجاعات والأمراض والحرمان والحقد القتّال والظلم الأعمى... استجب يا رب.

- ودعاء من أجل إعلاء الإنسان واحترامه...

يا رب، 550 مليوناً من البشر يمكن إنقاذهم من الملاريا، بتخصيص مبلغ لا يتجاوز 150 مليون ليرة سورية. ولكن هذا المبلغ يا رب "غير متوفر"... برغم كل أموال الدنيا، مع أنه لا يساوي إلا جزءاً واحداً من ثلاثة آلاف جزء في ميزانية تسلح إحدى الدول الكبرى...

فعلّمنا، يا رب، وعلّم قادة العالم أن الإنسان هو أغلى ما في هذا الوجود، الإنسان الذي أحببت وصادقت ومن أجله متّ. استجب يا رب.

- وابتهالاً من أجل القادة العرب وقادة العالم كله.

يا رب، نسألك من أجل قادتنا وقادة الأقطار العربية، وقادة العالم أجمع...

نسألك أن تكون النبراس الذي يضيء أذهانهم وخططهم، ليعرفوا:

أين الحق، وكيف يُعدَل به.

وأين الحرية، وكيف تؤخذ،

وأين السلام، وكيف يستتب،

وأين الإنسان، وكيف يقيّم: استجب يا رب.

- وسؤالاً من أجل عودة الضمير إلى العالم...

يا رب، بعض الشعوب الغنية تشكو اليوم من البرد، وتثور ثائرتها على الملايين من البشر، كانت هي بالأمس قد حكمت عليهم بكل برود وراحة بال، بالتشرد والضياع، والتلف فقراً وذلاً وحقداً.

نسألك يا رب أن تعيد إلى العالم ضميره الضائع، وأن تغمر قلوب الجميع بدفء الوعي الصادق، والحق المستعاد والكرامة المصونة: استجب يا رب.

تجربة روحيّة بعيدة الأثر

تلك بعض صفحات للإنجيل جديدة كتبتها أسرة الرعية الجامعية بدمشق، وسجلتها تجربة روحية لا يدرك بعدها وعمقها إلا من عاشها معها، تألقاً حول يسوع، واستنطاقاً صادقاً للأحداث، وشركة صلاة حول مائدتي الكلمة والخبز.

وهكذا كانت منذ حرب تشرين، وما زالت، تحيا القداس وتحييه، مع جماعة من المؤمنين، جاؤوا من أحياء مختلفة ومن مستويات فكرية واجتماعية متفاوتة.

ولقد كانت هذه التجربة ولا شك إحدى النتائج... المغمورة جداً لحرب بدّلت الكثير من المفاهيم والموازين في العالم...

ولكنها، في دنيا الروح، نتيجة لا يستهان بها، لأنها، في ما يبدو، لم تكن ضئيلة الأثر على شباب متعلم ومثقف، وجد أخيراً، بعد تمزق وضياع، الطريق إلى ذاته في نار الحرب، ونور المسيح.

وبعد، أوَلسنا جميعاً على هذا الطريق؟

دمشق 1973/12/8

4) من له أذنان للسماع، فليسمع.

كانت أسرة الرعية تحرص دائماً على نقل رسالتها العربية المسيحية، إلى من ترى لزاماً عليها أن تبلّغهم إياها...

وما كانت لتلقى آذاناً صاغية.

مع ذلك حدث لي، بوصفي مرشداً لها، أن سافرت في فترة وجيزة من عام 1974، إلى باريس والقاهرة.

وفي كلتا الرحلتين، عشت خبرات هامة جداً، رأيت من واجبي، أن أنقلها فور عودتي إلى دمشق، إلى أصحاب الشأن، عساهم!...

أنقل هنا النص الذي كتبتُه وأرسلته إلى "أصحاب الشأن"... بحرفيته، وهو بتاريخ 1974/7/11.

« تقرير حول رحلتي إلى باريس والقاهرة

دمشق في 1974/7/11

قصدت باريس أولاً بقصد العلاج... كان ذلك من 1974/5/11 إلى 1974/6/3.

وقصدت القاهرة ثانياً بدعوة من مكتب الكنائس العالمي، للاشتراك في مؤتمر يضم ممثلين عن كنائس إفريقيا والعالم العربي... كان ذلك من 1974/6/17 إلى 1974/6/23.

أولاً- في باريس:

ماذا كنت أريد فعله، خارج نطاق المعالجة؟

1- إجراء بعض الاتصالات مع بعض المسؤولين هناك، ممّن كنت أعرف، أو أودّ التعرّف إليهم، على صعيد قومي بحت، استمراراً للقاءات سابقة تمّت، أو لم يتسنّ لي أن أقوم بها... وكنت أنوي القيام بها، لأتبيّن آثار حرب تشرين بالذات على قوم، كثيراً ما كنت أراهم منحازين لإسرائيل انحيازاً تاماً وصادقاً.

2- وكنت أبغي شيئاً من الراحة، بعد سنة عمل تجاوزت كلّ حدود الإرهاق.

ماذا حدث في الواقع؟

1- بدأت منذ اليوم الأول اتصالاتي العادية مع العديد من الطلاب العرب... وأسعدني أن أكتشف أنّ حرب تشرين حرّرتهم من عقدة الخجل من عروبتهم، وأنّ سورية احتلّت في تفكيرهم ونظرهم مكانة خاصة...

2- وبدأت كذلك بعض اللقاءات مع البعض من رجال الدين والصحفيين الفرنسيين... وأسعدني أن أكتشف أيضاً وخصوصاً أنّ حرب تشرين أعادت

للعرب والعروبة في تفكيرهم واعتبارهم مكانة مرموقة... وأنّ سورية بالذات احتلّت في هذه النظرة الجديدة منزلة فريدة حقّاً...

3- وكانت قضية معلوط، وما أعقبها من قصف وحشي للمخيمات في لبنان. فقررت أن أدع راحتي جانباً، وبدأت حملة مركزة من الاتصالات، نظمتها بحيث جمعتني بالعديد من الشخصيات الفرنسية أو المقيمة في فرنسا، اخترتها من مختلف الأوساط الكنسية والصحفية والجامعية والاجتماعية، ممّن كنت أعرف موالاتهم للعرب، أو تأييدهم المطلق لإسرائيل، أو ممّن كانوا يحتلّون مركزاً مرموقاً جداً، ويبدون في شبه لامبالاة، مع تأييد حذر لإسرائيل، أخصّ بالذكر منهم الكردينال مارتي، رئيس أساقفة باريس ورئيس مجمع الأساقفة الفرنسيين.

ماذا اكتشفت في هذه اللقاءات؟

1- إن حرب تشرين زحزحت الجميع من مواقعهم: فكأني بمن كان يؤيّدنا وجد فيها تبريراً لتأييدنا، وبمَن كان يعادينا بدأ يشعر باحترامٍ لنا ولقضايانا، وبمَن كان محايداً - وهم الغالبية الساحقة - أخذ يطرح على نفسه السؤال بصدق حول النزاع العربي الإسرائيلي...

2- إن الكثيرين، ومن أكثرهم مكانة ونفوذاً، يجهلوننا جهلاً كلّياً أو جزئياً، مؤلماً، بسبب انعدام الدعاية العربية من جهة، وضخامة الدعاية الصهيونية من جهة ثانية، التي تعرف كيف تستغل حقد الغرب ضد العرب، وعقدة ذنب الغرب تجاه اليهود... من أمثال هذا الجهل:

- إن العروبة تعني الإسلام، والإسلام فقط.
- إن سورية خاضعة لاحتلال سوفييتي خفي!!!

3- إن الصهيونية تستغلّ عقدة الذنب هذه إلى أبعد الحدود، لتكسب أكبر قدر من التأييد والمؤيدين. من هذا مثلاً:

- إنها تدعو العديد من أصحاب النفوذ في فرنسا لزيارة إسرائيل، حيث تنظّم لهم اللقاءات مع المسؤولين وغيرهم، يعودون بعدها محمّلين بالهدايا ومشحونين بالإعجاب "لرواد الحضارة في شرق عربي ما زال يعيش في طور الخيم والغزو والبداوة"!!!
- إنها تندسّ في صفوف اللاهوتيين وكبار المفكرين المسيحيين، وتقيم معهم الندوات، بل وتنظّم معهم الجمعيات المشتركة، بقصد إقامة ما يسمى بالحوار المسيحي اليهودي، الذي ترمي من ورائه إلى تسخير الكتاب المقدس واللاهوت الغربي لأغراض الدولة الإسرائيلية.

4- إن الإنسان الفرنسي، أياً كان، يتأثر بالحوار الموضوعي الهادئ، لا سيما إذا كان محاوره إنساناً عربياً، وإذن إنساناً يتوقّع منه حماساً عاطفياً وغوغائياً لا يستسيغه الإنسان الغربي على الإطلاق... وتبلغ الدهشة أقصى مداها، عندما يقابل إنساناً عربياً يقول عن نفسه أنه مسيحي وكاهن عربي في الوقت نفسه وبنفس القدر!!!

5- إن الإنسان الغربي يتوق إلى التعرف إلى العالم العربي، ولكنّ بعضهم، إما بسبب افتقارهم إلى المال، وإما بسبب الدعاية الصهيونية، وإما بسبب موقفهم المؤيد إلى الآن لإسرائيل، وإما بسبب انهماكهم في العمل، لا يستجيبون لهذه الرغبة.

6- إنّ من الفرنسيين مَن يؤيّدنا بأفضل ما نستطيع أن نفعل، لأنهم يعرفون خفايا النفس الغربية، ويتقنون الأسلوب واللغة اللذين يصلون بهما إليها، ويؤثرون بهما فيها. وهم يفعلون ذلك في تحدٍّ دائم قد يعرّض حياتهم لما هو أكثر من التهديد العابر!

ماذا عساني أقترح؟

1- توجيه الدعوة، بواسطة الكنيسة في سورية، إلى بعض رجالات الكنيسة في فرنسا، لزيارة القطر العربي السوري، سواء بصفة رسمية أو فردية خاصة، وفق ما يتمنّون هم، إذ إني لمست تحفّظاً لدى البعض بشأن القيام بزيارة رسمية لسورية، مع

الرغبة الأكيدة في ذلك، أذكر من هؤلاء بصورة خاصة الكردينال مارتي نفسه، والكاتب الروماني العالمي فيرجيل جيورجيو، مؤلف "الساعة الخامسة والعشرون".

2- توجيه الدعوة عن طريق المراجع المختصة، لبعض الوجوه البارزة في الأوساط الجامعية أو الفكرية أو الاجتماعية، لزيارة القطر، وكذلك الأمر بالنسبة إلى بعض الصحفيين البارزين...

3- تنسيق العمل مع بعض الهيئات الكنسية في دمشق، للإفادة من الجماعات الغربية التي ترغب أن تنظّم لها لقاءات مع بعض المفكرين أو المسؤولين، لدى مرورها بالقطر.

ولئلا يبدو كلّ هذا معقّداً، أودّ أن أقترح بكل بساطة أن تُوجَّه الدعوة لبعض من التقيتُ بهم في فرنسا، وكنت ألححت عليهم لزيارة القطر العربي السوري، لا سيما وأن رجالات الدين منهم سيحلّون ضيوفاً على البطريركية بدمشق، وعلى المراكز الكنسية الأخرى خارج دمشق. وقد حدّثت بذلك المسؤولين الكنسيين بدمشق، وأبدوا كل الرغبة والاستعداد لذلك. وسأرفق قائمة بهم في نهاية هذا التقرير.

ثانياً- في القاهرة:

لقاء القاهرة تركّز حول شؤون العدالة والسلم والتنمية في إفريقيا والعالم العربي.

وقد بدا لي، في ما بدا:

1- أنّ الإفريقيين يجهلوننا، أقلّه بقدر جهلنا لهم...

2- أنهم يودّون التعرّف إلينا، بقدر ما نودّ التعرّف إليهم...

3- أنّ تاريخنا المشترك لا يخدمنا في هذا المجال، إذ إنهم ما زالوا متأثّرين إلى حدّ مدهش بتجارة الرقيق التي مارسها العرب قديماً على حسابهم، وإنهم كثيراً ما يرون مشكلات العالم العربي من خلال هذا المنظار!!!

4- أنّ الصهيونية تستغلّ هذا الجانب فيهم، كما تستغلّ تطورها التقني، ونفوذ

الحركات المسيحية البروتستانتية هناك – والمتأثّرة كثيراً بالعهد القديم – لتنفذ إلى أعماق النفس الإفريقية وإلى مؤسسات الإفريقيين.

هذه الوقائع أكدت لي ضرورة الأخذ بالنتائج التي توصلت إليها في إقامتي في باريس. لا سيما وأن من الإفريقيين من يحتلّ مكانة مرموقة إما في نطاق بلده – نيجيريا أو زامبيا مثلاً – وإما في نطاق القارة الإفريقية كلّها.

قائمة بأسماء وألقاب بعض الشخصيات التي التقيت بها:

1- في باريس:

1. الكردينال فرنسوا مارتي، رئيس أساقفة باريس، ورئيس مجمع الأساقفة الفرنسيين.

2. الأب "ريكه" المشهور بتأييده المطلق لإسرائيل، وله نشاط اجتماعي وفكري واسع.

3. الأب "بومان" المدير السابق لمجلة "شعوب العالم".

4. الأب "ماندرون" المدير الحالي لمجلة "شعوب العالم".

5. الأبوان "برنار فييه" و"تيو كليمان"، كاهنا إحدى أكثر الكنائس طليعيةً في باريس.

6. الأب "أورلندو ليتاو"، وهو برتغالي طليعي يشغل منصب المرشد العام للشبيبة العالمية المسيحية.

7. الآباء: "آبل باكييه" و"جان كريف" و"جان لوم"، من أصحاب النفوذ في الوسط الكنسي هناك.

8. الكاتب الروماني العالمي – وهو كاهن منذ عام 1963 – مؤلف "الساعة الخامسة والعشرون": "فيرجيل جيورجيو" (Virgil GEORGIU)

9. الأستاذ الجامعي "هنري جاك ستيكر" وخطيبته مدرسة فلسفة "ماري أوديل مترال".

10. الصحفي المعروف "جورج مونتارون"، مؤسس وصاحب صحيفة "الشهادة المسيحية".

11. الصحفي "بيير لوك سيغيون"، المختص بقضايا الشرق الأوسط في الصحيفة نفسها.

12. الأستاذة في السوربون الدكتورة "آن ماري غواشون"، الاختصاصية بشؤون القدس والشرق الأوسط.

13. الأستاذ الجامعي الدكتور "بيير سامرك" وزوجته الدكتورة، صاحبا مخبر كبير في باريس.

14. المساعدة في جامعة السوربون الآنسة "نيقول بيريو"، اختصاصية في التاريخ.

15. السيّد "بيير فيلان" مدير مجلة "الحياة الكاثوليكية" المصورة الأسبوعية، الواسعة الانتشار.

16. الضابط الرائد "آلان كريف"، شقيق الأب "جان كريف"، وهو يدرس في المعهد العسكري العالي.

17. السيّد "جان شودويه" وقرينته "تيريز"، وهو مسؤول سابق في إحدى الحركات المسيحية الطليعية، يشغل حالياً منصباً هاماً في وزارة الخارجية الفرنسية.

18. السيّد "راوول فولرو" وقرينته، وكلاهما معروفان في العالم بمكافحتهما للبَرَص، ونفوذهما عالمي.

2- في القاهرة:

1- الزعيم القبلي "اقومولافة اديبوجو" - نيجيريا.

2- القسيس "برجس كار" أمين عام منظمة وحدة الكنائس الإفريقية، الحائز على وسام النيلين بالسودان.

3- القسيس "ايدرو بولاجي"، الأستاذ في جامعة لاغوس بنيجيريا.

4- الأسقف "عمانوئيل ميلينغو"، أسقف لوساكا بزامبيا. » (انتهى)

5) نموذج واحد من نماذج كثيرة مغمورة!

ما من مثقف في دمشق كان غريباً على أسرة الرعيّة الجامعيّة. والكثيرون منـهم، إذ يحاضـرون فيهـا، كـانوا يدهشـون لسـويتها الثقافيـة والفكريـة والإنسانية.

إلا أن المفكر العربي المسيحي انطون المقدسي، كان يبدي حيالها، اهتمامـاً دؤوباً ولهوفاً، كثيراً ما كان يدفعه إلى الاشتراك الكامل في لقاءاتها الصيفية في صافيتا، على الرغم من مسؤولياته الهامة والكثيرة.

وما كان يوماً ليبخل علينا بحديث.

يسـرني هنـا، أن أنقـل حـديثاً سـجل لـه بحرفيتـه، في أحـد لقاءاتنـا في صافيتا، بتاريخ 1975/7/25، وهو بعنوان: "التجسد والخلاص".

حديث للأستاذ أنطون المقدسي

التجسد والخلاص

صافيتا 1975/7/25

الحقيقة أن الأب زحلاوي عندما طلب مني أن أقرأ لكم نصوصاً عن التجسد، قد جرني إلى مزلق صعب، لأن نصوص التجسد توجد كلها تقريباً في القديس بولس.

الفكرة موجودة في الأناجيل. لكن توجد بشكل أساسي في القديس بولس، وفي رسالتين من أصعب رسائل القديس بولس لا سيما رسالته للغلاطيين، التي كانت نقطة الانطلاق في الخلاف بين الكنيسة الكاثولكية والبروتستانت. وما يزال تفسير هذه الرسالة حتى الآن، في منتهى الصعوبة ومنتهى الغموض، وفيه خلافات كثيرة.

أقول هذا لأعتذر سلفاً، أولاً إذا وجدتم بعض الصعوبة في الأسلوب، ومن ثم إذا لم أتمكن من الوصول إلى نتائج جيدة. فالموضوع شائك، لأن من جهة نصوص القديس بولس صعبة، ومن جهة ثانية لأن سر التجسد هو سر الأسرار في المسيحية. وهو حيز الخلاف بين الديانة المسيحية وبين بقية الديانات والفلسفات.

وإذا أردنا أن نتعمق بعض الشيء في هذه النصوص لاضطررنا من أن نستعمل كل مفرزات الفلسفة الموجودة في القديس بولس بتأثير اللغة اليونانية.

أقول هذا أيضاً كي لاتجدوا صعوبة في الموضوع من جهة، ومن جهة ثانية لكي تعذروني إذا لم أصل إلى نتائج مرضية تماماً.

على كل، الحديث عن التجسد أمر هام بالنسبة للرعية الجامعية.

وأبدأ مقدمتي عن هذا الموضوع بالرعية الجامعية نفسها، لأن الرعية الجامعية بحد ذاتها هي تجسيد لفكرة معينة. فإذا تساءلنا ما هي هذه

الفكرة قبل أن تكون الرعية الجامعية، هل كانت هذه الفكرة واضحة في ذهن الأب زحلاوي، قبل أن تكون الرعية الجامعية؟

سؤال آخر أصعب: أين كانت موجودة هذه الفكرة، لا أقصد في المكان أو في الزمان، لكن هل كانت موجودة في الزمان والمكان أو بمعزل عن الزمان والمكان؟

وهل لهذه الفكرة من وجود قبل أن تتحقق أو تتجسد؟

وإذا زالت الرعيّة الجامعيّة، أين تبقى الفكرة (فكرة الرعية الجامعية)؟ هذا يعني أن فكرة الرعية الجامعية ملازمة لتحقّقها. في عقل الله كل شيء موجود أما نحن، عقلنا بالبداهة ليس عقل الله، لا وجود لشيء قبل أن يتجسد.

قد يكون الوجود عن طريق الكمون أو الوجود المضمر، أو عن طريق القوة كما يقولون بالفلسفة، لكن الوجود المتحقق هو وجود متجسد. هذا مثال أول من الرعية الجامعية.

وإليكم مثال ثان من الرعية الجامعية: لقد لاحظت أن الأب زحلاوي في كل سنة منذ أسست الرعية حتى الآن، يحاول أن يقول ما هي الرعية. وكلنا ما يزال يتساءل ما هي الرعية؟.

وفي كل برنامج من برامج صافيتا، يقول ما هي الرعية، ما هي أهدافها.

هذه الماهية غير واضحة، ولا يمكن أن تكون واضحة.

والذي يقول إن عندي مبادئ قويمة ومستقيمة، وأنا متشبث بها وأتبعها، هذا الكلام فارغ. فالمبدأ لا وجود له قبل تحققه. صحيح أن كل إنسان يبدأ بفكرة وينتهي بفكرة، والفكرة تسبقه دائماً. وهنا سر التجسد. هذه الفكرة ما هو نوع وجودها، قبل التحقق وأثناءه وبعد التحقق؟

فالتجسد هو الوجود أي التحقق العياني.

أقول على سبيل المقدمة، عندما قرأت القرآن لاحظت أن السور الأولى في القرآن تكاد تكون مركزة كلها نحو بعث الأجساد حيث كانوا يتساءلون عن القيامة.

وبعد قليل من التدقيق في الأحداث التي كانت رائجة في ذلك الوقت، كان

النقاش حول بعث الأجساد قوياً جداً. وإذا قرأنا الإنجيل نلاحظ أن النقاش بين اليهود، وبين اليهود ويسوع كان دائماً حول بعث الأجساد وإذا ذهبنا إلى أبعد من ذلك، إلى الحضارات البابلية والكنعانية والسومرية، إلى ملحمة جلجامش المشهورة، كان السؤال عن بعث الأجساد.

والقسم الأكبر من المقياس للتمييز بين الإيمان في تلك الفترة التاريخية في يسوع وما قبل، وما بعد يسوع حتى محمد، كان النقاش حول بعث الأجساد، ولا يزال هذا النقاش مستمراً.

أذكركم بقول القديس بولس: "إن لم يكن المسيح قد قام، فإيماننا باطل ونحن أتعس الناس".

المسيح هو مؤسس الكنيسة، هو الكنيسة، هو الله وكل شيء. ظهوره على الأرض كان وضع حبة حنطة. وقد قال للرسل اذهبوا وعلموا كما قال لهم: الروح معكم.

الكنيسة تكونت من الرسل (تجمّع ناس). ومع تأسيس هذه الكنائس، كان على الكنيسة أن تنغرس في بيئة معينة (أن تتجسد).

بيئة الشرق الأدنى وامتدادها إلى تركيا وروما واليونان، هذه البيئة كانت عبارة عن مجموعة من الأقليات والهجرات المستمرة. فكان على الكنيسة أن تتلوّن دون أن تغيّر جوهرها بلون البيئة، وأن تحاول حل مشاكل كل هذه البيئة، وفقاً للتعاليم التي تركها يسوع وأخذها الرسل عن يسوع.

ثم نشأت كنائس متعددة، كانت تهتدي بأقوال يسوع. ولكن كيف نطبّق قول يسوع على هذا الظرف التاريخي المعين، فالظروف مختلفة؟

فالقديس بولس كان بالدرجة الأولى رجلاً إدارياً، شخصيته كانت مثل شخصية الأسقف. يجب أن يحلّ مشاكل إدارية وأن يعطي فتاوى (هذا يجوز، وهذا لا يجوز).

هذه الفتاوى هي التي وضعت الأسس الأولى للاهوت. فالقديس بولس أول إداري، توجّه إلى الوثنيين وهو أوّلاً لاهوتي، وهو عصبي المزاج، عنيف، قاسٍ، حازم.

عند القديس بولس ليس هناك تجلي يسوع الإله مباشرة.

لكن نرى في نصوصه كيف يتجسد الإله تدريجياً، كيف تتجسد الكلمة الإلهية في بيئة معينة، في ظرف سياسي أو اقتصادي معين.

هذه هي المقدمات الأولى التي أردت أن أطرقها قبل أن أدخل في النص.

النص من الغلاطيين:

"سأقول إنّ الوارث ما دام قاصراً، فلا فرق بينه وبين العبد، مع أنه صاحب المال كله، لكنه في حكم الأوصياء والوكلاء، إلى الأجل الذي وقّته أبوه. وهكذا كان شأننا. فحين كنّا قاصرين، كنّا عبيداً لأركان العالم. فلمّا تمّ الزمان أرسل الله ابنه مولوداً لامرأة، مولوداً في حكم الشريعة، يفتدي الذين هم في حكم الشريعة. فنحظى بالتبني. والدليل على كونكم أبناء، أنّ الله أرسل روح ابنه إلى قلوبنا. الروح الذي ينادي يا أبتاه. فلستَ بعد عبداً بل ابناً. وإذا كنت ابناً فأنت وارث بفضل الله. فكيف تعودون إلى تلك الأركان الضعيفة؟ وكيف تريدون أن تعودوا عبيداً لها كما كنتم قبلاً، تراعون الأيام والفصول والشهور والسنين.

إني أخشى أن أكون قد تعبت عبثاً من أجلكم".

نلاحظ أن النص مليء بالبيئة المحلية، الظروف الاجتماعية، التفجرات الدينية. لكن القديس بولس قد ارتفع من مستوى الربط التاريخي المعين، والظروف المعينة، والأحداث اليومية، إلى مستوى المشاكل الإدارية، فالمشاكل اللاهوتية، فالمشاكل الإلهية.

هذا التدرج سريع. فالنص عبارة عن مقطع ليس له مقدمة أو خاتمة، مثله مثل الإنجيل والكتب السامية ذات الطبيعة الخاصة.

الآن لننظر إلى موقع النص. ما هو الظرف الاجتماعي، أو ما هي المناسبة التي وُضِع فيها هذا النص - ما هي ملابسته؟

قبل ذلك أحب أن ألفت أنظاركم إلى بعض المفردات التي قرأتها الآن. الأرض - الشريعة - العبودية - الوارث - النبوة - العهد. هذه المفردات هي مفردات التجسد.

أما الظرف الاجتماعي الذي كتبت فيه رسالة الغلاطيين:

هذه الرسالة موجهة إلى كنيسة غلاطية. ومدينة غلاطية تقع في أواسط آسيا، وهي قريبة من أنقرة. وكان في هذه الكنيسة قوم ليسوا من اليهود، هاجروا إلى هذه المنطقة، ومر بهم بولس وعمّدهم ثم تركهم.

أتى بعد ذلك من قال لهم إنه لا يمكنكم الحصول على الخلاص، إلا إذا اتبعتم شريعة موسى. لذلك طلبوا منهم أن يتطهروا (الختانة). هذا يُحيل إلى مشكلة هي المشكلة المطروحة التي تؤدي بنا إلى فهم سر التجسد. هذه المشكلة هي علاقة العهد الجديد بالعهد القديم.

وهناك خلافات وترددات بين بطرس وبولس، وفي نصوص الإنجيل ذاته، حول يسوع. هل هو نبي من جملة أنبياء إسرائيل؟ أي العهد الجديد هو امتداد للعهد القديم، أم أنه مختلف تماماً وله طبيعة خاصة؟

الواقع أن العهد الجديد هو بداية جديدة، ليس من الأنبياء، بل من الله الذي تجسد وصار بشراً (والكلمة صار جسداً وسكن بيننا).

يسوع كان يراعي ظروف الرسل. فلم يحاول أن يقطع بسرعة، بل جعل الرسل يفهمون هذه الحقيقة رويداً رويداً. بطرس كان متردداً في الموضوع، بينما بولس كان حاسماً.

هناك مسألة أخرى هي موضوع الخلاف بين اللاهوتيين، وهي: كيف يصبح الإنسان مبرراً لدى الله؟ هل الأعمال هي التي تبرّر، أم أن البر من الله؟.

في جملة هذه المشاكل يطرح القديس بولس مشكلة التجسد بكل أبعادها.
فلنبدأ مباشرة بقراءة هذا النص (النص مؤلف من 3 أقسام)

القسم الأول: سأقول إن الوارث..... أركان العالم

أركان العالم هي عناصر الأرض: الماء، الهواء، التراب.

يجب أن نتساءل أين يوجد التجسد هنا.

انتبهوا إلى هذه الكلمات: الوارث، الوارث القاصر، العبد، الوصي، الوكيل، الإرث، الأب.

القسم الثاني: فلما تم الزمان...

الميراث هنا هو الملكوت أو الإيمان

هذا الإيمان أعطي لإبراهيم الذي تركه لليهود.

1- هل نحن ورثة الإيمان من اليهود، أم إرثنا جاء من مصدر آخر؟ أي هل تاريخنا تكملة لتاريخ إسرائيل، أم لنا تاريخ آخر؟

2- الشريعة (مجموعة القوانين الناظمة للعادات الاجتماعية) ما هو الدور الذي تلعبه؟

التجسد هو التحقق... هو تحقق الشيء، وظهوره في العالم العياني.

لكن إذا انتقلنا من الأشياء إلى الجماعات، كيف تترابط الجماعات مع بعضها؟ كيف يحصل النسب بينها؟ وكيف يتجمع أفراد المجتمع الواحد بين بعضهم؟

ما هو الرابط الذي يشد أفراد الأسرة بعضهم إلى بعض؟ هنا يلجأ القديس بولس إلى هذا القول:

"سأقول إن الوارث...

يعتبر القديس بولس العهد القديم هو مرحلة الإنسان القاصر. فالوارث موضوع تحت الوصاية. وهذه الوصاية هي وصاية الشريعة.

الإيمان من الأساس لم يتغير فالمدعو واحد.

الإيمان بيسوع المسيح هو واحد. ولكن في العهد القديم كنّا قاصرين. لذلك كنا بمثابة العبيد. الإنسان ما دام خاضعاً للشريعة، فهو ينزلق مع العالم (مع عناصر الطبيعة).

يقول القديس بولس احذروا العودة إلى الختانة (العلامة الفارقة لليهودي)، أي العودة إلى السنة اليهودية لأنها أصبحت الآن انزلاقاً مع الوثنية.

لكن الوراثة شيء أكبر بكثير.

الوراثة: ما هي صلتنا بالله؟ كيف يتجسد الله فينا؟ ما هي علاقتي بالرب؟

في مثال الرعية، فكرة الرعية أين كانت موجودة قبل أن تتحقق وهي تتحقق.

الآن في طور التحقق هل تتضح قبل أن تتحقق؟

سؤال آخر: هل الأب زحلاوي وأنتم الذين كونتم الرعية، أم هي التي كونتكم؟

الجواب هو: أنتم كونتم الرعية، وهي كونتكم (تكوين متبادل)

هل الإنسان حصيلة للظرف التاريخي، أم هو الذي يصنع الظرف التاريخي؟ الجواب معروف: تكوين متبادل. ولكن إذا طرحنا السؤال عن الله، هل نحن كوّنّا الله، أم هو كوّننا؟.

تبقى المسألة المطروحة: كيف يتجسد الله فينا. كيف يصبح شيئاً ملموساً في الإنسان (وهنا سر التجسد)

القسم الثاني: "فلما تمّ الزمان....... وارث بفضل الله"

تم الزمان: الزمان لا ينتهي أبداً، لكن يمكن القول إن زمن نضج القمح ستة أشهر (له نهاية)

زمن الدراسة الجامعية له نهاية.

لكن الرب هل له مدة لينضج؟ الرب قدّر الزمان الذي سيبعث فيه ابنه.

الزمان المليء حيث يصل الزمان إلى وقت لا يصير بعده زمان.

يسوع عاش 33 سنة. كان يأكل ويشرب وينام مثل كل الناس.

تمت ولادة يسوع في وقت معين، أي أنه تجسد في وقت معين. ثم قام بفعل الفداء في وقت معين.

لكن هل يسوع خاضع لسنة 1 أو سنة 33!

هذا الزمان هو سر، لأنه ملء الزمان، هو حيث تنتقل البشرية من زمان الإنسان إلى زمان الله.

الشريعة هي نمط من أنماط التجسد. مثلاً آمال السوريين وأحلامهم موجودة في الدستور السوري (الشريعة)، في مرحلة تاريخية معينة، أي إن الرغبات تجسدت في الشريعة، حتى لو لم تتحقق هذه الرغبات.

فنقول إذن الدستور السوري هو تجسيد لمرحلة معينة.

الشريعة اليهودية هي دستور يجسد القوانين في ظرف تاريخي معين.

يسوع تجسد من امرأة مثل كل إنسان، تجسد تحت قانون معين مثل بقية اليهود، بدليل أن أهله أدخلوه إلى الهيكل واتبعوا كل العادات اليهودية.

ملء لم يكن للشريعة بل ليفتدي الذين هم في حكم الشريعة.

فنحظى بالتبني: فكرة التبني موجودة عند القديس بولس حيث قال.

"والدليل على كونكم أبناء، أن الله أرسل روح ابنه إلى قلوبنا"، أي إنه بمجرد أن الله أرسل ابنه، نحن صرنا أبناء، أي حدث في شخصية الإنسان تقمص أو تجسد جديد.

تجسد أولاً من امرأة.

تجسد في حكم الشريعة.

تجسد في مستوٍ ثانٍ، أننا صرنا أبناء

مع العلم أنه في لغة القديس بولس كلمة أبناء تطلق على أبناء الله.

الله أرسل روح ابنه إلى قلوبنا: يجب الانتباه إلى كلمة روح

نحن مشتركون مع يسوع بالولادة من امرأة. مشتركون بالشريعة

الروح يغوص في أعماقنا وأعماق الله. هذه القوة تدخل إلى القلوب، إلى كثافة الجسد فيبعث فيه الروح.

الروح الذي ينادي يا أبتاه: نجد القدرة على التكلم والاتصال، أي هناك تجسد بالروح أيضاً.

لا أقصد أن الروح يصبح جسداً، لكن هناك تجسد روحي.

التجسد هنا على المستويات الثلاثة في الولادة وفي الشريعة وفي النبوة وإدخال بُعد الروح فيها.

هذا التجسد هو الذي يربطنا بالله.

عندما كنتم تجهلون الله، كنتم عبيداً" لآلهة ليست بآلهة حقاً"

أي إنكم كنتم وثنيين، ولكن عندما قيل لكم إن عليكم اتّباع شريعة موسى، فهذه ليست وثنية لكن هذه الخطوة للوراء، هي خطوة نحو الوراء أكثر، أي نحو الوثنية.

ألخص هذا النص:

- التجسد هو التحقق العياني مثل الرعية الجامعية.

- تحصل شركة الإنسان بالجماعة، واشتراك هذه الجماعة مع جماعات أخرى. مثل علاقة الرعية مع نقابة معينة. واشتراك الكل في وطن واحد، واشتراك الكل في الله.

قضية التجسد هي قضية شركة.

والقضية الأخيرة التي سأبحثها غداً: الجسد يبقى أم لا يبقى؟

6) أمن رسالة للمسرح؟

بعيد إنشائها، وجدت أسرة الرعيّة الجامعيّة، في صديق كبير لي، هو المخرج سمير سلمون، من يساعدها على ترجمة بعض رسالتها في مسرح، بدأ متواضعاً، ثم تشدّد وأخذ يعالج موضوعات محورية، مثل القضية الفلسطينية، والصراع الطبقي وهجرة الأدمغة.

وقدّمت نصوصاً هادفة، مثل "ليتك كنت هنا"، و"المدينة المصلوبة"، و"الطريق إلى كوجو"، وكلها من تأليفي، وقدّمت نصاً آخر هو "السؤال" للكاتب الفلسطيني هارون هاشم الرشيد. كما قدّمت مسرحية "المسيح يصلب من جديد"، المستمدة من رواية "نيكوس كزنتزاكي"، التي تحمل الاسم عينه.

وبعد وفاة سمير سلمون، المبكرة والمفاجئة، عام 1996، همد كثيراً نشاط الأسرة المسرحي، ثم تحرك بعض الشيء في نصوص من وضع أفرادها، فكان للإخفاق فيها النصيب الأكبر.

وجاء يوم اعتمدت فيه الأسرة أسلوباً جديداً، إذ صارت تتعاون مع مخرجين معروفين، من أمثال الدكتور رياض عصمت، فأخرج لها مسرحية "رؤى سيمون ماشار" لبريخت عام ؟؟؟؟، والدكتور عجاج سليم فأخرج لها "سيدة الفجر" لألخاندرو كاسونا عام ؟؟؟؟. ثم تعاملت مع طلاب متفوقين من المعهد العالي للفنون المسرحية، مثل جمال سلوم، الذي أخرج لها مسرحية "الانتظار" عام ؟؟؟؟، و"مضر رمضان" الذي أخرج لها مسرحية "من هو الميت؟" للكاتب التركي جواد فهمي باشكوت، خلال شهر آذار من عام 2015.

7) "مجد الله هو الإنسان الحي"

تلك عبارة شهيرة كتبها في القرن الثاني الميلادي، القديس ايريناوس الدمشقي، يوم كان أسقفاً في كنيسة مدينة فرنسية تدعى اليوم مدينة ليون.

وقد اتخذناها في أسرة الرعية عنواناً لكتاب صدر بدمشق عام 1977، كان يضم تأملات في الإنجيل، كثيرة ومثيرة، وكلها من وضع أفراد أسرة الرعية من شبان وشابات. وقد تخللها تأمل واحد للأستاذ أنطون المقدسي، الذي رفض أن يذكر اسمه، لأن جميع التأملات لا تحمل اسم أحد من كاتبيها. والجدير بالذكر أن الغلاف من رسم الفنان السوري الشهير، يوسف عبدلكي. وقد اخترنا مقدمة لهذا الكتاب، نصاً كان قد وضعه شاب من أسرة الرعية، وهو من كنيسة السريان الأرثوذكس، وقد تلاه أمام جمع من الطلبة الجامعيين، وبعض من أساقفة دمشق الكاثوليكيين، يوم 7 أيار من عام 1974. وإني لأورده بحرفيته، كما سأورد بعده، الرسالة التي أرسلناها بقصد الاستكتاب من أجل طباعة الكتاب... ثم ردّي على رسالة كان قد كتبها لي أسقف يبرود، المطران ديونيسيوس غيث، إثر تسلمه نسخة من كتاب "مجد الله هو الإنسان الحي".

1- **نص الشاب إبراهيم عبدلكي**

«

بمثابة مقدمة

(دعوا "الشباب" يأتون إلي ولا تمنعوهم)

ماذا قدمت الرعية... في الجانب الروحي... والاجتماعي؟

أسرتي... أسرة الرعيّة الجامعيّة،

إنك ذات تقوم بإيجاد ذوات... وبتحقيق ذلك الوجود.

فاغفري لي إن أعددت بعضاً من مآثرك علي.

ماذا قدمتِ لي يا أسرتي...؟

علمتني ممارسة الصلاة... علمتني كيفية الاتحاد بالله... علمتني أن أذهب

إلى الكنيسة... علمتني كيف أصلي فيها وخارجها... لقد علمتني ألا أكون ببغاء تردد كلمات تموت لفظها... بل علمتني أن أقول...

فيستمر القول... عملاً... وتحولاً... فوجوداً...

علمتني يا أسرتي أن أؤمن بالكلمة... الكلمة الفعل... الكلمة السرمدية... ففي البدء كان الكلمة... وفي النهاية... كان الكلمة الفعل...

علمتني يا أسرتي أن الصلاة، ليست كلمات فقط... علمتني أن الصلاة علاقة بين الأنا... والأنا أولاً... بين الأنا والآخرين ثانياً... ثم بين الأنا والله أخيراً، فأصبح الكل أنا... وأصبحت أناً كلاً... كما الله واحد... كما الكنيسة واحدة.

وماذا علمتني يا أسرتي؟

لقد قدّمت لي المسيح... المسيح كما أراده الله... كما أراده الرب يسوع بالذات... فأمسى المسيح الواحد مسحاء كثراً... وأمسى فداء الفرد... فداء الجماعة...

قدّمت لي المسيح كما هو... كالحق... لا تلفّه رداءات الزمن البالي وأغطية العقول المربّعة... المحددة... قدّمت لي المسيح... محبة، وفداء... وحدةً وكلاً، عطاءً وخدمةً... لا مسيح التضرعات والرهبة... مسيح الأصنام، مسيح التاريخ المشوه... المسيح الذي يرفضه ربنا المسيح...

قدّمت لي يا أسرتي، المسيح مجسداً في هذا العصر بآلامه وأفراحه... كنت عطشاناً يا أسرتي... ولم يروني أحد... وكنت عرياناً... ولم يكسني أحد... وكنت مريضاً يا أسرتي... ولم يعدني أحد... فكنت أنت الماء... والرداء... والدواء... لأنك أخذت بيدي وسرتِ بي نحو الينبوع الخالد... ينبوع الينابيع... نحو الإنجيل... ليس إنجيل الكلمات... بل إنجيل الحياة أيضاً...

كان الإنجيل بالنسبة إلي يا أسرتي، قطعة أثرية... يجب المحافظة عليها في المكتبة... قطعة تفيد التاريخ... فأصبح اليوم إنجيل الحياة... والوجود...

لقد قدّمت لي الكثير يا أسرتي الجامعية... فماذا قدمت أيضاً...؟

اكتشفت فيك جزءاً من ذاتي. وبك عرفت ذاتي... وأنا اليوم أغيّر بعض ذاتي، لأكون ذاتاً جديدةً كما أراد المسيح...

بك ألقيت سيف الرب على ذاتي... لأحارب ذاتي... ليس بين الأب وابنه، والأم وابنتها... بل بيني وبين ذاتي... أولاً...

لقد اكتشفت ذاتي... يا أسرتي...

كيف يؤمن الفرد بالرب، إن لم يعرف ذاته...؟

كيف يخدم الفرد الآخرين، إن لم يعرف ذاته...؟

بل كيف يسير الفرد جلجلة الفداء... إن لم يعرف ذاته...؟

لقد تعلمت بك يا أسرتي أن الأنا لا تعرف ذاتها إلا من خلال الآخرين.

ولولا الآخرون، لما كنتِ يا ذاتي...

تعلمت كيف أضيّع الأنا في سبيل الآخرين، فأربح الأنا والآخرين أيضاً... كحبة الحنطة التي يحيا كلها بفناء جزئها...

وأيضاً... وأيضاً... ماذا تعلمت منك يا أسرتي...؟ كل جديد... فمنحتني ملل العادة... وسأم الاستمرار... ورفض العبودية للقديم.

علمتني يا أسرتي أن الزق الجديد يحتاج إلى خمر جديد... وأن الخمرة الجديدة تحتاج لزق جديد... لئلا يضيع حق الاثنين معاً... فيهدرا...

علمتني أن الثوب الجديد لا يصلح برقعة قديمة...

علمتني أن الثوب القديم لا يصلح للعروس... للكنيسة...

ولذا اكتشفت... أن الله قديم... فتجدد...

لقد علمتني كثيراً يا أسرتي... فهل وفيتك حقّك...؟

يا رب... امنحني وغيري تمرد المخلع الذي تجرأ وحمل سريره يوم السبت رغماً عن السبت والناموس، لأن الإنسان رب السبت والناموس... يا رب إن المخلع لم يملّ طيلة ثمانٍ وثلاثين سنة، فامنحني اليوم أن أسأل بطهارة بركتك، ليس ثمان وثلاثين سنة فقط، بل ثمان وثلاثين مرة، ثمان وثلاثين سنة.

يا رب أنت الطريق... وأنت النور... فليشع نورك في طريقي، ولتكن مشيئتك في حياتي...

يا رب لا تجعلني أعترف بالكلمة كأحرف... بل أعترف بها كعمل وخدمة... كتضحية وفداء... كعطاء وبذل...

يا رب، هذا بعض مما قدمته لي أسرتي... أسرة الرعيّة الجامعيّة... فماذا قدمت الكنيسة لي بوضعها الحالي...؟

الكنيسة لم تقدم لي شيئاً... الكنيسة غير قادرة الآن أن تقدم شيئاً...
الكنيسة لم تقدم لي شيئاً...

2- رسالة الاكتتاب على الكتاب

« **دمشق في 10 تموز 1977**

أصدقاءنا،

أسرة الرعيّة الجامعيّة ليست بغريبة عنكم.

بعضكم عرفها شخصياً في لقاء صلاة... أو في حديث قدمه... أو في أمسية شارك فيها... أو في خدمة قدمها... أو في كلمة قرأها... أو في مساهمة مالية... أو في نصح أسداه... وبعضكم سمع عنها... أو التقى بعض أفرادها، من مرشدين أو طلبة...

وبعضكم أخذ منها ما استطاعت أن تقدم له: رؤية... أو روحاً... أو خدمة...

وقد يكون البعض لم يعرفها إلا من خلال أحكام مسبقة... أو من خلال لقاء سريع بها...

هذه الأسرة تأتيكم اليوم على عادتها بمحاولة، وهي في الأساس ليس سوى محاولة، تتركز في بحثها وصلاتها وخدمتها حول قطبين اثنين: المسيح الواحد في الإنجيل الواحد، من أجل كنيسة واحدة، هي الكنيسة العربية... والأرض الواحدة، في الواقع العربي الواحد، من أجل الوطن العربي الواحد...

ومحاولتنا اليوم: كتاب بعنوان "مجد الله هو الإنسان الحي"، بوشر بطبعه، وهو ليس سوى تأملات في الإنجيل، من وضع أفراد الأسرة، شارك فيها عشرات الطلاب والطالبات. ونعتبر هذا العمل إسهاماً جاداً في بث الفكر الإنجيلي الإنساني الذي نحتذي به، وهو في نظرنا لا يعدو كونه

صوتاً من أصوات كثيرة انطلقت وستنطلق، يعبر عن تفاعل الأسرة، من خلال الإنجيل بالذات، مع مجتمعهم: أسرة وجامعة وأرضاً وشعباً وكنيسة...

على عادتنا نصارحكم بأن إمكانياتنا المالية محدودة جداً... وكلكم على علم بوضعنا المالي. نرجو - وثقتنا بالرب وبكم كبيرة - إذن مساهمتكم بالاكتتاب منذ الآن في شراء نسخة أو عدد من النسخ، كي يتسنى لنا أن نؤمّن للمطبعة تكاليف الألفي نسخة التي قررنا طبعها.

ثمن النسخة الواحدة عشر ليرات.

أرجو موافاتنا بردّكم على عنوان أسرة الرعية، باسم الأب الياس زحلاوي، أو الأب يوسف ربي أو الأخت ماري تيريز بسيليس.

ونرجو خصوصاً ألا تبخلوا علينا برأيكم في مضمون الكتاب يوم يتسنى لكم قراءته.

لكم منا كل شكر ومحبة.

كنيسة سيدة دمشق - القصور

ساحة العباسيين - دمشق　　　　أسرة الرعيّة الجامعيّة

مع أطيب التمنيات بالتوفيق والنجاح في الامتحانات القادمة »

3- ردّي على رسالة المطران ديونيسيوس غيث

« **دمشق في** 1977/5/6

صاحب السيادة،

تردّدت طويلاً قبل أن أجيب على رسالتكم المؤرخة في **1977/4/27**. فقد حملت إليّ، مع بركتكم، موقفاً من المحاولات الجديدة في الكنيسة، أدهشني، بل أحزنني. ولا يسعني، ككاهن، إلا أن أصارحكم بالأمر.

لمست، سيدي، في موقفكم، ازدواجية آن لنا، في نظري، أن نتحــرر منــها في الكنيسة.

فأنتم تباركون أسرة الرعية الجامعية، وتعتبرونها بذراً صالحاً وخميرة جيدة تخمّر العجينة كلّها، وتبدون أكثر من التحفّظ حيال إحدى ثمار هذه الرعية، وهو الكتاب الذي باشرنا بطبعه.

هل يعود ذلك إلى أنكم قد تعتبرون أسرة الرعية عملاً شخصيّاً، لا يمتّ إلى الكنيسة بصلة؟

أم لأنكم، كما تقولون، تعتبرون الطلاب والطالبات، "من بضاعة اليوم سلوكاً وتفكيراً وتبشيراً"، وأفهم، ويفهم كلّ قارئ لأسطركم، بضاعة لا قيمة لها؟

فاسمحوا لي بأن أذكّركم أوّلاً بأنّ أسرة الرعية عمل كنسي، قام بمبادرة أساقفة دمشق، وما زال يحظى بمساندهم، وأخصّ بالذكر منهم، سيادة المطران الياس نجمة.

أما "بضاعة اليوم" فهي أغنى وأعمق مما نظنّ، وأرجو ألا يفوت عن بالكم أن خلاصنا بيدها، وأنها قادرة على القيام بذلك إن منحناها الثقة والمحبة اللتين تستحقّهما. وعندها لا نكون قد فعلنا أكثر مما فعل يسوع المسيح بالنسبة إلى تلاميذه.

ولكم كنت أتمنى أن تأتي رسالتكم الأولى إلى أسرة الرعية مشجعة، بانتظار رسالتكم الثانية التي ستبدون فيها رأيكم في كتابنا الأول، كما سألناكم ذلك في آخر رسالة الاكتتاب.

وتقبّلوا، يا صاحب السيادة، باسم أفراد أسرة الرعية وباسمي الشخصي، المحبّة والاحترام.

التوقيع »

8) وللحب والزواج أيضاً دورهما

حيث يلتقي شبان وشابات يزهر الحب. فكيف به إذا أزهر تحت كنف الرب؟

وهكذا كان للكثيرين والكثيرات في أسرة الرعيّة الجامعيّة.

فكان لنا أن نتساءل ما إذا كان يتوجب علينا أن نضفي على صلاة الأعراس لمسة تعيد إليها بعض الوهج الذي فقدته بحكم التكرار والعادة.

وفي أول عرس قام بين شاب وفتاة من أسرة الرعية، رأينا، كهنة ومرشدين وأفراداً، أن نعيد إلى هذه الصلوات الرائعة، بعضاً من وهجها الأصلي.

وكانت لنا خبرة جميلة وسباقة، ترجمناها في كلمات قشيبة في عرس عقد في كنيسة سيدة دمشق بتاريخ 1979/7/8، بين شاب وفتاة، يظلان، والشكر للرب، حتى اليوم في قلب باريس، نموذجاً للحب الزوجي، الوفي والسخي.

هذه الصلاة أوردها هنا بحرفيتها، ولكن، بالطبع دون ذكر الاسمين!

أيها الرب إلهنا، بالمجد والكرامة كللهما...

1- قبل وصول العروس: نشيد المحبة لفيروز، من أداء "جوقة أبناء الفرح"
2- إبان دخولها الكنيسة: ترنيمة "افرحي أيتها الملكة".
3- الصلاة المعروفة لرتبة الخطوبة والزواج: نفتتحها بكلمة لأحد أفراد اسرة الرعيّة الجامعيّة:

"عندما خلق الله الإنسان، زوجين خلقه، وشاءهما متحدين بالمحبة، ليملآ الأرض ويتسلطا عليها.

شاء لهما اتحاداً يقوم على أساس صلب، لا تزعزعه أعاصير الحياة ولا مآسيها، ولا خصوصاً التوافه اليومية التي ستواجه الزوجين بالضرورة.

هذا الأساس الصلب هو المحبة.

من العبث والخطأ أن نبحث عن أساس سواه.

لغيرنا أن يرى في المال أو الجمال أو العلم أو الجاه أو المركز... أساساً يبني عليه حياته العائلية...

أما نحن، شباناً وشابات، فنرى في المحبة أساس الأسس كلها:

محبة الرب لنا،

ومحبة الزوجين أحدها للآخر،

ومحبتهما لأولادهما،

وانطلاقاً من هنا محبة الأرض والإنسان...

هذا لا يعني أننا نبخس هذه الأمور حقها وقيمتها.

ولكننا نرفض أن نُحِلّها إلا في الدرجة الثانية، لئلا نبني على الرمل أو على الوحل...

نريد صخراً نبني عليه حياتنا وحياة أبنائنا من بعدنا.

ولا نعرف، ولا نعترف إلا بصخرة المحبة.

فهي صامدة في وجه أي إعصار.

وهي القادرة على احتواء صعاب الحياة،

وهي القادرة وحدها على تحويل جحيم بعض البيوت، إلى سماء ينعم بها، بعد يأس، كل من الرجل والمرأة والأبناء معاً.

فالمحبة ذكية لبقة، حليمة مترفقة، لا تعرف الحسد ولا المنافسة الغبية ولا الكبرياء...

والمحبة تفرح بالحق، وتبني لأجل الحق، ولأنها تبني، تتظاهر بأنها تصدق كل شيء، وهي وحدها تقدر أن تصبر على كل شيء.

كل شيء يزول، أما المحبة فتبقى...

وإنها حقاً الصخرة التي بنى عليها كل من (اسم العريس) و(اسم العروس) علاقتهما الواحد بالآخر، وستكون حتماً الصخرة التي يريد أن يبنيا عليها أسرتهما اليوم وإلى الأبد...

يا رب، يا رب المحبة التي لا تعرف الحدود،

نحن الآن نحيط بـ "العريس والعروس"، في بيتك المقدس، وهما على عتبة قدس البيت الزوجي... ننظر إليهما بفرح يشوبه بعض القلق...

فبارك يا رب، اتحادهما هذا، الذي قام، كما عرفناه ونشهد لهما على المحبة.

ومن بيتك المقدس هذا، بارك بيتهما الجديد، ليكون بيتك بالذات.

باركهما يا رب،

وهبهما من القوة ما يمكنهما من الثبات والاستمرار والنمو في المحبة حتى النهاية.

الجميع: آمين.

4- **بعد مراسيم الخطوبة، ترنيمة الأسرة السعيدة: طوبى لجميع الذين يتقون الرب...**

5- **بعد الإعلان عن الرضى التام في الاختيار، الطلبات الكبرى، وقد استُبدِلت بطلبات أخرى استوحاها أصدقاء "العروسين"، من واقع الحياة ومن واقع حبهما:**

- يا رب، أرسيت وجود الإنسان كله على المحبة. فبارك هذا الحب الذي يجمع اليوم إلى الأبد بين ولديك (العريس والعروس)
الجميع: سيدي، أعطنا من هذا الحب دائماً أبداً.

- يا رب، شئت في حنانك أن تحيا على الأرض حياة بشرية في أسرة بشرية، هي القدوة الدائمة لجميع الأسر. فهب هذه الأسرة الجديدة أن تقتدي بأسرتك، محبة وسيرة وسلاماً:
الجميع: سيدي، أعطنا من هذا الحب دائماً أبداً.

- يا رب، أنت أدرى بالمحبة العظيمة التي منها ينطلق كل إنسان، إذ يؤسس أسرته الجديدة، وأنت أعلم بما ينتهي إليه الناس في الغالب، من تمزق وحزن... فاحفظ في محبتك اتحاد ولديك (..... و.....) متيناً أميناً قوياً، ليقاوما معاً جميع ما سيعترضهما بالتأكيد من صعاب ومغريات.
الجميع: سيدي، أعطنا من هذا الحب دائماً أبداً.

- يا رب، أرسيت وجود الإنسان كله على المحبة. فبارك هذا الحب الذي يجمع اليوم إلى الأبد بين ولديك (...... و......)
الجميع: سيدي، أعطنا من هذا الحب دائماً أبداً.

- يا رب، نفخت الحياة في الإنسان، إذ نفخت فيه روحك، وشئت له أن يكون على صورتك ومثالك، خالقاً لحياة جديدة تمجدك. فأفض بركتك على ولديك (...... و......)، ليحملا حياتك، ويثمرا أبناء تتألق فيهم صورتك الحية، ويتمجد بهم اسمك العظيم.
الجميع: سيدي، أعطنا من هذا الحب دائماً أبداً.

- يا رب، لم تشأ يوماً أن يكون الحب سبباً للتقوقع، بل منطلقاً للقاءات إنسانية بناءة، ونحن عرفنا ولديك (...... و......) محبين فرحين، يعيشان حبهما انطلاقاً صادقاً نحو الآخرين. فهبنا المزيد من الحب، بعد أن يصبحا كائناً واحداً، لتنمو لديهما قدرتهما على المحبة والعطاء بفرح.

الجميع: سيدي، أعطنا من هذا الحب دائماً أبداً.

- **يا رب، قال تلميذك الحبيب: كل من يحب مولود من الله، فاحفظ "العروسين" في قلبك، كي يظلاّ دوماً على العهد وفيّين، محبّين مستقرّين فيك.**

الجميع: سيدي، أعطنا من هذا الحب دائماً أبداً.

6- **بعض الصلوات الرئيسية وقد أدخلت عليها تعديلات طفيفة:**

- **بعد الطلبات الكبرى:**

"مبارك أنت أيها الرب إلهنا، منشئ العرس الطبيعي، ومكمل العرس السري، حارس الأمانة، والمعين الصالح في أمور الحياة، يا من جبل الإنسان في البدء، وأقامه بمنزلة ملك على الخليقة، وقال: ليس حسناً أن يبقى الإنسان وحده على الأرض، فلنصنعنّ له معيناً على شبهه، فأخذ ضلعاً من أضلاعه وجبلها امرأة، فلما رآها آدم قال: هذه الآن عضو من أعضائي، وبضعة مني، هذه تدعى امرأة، لأنها من المرء أخذت. لأجل ذلك يترك الرجل أباه وأمه ويلزم امرأته، فيصيران كلاهما كائناً واحداً، ومن وحّدهما الله، لا يفرّقهما إنسان. أنت أيها السيد الرب إلهنا، أرسل الآن أيضاً نعمتك السماوية على ولديك (العريس والعروس)، وهب هذه الفتاة أن تخضع لك في جميع الأمور، ولولدك هذا أيضاً أن يخضع لك في جميع الأمور، ليعيشا معاً بحسب مشيئتك...

باركهما أيها الرب إلهنا، كما باركت يواكيم وحنة

باركهما أيها الرب إلهنا، كما باركت زخريا وأليصابات.

أعطهما أن يذكراك في جميع الشدائد، لكي يظلاّ ثابتين في الإيمان والمحبة.

اذكر أيها الرب إلهنا والديهما الذين ربوهما، لأن صلوات الوالدِين تثبت أساسات البيوت.

ذكّــر أيهــا الــرب إلهنــا، ذكّــر ولــديك الإشــبينين (فــلان وفلانــة) بمســؤولياتهما في مســاعدة (العــريس والعــروس) علــى بنــاء أســرة مسيحية متحابة.

واذكر أيها الرب إلهنا ولديك (العريس والعروس) وباركهما،
أعطهما من الثبات في حبهما، وانسجاماً في النفس والقلب والجسد،
أعطهمـا الاسـتمرار في هـذا الحـب، علـى الـرغم مـن جميـع الصعاب والمغريات،
وأعطهما نعمة تجسيد هذا الحب في أولاد يتمجد فيهم اسمك.
أعطهمـا أن يسـاهما معـاً، بجـد وثبـات، في العمـل اليـومي والجهـد الاجتماعي،
ليشتركا بجدارة في خيرات هذا البلد، ويشركا الآخرين فيها،
وبـذلك يـؤهلان للاشـتراك في الحيـاة الدائمـة، ويشـرقان يومـاً مثـل الكواكب في السماء،
بك يا ربنـا، الـذي منـه كل حـب، ولـه المجـد، الآن وكـل أوان وإلى دهـر الداهرين.

- أيها الإله المحبة،

يا من جبل الإنسان من تراب، وبنى من جنبه امرأة على شبهه، لتكون لـه شـريكة العمـر. فقـد ارتأيـت في محبتـك أن لا يكـون الإنسـان وحـده علـى الأرض. فأنـت الآن أيهـا المحـب، أعطهمـا مـن زخـم محبتـك مـا يجمعهمـا إلى الأبـد مـن غير افتراق. لأن منـك وإليـك الرجـل والمـرأة. فاجمعهما بالاتفاق، كللهما بالمحبة، وحّدهما ليصيرا كائناً واحداً. أنعم عليهمـا بثبـات حبـهما واسـتمراره ونمـوه، لكـي يمجـداك بأسـرة محبـة سخية، وبسيرة رضية، لأن لـك المجـد ومنـك الرضـا، أيهـا الآب والابـن والروح القدس الآن وكل أوان...

7- تتويج العروسين: أيها الرب إلهنا بالمجد...

8- **كلمة الرب في الرسالة والإنجيل.**

9- **كلمة الكاهن**

10- **الاشتراك في كأس المحبة...**

"اللهم يا صانع كل الموجودات بمحبتك، وموطد المسكونة بقدرتك، وطّد هذه الأسرة بمحبتك، وبارك بركة روحية هذه الكأس المشتركة، والمقدمة لولديك (...... و......)

لكي يباركا معاً اسمك المبارك كل حين الآن وكل أوان وإلى...

11- **ترنيمة الدورة: يا أشعيا اهتزّ طرباً...**

12- **صلاة رفع الإكليلين:**

1) **عظمك الله أيها العريس، وغمرك بالبركة، وأنماك بالمحبة.**

2) **وأنت أيتها العروس، عظمك الله، وغمرك بالبركة، وأنماك بالمحبة.**

3) **سيرا في السلام، وليَهنأ أحدكما بالآخر، واحفظا بالقداسة وصية الرب.**

12- **صلاة الختام:**

"أيها الرب إلهنا، يا من بارك هذا الوجود بالمحبة، ومكّننا من وضع هذين الإكليلين على من جمعتهما إرادة المحبة، أنت بارك ولديك (... و ...)، ومكّنهما من أن يحافظ كلٌّ على الآخر بصدق وأمانة وإصرار، لكي يشكرا دائماً لاسمك القدوس أيها الآب والابن...

*****

9) برعم صغير على سنديانة عريقة.

كانت أسرة الرعيّة الجامعيّة برعماً صغيراً، يوم طلب رئيس الكنيسة السريانية الأرثوذكسية، البطريرك زكا عيواص الأول، من أحد أفرادها، الشاب إبراهيم عبدلكي، أن يحيطه علماً بنشاطها وتأثيرها...

ثم سأله، بعد مدة وجيزة، أن ينقل خبرة أسرة الرعية إلى نطاق الكنيسة السريانية. وهكذا كان. وكان إبراهيم يحيطني علماً، على نحو دائم، بتطورات هذا العمل. وكان سروري عظيماً، لأني كنت دائماً أكنّ لقداسة البطريرك زكا محبة واحتراماً لا حدود لهما!

وذات يوم، حمل لي إبراهيم عبدلكي ورقة بصفحتين، صادرة عن بطريركية السريان الأرثوذكس، تحمل الصيغة الجديدة التي تبنّتها هذه الكنيسة الأولى، انطلاقاً من صيغة أسرة الرعيّة الجامعيّة، لتنظم نشاطها الجديد الخاص بالشبيبة الجامعية.

ولكم يسرني أن أنقل هنا هذه الورقة بحرفيتها. وهي تحمل تاريخ عام 1981.

« بيان الأسرة الجامعية:

بطريركية السريان الأرثوذكس – دمشق

- لماذا؟:

لقد نبعت فكرة إقامة أسرة جامعية، تضم الشباب الجامعي والمتخرج من الشعور بالحاجة إلى اللقاء حول "المسيح"، ولإنعاش الحياة في الكنيسة السريانية، عن طريق إنماء العمل الروحي، والثقافي، والاجتماعي والفني، في الشباب المتعلم، ثم لأخذ مقود المبادرة والانطلاق ومع بقية أفراد الرعية، من مختلف الفئات، وذلك عن طريق:

- **الغاية:**

- **لقاءات إنجيلية: يتمّ فيها التعرف على حياة المسيح، وعلاقته المتجددة بالإنسان، في كل زمان، لنعيش حياة روحية معاصرة، لا تتنافى مع جوهر الإنجيل.**
- **وعن طريق الكنيسة: لنعرف أنها حياةٌ اجتماعيةٌ، وليست طقوساً فقط يعيشها المؤمن دقائق قليلة، لتنفصل بعدئذٍ عن حياته الشخصية، لتكون حياتنا - من خلال الكنيسة - في تطلع مستمر نحو: بناء الإنسان من الداخل، ثم زرعه في كنيسته، ومجتمعه، ليثمر ثمراً صالحاً.**
- **ولإنشاء الصلة الروحية والاجتماعية، بين أفراد الرعية: مؤمنين أن كل عمل فردي - مهما عظم - مآله الإخفاق. وألا نجاح لنا إلا إذا تشابكت أيدينا، لنتجاوز كل العثرات الماثلة أمامنا، والمتوقعة أيضاً.**

- **أسلوب العمل:**

- **ولقد رأينا أن تحقيق ذلك، يتمّ عن طريق إقامة أربع مجموعات متكاملة:**

1- المجموعة الروحية: وستكون محور لقاءاتنا. أما عملها فيتمّ عن طريق: إقامة محاضرات دينية، ومشاركات إنجيلية ولقاءات روحية. ويفضل أن تكون بحضور رجل دين من الرعية، يكون مرشداً - للشباب - وحافزاً لمتابعة العمل. فحضوره المستمر، سيكون الضمانة لاستمرار عمل الشباب الجامعي.

2- المجموعة الثقافية: وستكون المسؤولة عن تأمين ونقل الثقافة التي تُعرّف الإنسان بذاته أولاً، فتكشف المجهول فيه، وتنمي قدراته ومواهبه،

للانطلاق بها ثانياً نحو خدمة المسيح، مجسّداً في الإنسان أيّاً كان، في كنيستنا ومجتمعنا، وذلك عن طريق إقامة المحاضرات والندوات، ومتابعة النشاط الثقافي في القطر، والقيام برحلات أثرية، تعرفنا على المحيط الذي نعيش فيه.

3- المجموعة الاجتماعية: بحيث تعيد تكوين الشباب، وتساعدهم على تجاوز ذواتهم والانطلاق نحو الآخرين، بنَفسٍ سويةٍ، وذلك عن طريق: إقامة لقاءات دورية، بمناسبة الأعياد، وحفلات الميلاد الشخصية، والمناسبات العامة والقيام برحلات ترفيهية.

4- المجموعة الفنية: شبان يلتقون ببعضهم لتنمية نشاطاتهم وهواياتهم الفنية، عن طريق إقامة معارض، أو الحفلات التي تتخللها نشاطات ترفيهية، أو تشكيل أجواق كنسية. وترفع شعار الفن في خدمة الكنيسة.

وأخيراً، إن ما نطمح لإقامته، لا يمكن أن يحدَّ بوسيلة، ما دام الهدف كبيراً. لذلك رأينا: أن المرونة في التطبيق، تتيح لنا فرصة التقويم والتغيير، فنستفيد من تجاربنا، متجاوزين كل تقييد حرفي في الفكر والعمل. ونحن إذ نأمل ذلك، يحدونا رجاءُ مشاركة الجميع، ولذا فإننا نفتح صدورنا وعقولنا لجميع شباب الطائفة، راجين منه المشاركة العملية والفعالة، ومدّ يد العون، لنكون لَبِنةً صالحة في بناء كنيستنا، ومجتمعنا العربي.

دمشق 1981 مرشد الأسرة الجامعية »

10) معسكر مشترك بين الأهل وأبنائهم من شبان وشابات جامعيين

كنت قد حاولت مراراً، بحكم تعاملي الطويل مع الشبيبة والطفولة، أن أنظم مخيماً مشتركاً بين الأهل وأولادهم.

إلا أني لم أنجح بتنظيم مثل هذا المخيم إلا مع أهل أسرة الرعيّة الجامعيّة، في شهر تموز من عام 1995.

لدي من هذا المخيم شهادتان، أولاهما لوالد أحد الشبان، وهو مخرج سينمائي يدعى جورج بدرية، وشهادته تحمل تاريخ 1995/8/1. والثانية لوالدة فتاة جامعية تدعى ماريا عبدلكي.

أورد هاتين الشهادتين بحرفيتهما.

1- المخرج السينمائي جورج بدرية

"بتاريخ 1995/7/23، دعينا نحن الأهل إلى مشاركة أبنائنا الشباب في مخيمهم الصيفي بدير مار بطرس ببلدة مرمريتا.

وبهذه المناسبة أود أن أسجل انطباعي من خلال معايشتي لهم مدة يومين.

إلى جانب الروح المرحة وخفة الظل، اللتين يتحلون بهما، فهم على درجة كبيرة من الذكاء، التفكير الإبداعي وسعة الأفق. هذا ما لحظته من خلال الاجتماع الذي عقد حول موضوع الحرية الشخصية للشباب، والأسباب الموجبة لإحلال الحوار البناء بين الأهل والأبناء.

لقد جرت المناقشات بروح إيجابية، منفتحة، واعية، مدركة لكافة الأمور بعمق موضوعي. وتحدث العديد من الشباب والآباء، ووضعت عدة نقاطٍ إيجابية فوق الحروف، لكثير من المفاهيم الشائعة.

كما تبين لي أن الشباب يتميزون بذوق سليم خلاّق، وروح تعاونية منظمة، ومشاركة وجدانية فيما بينهم، إلى جانب احترامهم الشديد للأهل.

وإني لفخور جداً بشبابنا في أسرة الرعيّة الجامعيّة، الذين يمثلون بحق الجيل المثالي لمجتمعنا المسيحي العربي الموحد في جميع طوائفنا.

كما أسجل بالغ احترامي للأب الياس زحلاوي. وشكراً.

دمشق في 995/8/1 المخرج السينمائي جورج بدرية.

2- <u>السيدة والدة ماريا عبدلكي</u>

إلى حضرة الأب الفاضل الياس زحلاوي

تحية أخوية وبعد،

في هذه الأيام القليلة المعدودة، حيث اجتمع الأحبة، كان اللقاء موفقاً. فالقلوب صافية والنوايا حسنة والاجتماع على محبة الله والخير. وهذا كله بفضل مساعيكم الحميدة وتشجيعكم المتواصل.

بالنسبة لماريا فقد صار لها أخوة كُثر والأهل من حولها. يحيطونها بسياج محبة وأمان. من هنا بدأتُ أعي كم كانت ابنتي محقة في آرائها حول أصحابها الجامعيين... كنا لا نلبث نذهب إلى مكان للتنزه، حتى تبدأ ماريا بالمحاولة للعودة إلى المنزل، حتى تتجه إلى اجتماع الرعية.

وكنت دائماً أوجّه لها كلمات للرضوخ لرغبتنا في البقاء معنا. أما الآن، وبعد ما شاهدته في هذا المخيم من محبة وأخوّةٍ وتآلفٍ وتآزرٍ على الخير والعطاء واحترام متبادل وصدق في التعامل... توافرت لدي القناعة الكافية، وكانت وليدة دراسة عميقة مع والدها. فأنتم المشرف الأفضل والقدوة الحسنة. ويكفينا فخراً أنك من يجمع هؤلاء الشباب والشابات ويهتم بهم ويهديهم إلى الطريق الصواب، طريق الرب.

وفي النهاية عذراً فلست ممن أجاد الكتابة...

فقد كتبت القليل وأخفيت الكثير... وكل هذا من قلبٍ صدوقٍ لا يملك التنميق والمجاملة.

واسلموا برعاية الرب والدة ماريا عبدلكي

11) أهو تتويج لعمل أسرة الرعية الجامعية؟

في 21-22 من شهر آذار عام 2001، عقد في لبنان، مؤتمر دولي، بمبادرة من أمانة سر الشؤون الثقافية في الفاتيكان، التي كان يرئسها الكردينال "بول بوبار". وكان هذا المؤتمر يحمل عنوان: "حوار الثقافات"

وطُلب إلي تقديم شهادة خلاله، عما كانت أسرة الرعية الجامعية بدمشق تعيشه على الصعيد الثقافي المسيحي. فلم أجد خيراً من هذه المناسبة - بعد أن كنا انقطعنا كلياً، منذ عام 1977، عن المشاركة في جميع المؤتمرات الدولية - لأقدم خبرتنا في هذا المجال. ويومها قدمت شهادة صغتها باللغة الفرنسية، كما كان قد طلب من جميع المشاركين فيه. وإني لأدين بترجمتها في ما بعد، لصديقي الأستاذ أديب مصلح. ويسعدني أن أوردها هنا، في ختام هذا الفصل، بكامل ما جاء فيها، وهي بعنوان:

"تجربة حياة ثقافية مسيحية في دمشق"

اسمحوا لي بدءاً ببعض الإيضاحات:

لا مجال للتحدث عن مركز ثقافي كاثوليكي في دمشق، فهو منافٍ لواقع الحال إذ لا وجود، في دمشق، لمركز ثقافي، كاثوليكي أو مسيحي صرف، يحظى باعتراف قانوني.

غير أنه يوجد العديد من المراكز الأبرشية، هي، رسمياً كاثوليكية، أو أورثوذكسية، أو بروتستانتية، كثيفة النشاط، والتي تضم مسيحيين من كل مشرب، بيد أن "نشاطاتها الثقافية" لا تتخطى جدران هذه الكنائس. ففي الواقع لم تتساءل يوماً، كنائس دمشق ومسؤولوها حول واجب الاندماج الثقافي في موطنهم، وفي العالم العربي.

ربما كان لهذا الموقف شيء من التبرير قبل فقدان المدارس الكاثوليكية في أيلول 1967. ولكن ماذا عمّا بعد أيلول 1967؟

أوثر أن أدع جانباً كل محاولة تفسير أو تبرير لهذا الموقف، وأتجرأ فأقول أن السبيل مشرع، في دمشق، لكل مبادرة في هذا المضمار.

والدليل هو ما خبرته شخصياً، منذ عام 1967 حتى اليوم، مع العديد من فرق الشباب المسيحيين المنتمين إلى جميع الطوائف الموجودة في دمشق.

لست أدعي جعل هذه التجربة المثال الأمثل، من نوعها، بيد أنه لا بد من الإقرار بأنها تجربة تفجّرت من تربة الواقع، وأثبتت فاعليتها، وهي، في رأيي المتواضع، جديرة بأن تُعرَف كي تتجلّى الطاقات الكامنة في شبابنا، وكي تتّضح حقيقة قدرة بلدنا على الاستيعاب.

وقبل المضيّ قدماً في حديثي، لا بأس من إيضاح أنني، شخصياً، كاهن من طائفة الروم الكاثوليك، في دمشق، مكلّف برسالة في دمشق، ولم أنتمِ قطّ لأي حزب سياسيّ. فحسبي يسوع المسيح.

إن التجربة الثقافية التي خضتها في دمشق تتلاقى مع التحديد الوارد في الدعوة إلى هذا الحوار حول مركز ثقافي كاثوليكي، حيث تحدّثت ورقة الدعوة عن: "مبادرات فردية، على تواصل دائم مع الكنيسة، تقترح نشاطات ثقافية، يلهمها الإيمان، ويخصبها، ويحييها، ويشحذ ديناميكيتها، نشاطات توفّر للكنيسة إمكانات حضور وعمل في حقل التحولات الثقافية، وتسهم في تعريف القناعات المسيحية حول الرجل، والمرأة والاسرة، والعمل، والمجتمع، والسياسة، والحياة الدولية، والبيئة".

وأستميح لنفسي إضافة ما كان يجب أن يتصدر هذه القائمة: أي الله.

ولنتطرق الآن إلى التجربة المعنية، والتي تتضمن، في الواقع، ثلاث مبادرات، أفضت إلى فسحة الحقل الثقافي، وتمثّلت في أسماء ثلاثة:

- هواة المسرح العشرون.
- الرعية الجامعية.
- كورال "جوقة الفرح".

أما جوهر هذه المبادرات، فإليكم خطوطه العريضة:

1- المبادرتان الأوليان انطلقتا من واقع فقدان 150 مدرسة كاثوليكية في سورية (دمشق) في أيلول عام 1967، مما أفضى إلى قطع الجسور بين الكنائس وشرائح عريضة من الشباب السوري، معظمهم بالطبع من المسيحيين.

وفي الحال ارتأيت، مع صديق شاب منتمٍ إلى عالم المسرح والتليفزيون، إيجاد فرقة مسرحية، حرصنا على أن تكون واضحة المعالم المسيحية، ولكنها مندمجة اندماجاً محكماً في الوسط الثقافي، ومعنيّة بما يواجهه الوطن والعالم العربي من مشاكل حارقة.

وهكذا وُلِدت فرقة "هواة المسرح العشرون" وقد تألّفت من:

المخرج الشاب: سمير سلمون

ومساعده: محمد سعيد الحمصي، وهو المسلم الوحيد في الفرقة،

ورسام ديكور

وستة عشر ممثلاً

ومؤلف، وقد قمت، أنا نفسي، بهذا الدور.

وقد عالجنا القضايا التالية:

- عام 1968: قضية هجرة الشبان، في مسرحية: "آه، ليتك كنت هنا!"

- عام 1971: الصراع العربي الإسرائيلي في مسرحية: "المدينة المصلوبة"

- عام 1972: صراع الفقراء في سبيل حياة كريمة، في مسرحية: "الطريق إلى كوجو"

- عام 1981: قضية الديكتاتورية، وما ينجم عنها من تفشي الفساد، في مسرحية: "وجبة الأباطرة".

هذه المسرحيات جميعها، باستثناء الأخيرة، قدمتها العديد من الفرق، مرات كثيرة.

وقد قامت وزارة الثقافة بنشر مسرحية "المدينة المصلوبة".

واضطلع اتحاد الكتاب العرب بطبع المسرحيتين الأخيرتين. وفي إثر نشر "المدينة المصلوبة" انتخبتُ عضواً في اتحاد الكتاب العرب.

وفي عام 1973 وقع خيار وزارة الثقافة على فرقتنا لكي تمثل مدينة دمشق في مهرجان مسرح الهواة السوري، الذي اشتركت فيه ثلاث عشرة فرقة، وقد حصدنا، بالتساوي مع فرقة حمص، الجوائز الأربع الأولى: أفضل نص، وأفضل إخراج، وأفضل ممثل، وأفضل ممثلة.

ولم يُخفِ النقّاد دهشتهم حيال كاهن يتطرّق، بصفته كاتباً مسرحياً، إلى قضايا بالغة الحساسية، ولا سيما أن كاهناً، في إحدى المسرحيات، كان يدعو إلى المقاومة.

وفيما بعد طلبت مني وزارة الثقافة تعليم تاريخ المسرح في المعهد العالي للفنون المسرحية، وكذلك ترجمة الأجزاء الخمسة من كتاب تاريخ المسرح، الذي ألّفه فيتو باندولفي.

ومذّاك بتّ جزءاً من عالم المسرح بصفتي عضواً في جمعية المؤلفين الدراميين ضمن اتحاد الكتاب العرب.

2- الرعية الجامعية، هي أيضاً، انبثقت من فقدان المدارس الكاثوليكية عام 1967.

ففي أعقاب حوار كان من المفروض أن يجمع جميع الكنائس الكاثوليكية في سورية، حول تساؤل: "إلى أين ماضية كنيسة سورية؟"، ولكنه لم يجمع سوى كنائس دمشق، في شباط 1968، اتخذ الأساقفة والمسؤولون الحاضرون عدة قرارات في سبيل تفكير وعمل مسيحيين أوفر فاعلية. وحينئذٍ كُلِّفتُ، رسمياً، بالعمل مع الطلاب الجامعيين، الذين كنت قد شرعت أهتم بهم منذ عودتي إلى دمشق في أيلول 1962.

وقد أفضت بنا الصلوات والتأملات المنتظمة التي قمت بها مع نحو خمسة عشر شاباً، سحابة ثلاثة أشهر إلى تبنّي صيغة "الرعية الجامعية"

فما كانت هذه الرعية، في الواقع؟

كان عالم الشباب، في نظرنا، من التأرجح والتذبذب، والوضع العام من

الدقة والحساسية، بحيث قررنا بدءاً الاقتصار في كل أسبوع، على الاحتفال بالقداس الإلهي، تاركين للرب مهمة إرشادنا.

وعلى وقع الصلاة الأسبوعية، واللقاءات الودية، تبلورت توجّهات إضافية منها الروحي، والمسكوني، والفكري، والاجتماعي، والثقافي.

وسأقتصر، في معرض حديثي هذا، على الجانب الثقافي، الذي تجسّد، على مرّ الأيام، في خيارين:

- أولهما كان الارتباط بين "هواة المسرح العشرون"، و"الرعية الجامعية"
- وثانيهما كان تبنّي الحاجة الماسّة إلى مركز ثقافي ملائم.

وقد أسفر ارتباط الفكرة المسرحية بالرعية الجامعية عن نتيجتين حيويتين:

- فقد ردمت الرعية الجامعية الفراغ الذي أحدثته هجرة أعضاء الفرقة المطّردة، إلى مدنهم وقراهم، أو إلى الخارج بغية التخصص.
- وقد وفّر ذلك للرعية الجامعية فسحة نشاط مسرحي أمسى امتداداً للالتزام الذي كانت تسعى إلى عيشه ونشره.

وكان على الرعية الجامعية أن تواجه، منذ انطلاقها، تداعيات ما انفكّت تتنامى وتزداد اقتضاءً. وسرعان ما نشأت سلسلة متّصلة ومشرعة على كل جمهور، من المحاضرات، والطاولات المستديرة، والتبادلات، واللقاءات، والأمسيات الشعرية، والأدبية، والمسرحية، لم يحجم عن المشاركة فيها، على حد علمي، أي من المثقفين الذي طُلب منهم ذلك. لا بل إن بعضهم، حتى المسلمين منهم، قد أعربوا لي عن فرحهم بالتقاء "هذا الوسط الاستثنائي في صحته وفي بثّه الرجاء".

وفضلاً عن ذلك، أتاح ذلك الالتزام الفريد والمتعدد الوجوه في آن واحد، للرعية الجامعية، المساهمة في لقاءات إقليمية ودولية، نظمتها هيئات إقليمية ودولية مثل الشبيبة الطالبة المسيحية، في لبنان ومصر، الحبشة وفرنسا وسويسرا والولايات المتحدة.

كل هذا العمل الذي تحقق منذ عام 1968 أفضى، عام 1977، إلى ما سمّيته الخيار الثاني، أي تبيّن الحاجة إلى مركز ثقافي مناسب.

وقد تمثّل هذا الخيار الثاني في مبادرة فريدة من نوعها، إليكم فحواها:

منذ عام 1970 كانت الرعية الجامعية ومنظمات شبابية مختلفة تلتقي في قبو كنيسة جديدة شادتها في دمشق، بطريركية الروم الكاثوليك، تحت شفاعة العذراء "سيدة دمشق". طول ذلك القبو كان (26) متراً، وعرضه (16) متراً، أما ارتفاعه فلم يتجاوز مترين ونصف المتر. أما أرضيته الرخامية فكانت درجاً عريضاً على امتداد (16) متراً.

هذا القبو الذي صُمّم ليكون قاعة متعددة الاستخدامات، أظهرت خبرة سنوات عديدة، وأكد حكم مهندسين ومعماريين كُثُر أنه لا يصلح ليكون أكثر من مستودع، مع أنه كان ولا يزال جديداً، كما أنه يفتقر إلى أي منفذ للمياه.

وكان لا بد من فعل شيء ما. فاقترحت على البطريرك ونائبه تخفيض مستوى الأرضية. ولم تُتحِ لنا الدراسات الهندسية التي أُجريت على الأساسات أكثر من مترٍ واحد من التخفيض. وقد وطّنت العزم على القيام بهذه المهمة بهمة شباب الرعية الجامعية، وبمساعدة مهندس متطوع، عائد حديثاً من ألمانيا، أثار هذا المشروع اندفاعه، في حين أبت البطريركية الإسهام بأيّ تمويل.

ومع ذلك شُرِع بتنفيذ هذا المشروع في الرابع من كانون الأول 1977، وفُرِغ منه نهائياً في الرابع من كانون الأول 1978. وتكاتف على تحقيقه نحو ثمانين شاباً وصبية. ومع أن الأمر لم يكن يسيراً، دُشّنت القاعة بحضور البطريرك، وعدة شخصيات ثقافية وطنية، منها معاون وزير الثقافة، أديب اللجمي، الذي كان قد قَدِمَ مرّات عديدة كي "يتأمّل هذا العمل الجبّار"، كما كان يروق له أن يقول، والذي قدّم لنا، تلقائياً عدداً من مسالط النور (بروجيكتورات) للإضاءة.

وكم أثار ذلك الإنجاز جمّاً من الإعجاب، والتطوّع، والعطاء، وأيضاً من القدح والمعارضة!

وجدير بالتنويه أن سماكة البيتون، في بعض أماكن القبو، بلغت (60)

سنتيمتراً. وكان لا بد من اللجوء إلى استخدام ثقّابات كهربائية. وقد اكتشفنا تحت البيتون، والردم، فراشاً من الحجارة الكبيرة يُغطي كامل الأرضية، ممّا دفع مهندساً جاء للإشراف على العمل، إلى القول: هذا ليس قبو كنيسة، بل مدرج هبوط طائرات.

وقد سُمّيت القاعة، بعد اكتمالها "قاعة السواعد" تكريماً للشبان الذين عملوا على إنجازها. وقد أصبحت، على مدى سنوات طويلة، مركزاً ثقافياً حقاً، يؤمّه حتى طلاب المعهد العالي للفنون المسرحية، للتدرّب.

وعوداً على الرعية الجامعية، لا بد من التنويه بحقبة من التعاون الجميل بينها وبين عالم المسرح، أفضى، خلال السنتين الأخيرتين، عن عرضين كان لهما وقع مميز:

- أولهما لمسرحية من تأليف بيرتولد بريخت بعنوان "رؤى سيمون ماشار" التي قُدّمت على مسرح "القباني" الحكومي، وقد أخرجها المدير الحالي للمعهد العالي للفنون المسرحية، الدكتور رياض عصمت.
- ثانيهما لمسرحية من تأليف الكاتب المسرحي الإسباني ألكسندرو كاسّونا، بعنوان "سيدة الفجر" والتي عرضت في "قاعة السواعد"، وأخرجها المدير الحالي للمسرح الوطني، الدكتور عجاج سليم.

وقد باتت إمكانات ثقافية كثيرة متاحة لنا.

3- ولنتحدث أخيراً، عن "جوقة الفرح".

عُيّنت، في تموز من عام 1977، خادماً لرعية كنيسة سيدة دمشق، مع كاهنين آخرين يكبرانني سنّاً، فقررت إنشاء جوقة أطفال، كان نواتها، في البدء، خمسة وخمسون صبيّاً وفتاة، قادمين من كل الطوائف المسيحية، ومن القاطنين إلى جانب الكنيسة الرعوية. وقد احتفلت تلك الجوقة الوليدة بقداس ميلاد 1977، فأدهشت أيّما إدهاش. وقد دعّم هذا الحدث الصغير أعضاء الجوقة، ورفدهم بالعديد من الوافدين. وشرعنا ننمو نمّواً جلياً، سنّاً، وعدداً، ومستوىً، وفرحاً، وبالطبع، مصاعب، أيضاً.

وكان لا بد لنا من اسم، فاخترنا، بعد استشارة الأطفال ووالديهم اسم "جوقة الفرح". وقد توخينا، في المقام الأول، إحياء الاحتفالات البيزنطية الجميلة والطويلة، والتي أجادها الصغار.

ومع ذلك، كان يقطنني حلمٌ آخر: حلم ابتداع ترانيم دينيّة جديدة، خالية من الطابع المسيحيّ، تعتمد لغة عربية جميلة، وتحملها موسيقى شرقية صرف. وذات يوم، أسعدني لقاء وديع الصافي، الذي وافى الصوفانية مصلياً في (31) كانون الأول من عام 1984. وقد أيقظ، ما غنّاه، حينئذ، حلمي القديم. وكاشفته به، فرحّب. ومذاك تعيش "جوقة الفرح" مع وديع الصافي تعاوناً مدهشاً في جاهزيته، وإنسانيته، ومجانيته.

وقد بدأنا بالاستعانة بترجمة الأب عفيف عسيران الشهيرة للمزامير. ثم، شيئاً فشيئاً اخترنا، معاً، باقة من الصلوات، والقصائد لصوفيين عرب وأجانب. وسرعان ما اغتنت قائمة ترانيمنا، ولكن ذلك لم يتم تلقائياً، إذ إن بعض أعضاء الجوقة أنفسهم كانوا يتحفظون حول ترانيم يجدونها مغرقة في طابعها الإسلامي.

وأخيراً، في الرابع من كانون الأول 1988، قدمت "جوقة الفرح"، مع وديع الصافي، في كنيسة سيدة دمشق، حفلة غنائية دامت نحو ساعتين، انحفرت ذكراها في نفوس الدمشقيين، ولاسيما بما أثارته من ردود فعل متضاربة. بيد أن التلفزيون السوري، يومها، كان حاضراً، وأيضاً جمهرة من المثقفين، معظمهم من المسلمين. وفي ليلة عيد ميلاد 1988، بثّ التلفزيون السوري تسجيلاً كاملاً لتلك الحفلة.

ومنذئذ تخطّت "جوقة الفرح" جدران الكنيسة إلى العالم الرحب، الذي قادنا، يوماً فيوماً، نحو الواقع المحيط، بكل سحره وإقلاقه.

ما هو ذلك الواقع؟ الكتلة المسلمة، انشقاق الكنائس، فقدان الحس الإنساني تدريجياً، لامبالاة المسيحيين المتفاقمة حيال القضايا الإنسانية، الخنق الذي تتعرض له كل حرية وكل كرامة، والعنف السافر أو المحجب،

والاقتلاع المدمر، والقلق السائد، والصراعات الدامية هنا وهناك، ولاسيما في لبنان، والظلم الدولي الصارخ في فلسطين، والطفولة المهددة، والطبيعة الرائعة التي تتعرض لاغتيال مطرد، والحب، والفرح، والرجاء... ووجه الحق وجمال الكائن البشري.

كل ذلك كان ماثلاً، إلى حد ما، في أغاني وديع الصافي، والأخوين رحباني، وزكي ناصيف، وإيلي شويري، ومارسيل خليفة، فضلاً عن بعض أغان لسيد درويش وزكريا أحمد، وأم كلثوم، وأساتذة الموشحات الحلبية. من كل هؤلاء استقت "جوقة الفرح" أفضل أغانيها.

ثم جاء يوم أضافت فيه إلى ذلك إبداعاتها الخاصة؛ فهي، سحابة سنوات، قد وفرت لكثيرين من أعضائها الإمكانات، وشجعت إنماء طاقاتهم. فأثروا قائمة أغانيهم بتأليفهم الخاص، الذي أتاح لبعضهم، مذاك، تبوء مكانة مرموقة في العالم الموسيقي السوري.

كل ذلك نعبر عنه بالغناء، حريصين على أدائه بجهد وإتقان كثيراً ما تفتقر إليهما الجوقات العربية. ولا بدع في ذلك، فنحن نتوخى أن يصبح هذا الغناء جسراً ثلاثياً:

بين المسيحيين أنفسهم، وبين البشر والله،

وبين العالم العربي والآخرين.

أمّا لجوقة الفرح، فإنما ذلك يعني مهمة ورسالة،

- وهذه الرسالة قد غنيناها في دمشق وفي العديد من المدن والقرى السورية.
- وغنيناها مراراً في لبنان، في صيدا، وأنطلياس، وحريصا، وفاريا.
- وغنيناها في أوروبا، في أثناء جولتين لنا، أولاها في عام 1995، مع (105) مرنمين من جوقة الكبار، حيث قدمنا في فرنسا، وهولندا، وألمانيا، واحداً وعشرين قداساً بيزنطياً، وحفلاً موسيقياً، منها حفل في معهد العالم العربي في باريس.

أما في الجولة الثانية التي قمنا بها، عام 1996، مع (136) مرنماً من الجوقة الوسطى، فقد قدمنا، على مدى (25) يوماً، عشرين قداساً بيزنطياً وحفلاً موسيقياً في فرنسا وبلجيكا.

وفضلاً عن ذلك، منذ سنوات عديدة، تدعى "جوقة الفرح" إلى المشاركة في المناسبات الرسمية، والوطنية، والثقافية؛ وهذا يسعدنا، مع أننا لا نستطيع تلبية جميع الدعوات.

وقد شاركت "جوقة الفرح" ثلاث مرات، في مهرجان الأغنية السورية في حلب، حيث حصدت، مرتين، جائزة "أورنينا" أي جائزة أفضل أغنية.

أما حفلاتنا الخاصة، فجوقة الفرح وحدها هي التي تبادر إلى إقرارها.

وهي ستقدم حفلة، يوم الثلاثاء، الموافق للثالث من نيسان، في الجامعة الأميركية ببيروت.

وبالاختصار أكتفي بالتنويه بالأمسيتين الاستثنائيتين اللتين حرصت من خلالهما "جوقة الفرح" على تكريم كل من زكي ناصيف، وذلك بتاريخ (20) شباط 1999، ثم وديع الصافي بتاريخ (28-29) تشرين الأول 2000.

أكثر من (400) عضو من جوقة الفرح وخمسة عشر موسيقياً اشتركوا في تينك الأمسيتين، اللتين بثهما التلفزيون السوري. وقد اقتصرت الأغنيات التي قُدّمت في كلتيهما على أغاني ذينك المطربين اللبنانيين المجلّيَيْن.

ومما عمّق أثر تظاهرات "جوقة الفرح" هذه، أنها غالباً ما تُبثّ على أقنية تيليفزيونية عديدة، منها تيليلوميير والتلفزيون السوري، وبعض المحطات المحلية في كندا والولايات المتحدة.

ولا بد لنا من الاعتراف بأننا توفّقنا إلى صيغة تعايش مشجّع مع التليفزيون السوري.

وأكتفي بالتنويه أنه بين عيد ميلاد 2000 ورأس سنة 2001، بثّ التليفزيون السوري ما مجموعه اثنتا عشرة ساعة من أغاني وترانيم "جوقة الفرح" على محطاتها الأرضية والفضائية.

ناهيك عن آلاف التسجيلات، وكاسيتات الڤيديو التي انطلقت من دمشق إلى شتى الجهات.

عدد أعضاء "جوقة الفرح" اليوم يبلغ (450) عضواً، تتراوح أعمارهم بين ستّ سنوات و(72) سنة. وهم يتوزّعون على خمس فئات.

1- طلاّب السنوات الابتدائية، الذين يتعلّمون أسس الموسيقى وبعض الأغاني.
2- طلاّب الصفوف التالية: الخامس، السادس، السابع، الثامن، والتاسع الذين يؤلفون "الجوقة الصغرى".
3- طلاّب الصفوف الإعدادية (المتوسطة) الذين يؤلفون "الجوقة الوسطى".
4- الطلاّب الجامعيون الذين يؤلفون "الجوقة الجامعية".
5- وأخيراً "جوقة الكبار".

ولكل من هذه الفئات مواكبة موسيقية وتربوية يضطلع بها أعضاء الجوقة الجامعية وجوقة الكبار.

وإلى ذلك، ثمة لجنة عامة تتألف من اثني عشر عضو، جوقة تضمّ المشرفين الرئيسين على مختلف الفئات، ومهمتها أن تنظّم بالاشتراك مع الكاهن المؤسس، عمل المجموع، وبذل كلّ مستطاع، في سبيل توفير الظروف المثلى لانتظام أعضاء الجوقة من جهة، ولدمجهم في حياة البلاد الثقافية، من جانب آخر.

وبوسعكم تخيّل ما يفرضه ذلك من التزام، في وسطٍ قلّما اعتاد الالتزام، ومن تنظيم في مجتمع شغفٍ بالفوضى، ومن اهتمام بكلّ فرد، في مجتمع مبتلى بالأنانية والفردية.

وبعد كلّ ما أنف ذكره، لا أظن أنني أغالي بالقول أنّ "جوقة الفرح" قد باتت جزءاً أساسياً من الحياة الثقافية والدينية في سورية، وربّما في أماكن أخرى.

هذه صورة إجمالية وسريعة للخبرات الثقافية المسيحية المختلفة المعاشة في سورية.

فما الذي يمكن استخلاصه منها؟

أود أن أوجز الخلاصة بالتنويه بوقائع ثلاثة، وإيراد شهادة، وطرح سؤال واحد.

ثلاثة وقائع:

أ- عام 1979 لم يكن عمر "جوقة الفرح" يتخطى سنتين. وقد أفلحنا، وقتها، في تأليف فرقة غناء ورقص فولكلوريين، أعضاؤها من الصغار، وقد أصابت من النجاح ما حدا بالتليفزيون السوري إلى التفكير بتنظيم برنامج من تلك الأغاني والرقصات.

وقد غنّى أولئك الصغار موشّح "اسقِ العطاش، و"ملا الكاسات" وموشحات أخرى على وقع رقصة "السماح".

وخطر لي، آنذاك، تأسيس فرقة مشتركة من أطفال مسيحيين ومسلمين، لا شأن لها بالتراتيل الدينية. ووجّهتُ كتباً إلى الأُسر المسلمة العديدة القاطنة في جوار الكنيسة، ودعوتهم إلى أمسية فولكلورية، وفسّرت لهم الغرض من هذه المبادرة. ولكني لم أتلقّ أي جواب، لا سلبي ولا إيجابي.

ولكن اليوم، بعد كرّ السنين، غدت أُسر مسلمة عديدة، لا تني تطلب قبول أبنائها، من فتيان وفتيات، في "جوقة الفرح". كم تبدلت الأمور!

ب- من أصدقاء "جوقة الفرح" مثقف مسلم لامع، لكنه اشتهر بماضيه الشيوعي، لم يفوّت واحدة من حفلاتنا الغنائية، وقد قضى على حياته سرطان منتشر. يوم وفاته كنت خارج دمشق، ولدى عودتي زرت أسرته مؤاسياً، فأعلمتني ابنته، وهي سيدة في الأربعين، متزوجة، وأستاذة جامعية، أنه قضى أيامه الأخيرة يستمع إلى المزامير والصلوات التي أنشدتها "جوقة الفرح" مسجلة على شريط ڤيديو.

ت- ذات يوم، زرت، بلا موعد، أسرة مسلمة صديقة، كان ابنها طبيباً عائداً لتوه من التخصص في الولايات المتحدة. ويا للمفاجأة! فقد كانت أصوات "جوقة الفرح" تملأ البيت بترانيم المزامير؛ وكانت أم الطبيب تشارك الجوقة الغناء.

وعلى سؤالي المفعم دهشة عذبة، أجابت "إنّ هذه الترانيم تهمّنا جميعاً، وهي رائعة!".

التذكير بشهادة:

في مطلع شهر أيلول 1996، كانت "جوقة الفرح" تقدم على مسرح كونسرفاتوار "كاين" (CAEN)، بفرنسا، حفلة غنائية. وكان من بين حضورها الأب منصور لبكي. وفي اليوم التالي كنّا نشترك معاً بالقداس البيزنطي المرتّل في قبو كاتدرائية "ليزيو". فدعوته إلى إلقاء كلمة عقب الإنجيل.

ولن يندم الذين، منكم، يعرفون الأب لبكي، لو هم سألوه أن يردّد على مسامعهم ما قاله، آنذاك، حول حضورنا المسيحي في العالم الغربي، وكذلك في الغرب.

وأخيراً، سؤال:

بما أن قبضة من المثقفين المسيحيين، من لبنان، خاصة، ومن سورية، لا سلاح لهم سوى "الكلمة"، قد استطاعوا، تحت الحكم العثماني الدهري، والذي يصعب وصفه، أن يكونوا خميرة العالم العربي، آنذاك، وحتى أيامنا، فما الذي لا نستطيع، نحن، فعله، نحن مسيحيي العالم العربي، ونحن نمتلك أكثر من الكلمة الوحيدة؟

الأب الياس زحلاوي

دمشق 20 آذار2001

12) برسم جميع مسؤولي كنائس الشرق والغرب

من التساؤلات الكبرى التي كانت تلاحق شبيبة أسرة الرعية الجامعية، ويلاحقوني بها، تلك التي كانت تخص العلاقة بين مقتضيات الإنجيل الصريحة، حول محبة المحرومين والمسحوقين، حتى واجب تحريرهم من جهة، وواقع الظلم الشامل، الممنهج والمتمادي، الذي كان يسحق شعوباً برمتها، بدءاً من فلسطين، من جهة أخرى.

يومها كان اسم "التشي غيفارا" يملأ عقول الشبيبة وأحلامهم... ولكنهم ما كانوا يعلمون شيئاً عن "لاهوت التحرير"، الذي كان بعض لاهوتيّي أميركا الجنوبية يدعون إليه، مثل الأب "ليوناردو بوف"، والأب "غوستافو غوتييريز"، وقبلهما الأب "كميليو توريز"، الذي كان ينتمي إلى عائلة ثرية ومرموقة في "كولومبيا"، والذي اختار الكهنوت سبيل حياة، فتخصّص في بلجيكا في العلوم الاجتماعية، وعاد منها يدرّس في جامعات كولومبيا، ثم أسّس حزباً سياسياً قوياً، وكان يريد له أن يسهم في قلب موازين المجتمع، ليعيد إلى فقراء بلده، العدالة والكرامة، والذي، إذ يئس من كل عمل سياسي، التحق بالثوار المقاتلين في أدغال كولومبيا، حتى استشهد فيها يوم 1966/2/15، أي قبل استشهاد "التشي غيفارا" بسنتين، وهو بعد في السابعة والثلاثين من العمر... وكانت شبيبة أسرة الرعية تجهل حتى اسم المطران البرازيلي الشهير "هلدر كامرا"، ذلك الرائد الكنسي الأكبر للعدالة الاجتماعية في البرازيل، ثم على مستوى العالم، والذي كان يحاول جاهداً إيقاظ الضمير الكنسي العالمي، حيال المظالم القائمة والمتمادية...

وكنا، في أسرة الرعية الجامعية، نرى من واجبنا، أن نمضي في تقصّي دروب التحرّر الاجتماعي في اللاهوت المسيحي. وقد قادنا ذلك تلقائياً إلى أحاديث ومحاضرات، كثيراً ما كنت أكلَّف بها. حتى كان يوم أُعلِن فيه عن اغتيال أسقف في "السلفادور" بأميركا الجنوبية، وكان يوم 24 شباط من عام 1980، إذ كان هذا الأسقف يقيم القداس الإلهي في كاتدرائيّته بالذات. كان

اسمه "أوسكار روميرو". وقد اتضح أن مواقفه الواضحة والصريحة، في دفاعه عن فقراء السلفادور، كانت كثيراً ما تزعج المسؤولين فيها. إلا أن ردود أفعالهم السلبية، بل المجرمة، ما كانت لتتطاول إلا على بعض الكهنة فيها. ويبدو أنهم قرّروا القضاء عليه، بعد إذ كان ألقى، قبل شهر ونيف، محاضرة في بلجيكا، رسم فيها بكل وضوح وجرأة، مقتضيات الإيمان المسيحي، حيال المحرومين والفقراء، ولا سيما في بلده السلفادور.

هذه المحاضرة عينها، نُشرت بحرفيّتها في مجلة مسيحية عالمية، تدعى "المعلومات الكاثوليكية الدولية"، في عددها رقم 98، الصادر في شهري آذار – نيسان من عام 1987.

وإني لأنشرها الآن، في هذا الفصل من كتاب أسرة الرعية الجامعية، برسم الصامتين من مسؤولي كنائس الشرق والغرب، إزاء ما يحلّ بالعالم عموماً، وبسورية خصوصاً، من أهوال لا يجوز السكوت عنها. وأنشرها بحرفيتها، على طولها، وهي بعنوان "البُعد السياسي للإيمان"، مع المقدمة الوجيزة التي سبقتها، والتي جاء فيها:

« المطران روميرو يشهد.

اغتيل يوم **1980/3/24**. هو المطران "أوسكار روميرو"، مطران "السان سلفادور". إنه شاهد نَبَويّ على نضال الفقراء من أجل تحريرهم. استُشهِد بسبب إيمانه الذي ترجمه إيثاراً اختيارياً للفقراء، ودفاعاً عنهم. إنه ينير جميع المسيحيين الذين أدركوا البُعد السياسي للإيمان. وقد مضى في وفائه حتى آخر الدرب، فاغتيل بيد من كان "المال بالنسبة إليهم، أهمّ من حياة البشر". فقد كان قد استسلم للتحوّل الذي حدث في أعماقه، بسبب من الإنجيل وفقراء بلده، فبات يشهد للاهوت التحرير، الذي يقوم قبل كل شيء على الوقوف وقفة تضامن ورجاء مع المسحوقين. وهو يعلن عبر كلّ حياته الأسقفية، أن الفقراء هم صانعو تحريرهم الذاتي. وقد بدا لنا من الأهمية بمكان، أن ننشر شهادة المطران "روميرو"

هذه، التي وردت في المحاضرة التي ألقاها في جامعة "لوفان" ببلجيكا، بتاريخ 1980/2/2. وإن هذه الشهادة تسلّط الضوء، ببساطتها وصدقيّتها، على ما هو أساسي في "لاهوت التحرير" هذا، الذي قال عنه البابا يوحنا بولس الثاني: "إنه ليس مناسباً وحسب، بل هو ضروري أيضاً".

نص المحاضرة

"البُعد السياسي للإيمان"

1) اختبار كنسي في السلفادور.

أنا قادم من أصغر بلد في أميركا اللاتينية البعيدة. قَدِمت أحمل في قلبي، بوصفي مسيحياً، مواطناً في السلفادور، ومسؤولاً كنسياً فيه، التحية والشكر، وفرح مشاركتي لكم في اختباراتنا الحيوية... بالطبع لا أدّعي إلقاء خطاب خبير في الشأن السياسي، وليس لكم أن تنتظروا ذلك مني، ولا تقديم نظريات قد تتيح لخبير في اللاهوت أن يقيّم العلاقة النظرية بين الإيمان والسياسة.

أحدّثكم اليوم بكل بساطة، بوصفي مسؤولاً كنسيّاً تعلّم شيئاً فشيئاً، من خلال تعايشه مع الشعب، هذه الحقيقة الجميلة والقاسية: إنّ الإيمان المسيحي لا يسلخنا عن العالم، بل هو يغرسنا فيه. فالكنيسة ليست ملجأً يبعدنا عن المدينة، بل هي تسير في خطى يسوع، يسوع هذا الذي عاش وعمل بيديه، وناضل وبذل حياته في قلب المجتمع. وهذا ما أعنيه عندما أتحدّث عن البُعد السياسي للإيمان المسيحي، وبكلمة أدقّ عن انعكاسات الإيمان على العالم، وكذلك عن التأثيرات التي تنعكس على الإيمان من جرّاء انخراطه في العالم.

2) كنيسة في خدمة الفقراء.

يتوجب علينا، بادئ ذي بدء، أن نقول بكل وضوح: كان للإيمان المسيحي ولحياة الكنيسة، دائماً، تأثيرات اجتماعية وسياسية. ولقد كان دوماً للمسيحيين، في العالم الذي وُجدوا فيه، تأثير في تكوينه الاجتماعي والسياسي، إما بالفعل

المباشر، وإما بسبب التقاعس، أو بالتنسيق مـع هـذا أو ذاك مـن المكونـات الاجتماعية. إلا أن المشكلة هي في معرفة الشكل الذي يجب أن يتخذه هذا التأثير في الميدان الاجتماعي والسياسي، كي يتلاءم هذا العالَم حقاً مع الإيمان...

إن جوهر الكنيسة يقوم في رسالتها، بحيث تكون في خدمة العـالَم، في تـوفير الخلاص له بكليّته، منذ الآن على هذه الأرض. فالكنيسة وجدت لتكون متضامنة مع آمال البشر، مع أفراحهم ومضايقهم وأحزانهم. والكنيسة، مثلها مثل يسوع، وُجِدت لتبشّر الفقراء، وتُنهض المظلومين، وتبحث عن التائه وتخلّصه.

وبكلمة واحدة توجز كلّ شيء، إنّ العالم الذي يتوجب على الكنيسة خدمتـه، هو في نظرنا، عالم الفقراء. إنه عالم يتألف في غالبيته الساحقة، من رجال ونسـاء، فقراء ومسحوقين. ونحن نقول عن هذا العالم، عالم الفقراء، إنه المفتاح الذي يتيح لنا فهم الإيمان المسيحي، وحياة الكنيسة، والبُعد السياسي لهذا الإيمـان ولحيـاة الكنيسة هذه. فالفقراء هم الذين يقولون لنا ما هي المدينة، وماذا يعني للكنيسـة أن تحيا حقاً في العالم.

3) تجسد في عالم الفقراء.

لقد دوَّت في أوساطنا، كما في العديد من الأماكن في أميركا اللاتينيـة، بعـد عقود، بل بعد قرون، آيات سفر الخروج:

"إنّ صراخ بني إسرائيل قد بلغ إلى أذنيّ،

وقد شاهدت الظلم الذي حلّ بهم" (9/3)

هذه الكلمات من الكتاب المقدس، منحتنا عيوناً جديدة، لنبصر ما كـان قائمـاً على الدوام بيننا، ولكنه كان مغيّباً في الغالب عن عيون الكنيسة. وقـد تعلّمنـا أن نرى ما هو الحدث الأبرز في عالمنا، وقيّمناه بوصـفنا مسـؤولين في الكنيسـة، في اجتماعاتنا في مدينتي "ميدلين" (Medellin)، و"بويبلا" (Puebla)، فقلنا:

"إنّ هذا البؤس، بوصفه واقعاً اجتماعياً، هو ظلم يستصرخ السماء".

وفي مدينة "بويبلا" أعلنّا:

"إن الكارثة الأشدّ هولاً وإذلالاً، هي حالة الفقر اللاإنساني، الذي يعيشه الملايين من أبناء هذه القارة، والذي يتبدّى مثلاً في الأجور المزرية، في البطالة، في العمل غير القانوني، في الشؤون الصحية، وانعدام التأمين في العمل".

إن ملاحظتنا لهذه الوقائع وتفاعلنا معها، بدل أن يبعدنا عن إيماننا، أعادنا إلى دنيا الفقراء، ودفعنا لاتخاذ الخطوة الأولى والأساسية، التي تقوم على أن نكون واحداً معهم. ولقد رأينا في هذه الوقائع، على نحو صارخ، وجه الفقراء، الذي اكتشفناه في مدينة "بويبلا".

في دنيا الفقراء هذه، اكتشفنا الفلاحين الذين لا يملكون أرضاً، ولا عملاً ثابتاً، والذين لا يعرفون الماء، ولا الكهرباء في مساكنهم البائسة، ولا الرعاية الطبية عندما تلد النساء أطفالهنّ، الذين لن يعرفوا المدرسة مستقبلاً.

تحدّثنا مع العمال الذين لا يملكون حقوقاً نقابية، والذين طُردوا من المصانع عندما طالبوا بهذه الحقوق، وقد باتوا ضحية الحسابات الاقتصادية الباردة.

التقينا أمهات وزوجات المفقودين والسجناء السياسيين.

قمنا بزيارات لسكان الأكواخ، التي يتجاوز البؤس فيها كل تصوّر، فيما هم يتحمّلون في كل لحظة، إهانة الأحياء الراقية، القريبة منهم...

في هذا العالم المشوّه، الذي يجسّد حضور المسيح المتألم، حاولت كنيستي أن تتجسّد.

لا أقول هذا من باب التباهي، لأني على بيّنة صارخة من كل ما ينقصنا، كي نتقدّم في طريق التجسّد هذا، ولكني أقوله بفرح لا حدود له: حسبنا أننا حاولنا ألا نتجاهل هذه الوقائع، وألا نغضّ الطرف عن الجريح الملقى على قارعة الطريق، ولقد اقتربنا منه، كما فعل السامري الصالح.

ونحن نعتبر هذه المقاربة لعالم الفقراء، على أنها تجسّد واهتداء. وأن التغييرات الضرورية داخل الكنيسة، سواء في الأمور الرعوية، وفي التربية، وفي الحياة

الكهنوتية والدينية، وفي المنظمات العلمانية، التي لم نستطع أن نقوم بها في السابق، لأن أنظارنا كانت مسمّرة على الكنيسة فقط، أقول: إنّ هذه التغييرات الضرورية، نحن نحققّها اليوم، بمجرد التفاتنا نحو الفقراء.

4) تبشير الفقراء.

إنّ لقاءنا هذا مع الفقراء، حملنا على اكتشاف هذه الحقيقة الإنجيلية الأساسية، التي يدفعنا بها الله، على نحو دائم، صوب اهتدائنا. فللكنيسة بشرى تقولها للفقراء، هم الذين، طوال قرون، سمعوا أخباراً سيئة، وواجهوا أبشع الوقائع، يستحقّون اليوم أن يستمعوا، بفم الكنيسة، إلى كلمة يسوع: "إن ملكوت الله قريب"، "طوبى لكم أنتم الفقراء، لأن لكم ملكوت الله". فللكنيسة بالتالي بشرى تقولها للأغنياء:

"تخلّوا عن ثرائكم، كي تشتركوا مع الفقراء، في خيرات الملكوت".

من يعرف واقع جنوب قارتنا الأميركية، يتضح له أن هذه الكلمات ليست بساذجة، وهي أبعد من أن تكون أفيوناً. وهي تبرز التوافق بين التطلع إلى تحرير قارتنا، والحب الذي خصّ الله به الفقراء. وإن الرجاء الذي تقدّمه الكنيسة يتقاطع مع الرجاء الذي كان أحياناً راقداً، والذي كثيراً ما خضع للاستغلال والقمع، أعني به رجاء فقراء قارتنا. وإنه لأمر جديد بالنسبة إلى شعبنا، أن يرى الفقراء اليوم في الكنيسة، مصدر رجاء لهم، وسنداً في نضالهم النبيل من أجل تحرّرهم. والرجاء الذي تغذّيه الكنيسة، ليس لا ساذجاً، ولا سلبياً. إنه، بالأحرى، وانطلاقاً من كلمة الله، نداء تستنهض به الكنيسة جماهير الفقراء، من أجل تحقيق المزيد من المسؤولية والوعي والتنظيم، في بلد يُمنَع كل تنظيم فيه، باستخدام متفاوت للقوة، وفق الحالات، إما فعلياً، وإما بقوة القانون، وإن هذا الرجاء ليشكل أيضاً دعماً، دقيقاً أحياناً، لقضاياهم المُحقة ولمطالبهم.

إن الرجاء الذي نبشّر به الفقراء، يهدف إلى إعادة الكرامة لهم، وإلى تحريضهم

على الإمساك بشؤون مصيرهم، بأيديهم. وبذلك لا تكون الكنيسة قد التفتت وحسب إلى الفقراء، بل تكون قد صنعت منهم المستفيدين المميزين من رسالتها، وذلك، كما قيل في "بويبلا": "إن الله يتولى رعايتهم ويحبهم".

5) التزام بالدفاع عن الفقراء.

إن الكنيسة لا تكتفي بالوقوف في صف الفقراء، وببثّ الرجاء فيهم، بل هي تزداد تصميماً على الدفاع عنهم. في بلد "السلفادور"، يخضع الفقراء لقمع متواصل، ولظلم ناجم عن البنى الاقتصادية والسياسية، وفق كلمات الأنبياء الرهيبة: "أنتم، لا تتورّعون عن شراء المعوزين بالمال، ومبادلة الفقير بالنعال" (عاموس 6/8). "تتصورون أنه بوسعكم تأخير يوم الحساب، وتقرّبون حكم العنف. أنتم تضطجعون على أسرّة من العاج، وترتاحون على الأرائك، فيما أنتم تأكلون النعاج المسروقة من القطيع، والعجول المختارة من الإسطبل" (عاموس 43/6). وأيضاً: "الويل لمن يضمّون بيتاً إلى بيت، وحقلاً إلى حقل، إلى أن يأتي يوم لا يبقى فيه أحد سواكم في وسط البلد!" (اشعيا 8/5).

هذه العبارات التي نطق بها النبيّان عاموس واشعيا، ليست بكلمات بعيدة، تعود إلى قرون. إنها أكثر من مجرد كلمات نقرأها باحترام في طقوسنا. إنها حقائق يومية، نعيشها في كامل قسوتها ووحشيّتها. نعيشها عندما تأتينا أمهات وزوجات رجال اعتُقلوا واختفوا، وعندما نجد جثثاً مشوهة في مقابر سرّيّة، وعندما يُغتال المناضلون في سبيل العدالة والسلام.

في هذا الظرف من الصراعات والتناقضات، التي تمسك فيها أقلية بزمام السلطات الاقتصادية والسياسية، وضعت الكنيسة نفسها في صف الفقراء، وهي تدافع عنهم. وهذا الموقف، ليس هناك من موقف سواه، لأن الكنيسة، في دفاعها عن الفقراء، أقحمت نفسها في صراع خطير مع المقتدرين من الأقليات الاقتصادية الحاكمة، ومع السلطات السياسية والعسكرية في الدولة.

إن هذا الدفاع عن الفقراء في عالم كثرت فيه النزاعات، أبرز إلى الوجود واقعاً جديداً في تاريخ كنيستنا الحديث: إنه واقع الاضطهاد. وأنتم تعرفون دون شك أبرز هذه الوقائع. ذلك بأنه في أقل من ثلاث سنوات، تعرّض أكثر من مائة وخمسين كاهناً للاعتداء، والتهديد والافتراء. ولقد اغتيل واستُشهد ستّة منهم حتى الآن، فيما الكثيرون منهم عُذّبوا، وآخرون طُردوا من البلاد، وقد تعرّضت راهبات أيضاً للاضطهاد. ثم إن إذاعة الكنيسة، والمؤسسات التربوية، الكاثوليكية منها وذات التوجه المسيحي، تعرّضت على نحو دائم للاعتداء، بل طالت بعضها اعتداءات بالقنابل. كما أن العديد من مساكن الكهنة، أخضعت للتفتيش.

انطلاقاً من هذا التصرف مع أبرز مسؤولي الكنيسة، تدركون بسهولة ما الذي يجري مع المسيحي العادي، أي مع الفلاحين، ومدرّسي التعليم المسيحي، والجماعات المسيحية الشعبية. وهنا، فإن عدد من هُدّد، وخُطف، وعُذّب، وقُتل، يبلغ الآلاف. وكما هي العادة، فإن الشعب المسيحي العادي، هو الذي يواجه أبشع الاضطهادات.

من الثابت أن كنيستنا اضطُهِدت خلال السنوات الثلاث الأخيرة. إلا أن الأهم من ذلك، هو معرفة سبب هذا الاضطهاد. ذلك بأن الاضطهاد أو الاعتداء لم يطل أي كاهن أو مؤسسة، وإنما فقط القطاع الكنسي الذي وقف في صف الفقراء، وتولّى الدفاع عنهم. فإن مفتاح الاضطهاد ضد الكنيسة هو، مرة أخرى، الشعب الفقير. والفقراء هم الذين يجعلوننا ندرك حقيقة ما جرى. ولذلك فالكنيسة فهمت الاضطهاد انطلاقاً من الفقراء، وبسبب الدفاع عنهم، وهذا يعني أنها تشاركهم مصيرهم.

لقد مُورس الاضطهاد الحقيقي ضد الشعب الفقير، الذي يمثّل اليوم جسد المسيح في التاريخ البشري. فالفقراء هم الشعب المصلوب، على مثال يسوع، الشعب المضطهَد كما اضطُهد يسوع.

إنّ الفقراء هم الذين يكمّلون في أجسادهم ما ينقص من آلام المسيح. ولــذلك حدث للكنيسة، عندما نظّمت ذاتها، ووحّدتها وفق آمال الفقراء ومضــايقهم، أن حلّ بها المصير الذي حلّ بيسوع وبالفقراء: الاضطهاد!

6) البُعد السياسي للإيمان.

إن البعد السياسي للإيمان ليس سوى جواب الكنيسة على مقتضــيات العــالم الواقعي، الاجتماعي والسياسي، الذي تعيش فيه. ولقد اكتشفنا من جديد أن هذا المقتضى هو أمر أساسي بالنسبة إلى الإيمان، وأنه لا يجوز للكنيسة أن تتجاهله.

هذا لا يعني أن الكنيسة تعتبر نفسها مؤسسة سياسية، من شأنها أن تدخلــها في تنافس مع مؤسسات سياسية أخرى... ولا يعني أنها تصنع لها آليات سياسية، ولا أنها تريد أن تمارس زعامة سياسية ما. فالمقصود هو شيء أعمق وإنجيلي صرف: إنه خيار حقيقي لصالح الفقراء، إنه خيار التجسّد في عــالمهم، وخيــار تبشــيرهم بالبشرى الإنجيلية، ومنحهم الرجاء، وحثّهم على ممارسة التحرّر، والدفاع عــن قضاياهم، وتقرير مصيرهم بأنفسهم.

إن خيار الكنيسة هذا، تأييداً للفقراء، يفسّر البعد السياسي لإيمان الكنيسة، في أعمق جذوره، وفي أكثر خطوطه تأصّلاً.

والكنيسة إذ هي وقفت مع الفقراء الحقيقيين لا الوهميين، وإذ هي اصــطفّت مــع المظلومين والمقهورين، تحيا في عالم السياسة وتحقّق ذاتها بوصفها كنيسة، عــبر الواقــع السياسي. وهي إذ تمضي إلى الفقراء مثل يسوع لا يسعها أن تُقدِم إلاّ على هذا الخيار.

وفي ضوء هذا الإيمان، قيّمنا الأوضاع الاجتماعية والسياسية. ولكن الصــحيح أيضاً، من ناحية أخرى، أن اتخاذنا مثل هذه المواقــف إزاء الواقــع الاجتمــاعي والسياسي، بما هو عليه، قد عمّق إيماننا، وأتاح للإنجيل أن يُظهر غناه!

والآن، أودّ أن أدلي أمامكم ببعض الملاحظات، حول بعض نقاط الإيمان الأساسية، التي اكتسبت غنى بفضل الانخراط الفعلي في ميدان المجتمع والسياسة.

7) **إدراك أعمق للخطيئة.**

قبل كل شيء، نحن نعلم الآن ما هي الخطيئة. نعرف أن إهانة الله هي قتل للإنسان. نحن نعرف أن الخطيئة تسبّب الموت هنا، ليس الموت الداخلي للذي يرتكبها وحسب، ولكن أيضاً الموت الحقيقي والموضوعي للذي يسبّبه. ولنتذكّر هذا المعطى العميق لإيماننا المسيحي: إن الخطيئة هي الأمر الذي سبّب موت ابن الله، وهي أيضاً ودائماً الأمر الذي يسبّب الموت لأبناء الله!

هذه الحقيقة الأساسية للإيمان المسيحي، نلمسها كل يوم في حياة بلدنا. فلا يسع الإنسان أن يهين الله، دون أن يهين أخاه. فيتوجّب علينا مرة أخرى أن نسلّط الضوء على وجود بُنى للخطيئة في بلدنا.

إنها بُنى خاطئة، لأنها تنتج ثمار الخطيئة: هي موت السلفادوريين، موت سريع بالقمع، أو موت أبطأ، ولكنه لا يقل عنه واقعية، بالظلم الممارس عبر البنى. ولذلك فنحن نندّد بصنميّة المال، وصنميّة الملكية الخاصة التي تعتبر مطلقاً في النظام الرأسمالي، وصنميّة السلطة السياسية، في أجهزة الأمن الوطني، هذه الأجهزة التي يُؤسَّس عليها انعدام الأمن للأفراد.

8) **مزيد من الوضوح بشأن التجسّد والفداء.**

على صعيد ثانٍ، نعرف الآن على نحو أفضل ما يعنيه التجسّد، أي الواقع القائل بأن يسوع اتخذ في الحقيقة جسداً بشرياً، وأصبح متضامناً مع إخوته في الألم، في الدموع، في الشكوى، وفي التضحية بذاته. ونعرف أن هذا لا يعني على نحو مباشر تجسّداً عمومياً. وهو أمر مستحيل، ولكنه تجسّد ينجم عن خيار وعن أفضلية: إنه يعني تجسّداً في عالم الفقراء. وانطلاقاً من الفقراء، تستطيع الكنيسة أن توجَد من أجل الجميع، وأنه سيتسنى لها أن تخدم الأقوياء، بفضل نهج رعوي يدعو للاهتداء، وليس العكس، كما حدث كثيراً في الماضي.

إن عالم الفقراء، الذي يتّسم بخصائص اجتماعية وسياسية، محدّدة بوضوح،

يعلمنا أين يتوجّب على الكنيسة أن تتجسّد، كي تتجنّب العمومية الكاذبة، التي تُفضي دائماً إلى التواطؤ مع الأقوياء. وإنّ عالم الفقراء يعلّمنا ما هو الحب المسيحي، الذي يبحث طبعاً عن السلام، ولكنه أيضاً يعرّي نزعة السلم الكاذبة، والاستسلام والخمول. إنه يعلمنا الحب الذي يجب أن يكون مجانياً، والذي يتوجّب عليه أيضاً أن يبحث عن الفعالية التاريخية. عالم الفقراء هذا يعلّمنا أن سمو الحب المسيحي يمرّ بالضرورة عبر العدالة، ولا يحقّ له الهرب من النضال الصادق. إنّ عالم الفقراء يعلّمنا أن التحرير سيتحقق، ليس فقط عندما سينعمون هم أو الكنيسة ذاتها بمزايا الحكم، ولكن عندما يصبحون هم أنفسهم من يصنعون نضالاتهم وتحريرهم، ويشاركون فيها، ويعرّون بذلك الجذور الأولى للنزعات الأبوية الكاذبة، حتى داخل الكنيسة.

إن عالم الفقراء الحقيقي يعلمنا ما هو الرجاء المسيحي. فإن الكنيسة تبشّر بالسماء الجديدة وبالأرض الجديدة. وهي تعرف أيضاً أن ما من تصوّر اجتماعي وسياسي، يمكنه أن يحلّ محلّ كمال الملء الذي يمنحه الله.

ولكن الكنيسة تعلمت أيضاً أن الرجاء السماوي يجب أن يترافق بعلامات الرجاء التاريخي، حتى لو بدَت هذه العلامات تماثل في بساطتها العلامات التي أعلنها أشعيا النبي، إذ قال:

"ستُبنى البيوت، وستُسكن،
وستُغرس الكروم، وسيُؤكل ثمرها" (21/65).

ههنا يكمن رجاء مسيحي أصيل، لا كالذي يُهبَط به إلى مستوى الأرض والبشر فقط، كما يقال أحياناً، في لغة بائسة... وهذا ما نتعلّمه من خلال اتصالنا اليومي والمتواصل مع أولئك الذين لا يملكون بيتاً ولا كرْماً... ذلك بأنهم يعمّرون بيوتاً، كي يسكنها آخرون، ويعملون، كي يأكل الثمار آخرون...

9) إيمان أعمق بالله وبالمسيح يسوع.

على صعيد ثالث، فإنّ التجسّد في الميدان الاجتماعي والسياسي، يتيح الفرصة لتعميق الإيمان بالله وبالمسيح. فنحن نؤمن بيسوع الذي أتى ليوفّر ملء الحياة. ونؤمن بإله حيّ يهب الحياة للناس، ويريد للناس أن يحيوا حياة حقيقية. وإن هذه الحقائق الجوهرية في الإيمان، تصبح حقيقية في الواقع، عندما تواكب الكنيسة شعبها في حياته ومماته.

وهنا تُعطَى الكنيسة، كما يُعطى كل إنسان، أعمق خياراتها على صعيد الإيمان: أن تكون في خدمة الحياة أو في خدمة الموت. ونحن نؤمن أنه في مثل هذه الحال، ليس ثمّة أي حياد ممكن. فإما أننا ندعم السلفادوريين، كي يحيوا، وإما أننا متواطئون في موتهم. وهنا نلتقي الوساطة التاريخية لأعمق ما في إيماننا: إما أننا نؤمن بإله حياة، وإما أننا نتبع أصنام موت.

باسم يسوع، نحن نعمل على نحو طبيعي لخدمة حياة زاخرة، لا تستنفد ذاتها في إشباع حاجات مادية بدائية، ولا تُحدّ بحدود الميدان الاجتماعي والسياسي. ونحن نعرف حقّ المعرفة أنّ ملء الحياة لا يتحقّق إلا في ملكوت الآب النهائي، وأنّ هذا الملء يتحقّق في التاريخ، إذا ما خدمنا خدمة لائقة هذا الملكوت، وقدّمنا للآب السماوي ذواتنا بالكلية. ولكننا نرى أيضاً في وضوح أننا، إن نسينا وتجاهلنا المراحل الأولية للحياة، القائمة على توفير الطعام والسكن والعمل، نكون أسرى وهْمٍ خالص، وسخرية، بل أسرى أخطر أشكال الكفر.

نحن نؤمن مع الرسول يوحنا أن يسوع هو "كلمة الحياة" (يوحنا 1/1)، وأن الله يتجلى حيث تقوم الحياة. وحيث يبدأ الفقير يحيا ويتحرّر، وحيث يستطيع البشر أن يجلسوا معاً حول طاولة مشتركة، ههنا يكون إله الحياة.

من هنا، أن الكنيسة، إذ تنخرط في المجتمع والسياسة، وتنشط في ميدانهما، بحيث يتحولان إلى مصدر حياة للفقراء، هي لا تحيد عن رسالتها، وهي لا تقوم

بعمل نافل أو بديل، ولكنها تقدّم الدليل على إيمانها بالله، وتصبح أداة للـــروح، سيّد الحياة وخالقها.

إن هذا الإيمان بإله الحياة هذا، يفسّر ما هو كامن في أعماق الإيمان المســيحي. فمن شاء أن يهب الحياة للفقراء، يتوجّب عليه أن يبذل بعض حياته، بل أن يبذلها كلها. ذلك بأن أعظم برهان على الإيمان بإله الحياة، إنما هو شهادة مـــن يكـــون مستعدّاً لبذل حياته. "ما من حبّ أعظم من أن يبذل الإنسان نفسه فـــداءً عـــن أحبّائه" (يوحنا 13/15).

وهذا هو ما نراه كل يوم في بلدنا السلفادور. فالكثيرون مـــن الســـلفادوريين والمسيحيين، مستعدّون لبذل حياتهم، كي يحيا الفقراء. فهم بذلك يقتفون خطـــى يسوع، ويظهرون لنا إيمانهم به. إنهم، في قلب هذا العالم، صادقون علـــى مثـــال يسوع، ويتعرّضون مثله للتهديدات والاتهامات، فيبذلون حياتهم، كما بذلها هو، فيقدّمون الدليل على إيمانهم بكلمة الحياة.

إنّ تاريخنا إذن إنما هو تاريخ قديم. إنه تاريخ يسوع الذي نحاول أن نتواصل معه في اتضاع. ونحن، بوصفنا كنيسة، لسنا خبراء في الشؤون السياسية، ولا نريد أن نتزلق في مناوراتها، مستخدمين ما لديها من آليات.

ولكن الانخراط في عالم المجتمع والسياسة، في هذا العالم الذي يتقرّر فيـــه حيـــاة وموت الجماهير، أمر لا مفر منه، بل هو ملحّ، كي يتسنى لنا أن نحافظ، لا بالقول وحسب، بل في الحقيقة، على الإيمان بإله الحياة، على مثال يسوع.

10) <u>خيارنا لصالح الفقراء هو بوصلة إيماننا في قلب السياسة.</u>

في حياة الكنيسة لدينا، لم نكتشف البُعد السياسي للإيمان، أو بعبارة أخـــرى، لم نكتشف العلاقة بين الإيمان والسياسة، من خلال خواطر نظرية صرف، مهّـــدت للحياة في هذه الكنيسة. وهذه الخواطر هي بالطبع هامة، ولكنها ليست حاسمـــة. وهي لن تصبح حاسمة إلا إذا تغذّت حقاً بحياة الكنيسة الواقعية...

ولكن البُعد السياسي للإيمان لا يُكتشَف على نحو سليم، إلا في ممارسة عملية تقوم على خدمة الفقراء. ففي هذه الممارسة، نكتشف ما بينهما من علاقات وخلافات. فالإيمان هو الذي، في المرحلة الأولى، يدفع العالَم الاجتماعي والسياسي، في اتجاه التجسد في دنيا الفقراء، وفي إحياء مسارات التحرير، التي هي أيضاً اجتماعية وسياسية. وإن هذا التجسّد وهذه الممارسة، ليجسّدان بدورهما عوامل الإيمان الأساسية.

نحن نؤمن أن تلك هي الوسيلة الوحيدة التي تتيح لنا حقاً أن نحافظ على هوية الكنيسة وتفوّقها. وهذا يعني لنا أن ننخرط في سيرورة الشعب الحقيقية، الاجتماعية والسياسية، وأن نقيّم هذا الانخراط وفقاً للشعب الفقير، وأن ندعم جميع حركات التحرر، التي تُفضي حقاً إلى العدالة والسلام للجماهير. ونحن نؤمن أننا بذلك نحافظ على تفوّق الكنيسة وهويتها، لأننا بهذه الطريقة نحافظ على الإيمان بالله.

كان المسيحيون الأوائل يقولون مع القديس ايريناوس: "مجد الله هو الإنسان الحي". وقد يسعنا أن نقول: "مجد الله هو الفقير الحي". فنحن نؤمن أننا، انطلاقاً من تفوق الإنجيل، نستطيع أن نقيّم حقيقة حياة الفقراء. ونؤمن أيضاً، أننا، إذ نضع أنفسنا في صف الفقير، ونحاول أن نهبه الحياة، سنعرف ما هي حقيقة الإنجيل الأزلية!

من يوميات المطران "أوسكار روميرو"

ما بين 1980/1/24 – 1980/2/6

الخميس 1980/1/24

اتصل بي الأب "يان ديبلانك" (Jan DEPLANK)، هاتفياً، من بلجيكا، وقد أقنعني بالسفر إلى هذا البلد، إذ تبين لي أن استعدادات كثيرة قد أجريت فيه لاستقبالي، وأنه يرى من الضروري، حتى لو اضطررنا لتقليص البرنامج، أن أكون حاضراً في حفل منحي لقب "دكتوراه شرف"، في مدينة "لوفان" (Louvain).

الجمعة 1980/1/25

عقدت اجتماعاً مع نوّابي العامّين والمستشارين حول غيابي، طوال فترة سفري إلى بلجيكا. كان المنسنيور "اوريوستِه" (Urioste) يرى أنه لا يجوز لي أن أتغيب، نظراً لخطورة الأوضاع القائمة. ولكن، بعد إعمال التفكير، فأنا، كما قال لي من بلجيكا الأب "يان ديبلانك"، سأؤدّي خدمة للكنيسة، ثم إن وضعي الشخصي سيلقى دعماً بفضل التكريم الذي ستخصني به جامعة "لوفان" هناك. فلا بد لي إذن من السفر. وسأتدبّر أموري كي يتسنى لي أن أسافر يوم الإثنين القادم، بحيث أكون هناك يوم السبت، بعد مروري بروما، حيث يترتّب عليّ دراسة بعض الأمور. ثم يوم الإثنين فالثلاثاء من الأسبوع القادم، يمكنني البدء برحلة العودة.

الإثنين 1980/1/28

اليوم، بدأت رحلتي إلى بلجيكا، حيث سأُمنَح لقب "دكتوراه شرف" من جامعة لوفان. كانت رحلتنا ستمرّ بعاصمة غواتيمالا، وميامي ومدريد فروما، حيث سأمضي يومين في عمل، ثم لوفان في بلجيكا. في لحظة المغادرة، اتصلت بي الأم الراهبة "لوز" (Luz)، رئيسة مشفى العناية الإلهية، لتذكرني بأننا في هذا الصباح، تلونا المزمور "الرب راعيّ"، وأنه يسعني أن أسافر مطمئن القلب،

وأن الجميع سيصلون إلى الرب كي يرعى القطيع الذي توجب عليّ مغادرته على مضض. ولكن ذلك أيضاً ينطوي على مسؤولية أخرى تتعلق بالكنيسة، لأن هذا التكريم ليس تكريماً لشخصي وحسب، ولكنه أيضاً دعم للنهج الرعوي الذي ننتهجه في كنيستنا، ولجميع العاملين ضمن هذا التوجه الذي ابتكرته الكنيسة منذ المجمع الفاتيكاني الثاني.

بلغنا مدريد في الساعة السابعة صباحاً. حوالي الساعة التاسعة، أقلعنا، بعد استراحة في المطار، إلى روما. شعوري حيال روما هو هو لا يتغير. إن روما تعني لي العودة إلى المهد، إلى البيت، إلى النبع، إلى القلب، إلى دماغ كنيستنا. سألت الرب أن يُبقي لديّ هذا الإيمان، وهذا الانتماء إلى روما، التي اختارها المسيح كي تكون مقر الراعي الكوني، البابا. كان الأب "خوان بوسكو" (Juan BOSCO) في انتظارنا، وقد اقتادنا إلى "الفندق الروماني". كانت زيارتنا الأولى بعد الإفطار إلى كنيسة القديس بطرس. فقمت بما اعتدت أن أقوم به: السجود أمام القربان المقدس، زيارة قبر القديس بيوس العاشر، وقبور سائر البابوات. وقد استبد بي شعور خاص، إذ كنت أصلي أمام ضريح البابا بولس السادس. وتذكرت عندها بعض الأحاديث التي كانت لي معه، وبعض الزيارات التي حظيت وتشرفت فيها بمقابلة خاصة معه.

ثم، قمنا بزيارة الكردينال "بيرونيو" (Pironio)، ولكنه كان مشغولاً جداً باجتماع أساقفة هولندا، فحدّد لي موعداً يتسنى لي فيه لقاؤه على انفراد.

الأربعاء 1980/1/30

هذا اليوم في روما، كان غنياً بنعم الله وأفراح حميمة. كانت بداياتها نداء هاتفياً في الساعة السابعة صباحاً. هو الأب "يان ديبلانك"، يناديني من بلجيكا، ليرجوني إطالة إقامتي في بلجيكا حتى الإثنين القادم، كي يتسنى له أن يقودني إلى فرنسا، حيث ينتظر الكثيرون زيارتي والحديث معي. فأجبته أن ذلك من دواعي سروري، ولكن عليه أن يساعدني كي يتحدّد سفري يوم الثلاثاء. ثم، في طريقي إلى لقاء الكردينال "بيرونيو"، مررت

بأمانة سر الفاتيكان، حيث أعددت نفسي للاشتراك في اللقاء العام مع البابا. كما أني قمت بزيارة "المنسنيور أرّيكينز" (Erriquenz)، المسؤول عن شؤون أميركا الوسطى في أمانة سر الفاتيكان، وأبديت له رغبتي في لقائه. فبيّن لي أنه من الأفضل لي أن ألتقي مسؤول أمانة سر الفاتيكان شخصياً، وهو الكردينال "كازارولي" (Casaroli)، وأنه سيهيّئ لي هذا اللقاء. ثم التقيت الكردينال "بيرونيو" (Pironio)، لفترة وجيزة جداً، ولكن مشجعة جداً. وقد قال لي أنه كان راغباً جداً في لقائي كي يخبرني أن زيارة الكردينال "لورشايدر" (Lorscheider) إلى السلفادور، كانت إيجابية جداً، وأن البابا بالذات تلقى تقريراً بشأني مشجعاً جداً.

وكان الكردينال "لورشايدر" قد قال للكردينال "بيرونيو" إن الحق في السلفادور إلى جانبي، وإن الظروف صعبة جداً، وإنني كنت أدرك بوضوح الظروف القائمة، ودور الكنيسة، وإن دعمي أمر ضروري. أعتقد أن هذه النظرة تلخص ما كان الكردينال قد عاد به من رحلته إلى السلفادور. ولقد أجزلت الشكر للكردينال "بيرونيو"، كما أني شجعته أيضاً، لأنه قال لي إنه هو أيضاً يتألم كثيراً، وتحديداً بسبب الجهود التي يبذلها في سبيل شعوب أميركا اللاتينية، وأنه يتفهمني تفهماً كاملاً. وقد ذكّرني بجملة من الإنجيل، يجد لها تطبيقاً خاصاً: "لا تخشوا مَن يقتلون الجسد، ولا يستطيعون شيئاً ضد الروح". وهي تعني له أنه إن كان الذين يقتلون الجسد، مرعبين، فإن الذين يصوّبون ضدّ الروح، النميمة والتشهير، وتدمير الإنسان، يفوقونهم رعباً. وهو يرى أن هذا هو بالذات استشهادي داخل الكنيسة. ودعاني للتسلح بمزيد من الشجاعة. باختصار، كان هذا اللقاء دعماً قوياً جداً لي، مكنني من المضي بمزيد من الفرح، إلى اللقاء العام مع البابا.

في الساعة العاشرة صباحاً، دخلنا لهذا اللقاء العام، مع جموع حاشدة من أناس دخلوا قاعة البابا بولس السادس، البالغة الاتساع، والتي كانت تعج بأناس ينشدون ويصفقون ويصلون. وفي تمام الساعة الحادية عشرة، دخل البابا.

كان خطاب البابا في هذا اللقاء العام، الموافق 1980/1/30، امتداداً

لتأملاته التي كان يجريها في هذه الفترة، حول سفر التكوين، خلال لقاءاته العامة. وقد قال لي أحدهم إن للبابا تأثيراً عميقاً إبان لقاءاته الخاصة وتحياته الشخصية لحظة دخوله القاعة، ولكن هناك مسافة تُلحظ، بل شيء من عدم التناغم، بينه وبين جمهوره، خلال إلقائه الخطاب. هذا أمر مؤسف، لأن الناس في تلك اللحظة متيقظون جداً، وما من فكرة، أية كانت، إلا وتترك فيهم تأثيراً إيجابياً، إذا ما أدركوها. وفي ختام اللقاء، طلب البابا من الأساقفة أن يباركوا الشعب، جنباً إلى جنب، معه. وقد نعمتُ لحسن حظي بالوقوف إلى يمين البابا مباشرة، وفيما كان الأساقفة يحيونه، قال لي إنه يريد التحدث إلي على انفراد، في ختام اللقاء. وقد اضطررت للانتظار طويلاً، ثم بعد أن ودّع الجميع، استقبلني بمنتهى اللطف في غرفة صغيرة، حيث جرت أيضاً مقابلات أخرى شخصية. وقال لي:

« إنه يتفهم تماماً مصاعب الوضع السياسي في وطني، وإن دور الكنيسة يثير اهتمامه وقلقه، وإنه يتوجب علينا أن نأخذ بعين الاعتبار، ليس فقط الدفاع عن العدالة الاجتماعية والمحبة حيال الفقراء، ولكن أيضاً النتائج المحتملة لهبّة احتجاج شعبية يسارية، يمكنها أن تسبّب أيضاً أذى للكنيسة. »

فقلت له:

« صاحب القداسة، إن هذا التوازن عينه هو الذي أحاول تحقيقه، لأنني من جهة، أدافع عن العدالة الاجتماعية، وحقوق الإنسان، ومحبة الفقراء، ومن جهة أخرى فإن دور الكنيسة هو الذي يثير دائماً وكثيراً اهتمامي وقلقي. فإنه لا يجوز لنا، لأننا ندافع عن حقوق الإنسان، أن ننجرّ مع ايديولجيات تدمّر المشاعر والقيم الإنسانية. »

وأضفت أني أؤيد تماماً خطبه، وأن هذه الخطب تمدني بالقوة، كما هي تمدني بالحجج التي تدعم عملي ومواعظي. وذكّرته بالخطب التي ألقاها في المكسيك، ولا سيما خطبته في "اوكساكا" (Oaxaca)، حيث أجد نظريتي، تلك

التي أعلنها، وأحاول تطبيقها. وشعرت بأن البابا كان موافقاً بالكلية على كل ما كنت أقول له. وفي الختام، قبلني بحرارة كبيرة، وقال لي إنه يصلي كل يوم من أجل السلفادور. وهنا شعرت بتأييد الله وقوته في خدمتي المتواضعة. كانت الساعة قد قاربت الثالثة بعد الظهر، فمضيت إلى بيت الرئاسة العامة للآباء اليسوعيين. كان الحديث مع الأب العام "اروبيه" (Arrupe) مهمّاً جداً. فسرّ بما رويت له من حديثي مع الكردينال "بيرونيو" وقداسة البابا، وجدّد لي تضامنه ودعم الآباء اليسوعيين. ثم حدثني بصراحة تامة عن قلقه بشأن الجمعية اليسوعية، دون أن يخفي فرحه للخير العميم الذي يقدم فيها.

حصلت وأنا في بيت اليسوعيين الرئيسي، على اتصال هاتفي مع إذاعة "إيزاكس" (ISAX) في السلفادور. واستطعت أن أتابع إذاعياً المقابلات التي كنت أجريها يوم الأربعاء، وقد أجريتها يومها مع "منسنيور أوريوسته"، الذي أطلعني على أخبار البلد، وكانت مؤلمة بالتأكيد، لأن الأمر يتعلق بمجازر وجرائم، ولكن أيضاً بالنشاط داخل الكنيسة. من ناحيتي، أحطته علماً برحلتي، وبمقابلاتي في هذا الصباح، وبالمقابلات المتوقعة من أجل خدمة كنيسة السلفادور.

علمت فور عودتي إلى "الفندق الروماني" موعدَي الغد مع كل من الكردينال "كازارولي"، أمين سر الفاتيكان، والكردينال "باجيو" (Baggio)، عميد جمعية الأساقفة. سنحاول الحصول أيضاً على لقاء في هيئة تنشئة الإيمان، كي أواصل البحث فيها بشأن القضايا المتعلقة بتنشئة الكهنة في السلفادور.

الخميس 1980/1/31

إنه يوم ثانٍ مشحون بما يطمئن قلبي، وبنجاحات رعوية. فقد استقبلت أولاً سفير جنوب أفريقيا لدى الفاتيكان، وقد قدم ليشكر لي ما أبديت من اهتمام بخطف السيد "دان"، سفير جنوب أفريقيا في السلفادور، والذي استخدمت فيه وساطتي. وكان يرغب في الحصول على معلومات إضافية قدمتها له، فغمرته بالارتياح، وقد قال لي إنه صديق كبير للسفير "دان".

قدمت لزيارتي أيضاً راهبتان من "بيت عنيا"، وكلتاهما من السلفادور، وهما تعملان هنا، وقد عرضت عليهما خدماتي. بعد ذلك، قصدت أمانة سر الفاتيكان، حيث حدّد لي موعد مع الكردينال "كازارولي". وقد رحب بي بحرارة، وسألني عن أوضاع البلد ودور الكنيسة. وقد كشف لي أن سفير الولايات المتحدة كان قد زاره وأعرب له عن مخاوفه من أن أدعم خطاً شعبياً وثورياً، في حين أن الولايات المتحدة تدعم حكومة الحزب الديمقراطي المسيحي. فأوضحت للكردينال أن الأمر لا يتعلق بخيار سياسي، ولكن بالبحث ببساطة عن العدالة في حل قضايا شعبي. فقال إنه لا يركز على هذا الجانب، لأن زيارة السفير لم تكن لتتسم بأية صفة رسمية، وإنه يتوجب على الكنيسة في جميع الأحوال، ألا تسعى لاسترضاء السلطات الزمنية، بل أن تعمل وفق إيمانها وضميرها الإنجيلي. وأبدى الكردينال اهتمامه أيضاً بشأن آخر، وهو أن الدفاع عن حقوق الإنسان ومطالب الشعب، لا يمكنه أن يرهن الكنيسة والشعور المسيحي لصالح الايديولجيات. فأجبته، كما فعلت بالأمس مع البابا، إنني أقيد نفسي في آن واحد بالدعوة إلى العدالة الاجتماعية، وبالدفاع عن حقوق الإنسان، وبتحذير القوى الشعبية المطالبة، من خطر السقوط في الايديولجيات الأجنبية. وشرحت له أيضاً أنه لا يسعنا التحدث عن معاداة الشيوعية، دون خطر الانزلاق في التواطؤ حيال مظالم الأغنياء، الذين يتحدثون عن معادة الشيوعية ليدافعوا، لا عن المبادئ المسيحية، بل عن مصالحهم المادية. ولاحظت أن الكردينال كان راضياً عن حديثنا. وأكد لي أنه يصلي هو أيضاً كثيراً من أجل السلفادور. ولا بد لي من تسجيل مدى تأييد الكردينال لوجهة نظري، التي تملي علينا محاولة إنقاذ ما يمكن إنقاذه مما هو سليم، داخل حكومتنا الحالية، كي نضمه إلى ما يمكنه أن يكون سليماً في جهود الشعب ومستنداته. وقال لي إنه يرى هنا المخرج الحقيقي لأزمتنا. وقد رسخني ذلك في تصميمي على الدفاع عما هو سليم في حكومتنا، وعلى تشجيعها على الدخول في حوار مع القواعد الشعبية، دون أن أتخلى عن تحذير هذه القواعد من خطر فقدان مشاعرها المسيحية لقاء مكاسب مادية صرف.

في هيئة تنشئة الإيمان، تحدّثت عن شؤون مدرسة تنشئة الكهنة في السلفادور. التقيت فيها نائب أمين السر، وكان ذلك لصالحنا، لأنه منفتح على التطورات التي كثيراً ما تصدم أصحاب النزعة التقليدية في كنيستنا. وقد شرح لي، في فيض من البوح الشديد، مدى خشيته من غياب الانفتاح في الكنيسة. وقد سرّ بمصادفته الأفكار عينها لدي، واسترسلنا معاً في دراسة قضية "الإكليريكية". وقد وعدني ببذل كل ما بوسعه، ليحصّل كل ما يمكنه تحصيله، على أن يحيطني علماً فيما بعد. وشجعني على التسلح بالشجاعة كثيراً، وعلى عدم التغاضي عن أن الذين يتّبعون خطاً أميناً حقاً لتوجيهات المجمع الفاتيكاني الثاني، معرضون لعذاب شديد، نتيجة الشكوك التي تلصق بهم. وأضاف أن الالتزام الواعي بخدمة الله والكنيسة، وما ينجم عنه من رضى روحي، يفوقان جميع الاضطهادات.

بعد ذلك، مضيت إلى مقر مجمع الأساقفة. كان الكردينال "باجيو" غائباً، فاستقبلني "منسنيور موريرا" (Moreira)، فأبدى تفهماً عظيماً. وائتمنته على الرسالة التي كنت كتبتها للكردينال "لورشايدر"، وفيها ملخص عن الحوارات التي دارت بيننا في عاصمة السلفادور، ورجوته بإلحاح شديد أن يجد حلاً للأسقف المساعد، آخذاً بعين الاعتبار اقتراحي بضرورة بث حياة فتية في هيئة أساقفة السلفادور، باختيار أساقفة منفتحين على التوجيهات الجديدة للكنيسة. وقد أصغى باهتمام شديد إلى شرحي لجميع هذه القضايا، وتركت بين يديه وثائق من هيئة أساقفة السلفادور، وعدني بدراستها قبل أن يحدّث عنها المطران "باجيو"، على أن يبذل كل ما بوسعه بهذا الشأن.

كانت الساعة الرابعة بعد الظهر، عندما وصلنا إلى بروكسيل، حيث كان الأب "يان ديبلاك" وعدد من الأصدقاء السلفادوريين والبلجيكيين، ينتظروننا، فرحّبوا بنا ترحيباً لطيفاً جداً. علمت من الأب "يان" أن أمسيتنا اليوم حافلة - باجتماع لنا في مدينة "بروج" (BRUGES)، فانطلقنا على الفور، مكتفين لعشائنا بسندويشة صغيرة تناولناها في الطريق. وفي الواقع

بعد ساعة ونيف، بلغنا هذه المدينة المثيرة، التي لم يتسنّ لي اكتشافها إلا ليلاً. ووجدنا في قاعة الكنيسة حشداً كبيراً من المؤمنين، وكلهم أعضاء في ما يسمى هنا جماعات القواعد الكنسية، التي كان قد شكلها "الأب بيير"، بطلب رسمي من المطران "ديميه" (Desmet)، الذي كان يترأس الاجتماع. وكان الأب "روجيلو" (Rogelio) يدير الجلسة، وقد قدمني للجمهور. فاستقبلت بتصفيق حار ما كان ليتوقف. فحييت الجمهور وأعربت له عن مشاركتي مشاعرهم، وعن فرحي بوجودي بينهم كما لو كنت في وطني، وحييت المطران "ديميه"، وخصصته بشكري الشخصي لتعاونه مع كنيستنا، كما شكرت جميع البلجيكيين الذين قدّموا لنا دعمهم الشخصي، بدءاً من الدعم الاقتصادي إلى سائر أشكال الدعم لكنائسنا.

وقيلت من ثم كلمات أخرى، فيها ترحيب وتضامن، ثم أعطيتُ الكلام. فاخترت أولاً موضوعاً لمنحي دكتوراه شرف هو: "الإيمان والسياسة": ما يسع الإيمان أن يقدم للوقائع السياسية، وكذلك موضوع رسالتي الرعوية، أي الخدمات التي تقدمها الكنيسة بوصفها كنيسة، لا سيما في زمان الأزمات هذا... ثم اخترت للنقطة الثانية ما يسع الإيمان أن يتلقّى من جراء خدمته للعالم، وأعني بذلك نضجاً لإيماننا بالله، وإحساساً عميقاً بالخطيئة، ومعرفة أعمق ليسوع المسيح، ولتجسده وفدائه. إنه التفاعل الذي يقوم بين الخير الذي تنجزه الكنيسة، إذ تسلّط الضوء على السياسة، والخير الذي توفّره السياسة، إذ تعمّق إيمان المسيحيين في واقعهم الذاتي. ثم ودّعتهم طويلاً، وتلقيت الهدايا من أهالي الكهنة، ولا سيما من والدة الأب "بيير"، ومضيت إلى مقر الأسقف بدعوة من المطران "ديميه"، حيث تحدثنا طويلاً عن الكهنة البلجيكيين المتواجدين في السلفادور. وقد فرحت إذ تسنى لي أن أقدّم له أخباراً سارة عن كهنته وراهباته. وسألني المطران "ديميه" ما عساه أن يقدّمه لنا أيضاً، وهو يؤكد لي أنه لا يجد أية صعوبة في مساعدتنا، وأن الله سيوفر له الدعم على هذا الصعيد، حتى لو كان الأمر يعني ذهاب المزيد من الكهنة البلجيكيين إلى السلفادور. ولقد أدهشني

هذا الحس بالعطاء، لدى أسقف يحب حقاً الكنيسة كلها، بعيداً عن مصالح كنيسته الخاصة. وكانت الساعة قد بلغت الثانية عشرة ليلاً. فعدنا إلى مدينة "لوفان"، حيث نلنا قسطاً قليلاً من الراحة في بيت التنشئة لأميركا اللاتينية، الذي يقوم بإدارته كهنة بلجيكيون، ليُعِدّوا مساعدين رعويين من أوروبا، ولا سيما من بلجيكا، من أجل الخدمة في كنائس أميركا اللاتينية.

كانت غرفتي أنيقة. فيها أنهيت مع الفجر يومي الطويل الذي حاولت سرده في يومياتي هذه.

الجمعة 1980/2/1

بعد أقل من أربع ساعات ونصف من النوم، استدعاني الأب "ديبلانك" لإقامة القداس الإلهي معه، ثم لتناول الفطور، قبل الانطلاق، استجابة لالتزامات برنامجنا المختلفة. كان في طليعتها زيارتنا لدار الحكومة في بروكسيل، حيث استقبلنا رئيس مجلس الوزراء. كان في غاية المودة واليقظة. وسألنا عن وضع السلفادور، وعن دور الديمقراطية المسيحية فيه، وهو ينتمي إلى هذا الحزب. فشرحت له بصراحة كلية أوضاع الحالة السياسية والكنسية في وطني الغالي. ثم مضينا إلى المؤتمر الصحفي الذي أعدّته جامعة "لوفان"، وكان في انتظارنا ما ينوف على خمسة وعشرين صحفياً، من الصحافة المكتوبة والمرئية والإذاعية. ودار بيننا حوار استطال ساعتين. كان الموضوع مثيراً جداً، وطُرِحت أسئلة في غاية الذكاء، حول الوضع في البلد، ووضع الكنيسة في أميركا اللاتينية. طرحوا القضايا التي ترتسم أمامهم داخل الكنيسة وعلى صعيد السياسة. وحاولت أن أبقى على المستوى الرعوي، ولكني أجبت الجميع. وقد ساعدني كثيراً الأب "يسوع دلغادو" (Jésus DELGADO) بمداخلاته الهامة جداً، وكذلك فعل الأب "يان ديبلانك"، لا سيما في نطاق الترجمة إلى اللغتين، الفلمنكية والفرنسية. وبعد الاجتماع، تناولنا الغداء في مطعم ظريف في "لوفان". تلك كانت استراحة وجيزة. ثم بعد الظهر، عدنا إلى بروكسيل، لنزور مقر الحزب الديمقراطي المسيحي. استقبلنا زعيمه أحر استقبال، وعبّر لنا عن قلقه البالغ بشأن وضعنا،

والدعم الذي يستطيع أن يقدّمه لنا من بلجيكا، في ما يخص وضع بلدنا السياسي. وكانت زيارتنا الثانية لمركز العمال العالمي، وهو سلطة عالمية للنقابات. فشعرنا فيه بعمق بالحرارة الإنسانية، خلال اجتماع خصص للبحث الجدّي في أوضاع عمالنا، وفي ما يمكن تقديمه لنا خلال الأزمة الرهيبة التي يجتازها العالم العمالي، وعالم الفلاحين والفقراء في وطننا. فكان حواراً إيجابياً جداً ومُغرقاً في المسيحية، تقاطعت خلاله جوانب كثيرة من أيديولجية هذه المنظمة مع إنجيل الرب يسوع. أخيراً، مضينا إلى وزارة الشؤون الخارجية، حيث أتيح لي أن أزور وزارة التعاون من أجل تنمية بلدان العالم الثالث. فاستقبلنا نائب أمين السر، وشرح لنا بالتفصيل كيف يمكنهم تقديم المساعدة لنا في برامجنا.

كانت الساعة الثامنة مساء، عندما عدنا إلى الإكليريكية، حيث كان العميد في انتظارنا لتناول العشاء معه في مودة فائقة. ثم قادنا إلى غرفته حيث شربنا نخب المحبة، وتحدثنا بعمق، كإخوة كهنة، عن بعض القضايا المتعلقة بالكهنة البلجيكيين المتواجدين في السلفادور. ووعدنا بتقديم مساعدته الودية والكهنوتية. لكم من الأمور يسعنا إنجازها، عندما يكون الحوار أخوياً! وهكذا أنهيت هذا اليوم الرباني من رحلتي إلى أوروبا.

السبت 1980/2/2

إنه يوم عيد دخول السيدة العذراء إلى الهيكل، وقد كان حافلاً بالمشاعر، وبالعديد من الحوارات واللقاءات المفيدة جداً. فأقمت الذبيحة الإلهية في كنيسة "مدرسة أميركا اللاتينية"، مع الأب "ديبلانك". وبعد الفطور، ارتديت لباسي الأسقفي الأسود، من أجل حفل منحي لقب دكتور شرف في جامعة "لوفان". كان ثمة رتل من جميع الأساتذة بثيابهم الرسمية الفضفاضة، قد توجه إلى كنيسة الجامعة، حيث أقيم في أبهة بالغة، قداس بحسب الطقس الغريغوري. لم أفهم العظة التي ألقيت باللغة الفلمنكية، ولكن ذُكِرت فيها كنيسة السلفادور بشيء كثير من الاهتمام، وقد التقطت أسماء غالية جداً على قلبي، للآباء "اغيلاريس" (Aguillares)، و"يسوع خيمينيز" (Jesus Jimenez)،

و"روتيليو غرانديه" (Rutilio Grande)، وقد أكدوا لي أنه ورد فيها أبلغ مديح لنهجي الكنسي الرعوي في السلفادور. كان هناك أربعة دكاترة شرف، ولكن المديح كان موجهاً لي بصورة خاصة. وعدنا إلى الجامعة، واستعدينا لدخول القاعة الكبرى التي كانت تغص بالشخصيات. كان رئيس الوزراء حاضراً، ومنسنيور "ديميه"، أسقف مدينة "بروج"، ومعهما جميع الأساتذة، والمكرّمين الأربعة، وجمهور حاشد من الطلاب. فافتتح العميد الحفل، ثم ترك لي الكلام، إذ كان يعود لي أن أشرح الموضوع الرئيسي، وهو البعد السياسي للإيمان. وعندما جلست فوق المنصة، استقبلني الجمهور بتصفيق حار ومتواصل، ما كان ليتوقف. تلفظت ببضع كلمات أُعدّت باللغة الفلمنكية، لأعرب لهم عن أسفي لعجزي عن التحدث إليهم في لغتهم، ولكن أيضاً عن رغبتي في التحدث إليهم بلغة الفقراء الذين أتيت لأمثّلهم. فاستقبلت محاولتي التحدث إليهم في لغتهم، بعاصفة من التصفيق الحار. وتحدثت إليهم باللغة الإسبانية عن البعد السياسي للإيمان، انطلاقاً من الفقراء.

وباختصار قلت ما يسع الإيمان أن يحقق في نطاق السياسة، والعمل الذي تقوم به كنيستنا في نطاق التزامها بالبلد. ومن ثم، قلت كيف أن الإيمان ينمو، وكيف أن تعاطي "الأسرار" في الكنيسة يكتسب مزيداً من العمق، انطلاقاً من هذه الوقائع السياسية، شريطة أن نولي الأولية لخيار الفقراء بالدرجة الأولى. استطالت كلمتي أربعين دقيقة، ولكني لاحظت أن الانتباه كان خارقاً. صحيح أني كنت أتحدث باللغة الإسبانية، ولكن الأب "يان" كان قد أعد باللغة الفلمنكية ترجمة كان بوسع الجميع أن يتابعوها. وفي ختام كلمتي، هبّت عاصفة خارقة من التصفيق. فشعرتني مغموراً حقاً بالحماس والاندفاع، لا سيما من قبل الشبيبة الجامعية في "لوفان"، التي كانت تحثّ الحضور على مواصلة التصفيق. وبعد ذلك، وزعت عباءات الدكتوراه، فيما كان المديح الخاص بكل مكرم، يتلى. وكنا: سيدة كاتبة من أفريقيا، طبيباً ومهندساً، وأنا. وقد خصني الجمهور بتحيّة حارة، عندما قام عريف الحفل، وكان أسقفاً في غاية اللطف، لم أعد أذكر اسمه، ليتحدث

مجدداً عن شخصي وحياتي، حديثاً ترجم لي بالإسبانية. ولقد أفرط في مدحي. وبعد ذلك سلمني العميد، كما كان قد فعل مع الثلاثة المكرمين، شارة الشهادة، وهو عباءة رمزية، فهبت عاصفة جديدة من التصفيق.

أخيراً، تكلم الطبيب شاكراً، باسم جميع المكرّمين، وأعقب ذلك لقاء ودي وحيوي جداً مع جميع الحضور. فتسنى لي أن أحيي العديد من معارفي من أميركا اللاتينية. كان ذلك أشبه بعيد للروح والثقافة. ثم وَلجنا غرفة مميزة في الجامعة، حيث قدم لنا الغداء مع جميع الشخصيات التي شاركت في الحفل، بوصفها أعضاء في الجامعة أو مدعوين.

لقد ملأني ترحيب جميع هؤلاء الأشخاص بالشجاعة. وكلهم قالوا لي إن رسالتي كانت ملائمة جداً، وإنها ساعدت الكثيرين على إعمال الفكر في وضع بلدنا، وفي التوجهات المسيحية واللاهوتية لكنيستنا. ولقد صرّح لي أحد اللاهوتيين، إذ كانت له تحفظات ضد لاهوت التحرير، أنه تفهم العديد من النقاط التي كانت عصيّة عليه، وأنه تبين له أن لأميركا اللاتينية لاهوتاً خاصاً بها حقاً، وذلك دون أن تنفصل عن لاهوت الكنيسة. وشهد الكثيرون لي، ولا سيما الشبيبة، أنهم كانوا يشعرون باندفاع نحو إيمان ملتزم بشؤون الأرض الخ... وكان ذلك يملأني شكراً لله وللعذراء القديسة، للحماس وللدعم المعنوي الذي غمرني خلال هذا الحدث.

كانت الساعة قد تجاوزت الخامسة بعد الظهر، عندما التقيت في غرفة الأب "يان"، بعض السلفادوريين الذين أرادوا أن يشاركوني مخاوفهم بشأن وطننا. ثم انطلقنا إلى بروكسيل لحضور لقاء نظّمه هناك بعض من أبناء أميركا اللاتينية. وهم يبلغون قرابة خمسة آلاف في بلجيكا، كثيرون منهم منفيون، والكثيرون طلاب. كان الجو ودياً جداً، وتبادلنا الكثير من الأسئلة والأجوبة حول قضايا أميركا اللاتينية، والكنيسة، ولا سيما حول السلفادور.

الأحد 1980/2/3

أقمت القداس مع الأب "يان" والأب "يسوع" في كنيسة "مدرسة أميركا اللاتينية"، ثم استقبلت بعض الزوار، منهم سيدة قدمت من ألمانيا خصيصاً

لتحدثني عما يمكن أن يُفيد فريقاً من المتضامنين الألمان مع السلفادور. ثم انطلقنا إلى بلدة الأب "يان ديبلانك"، ولم أعد أذكر اسمها. وتناولنا الغداء مع عائلة قوية الوحدة وكثيرة العدد. بعد ذلك، قصدنا البيت العام لراهبات القديس نقولا، في بلدة أخرى إلى أقصى الجنوب من بلجيكا، حيث اجتمعت جميع عائلات الكهنة والراهبات، الذين يعملون في كنيستنا. ترك استقبالهم الودي جداً لي، تأثيراً عميقاً لديّ، وكذلك الحوار الذي دار بيننا. حدث ذلك أولاً في الكنيسة، حيث قرأت نصّاً من الإنجيل يتعلق برسالة الذين يختارهم الله للتبشير بإنجيله، وارتجلت عظة حاولت أن أثير فيها المشاعر التي تجمعنا في هذا المكان، وكذلك ذكرى الأحبة البعيدين، الذين هم ثمرة هذه العائلات، التي حققت مثل هذا المدى من الاتحاد والضيافة المسيحية. ثم تناولنا معاً لقمة طيبة للغاية، أتيح لي خلالها أن أحيي جميع الحاضرين فرداً فرداً، وأتصور مع العائلات. باختصار، كان بعد الظهر هذا محطة لا تنسى، مشحونة بحميمية مسيحية، سوف أحمل منها ذكريات لجميع معاونينا الأحبة في كنيستنا. كان الليل قد هبط عندما توجهنا نحو باريس، حيث ينتظرنا في الغد يوم كثيف. كل شيء كان جديداً بالنسبة إلي، لأنها كانت تلك هي المرة الأولى التي سأتعرف فيها إلى هذه المدينة الجميلة. صحيح أن هذه الزيارة ستكون وجيزة، ولكنها تحمل لي بعض الرضا.

الإثنين 1980/2/4

أقمنا في باريس في أحد أديرة الآباء الدومينيكيين، الذين كانوا قد نظموا هذا اليوم على نحو كثيف. أقمنا القداس الإلهي مع الآباء، وتناولنا الفطور معاً، ثم انصرفنا إلى العمل. بادئ ذي بدء، قمنا بزيارة مكاتب معهد التنشئة والتضامن مع "العالم الثالث". وتبادلنا الرأي لفترة وجيزة حول وضع السلفادور، وعلاقات الكنيسة بهذا الوضع. ووجهت الشكر لهذه الهيئة، بسبب ما تبذله في سبيل شعبنا السلفادوري. ثم مضيت بصحبة الأب "جارديم" (Jardim) - وهو كاهن برتغالي لطيف يتقن اللغتين الفرنسية والإسبانية - لزيارة الأمانة العامة لهيئة الأساقفة الفرنسيين.

فاستقبلني الكاهن أمين السر، بمنتهى اللطف، وأجريت معه حديثاً طويلاً، وضعته فيه في صورة الوضع في بلدنا، وفي كنيستنا، وحدثته بثقة أخوية مطلقة عن الانقسام القائم بين أساقفتنا، وطلبت من هيئة الأساقفة الفرنسيين أن يقوموا بخطوة أخوية حيال مشاكل الأساقفة في السلفادور. وكان الأب يسجل ملاحظاته خطياً. ولسوف يقدمها لرئيس هذه الهيئة، الكردينال "ايتشيكاراي" (Etchegaray)، أسقف مرسيليا. وكالمَه هاتفياً، فأسعدني وشرفني أن أجري حديثاً مع الكردينال الذي يتقن الإسبانية. فأبدى أسفه الشديد لعدم تمكنه من لقائي شخصياً، ولكنه عرض علي تعاونه التام، وأبدى فرحه العميق بوجودي في مكاتب هيئة أساقفة فرنسا.

ثم مضينا لمقابلة الكردينال "مارتي" (Marty)، التي كانت، لا ودودة وحسب، بل أيضاً مثيرة وفاعلة. كان استقباله أخوياً حقاً. فحدثته بعمق عن قضايا الأساقفة في السلفادور، والسفارة البابوية، وعن علاقاتي بالكرسي الرسولي، فوعدني بمساعدتي في كل مجال، لأنه صديق مقرّب للكردينال "اورشايدر"، والكردينال "بيرونيو". فقلت له بأنه يسعه استشارتهما، كي يكوّن لديه فكرة تتسم بحيادية أكبر من الذي أقوله له. وصرح لي بتأييده التام لأفكار كنيستنا التقدمية، وبإدراكه العميق للمشكلة التي يشكلها أولئك الذين لا يريدون التقدم في منحى المجمع الفاتيكاني الثاني. وقد أضاف أن هذه المشكلة مطروحة على نطاق الكنيسة جمعاء، وأنه يلائمنا جميعاً ألا تجمّد الخطوة المتقدمة التي حققها المجمع الفاتيكاني. ففي الكنيسة جماعات كثيرة متطرفة تحاول التحكم بمبادرات البابا، للعودة بها إلى الوراء. وهذا يناقض واقع محبة البابا الدائمة للمجمع، وللخطوات المتقدمة التي حرّض عليها. فشعرتني والكردينال على موجة واحدة، ووضعت رجائي في وعوده لي بالقيام بخطوات لصالح كنيستنا في السلفادور، في ما يخص علاقاتنا مع الكرسي الرسولي.

ثم مضينا نتناول الغداء مع بعض أعضاء هيئة "عدالة وسلام"، وبعض التنظيمات التضامنية مع بلدنا. وقد شارك في هذا الغداء قرابة خمسة عشر

شخصاً، كانوا كلهم يعربون عن اهتمامهم بوضعنا في السلفادور، وبما يسعهم فعله تضامناً مع كنيستنا. ولقد فتح هذا الاجتماع آفاقاً من الرجاء لشعبنا.

بعد ذلك مضينا إلى مركز اللجنة الكاثوليكية ضد الجوع ومن أجل التنمية، حيث عقد مؤتمر صحفي، كان مثيراً للغاية. وقد شارك فيه قرابة أربعين صحفياً، يمثلون أهم الصحف الفرنسية. فرسمت لهم ملمحاً للوضع الراهن في بلدنا، والدور الذي تحاول الكنيسة أن تلعبه فيه. ودار حوار مثير جداً، طُرِحت خلاله أسئلة حول البلد وحول الكنيسة، وقد أتيحت لي الفرصة خلاله لأوضح فكرتي، وشكرتهم مسبقاً للانتشار الذي سيكون بوسعهم أن يحققوه لها على نطاق العالم، بفضل وسائل اتصالاتهم المدهشة. وقد كان للأب "يسوع دلغادو" مساهمة فعالة جداً، ليس فقط بوصفه ترجماناً، بل أيضاً بفضل مداخلاته الشخصية.

بعد هذه المقابلة، مضينا إلى كنيسة القديس "ميري" (Merri)، حيث أقمنا صلاة مسكونية، شارك فيها قسيس بروتستانتي أتى من مرسيليا خصيصاً ليلتقيني. وكانوا هناك أيضاً في انتظاري، ولكن لم يتح لي الوقت للسفر هناك، فأتى بنفسه. واشتركنا معاً في الصلاة المسكونية، وقد ألقى كل منا عظة، ركز فيها على وجهة نظره بشأن الرسالة الإنجيلية التي ينطوي عليها هذا التكريم الخاص لكنيسة السلفادور وراعيها. واستمعنا إلى أناشيد جميلة جداً، وإلى قراءة ملائمة من الإنجيل، عقّب عليها القسيس بمديح خص به رئيس أساقفة السلفادور، وختمتها بكلمة لي باللغة الإسبانية، اختصرت فيها خطابي في جامعة "لوفان"، حول ما يسع الإيمان المسيحي أن يقدم في خدمته للعالم، وكيف أن هذا الإيمان يغتني في ذاته، إذ يستقبل من العالم انعكاس ما يكون قد زرعه فيه. وقد شكرني الكثيرون من الحاضرين وهم يغادرون، إذ كان معظمهم يعرف الإسبانية، للرسالة التي يبدو أنها لاقت ترحيباً جيداً لديهم. وقد استحضرنا أسماء، مثل "اكيلاريس" (Aguillares) و"بايسنال" (Paisnal) والعديد ممن كتبوا صفحات من الحب لكنيستنا. وهنا يسرني أن أحيي عدداً من "راهبات الانتقال"، والكثيرين من

المنفيين من أميركا اللاتينية، وأصدقاء كثيرين للسلفادور، الذين تناولت معهم، بعد الاحتفال المسكوني، طعام العشاء في دير الآباء الدومينيكيين. وعدنا في ساعة متأخرة إلى "لوفان"، حيث وصلنا في الساعة الثانية بعد منتصف الليل.

الثلاثاء 1980/2/5

أمضيت اليوم في ترتيب أوراقي وأوراق أخرى كثيرة وحوائجي، التي عانت من الفوضى بسبب ازدحام الأيام السابقة. ورتّبت أيضاً مع الأب "يسوع دلغادو" المساهمات المالية التي قُدّمت لنا من أجل حاجات الكنيسة. وكتبت أيضاً رسائل شكر واعتذار للفرق الكثيرة التي كانت قد نظمت لقاءات لم يتح لنا عقدها، لضيق الوقت. وفي الواقع، فقد اضطررت لتقليص سفري وبرنامجي، الذي كان الأب "يان" قد أعده سابقاً.

قرابة الساعة الثالثة بعد الظهر، اتصلت مع الأبوين "يسوع" و"يان" هاتفياً بإذاعة السلفادور، حيث أجرى معنا الأب "اريوسته" حواراً. وقد روينا له مجريات رحلتنا، منها الساعات الأخيرة التي قضيناها في روما، وقصة منحي لقب دكتورا شرف في "لوفان"، ولقاءاتنا المختلفة مع الأصدقاء في بلجيكا وفرنسا. وقد أبرزت من ناحيتي لقاءاتي مع الكرادلة والأساقفة وأناس آخرين، يؤلفون رجاء عظيماً لكنيستنا.

حوالي الساعة السادسة بعد الظهر، كنا في مطار "بروكسيل" للعودة إلى الوطن. كان الأب "روجيليو" (Rogelio) حاضراً مع أهله، وكان حاضراً أيضاً "جيم ميليندس" (Jaime MELÉNDEZ)، وهو سلفادوري مرموق، موظف في سفارة بلدنا في بلجيكا. فودعت الأبوين "يسوع دلغادو" و"يان ديبلانك"، واستقليت الطائرة إلى مدريد مع الأب "روجيليو".

الأربعاء 1980/2/6

وصلت طائرتنا مع الفجر إلى مدينة "سانتو دومينكو" (Santo Domingo)، حيث حطّت لفترة وجيزة، ثم انطلقنا إلى "باناما"، حيث حطت طائرتنا، فاتصلت برئيس أساقفتها "ماك كرات" (Mc Grath). فدعاني لحضور اجتماع

عدد من أساقفة أميركا الوسطى، والمكسيك وجزر الكاراييب، الذين قدموا ليبحثوا في الشؤون الاجتماعية لبلدانهم. فأتيح لي بذلك أن أحيي فضلاً عن المطران "ماك كرات"، المطران "ريفيرا" (Rivera)، والمطران "فلوريس" (Flores)، وأسقفاً من غواتيمالا، وأسقفاً من المكسيك، والمطران "فيغا" (Vega) من "نيكاراغوا"، والعديد من الكهنة الذين ينشطون في نطاق العمل الاجتماعي في بلدان مختلفة. وكان المطران "بامبارين" (Bambarén)، يرئس هذه اللجنة. وبعد استراحة وجيزة، أقلعت طائرتنا من "باناما" إلى "كوستاريكا" و"ماناغوا".

* * * * *

تلك كانت رحلة المطران الشهير "أوسكار روميرو" إلى بلجيكا كما تحدث عنها في يومياته، قبيل استشهاده بأيام، في كنيسته في عاصمة السلفادور، وهو يقيم القداس الإلهي، في 1980/3/24.

أما فترة أسقفيته، فقد ورد في ملحق كتاب يومياته الصادر في باريس عام 1991، تحت عنوان "يوميات أوسكار روميرو"، ذكر وجيز لمحطاتها الرئيسة، أرى من الضروري، إيراده بحرفيته هنا.

"تاريخ أهم الأحداث الحاصلة في السلفادور، خلال أسقفية المطران "روميرو".

1977

8 شباط:

المطران "أوسكار أرنولفو روميرو" (Oscar Arnulfo ROMERO)، أسقف مدينة "سانتياغو دي ماريا" (Santiago dé Maria)، يعين رئيس اساقفة "السان سلفادور".

21 شباط:

الأب "رافائيل باراهونا" (Rafael Barahona)، كاهن بلدة "تيكولوكا" (Tecoluca)، أوقفته الشرطة، وضربته بعنف.

عندما تسلم المطران "روميرو" مركزه في "سان سلفادور" بتاريخ 1977/2/22، **كان الوضع في بلده الصغير الذي يعد خمسة ملايين إنسان، في غاية التوتر. فإن سلسلة من الانتخابات الزائفة** (1972-1974) **أثارت حراكاً معارضاً واسعاً ضد الحكومات التي أتت بعد هذه الانتخابات، فقمع بعنف: فحلت المنظمات النقابية، ونفي قادتها أو اعتقلوا، وقوبل بالعنف الفلاحون والكهنة والراهبات، الذين شاركوا في احتجاجات الفقراء.**

27 **شباط:**

قرابة (60.000) **شخص يشاركون في القداس الذي يقيمه الأب "الفونسو نافارو"** (Alfonso Navarro)، **في ساحة الحرية. فاجتاح الجيش الساحة، وحدثت صدامات تواصلت أسبوعاً كاملاً. وأعلنت حالة الطوارئ في البلاد، وعلقت الحقوق الدستورية. فأدركت التنظيمات الشعبية أن كل شكل من أشكال النضال القانوني والسلمي، بات مستحيلاً، فغيرت استراتيجيتها، وانتقلت إلى الهجوم، فاحتلت مباني عامة، ومزارع، ونظمت المظاهرات.**

12 **آذار** 1977

اغتيل الأب "روتيليو كرانديه" (Rutilio Grande)، **وهو يسوعي مرموق جداً، بسبب نشاطه الرعوي في أوساط الفلاحين الفقراء، مع فلاّحَين كانا برفقته. وسرعان ما عُرِف أن من اغتالوهم هم أعضاء في جهاز الأمن. وكانت تلك بداية التوتر بين رئيس الأساقفة والحكومة: "كيف لي ألا أتحرك عندما يقتلون أولادي؟".**

وفي 15 آذار، **شارك المطران "روميرو" في اجتماع كنسي، تقرر فيه:**

1- **إن رئيس الأساقفة لن يشارك في أي احتفال حكومي رسمي، طالما أن ظروف اغتيال الأب "روتيليو"، لم تتضح...**

2- **أن يقام قداس وأحد في أبرشية العاصمة، يوم** 20 آذار، **إحياء لذكرى الأب "روتيليو"، وقد حضره قرابة** (100.000) **شخص.**

نيسان 1977

مضى المطران "روميرو" إلى روما ليلتقي البابا بولس السادس، الذي قدم له الدعم. ولكنه، في الوقت نفسه، لمس لدى عدد من الكرادلة، استنكاراً لعمله...

1 **أيار** 1977

انفجار قنبلة في مركز الصحيفة الكنسية "التوجه" (Orientacion).

11 **أيار**

اغتيال الأب "الفونسو نافارو" (Alfonso Navarro) على يد مجموعة يمينية متطرفة تسمى (الاتحاد الحربي الأبيض).

19 **أيار**

في مركز "اغيلاريس" (Aguilares)، حيث يعمل الأب "روتيليو غرانديه" (Rotilio GRANDE)، وحيث احتل فلاحون لا أراضي لهم، مزرعة كبيرة، استعدّ الفلاحون لأعمال الحصاد، فاجتاح الجيش المزرعة، ودنّسوا الكنيسة، وطردوا الآباء اليسوعيين، متهمين إياهم بأنهم مؤسسو النقابات الفلاحية.

14 **حزيران**

أطلق اليسوعيون خلال الصحف اليومية، سلسلة من التصريحات، يردّون بها على متهميهم، ويشرحون فيها رؤيتهم لكنيسة المجمع الفاتيكاني الثاني، ولبيان "مدلين" (Medellin) الكنسي.

21 **حزيران**

يدعو "الاتحاد الحربي الأبيض" جميع اليسوعيين إلى مغادرة البلد خلال شهر واحد، تحت طائلة الموت.

فاضطر عدد كبير من الكهنة لمغادرة البلد.

1 **تموز**

تسلم الجنرال "روميرو"، وزير الدفاع السابق - الذي لا تربطه بالمطران أي قرابة - رئاسة الجمهورية. رفض المطران "روميرو" حضور الاحتفال.

بدأت الصحافة تنظم حملة ضد المطران "روميرو". وأبدى السفير البابوي انزعاجه من المطران "روميرو"، وأرسل إلى روما تقارير منحازة ضده.

آب 1977

نشر المطران "روميرو" رسالته الرعوية الثانية، وفيها يعلن تأييده للكهنة المضطَهدين، وواجب الكنيسة للوقوف في صف الفقراء.

10 **آب**

لقاء بين رئيس الجمهورية ورئيس الأساقفة روميرو، صدرت بعده مذكرة تقترح نمطاً من التعاون بين الحكومة والكنيسة.

26 **آب**

قوات الأمن تهاجم بلدة "ساليتريه" (Salitre). العثور على ثلاث جثث مشوهة لشبان فلاحين...

13 **أيلول**

رسالة من رئيس الأساقفة إلى رئيس الجمهورية، يذكره فيها بالمذكّرة التي ظلّت حبراً على ورق.

4 **تشرين أول**

المطران "ريفيلو" (Revelo) (وهو نائب المطران "روميرو")، يعلن خلال سينودس روما، أن مدرِّسي التعليم المسيحي في السلفادور، متأثرون بالماركسية.

3 **تشرين ثانٍ**

بعض الجنود يهاجمون مدينة أوزيكالا (Osicala)، ويقتحمون الكنيسة، فيعتقلون الكاهن وخادم الكنيسة، ويعذبونهما. وحدثت اعتداءات أخرى في المنطقة.

24 **ت2**

الحكومة تنشر قانوناً جديداً "من أجل الدفاع عن النظام العام".

1978

14 ك2

المطـران "رومـيرو" ينـال لقـب دكتـوراه شـرف مـن جامعـة "جـورج تـاون" الأميركية.

آذار

"أسابيع دامية": احتل فلاحون أراضي غير مزروعة، فهاجمهم الجيش في مدينـة "سـان بيـدرو" (San Pedro)، وسـقطت ضـحايا، وحـدثت اعتقـالات، ودُمّرت بيوت. فاحتمى الفلاحون في "الإكليريكية" حتى 15 نيسان. فاحتلّت حركة "الكتلة الشعبية الثورية" الكاتدرائية. وشُكّلت وفود للمطالبة بإطلاق سراح الفلاحين المعتقلين.

16 حزيران

سفر إلى روما.

26 آب

أصدر المطران "روميرو" رسالة رعوية، وقّع عليها أيضاً المطران "ريفيرا" مطران "سانتياغو ديه ماريا" (Santiago de Maria)، تحدث فيها عن المنظمات الشعبية والعنف.

28 آب

أصدر الأساقفة الأربعة الآخرون، تصريحاً يدينون فيه المنظمات الشعبية. فردّت عليهم منظمتان: "الأساقفة يشاركون في صراع الطبقات ضدنا".

6 أيلول

وفاة البابا بولس السادس.

خلفه، البابا يوحنا بولس الأول، مات في نهاية شهر أيلول.

16 ت2

الكردينال "فويتيلا" ينتخب بابا، ويتخذ اسم "يوحنا بولس الثاني".

23 ت2

بطلب من مجلس الكهنة، يسحب المطران "روميرو" من نائبه "منسنيور" "ريفيلو" (Revelo)، جميع صلاحياته كنائب عام، إثر مخالفة صريحة ارتكبها.

28 ت2

وفاة الأب "ارنستو باريرا" (Ernesto Barrera) في ظروف غامضة.

1979

20 ك2

في أحد المراكز الكنسية المسمى "الديسبرتار" (El despertar) اغتيال الأب "أكتافيو أورتيز" (Octavio Ortiz) وأربعة شبان، كانوا يشاركون في اجتماع للتنشئة المسيحية. ثمة مشاركون آخرون، وكلهم فتيان، قد اعتقلوا.

26 نيسان/ أيار

المطران "روميرو" يقيم في روما.

شهر أيار: "إنه الشهر الأكثر مأساوية ودموية، خلال السبعة والأربعين سنة الأخيرة" (أحد الصحفيين)

بعض أعضاء من منظمة "الكتلة الشعبية الثورية" يحتلون بعض السفارات.

8 أيار

مظاهرات أمام الكاتدرائية. الشرطة تطلق النار: 25 قتيلاً، 70 جريحاً.

17 أيار

الرئيس "روميرو" يدعو لـ "مؤتمر وطني".

خلال هذا الشهر، أيار، أحصي 115 قتيلاً، 55 معتقلاً (ثلاثون منهم لم يعثر لهم على أثر)، 92 جريحاً، 28 بناء أحرق.

17 حزيران

في مدينة "سانتا تيقلا" (Santa Tecla) قتل رجال الأمن الأب رافائيل بلاسيوس" (Rafaeil Palacios). هو الكاهن الخامس الذي يقتل خلال سنتين.

19 **تموز**

في نيكاراغوا، يقوم "الساندينغيّون" بانقلاب ضد الطاغية "سوموزا".

4 **آب**

اغتيال الأب "أليريو نابوليون ماسياس" (Alirio N. Macias) في كنيسته، في مدينة "سان فيسنتيه" (San Vicente).

شهر آب

رسالة رابعة رعوية للمطران "روميرو"، "رسالة الكنيسة في أزمة الأمة".

15 **ت1**

انقلاب ضد الرئيس "روميرو".

1980

11 **ك2**

منظمة "جبهة العمل الشعبي الموحدة"، ومنظمة "الكتلة الشعبية الثورية"، ومنظمة "التكتلات الشعبية 28 شباط"، تنضم إلى الاتحاد الديمقراطي الوطني، لتشكل "لجنة التنسيق الثوري بين الحركات الجماهيرية". بعد عشرة أيام، تنضم إلى هذه "اللجنة، "الحركة القومية الثورية".

طوال شهر كانون الثاني: تصاعد العنف.

22 **ك2**

تجمع 100.000 **شخص في العاصمة، إحياء لذكرى التمرد الفلاّحي الذي حدث عام** 1932، **والذي قتل خلاله آلاف الفلاحين (يقال** 30.000**). فتحت قوى الأمن النار على الجماهير.**

29 **ك2**

المطران "روميرو" يمضي إلى روما، ثم إلى بلجيكا، حيث ينال لقب دكتوراه شرف من جامعة "لوفان"، ثم إلى باريس.

شباط

المطران "روميرو" يكتب إلى الرئيس "جيمي كارتر"، ليحتّج على المساعدة العسكرية المقدمة لحكومة السلفادور.

17 **آذار**

لجنة التنسيق تدعو لإضراب عام. الجيش يحاصر الجامعة الوطنية.

23 **آذار**

آخر عظة للمطران "روميرو":

"باسم الله، باسم هذا الشعب المتألم، الذي ترتفع أنّاته كل يوم بقوة متزايدة نحو السماء، أرجوكم، أسألكم، آمركم باسم الله: أوقفوا القمع!"

13) نص عربي هام للكنيسة العربية الآتية.

عاشت أسرة الرعية الجامعية خبرة روحية فريدة وسباقة، جمعت فيها بين لحظة الصلاة الشخصية، وحياة الناس جميعاً. وقد تحقق لها ذلك على امتداد أشهر، ثم سنوات طويلة، خلال القداس الذي كان يقام فيها، أولاً، ثم لبعض أفرادها، ومن ثم خلال القداس الذي بات يقام، بموافقة السلطة الكنسية، يوم الأحد مساء، في كنيسة سيدة دمشق.

وقد أشرت إلى بعض من تفاصيل هذا البُعد الروحي الجديد في الكنيسة، في كتابي "قد يكون لي ما أقوله"، وفي فصول من هذا الكتاب، وفي هذا الفصل بالذات. فلا أرى الآن ما يدعو للعودة إليه.

إلا أن هناك تجربة رائدة، خاضها كبير من كنيستنا، يدعى الأب يوسف درة الحداد، ولكنها لم ترَ النور، لأنها رُفضت من أصلها، وذلك في لغة عربية لائقة. فرُفضت محاولته، ولم يسمح له بنشرها. فما كان منه إلا أن ائتمنني عليها، نظراً لما كان يُعرف عن أسرة الرعية. وإني لأرى اليوم أنه لم يعد يجوز لي - ولا لمطلق إنسان! - أن يحول دون نشرها، ليقيني بضرورة تبنّيها مستقبلاً، وربما قريباً!

ويطيب لي أن أضيف أن النسخة التي لدي ثمينة جداً، لأنها يتيمة ومكتوبة بخط يد الأب يوسف درة الحداد بالذات.

أنشرها بحرفيتها بكل أمانة:

الليتورجيا البيزنطية

للقديس يوحنا الفم الذهبي

الأرشمندريت يوسف درة الحداد

القسم الأول: ليتورجيا كلام الله

فاتحة القداس:

1- (يُبخّر المذبح وهو يقول): أيها المسيح، بما أنك إله، كنت في القبر بالجسد، وفي الجحيم بالنفس، وفي الفردوس مع اللص، وعلى العرش مع الآب والروح، مالئاً الكل، يا مَن لا حدّ له.

(ثم يبخّر الأيقونات والشعب، وهو يقول): ارحمني يا الله...

2- (ينتصب أمام المذبح باسطاً يديه، وهو يقول):

أيها الملك السماوي /المُعين/ (الفارقليط) روح الحق، الحاضر في كل مكان، والمالئ الكل، كنز الخيرات، وواهب الحياة، هلمّ واسكن فينا، وخلّص نفوسنا، بما أنك الصالح.

(ثم يسجد ثلاثاً وهو يقول):

المجد لله في العلى، والسلام على الأرض لأهل الرضى.[1]

(أخيراً يُقبّل الإنجيل والمذبح، وهو يقول مرّتين):

يا ربّ، افتح شفتيّ، فيذيع فمي تسبيحك.

3- إعلان الفاتحة:

تبارك ملكوت الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور - آمين.

---

1) جاء في نص الإنجيل έυδοκίας وليس έυδοκία. وأهل الرضى هو التعبير الصوفي المتواتر، ويعني الذين يرضى الله عنهم، وهم يرضون الله. والمعنى على الفاعل وعلى المفعول، نابع من الإضافة اليونانية έυδοκία.

الجزء الأول: ثلاث طلبات للسلام:

1- **الدعاء الأول للسلام:**

لأجل السلام،[1] نسترحم الله. - رُحماك[2] يا رب.

لأجل السلام العُلْويّ وخلاص نفوسنا، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

لأجل السلام للعالم أجمع، والثبات لكنائس الله، واتحاد الجميع، نسترحم الله. - رُحماك يا رب.

لهذا البيت المقدس، والمقيمين فيه بإيمان وورع وخشية الله، نسترحم الله. - رُحماك يا رب.

لرئيس كهنتنا (+) الموقَّر، وكهنته الكرام، والشمامسة خُدّام المسيح، وسائر الإكليروس والشعب كله، نسترحم الله. - رُحماك يا رب.

للرئيس (أو المليك) والحكومة والجيش، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

لهذه (العاصمة - المدينة - البلدة)، وكل مدينة وقرية، والمؤمنين الذين فيها، نسترحم الله. - رُحماك يا رب.

لأجل أهوية معتدلة[3]، وغلال وافرة، وأزمنة سِلْمية، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

لأجل خلاص المسافرين والمرضى، والكادحين والأسرى، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

لأجل نجاتنا من كل ضيق وغضب وخطر وشدة، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

---

1) تصحّ هذه الترجمة لأنها متواترة سبع مرات حتى بعد الكلام الجوهري.

2) الفعل (يا رب ارحم) لا ينقل التمني الذي في الصيغة "الوسط" للفعل اليوناني التي لا مقابل لها بالعربية، لذلك اقتضت الترجمة: رُحماك.

3) الطلبة الثانية، بعد السلام والمستفيدين منه.

فاعضدنا، وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا، بنعمتك، يا الله.

- رُحماك يا رب.

بشفاعة سيدتنا مريم القديسة، الكاملة، بلا عيب، الكريمة، المجيدة، والدة الإله البتول دائماً؛ وبشفاعة جميع القديسين؛ نُودِع نحن ذواتنا وبعضنا وبعضاً،[1] وحياتنا كلها، لدى المسيح الإله.

- لديك يا رب.

(والكاهن يصلّي بصوت خافت):[2]

يا الله إلهنا، يا ذا العزة السامية، والمجد اللاّمدرك، والرحمة الواسعة والمحبة للبشر الفائقة؛ أنت، أيها السيد، اطّلع بعطفك علينا وعلى هذا البيت المقدس، واجعل مراحمك ورأفاتك غزيرة علينا وعلى المصلّين معنا.

(ثم يعلن):

لأنه لك ينبغي الحَمْد[3] والإكرام والسجود، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

(وللحال يرنّم المرنّم أو الخورص):

يا مخلص، بشفاعة والدة الإله، خلّصنا. (ثلاثاً)[4]

2- **الدعاء الثاني للسلام:**

لأجل السلام، بإلحاح نسترحم الله. - رُحماك يا رب

فاعضدنا، وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا بنعمتك، يا الله.

- رُحماك يا رب

بشفاعة سيدتنا مريم... - لديك يا رب

---

1) يُقدّم، لئلا يقع فاعل بين مفعولين؛ والأصح الختام "بالمسيح الإله" صوفية.

2) من أجل مجموعات صغيرة، يستحسن تلاوة الصلاة السرية بصوت مرتفع.

3) δόxα صفة ذاتية تعني المجد، صفة مرفوعة من العبد تعني الحمد. والاستخدام بصيغة المطلق تُغني عن "πάντα".

4) في القداس العادي يضاف الدعاء الثاني والثالث- أما في القداس الاحتفالي فيقال للحال "نشيد التجسد" بينما يصير الطواف بالإنجيل. وعلى كل حال، يجب نقل "نشيد التجسد" إلى حين الطواف بالإنجيل.

(والكاهن يصلّي بصوت خافت):[1]

يا الله إلهنا، خلّص شعبك وبارك ميراثك. احفظ في سلام كنيستك. قدّس المحبّين جمال بيتك. أنت عوّضهم مجداً بقدرتك. ولا تُهملنا نحن المتوكلين عليك.

(ويعلن):

لأن لك كل العزّة، وكل الملك والقدرة والمجد[2]، أيها الآب والابن والروح القدس الإله الواحد، الآن وعلى الدوام، وإلى دهور الدهور.

- آمين

(وللحال يرنّم المرنّم أو الخورص):

يا مخلّص، بشفاعة قديسيك، خلّصنا. (ثلاثاً)

3- الدعاء الثالث للسلام:

لأجل السلام بإلحاح، نسترحم الله. - رُحماك يا رب

فاعضدنا، وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا بنعمتك، يا الله.

- رُحماك يا رب

بشفاعة سيدتنا مريم... - لديك يا رب

(والكاهن يصلّي بصوت خافت):

يا مَن أنعم علينا أن نقيم هذه الصلوات، بروح واحد ورأي واحد، وقد وعدت بأنه متى اتفق اثنان أو ثلاثة باسمي، أمنحهم سؤلهم، أنت تمّم الآن لعبيدك سؤلهم بحسب ما يوافقهم، واهباً لنا معرفة حقك في الدهر الحاضر، ومُنعماً علينا بالحياة الأبدية في الدهر الداهر.

(ويعلن):

لأنك الإله الصالح الودود، وإليك نرفع <u>الحَمْد</u>، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. - آمين

---

1) في بعض الحالات، يصلي بصوت جهوري.

2) هنا "المجد" لا "الحمد".

(وللحال يرنّم المرنّم أو الخورص):

(في بحر الأسبوع): خلّصنا يا ابن الله (يا مَن هو عجيب في قديسيه) نحن المرنّمين: الحمدلله (هللويا).[1]

(ويوم الأحد أو العيد) (بطروباية الأحد أو العيد).

الجزء الثاني: ثلاثة أناشيد لتلاوة كلام الله

1- (الطواف بالإنجيل - مع ترنيم "نشيد التجسد"):

يا كلمة الله، الابن الوحيد الذي لا يموت، لقد رضيت لأجل خلاصنا أن تتجسد من القديسة مريم، البتول دائماً، والدة الإله:[2] فتأنّست بغير تحوّل،[3] وصُلبت، أنت المسيح الإله، وبالموت وطئت الموت، أنت أحَدَ الثالوث القدّوس (المعبود)[4] الممجّد مع الآب والروح القدس، خلّصنا.

(أمام الباب الملوكي يصلّي الكاهن بصوت خافت):

يا الله إلهنا، أيها السيد، يا من أقام في السماوات صفوفاً وجيوشاً من الملائكة ورؤسائهم لخدمة مجده، اصحب مثولنا أمامك برفقة ملائكة قديسين، يشاركونا في العبادة، وفي الحَمْد لصلاحك، فإنه لك ينبغي الحَمْد والإكرام والسجود، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. آمين

(ثم يعلن):

وقوفاً، بتقوى![5]

---

1) أقترح "الحمد لله" عوضاً عن "هللويا".

2) يجب تأخير لقب "والدة الإله" على لقب "القديسة" مراعاة لسنة البلاغة بالتدرج من الأدنى إلى الأعلى، لأن لقب "القديسة" بعد "والدة الإله" تخفيف من قدرها.

3) الاستحالة في اللغة غير التحوّل، وهو المقصود.

4) "الممجّد" تعبير يوناني يليق نقله بتعبير "المعبود".

5) تعبير "الحكمة" يوناني، يحسن نقله إلى تعبير سامي كتابي: التقوى. وتعبير "وقوفاً" أصح من الأمر "فلنقف"

(ثم يعلن):

هلمّوا نسجدُ ونركعُ للمسيح!

(يدخل المحراب قائلاً):

خلّصنا، يا ابن الله، (يا مَن هو عجيب في قدّيسيه) (يا مَن قام من بين الأموات)، نحن المنشدين لك: هللويا.

2- (الترنيم بالأناشيد اليومية).

3- (النشيد القدسي الثلاثي):

(في وقت الترنيم بالأناشيد اليومية يتلو الكاهن وحده):[1]

أيها الإله القدوس، المستوي في القديسين، يسبحه السارفون بالنشيد القدسي الثلاثي، ويمجده الكاروبون، ويسجد له القوى السماويون أجمعون.

يا مَن برأ من العدم إلى الوجود العالمين، وخلق الإنسان على صورته كمثاله، زيّنه بجميع نعمه. يا مَن يمنح السائل حكمة وفهماً، ولا يُعرِض عن الخاطئ بل وضع له توبة للخلاص.

يا مَن جعلنا أهلاً، نحن عبيدَه الحقيرين غير المستحقّين، أن نمثُل في هذه الساعة في حضرته،[2] لدى مذبحه المقدس، ونقدم له السجود والحَمْد الواجبين.

أنت، أيها السيد، تقبل من أفواهنا نحن الخاطئين، النشيد القدسي الثلاثي وافتقدنا بجودتك. واصفح عن كل ذنوبنا سواء اكتسبناها أم لم نكتسبها.[3] قدّس نفوسنا وأجسادنا، وأعطنا أن نعبدك بالبِرّ طول أيام حياتنا.

بشفاعة القديسة والدة الإله، وجميع القديسين الحائزين على رضاك مدى الدهر.

---

1) يحسن تلاوتها جهراً في بعض المناسبات، وبعد نهاية الأناشيد اليومية.

2) مجد الله هنا تعبير يوناني كناية عن الحضرة الإلهية.

3) تعبير أصحّ من "الاختيارية وغير الاختيارية"

(ويعلن):

لأنك أنت القدّوس، يا إلهنا؛ وإليك نرفع الحَمْد، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

(ثم يرنّم المرنّم أو الخورص النشيد القدسي الثلاثي[1]، وفي كل مرة يسجد الكاهن والشعب معاً).

القدوس (هو) الله، القدوس (هو) القدير، القدوس (هو) الحيّ القيّوم.[2] (ثلاثاً)

المجد للآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

القدوس هو الحيّ القيّوم.

القدوس هو الله، القدوس هو القدير، القدوس هو الحيّ القيّوم.

(محور ليتورجيا الموعوظين، تلاوة كلام الله).

(أولاً: تلاوة الرسائل):

(الكاهن): فلنصْغِ.

(القارئ يتلو آية المزامير).

(الكاهن): بتقوى.

(القارئ يتلو عنوان الرسالة).

(الكاهن): بتقوى فلنصْغِ.

(القارئ يتلو الرسالة).

(الكاهن): (في ختام الرسالة): السلام عليكَ.[3]

---

1) من الشواذ فصل السجود عن ترنيم النشيد، أو استقلال الكاهن بتلاوته سرّاً مع السجود وحده.

2) قولنا "الذي لا يموت" ليس من صحة البيان، إذ نجعل صفة فعلية مع صفة اسمية، والأصل اليوناني فيه ثلاثة أسماء أو صفات اسمية. والترجمة الصحيحة هي "اللاّمائت"، يقابلها في العربية الحيّ القيّوم، بتعبير كتابي، أصحّ من التعبير اليوناني.

3) نقترح إسقاط "أيها القارئ".

(ثانياً: تلاوة نشيد الحَمْد بين الرسالة والإنجيل):

الحمدلله، الحمدلله، الحمدلله. (هللويا- ثلاثاً)

(ثالثاً: تلاوة الإنجيل):

(أثناء ترنيم الحَمْد، يبخّر الكاهن وهو يتلو سرّاً):

إيها السيد المُحبّ للبشر، أضئ قلوبنا بنور معرفتك الإلهية الصافي، وافتح عيون أذهاننا لنفهم تعاليمك الإنجيلية. ضعْ أيضاً فينا خشية وصاياك الكريمة. حتى إذا ما دسنا جميع الشهوات الحسيّة، نسير سيرة روحية، فكراً وعملاً، بحسب رضاك. لأنك أنت النور لنفوسنا وأجسادنا، أيها المسيح الإله؛ وإليك نرفع الحَمْد، مع أبيك الأزلي وروحك القدوس الصالح والمُحيي، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. آمين.

(ويُعلن): بتقوى، فلنقفْ ونسمع الإنجيل المقدس. السلام عليكم أجمعين.

- (المرنّم) ولروحك.

قراءة كريمة[1] من الإنجيل المقدس بحسب (فلان) البشير.

- (المرنّم) الحَمْد لك، يا رب، الحَمْد لك.

(الكاهن يتلو الإنجيل. وفي ختام التلاوة يبارك به الشعب. ويقبّله).

- (المرنّم) الحَمْد لك، يا رب، الحَمْد لك.

الجزء الثالث: دعاء الرحمة الشاملة:

(الكاهن): لنقلْ جميعنا من كل قلوبنا وكل عقولنا، فلنقلْ.

- (المرنّم) رُحماك يا رب (ثلاثاً)

أيها الرب الضابط الكل، إله آبائنا، ندعوك فاستجبْ وارحم.

---

1) لماذا نتهرَّب من الترجمة الوحيدة الصحيحة للّفظ اليوناني Tó άνάγνosμα، أي قراءَة، قـرآن؟ وفي صـحة التعبير أبعاد لا تخفى على أحد. قد مضى زمن الخوف من الجَهر بالحقيقة.

- (المرنّم) رُحماك يا رب (ثلاثاً)

يا الله، ارحمنا بحسب رحمتك العظيمة، ندعوك فاستجبْ وارحم.

- (المرنّم) رُحماك يا رب (ثلاثاً)

ندعو لأجل رئيس كهنتنا (+) الموقَّر، وكهنته الكِرام.

- (المرنّم) رُحماك يا رب (ثلاثاً)

ندعو أيضاً لأجل جميع إخوتنا، الكهنة والشمامسة والرهبان والراهبات، ولأجل جميع إخوتنا في المسيح.

- (المرنّم) رُحماك يا رب (ثلاثاً)

ندعو أيضاً، سائلين الرحمة والحياة، والسلام والعافية، والخلاص، لأجل عبيد الله الساكنين في هذه (المدينة - البلدة)، وافتقادهم ومسامحتهم وغفران خطاياهم.

- (المرنّم) رُحماك يا رب (ثلاثاً)

ندعو أيضاً لأجل الذين أنشأوا هذه الكنيسة المقدسة، السعداء الخالدي الذكر، ولأجل جميع آبائنا وإخوتنا المتوفَين، الراقدين بتقوى ههنا، وفي كل مكانٍ، على الإيمان القويم.

- (المرنّم) رُحماكَ يا رب (ثلاثاً)

ندعو أيضاً (لأجل المتبرّعين)،[1] ولأجل المحسنين إلى هذا الهيكل المقدس الكريم ولأجل العاملين فيه والمرنّمين؛ ولأجل هذا الشعب القائم ينتظر من لدنك الرحمة العظيمة الواسعة.

- (المرنّم) رُحماك يا رب (ثلاثاً)

(والكاهن يختم بهذه الصلاة):[2]

يا الله إلهنا، تقبَّل من عبيدك هذا الدعاء الشامل، وارحمنا بحسب رحمتك العظيمة، واشملنا برأفتك القديرة، وشعبَك كلّه القائم ينتظر من لدنك الرحمة الواسعة.

---

1) في الأصل "مقدّمي الثمار" – وهي عادة قديمة مقامها اليوم التبرع على أنواعه.

2) يحسن أن تُقال جهراً لأنها وجيزة، ولأنها ختام ليتورجيا الموعوظين.

لأنك الإله الرحيم الودود، وإليك نرفع الحَمْد، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

القسم الثاني: ليتورجيا القربان:

الجزء الأول: ثلاثة أدعية لنقل القرابين:

1- الدعاء الأول:

يا جميع المؤمنين، لأجل السلام بإلحاح، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

فاعضدنا، وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا بنعمتك، يا الله.

- رُحماك يا رب.

(والكاهن يصلّي بصوت خافت):

نشكرك، أيها الرب القدير، الذي أهَّلنا أن نمثل الآن لدى مذبحه المقدس، مستعطفين رأفته على خطايانا وجهالات الشعب. فتقبَّل اللّهم سؤلنا، وأهّلنا أن نقدم لك أدعية وابتهالات وذبائح روحية، لأجل شعبك كله.

وبقدرة روحك القدوس، اجعلنا، نحن الذين أقمت لخدمتك، أكفّاء أن ندعوك في كل زمان ومكان، بلا دينونة ولا ملامة، وبشهادة من ضميرنا صادقة، فتكون لنا بحسب صلاحك العظيم سميعاً غفوراً.

(ويعلن): لأنه لك ينبغي الحَمْد والإكرام والسجود، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

2- الدعاء الثاني:

لأجل السلام، بإلحاح نسترحم الله. - رُحماك يا رب.

فاعضدنا، وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا بنعمتك، يا الله.

- رُحماك يا رب.

(والكاهن يصلّي بصوت خافت):

أيها الصالح الودود، نجثو لك بتواتر، ونطلب إليك أن تنظر برضى إلى سؤلنا، وتطهّر نفوسنا وأجسادنا من كل أدناس الجسد والروح، وتهبنا أن نمثل بلا دينونة ولا ملامة لدى مذبحك المقدس.

اللّهم جُدْ على المصلّين معنا بالنجاح في الحياة، والإيمان والإدراك الروحي. هبهم أن يعبدوك كل حين بخشية ومحبة، وأن يشتركوا الآن، بلا دينونة ولا ملامة، في أسرارك المقدسة. وأهلّهم على الدوام لملكوتك السماوي. (ويعلن): حتى - إذْ تحفظنا قدرتك كل حين - نرفع إليك الحَمْد، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. - آمين.

3- الدعاء الثالث: (إلى المسيح الحبر الأعظم):

(يتلوه الكاهن بصوت خافت - وتحسن تلاوته جهراً في بعض المناسبات):

يا ملك المجد، ليس أحد من المكبَّلين بالشهوات الحسية واللذات الجسدية، أهلاً أن يخدمك، أو يقترب منك، أو يقف بحضرتك[1]، لأن خدمتك جليلة ورهيبة، حتى لدى القوى السماويين أنفسهم، لكن، لمحبتك للبشر الخارقة، المعجزة، قد صرت إنساناً بلا تغيّر ولا تحوّل، وغدوت (الحبر الأعظم لنا). وقد سلّمت إلينا هذه الذبيحة الكهنوتية اللاّدموية، بما أنك رب العالمين. فإنك أنت وحدك، أيها الرب إلهنا، سيد السماوات والأرض؛ يا رب السروفين[2] المستوي على عرش من الكروبين، أيها القدوس وحدك المستريح بين القديسين.

---

1) في اليونانية الصدارة في آخر الكَلام، بينما هي في العربية في أوّله، لذلك اقتضى البيان قلب الأفعال.

2) أسقطنا كلمة "ملك إسرائيل" لأنه لا محل لإسرائيل - على الحقيقة أو على المجاز - بين السروفين والكروبين. فهي من الإسرائيليّات المدسوسة.

فيا أيها الصالح السميع وحدك، إليك أتضرّع، فانظر إليَّ أنا عبدك الخاطئ الحقير، وطهّر نفسي ولُبّي من كل نيّة سوء. وبقدرة روحك القدوس، اجعلني أنا الممسوح بنعمة الكهنوت، كفؤاً بأن أقف لدى مائدتك المقدسة هذه، وأُقرِّب جسدك الطاهر القُدّسي ودمك الكريم.

فإني إليك أتقدم مُطأطئ الرأس، وإليك أتوسَّل ألاّ تصرف عني وجهك، ولا ترذلني من بين بنيك. بل ارتضِ بأن يُقدِّم لك عبدُك الخاطئ الذليل، هذه القرابين. فإنك أنت المُقرِّب والمُقرَّب، القابل والواهب أيها المسيح إلهنا.

وإليك نرفع الحَمْد، وإلى أبيك الأزلي، وروحك القدوس الصالح والمُحيي، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. - آمين.

(ثم يسجد الكاهن أمام المذبح ثلاثاً، ويُبخّر الهيكل والشعب، وهو يتلو المزمور الخمسين، وينتهي إلى مائدة التقدمة، فيسجد ثلاثاً وهو يقول: اللّهم اغفر لي أنا الخاطئ وارحمني. ثم يحمل القرابين ويطوف بها وهو يقول):

جميعكم يذكر[1] الرب الإله في ملكوته كل حين، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

(في ختام الطواف، من على درج الباب الملوكي، يكررها[2] وهو متجه إلى الشعب).

(وفي تلك الأثناء ينشد المرنِّم أو الخورص النشيد الكروبي):

أيها الممثلون سرياً الكروبين، والمرنّمون بالنشيد القدسي الثلاثي للثالوث المُحيي، فلنطرح عنا كل اهتمام دنيوي، لنستقبل ملك المجد.

---

1) يحسن في العربية نقل الفعل من صيغة الإنشاء إلى صيغة الخبر.

2) جرت العادة أن يبارك الكاهن الشعب بالقرابين المنقولة. وهذا خطأ قبل تقديسها.

(هنا يجري الطواف بالقرابين):

تحفُّ به الطغمات الملائكية على حال غير منظور. الحمدلله، الحمدلله، الحمدلله.

الجزء الثاني: تقديس القربان:

(يتألف هذا الجزء من ثلاثة أدعية، الثالث منها أي الأنفورة مثلث بدوره).

1- تقدمة القرابين قبل تقديسها:

لنتمّ دعاءَنا إلى الله. - رُحماك يا رب.

لأجل هذه القرابين الكريمة الموضوعة[1] أمامه، نسترحم الله

- رُحماك يا رب.

فاعضدنا،[2] وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا بنعمتك، يا الله

- رُحماك يا رب.

نهاراً بأجمعه كاملاً مقدساً سلامياً بلا[3] خطيئة، نسأل الله.

- عطفك يا رب.

ملاك سلام مرشداً أميناً، حافظاً نفوسنا وأجسادنا، نسأل الله.

- عطفك يا رب.

المسامحة بآثامنا[4]، وغفران ذنوبنا، نسأل الله.- عطفك يا رب.

الخيرات والصالحات[5] لنفوسنا، والسلام للعالم، نسأل الله.

- عطفك يا رب.

---

1) الترجمة الدارجة "المُقدَّمة" عليها شبهة أن القرابين قد تقدَّست، وهذا لم يحصل بعد.

2) أسقطنا طلبتين لأنهما من مخلفات قسمة القداس إلى ليتورجيا الموعوظين وليتورجيا المؤمنين.

3) الترجمة الدارجة تقول "وبلا": هذا أسلوب غير عربي أن نعطف فقط آخر صفة.

4) الترجمة الشائعة تقول: "خطايانا"؛ والخطيئة قد تكون إثماً (أي كبيرة) أو ذنباً (أي صغيرة) فاقتضى التصحيح.

5) الترجمة الشائعة تقول: "الخيرات الموافقة"؛ وفيها خطآن: الأول مخالفة النص وهو "الصالحات"؛ ثانياً تحويل الاسم الثاني إلى هذه الصفة "الموافقة" تجعله من لغو الكلام: فهل نسأل خيرات غير موافقة، أو يستجيب الله بخيرات غير موافقة؟

تتمة الزمن الباقي من حياتنا في السلام والتوبة، نسأل الله[1].

- عطفك يا رب.

آخرة لحياتنا مسيحية، سلامية، بلا وجع، بلا خزي، وجواباً جميلاً لدى منبر المسيح الرهيب، نسأل الله. - عطفك يا رب.

بشفاعة سيّدتنا مريم القديسة، الكاملة، بلا عيب، الكريمة المجيدة والدة الإله البتول دائماً، وبشفاعة جميع القديسين، نُودع نحن ذواتنا وبعضنا بعضاً وحياتنا لدى المسيح الإله. - لديك يا رب.

(صلاة التقدمة قبل التقديس):

أيها الإله السيد القدير، القدوس وحدك، القابل ذبيحة الحَمْد من الداعين إليك بكل قلوبهم، تقبَّل أيضاً منا نحن الخاطئين دعاءَنا المرفوع[2] لدى مذبحك المقدس؛ واجعلنا أكفّاء بأن نقدم لك قرابين، وذبائح روحية، عن خطايانا وعن جهالات الشعب؛ وأهّلنا أن ننال حظوة في عينيك؛ فتكون ذبيحتنا راضية مرضيّة لديك؛ ويستقر روحك الصالح بنعمته علينا، وعلى هذه القرابين الموضوعة، وعلى شعبك كله.

(الإعلان):

برأفات ابنك الوحيد. فإن لك الحَمْد، معه، ومع روحك القدوس الصالح والمُحيي، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. - آمين.

2- إعلان الإيمان قبل التقديس:

السلام عليكم أجمعين - وعلى روحك

لنحبَّ بعضنا بعضاً لكي نشهد[3] بعقيدة واحدة:

- (المرنّم أو الخورص): أن الآب والابن والروح القدس ثالوث في جوهر واحد لا يتجزأ.

(عند ذكر أسماء الثالوث الأقدس يسجد الكاهن والشعب ثلاثاً)[1].

---

1) سلسلة الأدعية كلها جمل اسمية، فلِمَ نخلطها بجمل فعلية، يأتي تركيبها بالعربية من سقط اللغة والبيان.

2) الترجمة الشائعة تقول: "وقدمها إلى مذبحك": الله الآب يقدّم دعاءنا إلى مذبحه: ما هذا؟

3) الأصل اليوناني يقابله بالعربية "الشهادة" لا "الاعتراف" الباهت.

(الكاهن): فلنصغِ بتقوى[2].

- (الشعب): نؤمن بإله واحد...

صلاة تقديس القرابين (الأنافورة):

(الاستهلال الثلاثي):

لنقفْ حسناً! لنقفْ بخشية! لنصغِ حتى نُقرِّب القربان الأقدس للسلام.

- رحمة للسلام! ذبيحة للحَمْد[3]!

نعمة ربنا يسوع المسيح، ومحبة الله الآب، والشراكة في الروح القدس، تكون معكم أجمعين. - ومع روحك.

فلنرفعْ قلوبنا إلى العُلى.

- ها هي لدى الرب.

ولنشكرنَّ الله.

- (المرنِّم) حقٌ وواجب.(وإذا تلا الكاهن الصلاة الآتية سراً، يُضيف المرنِّم) أن نسجد للآب والابن والروح القدس، الثالوث في جوهر واحد لا يتجزأ.

(الفرع الأول):

(الكاهن): أجل حق وواجب أن نسبّحك، ونبارك لك، ونحمدك، ونشكرك، ونسجد لك في كل مواضع جبروتك. فإنك أنت الإله اللاّموصوف، اللاّمدرَك، المحجوب، السامي، الواجب الوجود، الحيّ القيّوم، أنت وابنك الوحيد، وروحك القدوس.

أنت برأتنا من العدم إلى الوجود، ولّما سقطنا أنت أقمتنا أيضاً. ومازلت تعمل كل شيء حتى أصعدتنا إلى السماء، وأنعمت علينا

---

1) النص الدارج يقرن السجود بهذه الآية: "أحييك يا رب، يا قوتي، الرب ثباتي وملجأي ومنقذي" ــ وهذا تحويل من إعلان الشهادة المسيحية الكبرى، المقرونة بالسجود، إلى صلاة شخصية، وهو حشو نافر.

2) أسقطنا: "الأبواب الأبواب" فقد مضى زمن التقية.

3) الإضافة اليونانية لا تقتصر مثل العربية على المضاف إليه، بل تستوعب المفعول والموضوع والصفة والهدف.

بملكوتك العتيد. فعلى هذه النعم كلها نشكرك، أنت وابنك الوحيد وروحك القدوس؛ وعلى كل أفضالك علينا، المعروفة والمجهولة، الظاهرة والخفية.

نشكرك أيضاً على هذه الليتورجيا التي ارتضيت أن تقبلها من أيدينا، أنت الذي يقف بحضرته آلاف من رؤساء الملائكة، وربوات من الملائكة، والكروبون والسروفون ذوو الأجنحة الستة، والعيون الكثيرة، محلّقين وهاتفين.

(ويعلن): وهم يرنّمون نشيد الظَفر، هاتفين وصارخين وقائلين:

- (المرنِّم) قدّوس! قدّوس! قدّوس: الله الصَمَد. السماء ملأى والأرض من مجدك! هوشعنا[1] مِن الأعالي! مبارك الآتي باسم الرب! هوشعنا مِن الأعالي!

(الفرع الثاني):

(والكاهن يكمّل):

أيها الرب الودود، نحن أيضاً نهتف مع هؤلاء القوى السعيدة، ونقول: قدّوس، قدّوس كلّك، أنت وابنك الوحيد وروحك القدس! قدّوس قدّوس كلّك، وعظيم جلال مجدك، أنت الذي أحبَّ عالمه حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به بل تكون له الحياة الأبدية.

هو الذي أتى وأكمل تدبير أمرنا كله. وفي الليلة التي أُسلِم فيها، بل بالحري أَسلَم ذاته لأجل حياة العالم، أخذ خبزاً بيديه المقدّستين الكريمتين بلا عيب، فشكر وبارك (+) وقدّس وكَسَرَ وأعطى تلاميذه الرسل القديسين، قائلاً:

(يعلن بصوت جهير خاشع):

خذوا، كلوا هذا هو جسدي المكسور عنكم لمغفرة الخطايا. (النص القديم) - آمين.

---

[1] أي خلّصنا. لذلك لا نقول "في الأعالي"، بل "مِن".

(بصوت خافت) وكذلك الكأس من بعد العشاء قائلاً:
(يعلن بصوت جهير خاشع):

اشربوا من هذا كلكم، هذا هو دمي، دم العهد الجديد، المهراق عنكم وعن كثيرين لمغفرة الخطايا. - آمين.

(الفرع الثالث): تقدمة الذبيحة والأفكار:
(التقدمة العامة العلنية):

ونحن إذ نُقيم ذكرى وصية المخلّص، وكل ما جرى لأجلنا: الصلب والقبر والقيامة في اليوم الثالث، والصعود إلى السماوات، والجلوس عن الميامن، والرجوع المجيد.

(والكاهن يرفع الصينية والكأس بشكل صليب ويُعلن):
ما لك، مما لك، نُقرِّبه لك، عن الكل، ولأجل الكل.
- (المرنِّم) لك نُسبِّح، لك نبارك، لك نشكر، يا رب؛ وإليك نطلب يا إلهنا.
(على كل دعاء يسجد الكاهن والشعب أي ثلاثاً).[1]

(التقدمة الأولى السريّة لأجل المشتركين في الذبيحة):

نُقرِّب لك أيضاً هذه الضحيّة الروحية اللاّدموية، ونبتهل وندعو ونضرع، فأرسل روحك القدّوس علينا وعلى هذه القرابين المُقدَّمة.
واجعل (وأظهر) هذا الخبز المقدّس جسد مسيحك الكريم (+)
- آمين
وما في هذه الكأس دم مسيحك الكريم (+) - آمين
فقد حوّلتهما بروحك القدّوس (+) - آمين (ثلاثاً)

لكي يكونا للمتناولين منهما شركة في الروح القدس،[2] **لعفاف**

1) هنا في الأصل يقول الكاهن وهو يسجد (اللّهم اغفر لي أنا الخاطئ وارحمني)، وهذا تحويل عن هدف السجود وأغراض تقدمة الذبيحة، فمِنَ الأصحّ إهماله.
2) هذا مفعول المناولة الأولى نُقدّمه، ولا نفرقه في المفاعيل الدنيا المنبثقة منه.

النفس، لغفران الخطايا، لاكتمال ملكوت الله فينا، للدالة لديك، لا لدينونة أو قضاء علينا.

(التقدمة الثانية السريّة لأجل المتوفّين):

نُقرِّب لك أيضاً هذه العبادة الروحية لأجل المتوفين على الإيمان، الأجداد والآباء والرؤساء والأنبياء، والرسل والدعاة والإنجيليين والشهداء والمعترفين والنسّاك، وكل روح صديق توفي على الإيمان.

(ويعلن مُبَخّراً): خصوصاً القديسة مريم الكاملة، بلا عيب، ذات كل كرامة ومجد، والدة الإله البتول على الدوام.

- (المرنِّم): إنه لواجب حقاً أن نغبطك، يا والدة الإله الجزيلة الغبطة دائماً، والمنزَّهة عن كل عيب، وأم إلهنا. يا مَن هي أكرم من الكروبين، وأمجد بلا قياس من السروفين، يا مَن ولدت، وهي بتول[1]، الله الكلمة، إنك حقاً والدة الإله إياكِ نُعظِّم.

(والكاهن يُكمل): ولأجل الرسل القديسين المجيدين الأكرمين، ولأجل القديس، النبي السابق، يوحنا المعمدان[2]؛ ولأجل جميع قديسيك. فافتقِدنا اللّهم بتضرعاتهم.

(التقدمة الثالثة السريّة لأجل الأحياء):[3]

نُقرِّب لك أيضاً هذه الضحية الروحية لأجل المسكونة ولأجل الكنيسة المقدسة الكاثوليكية الرسولية؛ ولأجل السالكين في البتولية والسيرة الفضلى؛ ولأجل الرئيس والحكومة والجيش،[4] فأعطهم يا رب عهد سلام، ونقضي نحن أيضاً في أمنهم حياة طمأنينة ودعة، بكل تقوى وكرامة.

---

1) الترجمة الجديدة تقول: "يا مَن ولدت الله الكلمة ولبثت بتولاً". وهذا يتعارض مع الأصل، ويجعل الأساسي، أي ولادة الله الكلمة، ثانوياً؛ والثانوي، أي حال البتولية، أساسياً بالتركيز عليه في ختام الجملة.

2) الأصل الموروث عن رهبان القرون الوسطى يقدم المعمدان على الرسل، وهذا خلاف الإنجيل والوحي، لأن الكنيسة مؤسسة على الرسل (رؤيا 14: 21).

3) النص هنا يمزج التقدمات والتذكارات، والأصحّ تمييزها.

4) الأصل يفترض الدولة مسيحية فيقول: "ملوكنا المؤمنين مُحبّي المسيح" فآثرنا الترجمة الموضوعة.

نتضرَّع أيضاً إليك:

1- (ذِكْر الموتى): فاذكر جميع الراقدين على رجاء القيامة للحياة الأبدية.(هنا يذكر من يشاء من الأموات...وارحمهم يا إلهنا حيث يشرق نور وجهك.

2- (ذِكْر السلطة الدينية): واذكر، يا رب، جميع الأساقفة المفصّلين بإحكام كلمة حقك، وجميع الكهنة، وكل الشمامسة خدام الرب، وسائر الإكليروس.

(ويعلن): واذكر، يا رب، في الطليعة، الحبر الروماني البابا (+)، وبطريركنا (+) ورئيس كهنتنا (+). وأنعم على كنائسك المقدسة أن يعيشوا في سلام، أصحّاء، مكرَّمين، معافَيْن، طويلي العمر، مفصِّلين بإحكام كلمة حقّك. - لسنين عديدة.

(ويعلن أيضاً): والخاطرين على فكر كل واحد من الحاضرين.

- جميعَهم وجميعهنّ.

3- (ذِكْر فئات الأحياء): واذكر، يا رب، البلدة التي نحن فيها مقيمون وكل مدينة وقرية، والقاطنين فيها من المؤمنين.

اذكر، يا رب، المسافرين والمرضى، والكادحين والأسرى[1].

اذكر، يا رب، المتبرِّعين والمحسنين إلى كنائسك المقدسة، والمتصدّقين على المساكين.

(هنا يذكر من يشاء من الأحياء.ويختم): وأسبغ مراحمك علينا أجمعين.

(إعلان الأنفورة كلها): وأعطنا أن نحمد ونسبِّح بقلب واحد وفمٍ واحد اسمَك الأكرم والأعظم[2]، اسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. - آمين.

(ويبارك الشعب): مراحم إلهنا العظيم ومخلّصنا يسوع المسيح تكون معكم أجمعين. - ومع روحك.

---

1) هنا إضافة "وهب لهم الخلاص" لا داعي لها، وينفردون بها عن غيرهم، فتقطع السياق.

2) هنا تفوت الترجمات كلها صيغة التفضيل في اليونانية؛ وهي تتضمَّن الجواب على الاسم الأعظم في كل كلام، إن الاسم الأعظم والأكرم هو اسم الثالوث الأقدس.

الجزء الثالث: تناول القربان:

1- **الدعاء الأول:**

بشفاعة جميع القديسين، لأجل السلام بإلحاح، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

لأجل هذه القرابين المُقدَّمة والمقدسة، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

كيما إلهنا الودود الذي اقتبَلها على مذبحه القدسي السماوي العقلي، كَعُرف طيّب روحي، يرسل لنا بواسطتها النعمة الإلهية وهبة الروح القدس؛ نسترحم الله. - رُحماك يا رب.

لأجل نجاتنا من كل ضيق ورجز وخطر وشدّة، نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

فاعضدنا، وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا بنعمتك، يا الله.

- رُحماك يا رب.

الوحدة في الإيمان والشركة في الروح القدس نسأل؛ ونودِع نحن ذواتنا وبعضنا بعضاً وحياتنا كلها لدى المسيح الإله.

- لديك يا رب.

(والكاهن يصلّي بصوت خافت[1]):

أيها السيد الودود إياك نودِع كل حياتنا ورجائنا؛ وإليك نبتهل ونطلب ونتضرَّع، فأهّلنا أن نتناول بضمائر نقيّة أسرارك السماوية الرهيبة، من هذه المائدة المقدسة الروحية، للشركة في الروح القدس، والصفح عن الآثام، وغفران الذنوب وميراث ملكوت السماوات، والدالة لديك، لا لدينونة أو قضاء علينا.

(ويعلن):

وأهّلنا، أيها السيد، أن نجسر بدالة وبلا مؤاخذة، فندعوك أباً، أنت الإلهي السماوي، ونقول: (النص القديم)

---

1) في بعض المناسبات أو الأماكن بصوت جهوري.

- (الشعب): أبانا الذي في السماوات، تقدَّس اسمك، أتى ملكوتك، تمَّت مشيئتك، على الأرض كما في السماء. أعطنا خبزنا كفاف يومنا، واغفر لنا ذنوبنا. فإنّا نحن أيضاً نغفر للمذنبين إلينا، ولا تدخلنا في تجربة، لكن نجِّنا من الشرير.

(والكاهن يعلن): لأن لك المُلك والقدرة والمجد، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

2- الدعاء الثاني:

السلام عليكم أجمعين. - وعلى روحك.

احنوا رؤوسكم للرب. - لك يا رب.

(والكاهن يصلّي بصوت خافت):[1]

نشكرك، أيها الملك المحجوب، الذي بقدرته الشاملة أبدع الكائنات جميعها، وبرحمته الواسعة فطرها من العدم إلى الوجود. فأنت أيها السيد اطّلع من السماء على المُطأطئين هاماتهم بحضرتك، لأنهم لم يحنوها للحم ودم، بل لك أنت الإله الرهيب. فأنت أيها السيد وزِّع هذه القرابين علينا أجمعين، لخير كل واحد منّا بحسب حاجته الخاصة. فرافق المسافرين في البحر، وسِرْ مع السائرين في البرّ، وقُدِ الطائرين في الجو، واشفِ المرضى، يا طبيب النفوس والأجساد.

(ويعلن):

بنعمة ورأفة ومودة ابنك الوحيد، الذي معه لك نبارك ولروحك القدوس الصالح المُحيي، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

---

1) في بعض المناسبات أو الأماكن بصوت جهوري.

3- الدعاء الثالث: (وهو مثلث[1]):

1) **(الكاهن يصلّي): أيها الرب يسوع المسيح إلهنا، أصْغِ من مسكنك القدسي ومن عرش مجدك وسلطانك. وهلمّ لتقديسنا[2] أيها الجالس مع الآب في الأعالي، والحاضر معنا ههنا محجوباً. وارتضيت أن تشركنا، نحن بيدك العزيزة، والشعب كله بواسطتنا، في جسدك الزكيّ ودمك الكريم.**

(ثلاثة طقوس إعدادية):

1. **رفع القربان: (الكاهن يسجد ثلاثاً وهو يقول سراً):**
اللهمّ اغفر لي أنا الخاطئ وارحمني.

(ثم يعلن): فلنصْغِ.

(يرفع الخبز المقدس معلناً): الأقداس للقديسين!

- (المرنّم): القدوس واحد، والرب واحد، وهو يسوع المسيح في مجد الله الآب. آمين.

2. **تقسيم القربان: (الكاهن يقسم الجزء الأكبر أربعاً وهو يقول):**
يُجزأ ويقسم حمل الله الذي ينقسم ولا يتجزأ؛ ويؤكل كل حين، ولا ينفد أبداً، بل يقدِّس المتناولين منه.

3. **مزج القرابين: (يأخذ الكاهن الجزء الأعلى، ويرسم به صليباً على الكأس، ويضعه فيها وهو يقول): كمال الإيمان، في الروح القدس.**
(ثم يبارك الماء الحار ويسكبه في الكأس على هيئة صليب، وهو يقول سراً):
حرارة الإيمان ملأى من الروح القدس.

(وبينما ينشد المرنِّم نشيد الشركة اليومي، يكمّل الكاهن دعاء المناولة).

---

1) كما جرى تقديس القرابين أثناء دعاء ثلاثي، يجري تناولها أثناء دعاء ثلاثي، مع أعمال اعتراضية إعدادية وتكميلية.

2) لاحظ التصدير "لتقديسنا" الذي يأتي جوابه في الإعلان: "لأنك أنت تقديسنا". وهذا يؤلف وحدة الدعاء.

2) **أنـا أؤمـن يـا رب وأشـهد أنـك أنـت بالحقيقـة المسـيح ابـن الله الحـي، الذي نزل إلى العالم ليخلِّص الخطأة الذين أوّلهم أنا. وأؤمن أيضاً أن هذا هو جسدك الزكي ودمك الكريم.**

فأطلب إليك أن ارحمني وتجاوز عمّا زللت به عمداً أو سهواً، بالفعل أو بالقول أو بالفكر أو بالإهمال، عن معرفة أو عن جهل مني، وأهّلني أن أشترك بلا دينونة في أسرارك الإلهية، لغفران الخطايا وللحياة الأبدية.

فيا ابن الله، اقبلني اليوم شريكاً في عشائك السريّ[1]، فإني لا أُقبّلك قبلة يهوذا، بل كاللص أشهد لك: اذكرني يا رب في ملكوتك.

(ثلاثة أعمال تكميلية):

1. **مناولة الكاهن: (يأخذ الكاهن جزءاً من القربان وهو يقول):**

جسـد ربنـا وإلهنـا ومخلّصـنا يسـوع المسـيح يُعطـى لي أنـا الكـاهن لغفران خطاياي وللحياة الأبدية.

(ثم يأخذ الكأس فيتناول منها ثلاث جرعات وهو يقول):

دم ربنا وإلهنا ومخلّصنا يسوع المسيح يُعطى لي أنا الكاهن لمغفرة خطاياي وللحياة الأبدية.

2. **مناولة الشعب:**

(يأخذ الكاهن الصينية والكأس، فيرفعهما ويتوجه نحو الشعب قائلاً):

بخشية الله وإيمان ومحبة تقدّموا[2].

- (المرنِّم): آمين! آمين! آمين! مبارك الآتي باسم الرب! فالرب هو الله ظهر لنا.

(وإذا وُجد متقربون يقول أيضاً نشيد التقرّب): يا ابن الله، اقبلني اليوم شريكاً في عشائك السري، فإني لا أُقبِّلك قبلة يهوذا، بل كاللص أشهد لك: اذكرني يا رب في ملكوتك.

---

1) هنا أسقطنا: "فإني لا أبوح بسرِّك لأعدائك" لأن زمن التقية قد مضى.

2) هذه هي الشروط الثلاثة المفروضة في المتقرِّب.

(والكاهن يناول كل واحد يتقرَّب وهو يقول):

عبـدالله (أمَـة الله) يتنـاول جسـد ودم ربنـا وإلهنـا ومخلّصـنا يسـوع المسيح، الكريم والمقدس، لغفران خطاياه وللحياة الأبدية.آمين.

(والكاهن يختم المناولة وهو يبارك الشعب قائلاً):

يا الله خلّص شعبك، وبارك ميراثك.

- (المـرنِّم): لقـد نظرنـا النـور الحقيقـي! وأخـذنا الـروح السـماوي، ووجدنا الإيمـان القـويم، فلنسـجد للثـالوث القـدوس غـير المتجـزّئ لأنـه خلَّصنا.

3. <u>نقل القرابين إلى المائدة الصغرى:</u>

(يحمل الكاهن القرابين وهو يقول سرّاً):

ارتفع اللّهم على السماوات! مجدك على الأرض كلها!

(ثم ينقلها إلى المائدة الصغرى وهو يختم معلناً):

الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور. - آمين.

(إذا كان ناقل القرابين سيكمل تناولها يقول سرّاً):

تبارك الله إلهنا[1]، (ثم يعلن):

3) (نهاية الدعاء الثالث، شكراً على المناولة):

(يعلن الكاهن):

قفوا، أيها الذين اشتركوا في أسرار المسيح المقدسة السَنِيّة الرهيبة السماوية الخالدة الإلهية، لنشكر شكراً لائقاً الله. - رُحماك يا رب.

فاعضدنا، وخلّصنا، وارحمنا، واحفظنا بنعمتك يا الله.

- رُحماك يا رب.

---

1) من سياق الترتيب الظاهر أعلاه، وبسبب التصريح بين "هلم لتقديسنا... لأنك أنت تقديسنا" نرى أن كلمة (تبارك الله إلهنا) لا تقال بصوت عال، لأنها فاتحة صلاة، وليس الآن فاتحة صلاة ولأن الدعاء الثالث الذي نحن فيه لا يُختم إلاّ بالإعلان الآتي. فكلمة "تبارك الله إلهنا" يقولها من يُتلمذ القرابين لأنها فاتحة صلاة التلمذة، في هذه الأثناء، أو بعد القداس.

نهاراً بأجمعه كاملاً مقدساً سلامياً بلا خطيئة نسأل، ونُودع نحن ذواتنا وبعضنا بعضاً وحياتنا كلها لدى المسيح الإله.

- لديك يا رب

(الكاهن يصلّي بصوت خافت):[1]

أيها السيد المُحبّ للبشر، المُحسِن إلى نفوسنا، نشكرك لأنك أهّلتنا في هذا اليوم أيضاً للاشتراك في أسرارك السماوية الخالدة. فأنت قوِّم طريقنا، ثبّتنا في خشيتك، صُنْ حياتنا، وطِّد خطواتنا، بصلوات وتضرّعات القديسة مريم المجيدة والدة الإله البتول على الدوام، وجميع قديسيك.

(ويعلن):

لأنك أنت تقديسنا وإليك نرفع الحَمْد، أيها الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

القسم الثالث: خاتمة القداس الثلاثية:

1- (الحل الأول). (يعلن الكاهن): لننطلق بسلام.

- رُحماك يا رب.

2- (الحل الثاني): (يتلوه الكاهن أمام أيقونة السيد بصوت جهير):

يا رب، يا مبارك مباركيك، ومقدِّس قاصديك. خلّص شعبك، وبارك ميراثك! احفظ ملء كنيستك وقدّس المُحبّين جمال بيتك، أنت عوّضهم عن ذلك مجداً بقدرتك. ولا تهملنا نحن المتوكّلين عليك.

هَبْ السلام لعالمك، ولكنائسك، ولكهنتك؛ وللرئيس (المليك)، والحكومة والجيش، ولكل شعبك.

فإن كل عطية صالحة، وكل هبة كاملة، تنزل من العلاء، من لدنك

---

1) الأصحّ بصوت جهوري.

يا أبا الأنوار. وإليك نرفع الحَمْد والشكر والسجود، أيها الآب والابن والروح القدس، الآن وعلى الدوام وإلى دهور الدهور.

- آمين.

ليكن اسم الرب مباركاً

- (الحَمْد لاسم الله) منذ الآن وإلى الدهر. (ثلاثاً)

3- **(الحل الثالث): (من الباب الملوكي):**

(يعلن الكاهن): نسترحم الله.

- رُحماك يا رب.

(الكاهن): بركة الرب ورحمته تنزلان عليكم بنعمته ومودته، كل حين.

- آمين.

(الكاهن): الحَمْد لك، أيها المسيح إلهنا ورجاؤنا، الحَمْد لك.

(القارئ): المجد للآب... رُحماك يا رب (ثلاثاً). باسم الرب بارك، أيها الأب القديس.

(الكاهن): رَحَمْنا المسيح إلهنا الحقيقي (الذي...) وخلّصَنا بشفاعة أمّه الكاملة القداسة والكليّة النقاوة، والرسل القديسين المجيدين الأكرمين، وأبينا في القديسين يوحنا الفم الذهبي، والقديس (+) شفيع هذه الكنيسة المقدسة، والقديس (+) الذي نُحيي ذكره اليوم، والقديسَين الصديقَين جدَّي الإله، يواكيم وحنّة، وجميع القديسين، بما أنه الصالح والمُحبّ البشر.

(وإذا وُجِد كهنة يقولون، وهم منطلقون): أيها الرب يسوع إلهنا، بصلوات آبائنا القديسين، ارحمنا وخلّصنا، آمين.

الفصل التاسع

شهادات

في الأسابيع الأخيرة من عام 2014، إذ كنت أعدّ لوضع هذا الكتاب – الشهادة حول أسرة الرعية، كتبت رسالة لجميع أفرادها، القدامى والحاليين، أسألهم فيها شهادتهم حول ما عاشوا فيها، مساهمة منهم هامة فيه.

قلّة هي التي أجابت، ولكن في إجابتهم غنى.

هذه الشهادات، يضمها هذا الفصل الأخير من الكتاب. وإني لأوردها بحرفيّتها، وفق ورودها الزمني.

أما ختام هذا الكتاب، فإني أخصّ به صلاة رائعة، كتبها ذات يوم من عام (؟؟؟؟)، أحد أبرز عناصرها وأكثرهم حباً للإنسان، أعني به ابني وصديقي جميل حتمل.

رسالة إلى عناصر سابقة في أسرة الرعية الجامعية

« أحبائي،

قد تفاجئكم كلمتي اليوم، كما فاجأتكم أحياناً بعض كلماتي في السابق.

كلكم تعرفون أن أسرة الرعية الجامعية نشأت في دمشق، في عام 1968، وهي تواصل عملها إلى اليوم.

كلكم تعرفون أيضاً أنها كانت مشروعاً مسيحياً، عربياً، جديداً.

وقد ساهم كل منكم، بصورة أو بأخرى، في نشوئها وتطورها وحضورها.

وليس منكم من لا يعرف ما تركت فيه أيضاً من تأثير.

وقد رأيت، بعد تأمّل طويل، من الضروري أن نشارك كلنا في كتابة "قصة أسرة الرعية الجامعية". فقد يكون فيها مصدر إلهام وتطلّع لمن سيواجهون قريباً جداً، الظروف الاستثنائية الجديدة، المفروضة على بلداننا العربية عامة، وعلى حضورنا المسيحي خاصة.

أرجو ألا يقول أحد منكم: أنا لا أعرف الكتابة... إن لي فيها خبرة محدودة جداً... أنا لم أعرف الكثير عنها... أسرة الرعية باتت من الماضي البعيد... وغيرها من الذرائع التي تسهّل عليكم التنصّل من الكتابة.

دعوني أسألكم سؤالاً واحداً!

أنتَ أو أنتِ... هل كان لكما أن تكونا اليوم على ما أنتما عليه، لولا أسرة الرعية الجامعية؟

أرجو إذن أن تكتبا، ببساطة، بصدق، بعفوية... وقد يكون في ما اختزنت ذاكرة كل منكم، من حوادث وطرائف ومواقف، ما يُغني شهادتكم عن الحديث الطويل...

وتسهيلاً لكم في مهمّتكم هذه، أطرح عليكم فقط هذه الأسئلة البسيطة:

1- كيف تعرفت إلى أسرة الرعية الجامعية؟
2- ما الذي ثبّتك فيها؟
3- ما الذي حملته منها، إنّ في نظرتك إلى الله، أو إلى ذاتك، أو بشأن الحضور المسيحي في البلدان العربية عامة، وفي سورية خاصة؟

أحبائي،

أرجو ألاّ تهملوا مطلبي.

وإني، بانتظار إجاباتكم، أهديكم محبتي، وأسألكم الدعاء.

أخوكم

الأب الياس زحلاوي »

1) **جوزيف تيان**

كانت هذه الشهادة في طليعة ما وصلني من شهادات، مع أن كاتبها لم يكن يوماً من أفراد الأسرة. إلا أني رأيت أن أوردها في مكانها هذا، لأهمية ما تنطوي عليه من فكر عربي مسيحي أصيل، إنْ بالنسبة إلى الماضي، أو الحاضر أو المستقبل، مع أن كاتبها غادر سورية منذ أكثر من ثلاثين سنة إلى فرنسا! ولسوف يكتشف القارئ أنّ صديقي الغالي هذا جوزيف تيان، لم يغادر يوماً ذاته في عمق انتمائه العربي المسيحي، ولن يغادر. إقرأوا إذن ما كتب، بلغته الفرنسية الجميلة، من وحي ذاته العربية الأصيلة. وإني لمترجم ما كتب بكل أمانة.

« أبتِ العزيز،

أطلَعني بعض الأصدقاء السوريين على الرسالة التي وجّهتها لبعض الأفراد من الحركة الجامعية التي أطلقتها وقُدْتها منذ عام 1968، مع أني لم أكن سوى زائر للرعية الجامعية في بعض نشاطاتها. فإني أنتهز هذه الفرصة كي أوجّه لك عبر هذه الأسطر، شهادة شخصية حول ما أحدثه هذا التيار الجديد في كنيستنا الدمشقية، ولكي أُجدّد لك بهذه المناسبة كل الاحترام والتقدير الذين أحملهما نحوك منذ أكثر من ثلاثين سنة. بالطبع، لم يكن لي أي دور، داخل "الرعية". إنّ أصدقائي الذين نشطوا فيها وتحمّلوا بعض المسؤوليات فيها إلى جانبك، سيتقنون أكثر مني الإدلاء بشهادتهم. فأرجو أن تتقبَّل كلماتي بسعة صدر كبيرة.

لم أعد أذكر بوضوح كيف التقيت "الرعية" في المرة الأولى. كنت أسكن في حيّ "أبو رمانة"، إذن بعيداً عن حيّ القصور. فكنت أشارك في نشاطات الرعية الأقرب إلى منزل أهلي، كما درجت على فعله في حياتي كلها. إنّ "الصراع بين الكنائس" لم يغْرِنِي يوماً، إذ كانت كل كنيسة في نظري، هي كنيسة المسيح. كانت هناك كنيستان بجوار بيت أهلي، هما كنيسة القديس يوحنا الدمشقي والكنيسة اللاتينية. وهنا كنت "ألتقي" المسيح.

إن اكتشافي "للرعية" كان يعود بالتأكيد إلى ما كانت عظاتك تحدثه في جماهير المؤمنين. أذكر أنّ الكثيرين في مختلف الأوساط المسيحية يتحدثون كثيراً، بل بصورة متزايدة، عن هذا الكاهن الثائر، المجدِّد، الشجاع، المطلق، غير التقليدي، الذي كانت عظاته تهدف إلى إحداث يقظة في إيمان جماعتنا الفاتر. وبدافع الفضول أولاً، أتيت لأحضر القداس في رعيتك. ولكن ما عتمت أن أصبحت بسرعة مؤمناً بين مؤمنيك، كلما كان يتاح لي ذلك.

الأب العزيز،

إنّ رسالتك كانت تستجيب لطلب قسم واسع من الشبيبة المسيحية في تلك الفترة. فقد كنا نشعر – مراهقين وفتياناً بالغين – أنّا منقطعون عن كنيستنا. فالإكليروس من جهة، المجمَّد والسطحي والمنقطع عن الواقع، والقداس، من جهة ثانية، الخالي من الحياة والمعنى، والأشبه بالعمل المسرحي، كل ذلك ما كان يتيح لنا أن نكون حقاً "حاضرين" في ذبيحة الرب. وكانت إقامة القداس مملّة وتقليدية. وكانت الكنيسة أشبه بصالون دنيوي فخم، حيث يلتقي الناس يوم الأحد، وحيث كان حضور المسيح ثانوياً. والكهنة كانوا بمعظمهم – ربما في غير حق – لا يحظون بثقة الناس، وكان ذلك عاملاً هاماً آخر يسم تلك الفترة.

باختصار، إنّ "طريقتك" في إقامة القداس سحرتنا. وكانت عظاتك تَلقى تجاوباً في نفوسنا المتعطشة، كان "حضورك" يأسرنا، وكانت شخصيتك تجتذبنا، وكان نداؤك يتجاوب مع ما كان يقلقنا، وكنا نجد فيك راعياً حقيقياً، راعياً أصيلاً، وفي عظاتك رسالة تحملنا على التفكير، وكلمة تهزّنا.

هي المرة الأولى، التي لم يكن يُحتفل فيها بيسوع في مكان مسوَّر، مغلق وبارد. كنا نستطيع أن نلتقيه في كل مكان، أن نحتفل به في قبو أحد الأبنية.، في غرفة صغيرة في أحد البيوت، في البرية فوق العشب... وكنا نلتقيه في كل مكان يجتمع فيه مؤمنون يحتفلون باسمه القدوس، بكلمات بسيطة تلمس القلوب، وتلهب الروح.

أعتقد، يا أبت، أنّ نجاحك الأعظم كان يكمن هنا: فقد أحييت العلاقة بين الشبيبة والإيمان، وأعدت للمسيح حضوره الحيّ في حياتنا، وجمّعت الشبيبة من جديد حول الكنيسة، وأحييت الرجاء والأمل، ونفضت الغبار عن القداس. فجعلته أكثر أصالة وصدقاً.

بالطبع، قاومك رجال الإكليروس، ورفَضك أيضاً بالطبع التقليديون من رجالات الرعية. فقد وجَّهت ضربة قوية لتلك المؤسسة الجامدة والمحتضرة. إني أتذكر النقاشات الحامية داخل عائلاتنا بالذات، حيث كان الأهل التقليديون ينهالون عليك بالنقد، فيما كنا نحن شبيبة الكنيسة، ندافع عنك.

الأب العزيز،

كنتَ، ومازلت دائماً، رُكناً في كنيستنا. لست بحاجة إلى أمجاد ولا ألقاب، ولا بأولى حجة، إلى تقدير من رؤسائك. وإنّ قلوب الناس الذين عايشتهم، ذلك هو سكنك. أجل، في ذكرياتي كنتَ واحداً من النادرين جداً، الذين علّموني الإيمان الحق. كنتَ رسولاً رؤيوياً، فاتحاً الطرق، موقظاً للضمائر... مثلك مثل أنطون مقدسي، ندرة اليازجي، وبعض الآباء اليسوعيين... أجل، إني لأعترف بأن إيماني والتزامي، ما كانا ليكونا على ما هما عليه، لولاك.

مع مرور الوقت، أقول لنفسي إن "الرعية" كانت طفلك. وههنا تكمن قوتها، وأيضاً ضعفها. كنتَ تمثّلها على أروع نحو، ولكنها كانت مرتبطة بإفراط بشخصك. كنتَ الراعي، وكنا نحن القطيع. ولقد "وسمت" الكثيرين منّا، ولكن الحركة لم تستطع يوماً أن تستقلّ عنك وتتحرر منك.

ثمة ثورة أخرى أحدثتها "الرعية" فينا، وهذه غالية جداً على قلبك. إنها ثورة هويتنا المسيحية المنغرسة في المجتمع السوري. لأول مرة، كنا فخورين بحضورنا فوق هذه الأرض، أرض سورية، بوصفنا مسيحيين. كنا نتفكّر في رسالتنا، وكنا نتدارس علاقاتنا بجيراننا المسلمين، وكنا نزداد وعياً لدورنا بوصفنا مواطنين كاملي المواطنة. وهذه الهدية تتعرض اليوم من جديد للتحقير والتغييب والتهديد الخطير.

ألمس معالم هذا القلق في النداء الذي وَجَّهته لتلاميذك القدامى. لكأني بك اليوم أمام رؤيا لمستقبل قاتم يتهدّد وجودنا. وأنتَ تبحث عن طريقة لإعادة الحركة إلى جماعتك، واللحمة إلى كنيستك.

وها أنت، مرة أخرى، كما فعلت قبل عقود، تهزّ عصا ترحالك وتسلك الطريق... بحثاً عن "الطريق".

إنّ يقظتنا بوصفنا عرباً مسيحيين، كان حاسماً – وهي تعود على نحو خاص، وربما أصلاً، لك و"للرعية"، وعبرَكما...

باريس في 2014/9/12 بكل إخلاص، جوزيف تيان »

2) **سمير زهر**

إخوتي وأخواتي في الرعية الجامعية، أبي وخالي الحبيب الأب الياس زحلاوي

منذ طفولتي وأنا أسمع وأتابع نشاطات شباب وشابات الرعية الجامعية بسبب قرابتي من الأب الياس وبحُكم وجودي دائماً في منزل جدتي. فكان جميع شبان الرعية الجامعية على تواصل دائم مع جدتي، التي كانت بحُكم الوالدة والجدة لكل شبيبة في الرعية الجامعية. وفي نفس الوقت كان خالي الأب الياس يصطحبني معه في بعض الأحيان إلى المقرّ المؤقت في ذلك الحين، وهو البيت القديم في القصور قبل أن يُهدم ويُبنى مكانه كنيسة سيدة دمشق ومقرّ الرعية الجامعية الحالي. فكنت أراقب الشبيبة في أحاديثهم ونشاطاتهم، بالإضافة إلى اهتمامهم بوجودي كقريب للأب الياس، وبحُكم حشريّتي لأستطلع كل ما يدور من حولي. فمنذ ذلك الحين اتخذت بعض الشبيبة كنموذج أهتدي به في المستقبل. وكنت على حق لأنّ الغالبية العظمى من هذه الشبيبة، كان لهم شأن كبير في المجتمع، وكانوا مثالاً يحتذى به أينما وُجدوا. والجميل في الموضوع أن الكل كان يعمل لمصلحة الفرد، والفرد يعمل لمصلحة الكل. فكان المتقدِّم في الدراسة يساعد الآخرين.

وبهذه الطريقة استطاع الجميع أن يؤمّنوا فرص دراسة وعمل وتخصص للجيل التالي فكانت لي هذه التجربة مثالاً أحتذي به في السنوات التالية، سواء أثناء الدراسة الجامعية، أو في الحياة العملية، سواء في سوريا أو خارجها. انتسبت إلى الرعية الجامعية بشكل فعلي وجدّيّ سنة 1974.

واستمرّيت فيها أربعة عشر عاماً، مارست من خلالها كافة النشاطات الاجتماعية والدينية، سواء في نشاطات الرعية الجامعية أو في نشاطات المخيمات للمجموعات الأخرى، كجوقة الفرح وغيرها من المجموعات الذين كانوا يطلبون الدعم. فكان لي شرف العمل في إصلاح القاعة التي تحت الكنيسة على مدة سنة كاملة، بتحويلها من مستودع إلى مسرح وصالة جميلة وصحيّة، أعطت الفرح لكل أبناء الرعية والبلد. فمن خلال هذه الأيام اكتسبت نعمة العطاء المجاني، ونعمة الغنى الروحي. فكانت الحياة الروحية في الرعية الجامعية هي العمود الفقري لبُنية الرعية ومن خلالها. وبها كانت الحياة الاجتماعية المتميزة التي كانت تجمع الجميع تحت كلمة يسوع وتعاليمه. كان القداس مميزاً عن القداديس التقليدية التي كانت تقام في أماكن أخرى. فأصبح لكل واحد له صفة المشاركة الفكرية والتأمل في هذه القداديس، ليس فقط في الجسد الغائب عنه العقل والروح، كما يحدث أحياناً في القداديس العادية، فكانت هذه طريقة مباشرة نتحدث بها مع الله بشكل مباشر كما يتحدث الابن مع أبيه، كما علّمنا معلّمنا يسوع. علَّمتني الرعية أن أحترم وأُقدِّر طاقاتي وطاقات من حولي، لأن لكل واحد منّا كنزاً لا نهاية له، شرط أن يعرف كيف يستخرج الجواهر المدفونة به. فمن خلال الرعية الجامعية كان لي نشاط مميز، هو الاهتمام بالعجزة والمسنّين الذين علّموني وفتحوا عينيّ إلى أشياء جميلة لا يمكن إدراكها بدون هذه التجربة المميزة، والتي أدعو الجميع إلى خوضها. وأنا واثق من السعادة التي سيحصلون عليها، التي لا تُقدَّر بثمن، فهي تثقل الروح وتعطيه طاقة إيجابية لا تنفد. فمن خلال النشاطات التي كنّا نمارسها، سواء على صعيد الشبيبة أو العجزة، وكذلك النشاطات الروحية، أكسبتني تعلّقاً بأهل بلدي

وفي بلدي، على الرغم من غيابي عنها فقط جسدياً، إلاّ أنني مازلت متمسّكاً في بلدي، وأتمنى اليوم الذي أعود به وعائلتي لأتمّم بها حياتي التقاعدية وأُدفَن تحت ترابها. والجميل أنّ أولادي على الرغم من بعدهم عنها، فإنهم يعشقون هذه البلد، ويتمنّون اللحظة التي يزورونها بها. إنني على الرغم من حبّي لديني، فأنا أُحبّ ديني من خلال بلدي. فبالنسبة لي أهتمّ بابن بلدي بغضّ النظر عن انتمائه. فهو يربطني به المصير المشترك، ومصلحته هي من مصلحتي. وإني على علم بأنّ أيّ جنسية أخرى ممكن أن نحصل عليها، لا يمكن أن تُسقِط انتمائي. فدماؤنا سوريّة، وعلى الجواز الجديد سيكون مكتوباً "تولّد سورية".

هذا جزء مما أشعر به. وأردت أن أشارككم تجربتي المتواضعة. فأنصحكم أن تلتفّوا حول بعضكم على كلمة الربّ، وتكونوا سنداً لبعضكم، كما كان الجيل المؤسّس للرعية الجامعية والأجيال التالية. أنا أتفهّم صعوبة الحياة في الوقت الحالي. وإنّ كثيراً من الشبيبة لاقت حتفها بسبب معتقداتها، أو أثناء قدومهم إلى الكنائس لممارسة إيمانهم. لكني على ثقة بأننا سنتجاوز هذه المرحلة الصعبة، لأني على ثقة بأن الربّ معنا، ويعرف كم نحن مظلومون. وأنظر إلى اليوم الذي أجتمع فيه معكم لنتبادل خبراتنا ونعرف بعضنا أكثر.

مع محبتي سمير زهر

3) بشرى بشور:

فرنسا 2 كانون الثاني 2015

حفظك الرب،

أرفق برسالتي ما أسعفتني به ذاكرتي مما عشته في أسرة الرعية.

هو غيض من فيض ولكني أعتقد وآمل أن مشاركات الآخرين ستكمل وتتمّم ما أكون قد أغفلته.

تركت قلبي يحكي عني دون النظر إلى جودة الصياغة أو حتى الأخطاء الإملائية أو النحوية ربما، لذلك لك ملء الحرية أن تعدل أو حتى تحذف ما لا تجده ملائماً لروح الكتاب الذي أنت بصدد وضعه.

قرأت كتابك وأعدت قراءته بسعادة ما بعدها سعادة، لقد عانيت في قراءته كل المشاعر من حزن وفرح وفخر. صدقني أنني شعرت أنني أتعرف إليك من جديد، أنت تعرف أنني ومنذ أن تعرفت إليك أكنّ لك كل المحبة والاحترام. والآن أجد محبتي واحترامي قد ازدادا قوة، ألم أقل لك أنك نبيّ في هذا الزمن القاسي؟

لا زلنا في أجواء الميلاد ولو أن الأعياد في السنوات الأخيرة فقدت شيئاً من رونقها. ولكني كلما عصف بي الحزن أو القلق، أتذكرك وألتمس في رسائل الحنونة مريم والرب يسوع بعض السلام والطمأنينة.

كل عام وأنت بخير وأدامك الرب صوت حق وخير في بلدنا الغالي وأصلي للرب أن يحفظك ويحفظه بنعمته ورعايته.

سلامي للجميع وخاصة عمو ميشل وتانت سميرة والأحبة.

لك من طوني ومني كل السلام،

مع محبتنا وصلاتنا.

الشهادة:

"فرنسا - كانون الأول 2014

لأن عناية الربّ تفوق إدراكنا البشري، فقد ساقني للقاء الأب الياس زحلاوي حين كنت في خضمّ المتاهة.

حين اعتقدتُ أني انعتقت من قيود التعليم المسيحي والمواعظ والدروس وبدأت أتحرر من هذا "الله" الذي يلجم حريّتي ويراقب تصرفاتي متهيّئاً لمعاقبتي. خاصة أنني وفي نطاق الجامعة ومن خلال الأحاديث والنقاشات بدأت أجد المبرّرات للابتعاد عنه.

"الدين أفيون الشعوب".

"أين هو الله القادر من مصائب الشعوب والمظالم في العالم؟".

حتى أني استحقيت صفعة من أبي حين تجرأت وقلت له: إن الله غير موجود سوى في مخيّلة البشر.

التقيت وأختي ميّ الأب الياس، سمعت في نبرته رنّة مختلفة وكلاماً غير كلام الكهنة وصفاءً في العينين يدعونا بمحبة لزيارة "الرعية الجامعية" التي روى لنا عنها ببضع كلمات ما أثار فضولي، خصوصاً ما قاله عن الصلوات التي يقيمها مع الشبيبة.

خرجنا من لقائه (أختي وأنا) ونحن ننظر لبعضنا البعض وتذكّرنا خال أمي الذي كان كاهناً وتذكّرنا عندما كان يتلو الصلوات بسرعة بحيث لا يستطيع المرء أن يفهم ما يقول، أو عندما كان يمدّ لنا يده عندما يرانا كي نطبع عليها قبلة الاحترام.

أخبرنا أمي بالموضوع فبدأ الاستجواب: من هو؟ ومن هم الشبيبة؟ وطلبت منّا أن يأتي لزيارتنا مع بعض الشباب والصبايا لتتعرَّف إليهم.

شعرت بالضيق، كيف سأطلب منه ذلك كما لو أن أمي لا تثق به؟ ولكني لم أجد بدّاً من سؤاله فرغبتي في التعرّف إلى هذه التجربة كانت كبيرة وعلى الأغلب كان عندي عطش خفيّ لا أعيه.

كانت مفاجأتي بقدر سعادتي عندما أجابني: طبعاً ولها كل الحقّ وسآتي مع الشباب لزيارتكم. وهكذا كان دخلتُ أسرة الرعية الجامعية كجائع وعطشان في وليمة، كان نَهَمي للكلمة واللفتة بقدر رغبتي بأن أعطي من محبتي ومن دفع الحياة الذي كان بداخلي.

هنا لا بدّ لي أن أحكي عن الأب الياس، أعرف أنه لا يحب ذلك ولكن تجربتي وأظن أن تجربة كل مَن مرَّ بهذه "الواحة" مرتبطة بشكل مباشر بشخص وطبيعة وسيرة هذا الإنسان.

لست أدّعي أنّ الأب الياس هو الوحيد فقد وضع الربّ على دربي كهنة آخرين كانوا لي عوناً لي للنهوض ومتابعة الطريق، ولكني أؤكّد أنّ مَن مثل الأب الياس هم قِلّة.

معه أحسست ولأول مرّة أنّ هناك من يحبّني ويقدّرني دون أن يشترط أن أفكّر أو أرى الأمور كما يريد هو.

معه أخذت أكتشف وجهاً للربّ مختلفاً، وجه رحيم، حنون، مُحبّ، معه

بدأت كلمات الإنجيل تأخذ معاني جديدة، قريبة، ملموسة. بدأت أُدرك أني لا أرفض اللّه ولكني أرفض الصورة التي كانت مرسومة في ذهني عنه.

بخطوات خجولة ومترددة بدأت أعود إلى الصلاة، صلاة، لا علاقة لها بالصلوات التي كنت أرفعها كي يساعدني على النجاح عندما تحضيري للامتحانات لم يكن كافياً، أو لأنّ تلك الأمنية يمكن أن تتحقق إذا حرّك عصاه السحرية.

بدأتُ أتذوّق الصلاة المجانيّة، صلاة الشكر، الصلاة للربّ لكونه الربّ، لمجرّد وجوده، للاعتراف أمامه بأني صغيرة وفقيرة. بدأتُ أجرؤ على التفكير بأنّ اللّه قادر على غفران خطاياي مهما عظمت، وغفران إهاناتي له وتقصيري، وأفرح بحبه، الحب المجاني الذي سبق أقوالنا وأفكارنا وأعمالنا، ورحمته القادرة على استقبالنا في أية لحظة.

كانت أحاديث الأب الياس وصلواته وتصرفاته كلها تقول مدى فرحه وإيمانه بنا وأنا التي كنتُ قد اعتدت أن أسمع حولي ملاحظات مثل:

"ما هذا الجيل؟".

"هذا الجيل لن ينفع في شيء".

كان القداس الإلهي "كما يُفترض أن يكون دوماً" نقطة الارتكاز والمنطلق ونقطة اللقاء، قداس لم أكن قد تذوّقت مثله من قبل، كنت أشعر أنّ الأب الياس لم يكن يُحيي القداس فحسب بل يحياه ويقودنا لأن نحياه بكل كلمة وصلاة وتأمّل، وكم مِن مرّة اغرورقت عيناي بالدموع إذ كان بمشاركته يُصيب نقطة جداً حساسة مما كنتُ أعيشه فأنظر إليه وأتساءل هل هو يقرأ في قلبي؟

كانت الصلوات تنبعث عفوية، صادقة، حارّة وحيّة، تدعوني إلى مزيد من التأمّل في داخلي ومِن حولي، وعندما ينتهي القداس كنتُ غالباً أشعر بفرح وسلام يغمر قلبي فأرى نفسي أتوجّه بالشكر للربّ الذي نزع كل أسلحتي بمحبّته ورأفته الواسعة.

بالإضافة إلى أوقات الصلاة كانت هناك المحاضرات المنتظمة التي كانت

تعالج شتّى المواضيع، روحية، اجتماعية، ووطنية، أذكر خصوصاً الأستاذ أنطون مقدسي الذي كان حاضراً وبقوّة في الأسرة (أعتقد أنّ سبب ذلك كان قوة إيمانه أولاً بالله وثانياً بالشباب ووسع رجائه بهذه الفئة من المجتمع) وأعترف بأني لم أكن أستوعب كل ما كان يقوله ولكن ما كان يؤثّر بي كثيراً هو الصدق والحرارة الذين كانا يشعّان من حديثه ومن نبرة صوته وأعترف أنّ ذاكرتي لم تحتفظ من كل ما قاله إلاّ بمحتوى محاضرة كان موضوعها "دور الشباب المسيحي العربي في المجتمع" أو بما معناه. يومها أخذت عهداً على نفسي بأن أكون عند حسن ظنّ أشخاص كالأب الياس والأستاذ أنطون لأنه مقابل مثل هذه الثقة يجب أن نكون على قدر كبير من الإخلاص للناس والوطن.

للأسف، ساقتني الحياة وظروفها إلى حيث لم أكن أشاء، وعشت بعيدة عن سوريا يثقلني شعور بالغربة ويعاتبني قلبي وضميري لخيانتي لهذا الوطن، لأهله وناسه، وفي السنوات الأخيرة وسوريا تعاني ما تعانيه من ألم وجراح، تفاقم هذا الشعور إلى حدّ يجعلني حزينة وكسيرة القلب فتراني أهرع إلى قلب يسوع أنشده السلام وعندما يشتدّ بي الحزن أتصل بالأب الياس أتوسَّل منه رجاءً فيعطيني دفعاً من الأمل بأنّ سوريا ماضية إلى قيامتها برغم كل شيء ولأن يسوع الربّ وأمه الحنونة وعدانا بذلك.

أعود إلى أسرة الرعية، كان مخيّم العطلة الصيفية في دير صافيتا هو الوقت الأكثر زخماً روحياً وإنسانياً.

هناك كان كل شيء يأخذ بُعداً أكبر وأعمق سواء كانت الصلوات، التأمّل، الأحاديث أو النقاشات لتقييم العام المنصرم، النزهات والسهرات فالمكان والطبيعة كانا مهيّآن لذلك، هناك كان كل شيء يسعدني ويثبّت قناعتي بأن مع الصدق والمحبة كل شيء ممكن، لأن كما في أي مجموعة إنسانية لم يكن يخلو الأمر من خلافات أو توتّرات.

هنا أودّ أن أَذكر الأستاذ أنطون مقدسي مرة أخرى فقد كان يشاركنا الصلاة والتأمل، كنتُ أحياناً أنسى الصلاة وأجدني مأخوذة بالنظر إليه وهو

في شبه غيبوبة، مُغمض العينين ويداه ممدوتان بتوسُّل كما لو أنه في حالة اتحاد بالله، تجده يصلي بكل كيانه.

اليوم حين أستعيد هذه الذكريات أعي أنّ كل ذلك ساهم من حيث لا أدري في تربيتي ونموّي الروحي وإن كنتُ لا أزال في طور النموّ.

تخونني ذاكرتي اليوم بما يمسّ التفاصيل الصغيرة لأني لم أكن من الحكمة بحيث أحتفظ بها كتابة ولكن هناك أموراً ومواقف لا تنسى.

عند عودتنا من إحدى الرحلات أو ربما من لقاء صافيتا لم أعدْ أذكر بالضبط ولكني أذكر أنه كان على غسان بتراكي أن يُعدّ المشاركة في إنجيل قداس الجمعة ولكنه لم يتسنى له الوقت، وبعد قراءة الإنجيل وقبل أن ينهض أَسرَّ لي بأنه لا يعرف ماذا سيقول.

يومها كانت مشاركة رائعة ومميّزة، بعد القداس سألته:

- لماذا قلت لي أنك لا تعرف ماذا ستقول. فأجابني:
- هي الحقيقة.
- لكن كانت مشاركة عميقة ومؤثّرة جداً. ابتسم وقال:
- طلبت النجدة من الروح القدس.

حادثة أخرى لا يمكن لي أن أنساها، لعلّ الكثيرين منكم يعرف لميا توما رحمها الله أو ربما سمع عنها فقد كان لها حضور كبير في الكنيسة وخاصة مع الشبيبة.

لميا هي واحدة من أبناء الأسرة وأعتقد أنها من الأوائل فيها سافرت إلى ألمانيا مع زوجها ومرّة جاءت بإجازة إلى دمشق وكان هناك مشروع رحلة إلى وادي النصارى وكنتُ قد استلمت تنظيم الرحلة وأردتها فعلاً منظَّمة بحيث من يسجِّل اسمه يتعهّد بأن يخبرني في حال قرّر عدم الذهاب، وأعددت قائمة احتياط لأولئك اللذين لم يجدوا أمكنة ووعدت بأني سأعطي الأمكنة حسب تسلسل التسجيل وأردت أن أتحدى الجميع بأنه لن يكون هناك أفضلية لأحد سوى دوره في التسجيل.

فجر يوم الرحلة كنت أقف عند عتبة الباص وفي يدي القائمة عندما

جاء أحدهم قائلاً: أُقدّم لك لميا توما، رحّبت بها وعرّفتها بنفسي، فأضاف أنّ لميا ستذهب معنا فأجبته أنه لم يبقَ محلاّت، حاول أن يقنعني دون جدوى، عندئذ ذهب يروي الحكاية للأب الياس الذي جاء يطلب مني بلطف أن لا أعترض على ذهاب لميا فهي من القدامى وهي في دمشق لمدة محدودة. وهكذا كان، ولكن الأمر لم يعجبني.

بعد عدة أيام كان قداس الجمعة وجاءت لميا لتصلّي معنا وقبل المناولة اقتربت مني وقالت بنبرة حادة: انظري أنا سأتناول ولا أستطيع ذلك إذا لم يكن قلبي في سلام، اعلمي أنك (بتضربيني على عصبي)، والآن بما أني قلت ما عندي بإمكاني الآن أن أتناول جسد الرب.

وقفت للحظات أراقبها وهي تبتعد، وفوجئت بأنني لم أغضب ولم أشعر بإهانة أو ما شابه ولكني ابتسمت وقلت في نفسي: لَكَمْ هي نقيّة هذه الإنسانة.

هكذا أعطتني لميا درساً أَبْلَغ من كل الأحاديث، درس في التواضع الذي يدفع الإنسان للاعتراف بمشاعره حتى السلبية منها، درس في الصدق مع الذات ومع الآخر. فيما بعد أضحت لميا من أعزّ صديقاتي.

خلال تلك السنوات عشت تجارب جميلة وشيّقة فقد اختار الأب الياس. بضعة أشخاص من بينهم أنا كجوقة ترتيل للكنيسة وكم كنت سعيدة أن أحيا القداس الإلهي ترنيماً وتهليلاً ألا يقولون أنّ الترتيل هو الصلاة مضاعفة، مع جوقة الكنيسة عشت تجربة فرح، خلال التدريبات وأيضاً اللقاءات العفوية وسهرات الغناء المليئة بالفرح وأهم ما عشته معهم هو إحياء قداديس الأعياد، الميلاد، أسبوع الآلام ومدائح السيدة العذراء، ما قرّبني أكثر وأكثر من الربّ، هي سعادة أن تمجّد الرب بالترتيل.

كذلك على نطاق المسرح كانت لي تجربة شيّقة مع الأستاذ سمير سلمون في مسرحية "الطريق إلى كوجو" التي كتبها الأب الياس.

في نطاق المدرسة كنت قد شاركت في نشاطات مسرحية ولكنها كانت بسيطة وعادية قياساً لما عشته خلال تجارب وتدريبات المسرح مع الأستاذ

سلمون فقد كانت تجربة حقيقية عشتها بسعادة بالغة، لكن أهمّ ما في الموضوع هو الملاحظة التي سمعتها من صديقة جامعية (خارج نطاق أسرة الرعية) التي دعوتها وسواها لحضور العمل فقد قالت لي: جميل أن نرى رجل دين يهتمّ بالمعاناة الإنسانية.

ومما لا أنساه أيضاً ما عشناه في قاعة السواعد.

ما أذكره هو أن الأب الياس والمهندس إدوارد زكرت قالا لنا بأن القاعة بحاجة لهمّتنا للإصلاح من حالها لأنّ كثيراً من الشروط لم تكن تتوفّر فيها كقاعة يُفترض أنها مُهيّئة لكل أنواع النشاطات.

اليوم فقط وبعد قراءة كتاب الأب الياس "قد يكون لي ما أقوله" الذي يروي فيه – من بين ما يروي – قصة قاعة السواعد، عرفت التباسات الموضوع ومدى الضغوط التي عاشها قبل أن تُصبح هذه القاعة على ما هي عليه اليوم.

عملنا فيها أياماً وأيام، كلٌّ بحسب ما يسمح به وقته ولكن الجميع وبدون استثناء شارك في العمل، كان الغبار يغطي أيدينا ورؤوسنا، وضحكاتنا تملأ الغناء، هو مبعث سعادة أن تشعر بأنك تقوم بشيء مفيد.

كانت المكافأة هي إمكانية إقامة سهرات عيد القديسة بربارة واستقبال عدد كبير من الناس وأنا إذ أذكر تلك السهرات يحلو لي أن أستعيد تجربة كانت مصدر فرح كبير لي وهي السهرة التي أحياها أطفال جوقة أبناء الفرح بعد فترة من إنشائها.

لا أذكر بالضبط كيف جاءت الفكرة، ما أذكره هو أن الأب الياس طلب مني أن أُعلّمهم موشّح "إسقِ العطاش" وأغنية "المحبة" لفيروز.

وبينما قمت أنا بتدريب الأطفال على الغناء تعهَّدتِ عمّتي بتدريب قسم من الفتيات على رقصة "السماح" التي ترافق الموشحات الحلبية.

طيلة فترة التدريبات كانت أمهات الأطفال منهمكات بحياكة أثواب بيضاء لأغنية "المحبة" وثياباً بالزيّ الذي يرتديه منشدو وراقصات الموشحات وكانت نتيجة عملهم فعلاً رائعة.

كان جوّ من الفرح يعمُّ الجميع، أطفالاً وكباراً، أما أنا فكانت سعادتي بهؤلاء الصغار لا توصف، سرعتهم في التقاط الألحان، وانضباطهم في التدريب، وحماسهم للعمل، كل ذلك جعل من عملي معهم متعة كبيرة.

كان أداء الأطفال يوم الحفل مُتقناً لدرجة أنّ الحضور طلب الإعادة، وفي الختام كان البعض يصفّق واقفاً، وقد قالت لي بعض أمّهات الأطفال أنّهنّ بكين من الفرح.

ولعلّ أجمل مكافأة لكل من ساهم في هذا العمل هو فرح الأطفال وسعادتهم.

ومن التجارب الغنية التي عشتها في الأسرة هي العلاقة التي ربطتنا ببعض عائلات حيّ "حارة اليهود" ومعظمهم كان من الفقراء.

صحيح أن البؤس والشقاء كانا سمتيّ حياة تلك العائلات ولكن الفرح والعرفان في عيونهم كان يضفي على لقاءاتنا بهم رونقاً وفرحاً.

ربما لم يكن بالكثير ما كنا نقدمه لهم ولكن من المؤكّد أن ما ينتظره كل مسكين ومهمّش هو ما نقدّمه له من احترام واعتبار ودفء بشريّ.

هذا يقودني إلى الحديث عن طوني زوجي وشريك حياتي لأني كنت أرافقه في تلك الزيارات.

طوني هو إحدى هدايا الأسرة، طوني الكبير بقلبه وإنسانيته ووداعته، لم يشاركني فقط حياتي ولكن أيضاً إيماني، إحساسي بالآخر ومحبتي للناس والوطن.

صحيح أنّ الحياة لم تخصّنا بالكثير من اليُسر والرخاء ولكن بفضل الرب ومحبته ومحبتنا الواحد للآخر، لا نزال واقفين نكمل الدرب يداً بيدّ.

اليوم، إذ أستعيد تلك الأيام أرى الوجوه التي أحببتها وأولئك اللذين عشت معهم المحبة والأخوّة والصداقة.

فألف تحية مني لكل من التقيته في هذه "الواحة" وكونوا على ثقة بأنكم في قلبي وفي صلاتي.

ولمن أتى من بعدنا، ولمن هم اليوم يعيشون هذه التجربة "الهدية" أهدي محبتي وصلاتي.

بشرى بشور"

4) إميل قردوح

"مسيرتي مع الرعية الجامعية: **ك1-** 2012

عندما جئت إلى دمشق في بداية العام الدراسي الجامعي 1973 -1974 بدأت البحث للانضمام إلى إحدى التجمعات المسيحية في دمشق. كنت أواظب على حضور الصلوات والقداديس في بعض الكنائس حتى أعلمني أحد الأصدقاء من الذين كانوا يعيشون سابقاً في حمص عن وجود أسرة الرعية الجامعية، وذهبت معه للتعرف على هذه الأسرة خصوصاً وأن كل شاب وفتاة عندما يغادرون بيتهم العائلي ومدينتهم التي أمضوا فيها طفولتهم وشبابهم، يأتون إلى محيط جديد كلياً في بعض الأحيان. يكونون بحاجة ماسة إلى جو جديد يحتضنهم، وإلى جو مسيحي نظيف يلتقون فيه ومن خلاله بأصدقاء سوف يصبحون مع الوقت بمثابة أخوة.

كان اللقاء الأول هو حول مائدة الرب. وكان القداس وقوفاً وكنا ملتئمين حول المائدة المقدسة. كان العدد ضئيلاً، ومن كافة الطوائف، وكان القداس وإن كان معتمداً على الطقس البيزنطي كان فيه إمكانية كبيرة لتقديم طلبات وصلوات مرتجلة يمكن لأي شخص أن يشارك بها. ولم يقتصر الوعظ على كلام أبونا الياس زحلاوي بل كانت المشاركة المرتكزة على نص الإنجيل المقدس والرسائل مفتوحة وشارك بها بعض الأخوة وكانت مشاركاتهم موضوع تساؤل وإعجاب. لم أستطع وقتها المشاركة بشيء ولكني كنت أقول أشياء كثيرة في قلبي. وقد أخذ مني موضوع مشاركاتي وقتاً طويلاً حتى انحلّت عقدة لساني وصار بإمكاني المشاركة بصوت عالٍ.

بعد انتهاء القداس تقدم مني أبونا الياس وسلم علي وعرفني عن نفسه، وسألني بعض الأسئلة، وشكرته على اهتمامه بي بخلاف ما كان يصادفني في الكنائس عادة حيث يدخل المرء ويخرج من دون أن يسأل عنه أحد.

وحيث أني قد أُعجبت بالجو الأخوي والمريح سألت كيف لي أن أتقدم بطلب انتساب للأسرة الجامعية فكان الجواب أنه لا يوجد هنالك أية

طلبات ولا اشتراك، والالتزام هو التزام شخصي تحدده أنت وليس أي شخص آخر.

تقدمت مع الأيام في المشاركة في نشاطات الرعية المختلفة، وأشد ما كان يشدني كان قداس يوم الثلاثاء في مكتب أبونا الياس حيث مجموعة أقل عدداً كانت تشارك فيه، كان الشيء الوحيد المكتوب هو النص الإنجيلي، وكان يمتد في بعض الأحيان إلى ساعتين ونحن لا نحس بالوقت. وكان كل شيء يأتي بشكل عفوي من الطلبات والصلوات والمشاركات الإنجيلية الرائعة.

كانت أبواب الرعية مفتوحة للجميع، لا ترد أحداً فكان هنالك بعض الملتزمين الذين يسمون النواة والبعض الآخر من المترددين بشكل دائم ويشاركون في النشاطات، وكان هنالك الزوار. ولكن بالحقيقة لم يكن هنالك تفريق واضح بين هذه الفئات، وكنت ترى بعض الناس يكونون ملتزمين في بعض الأحيان، وفجأة ينقطعون.

تم تقسيم العمل بحيث كان هنالك ثلاثة مجموعات أساسية وهي الروحية والاجتماعية والثقافية. وكانت تعمل بجد ونشاط.

وبالإضافة إلى النشاطات الروحية التي تتضمن بالإضافة إلى الصلوات اللقاءات الروحية الشهرية خارج دمشق مرة كل شهر وترتيب المحاضرات الروحية وكان من بينهم الأستاذ المرحوم أنطون مقدسي، كان هنالك اللقاء السنوي الذي كان له طعم خاص.

كانت هنالك بعض النشاطات الاجتماعية من بينها حفلة البربارة. ولا ننسَ مسرحية الطريق إلى كوجو، واللقاءات الأخوية التي كانت تحصل في بيوت بعض الأخوة.

وكان هنالك عمل جبار قام به أفراد الرعية وكان هو المساهمة في تحويل القاعة أسفل كنيسة سيدة دمشق من وضعية المدرجات إلى سوية واحدة، كان هنالك عمل ضخم بحاجة لعدد كبير وخبرات للقيام به. وقد استهلك وقتاً طويلاً وجهداً ضخماً لإنجازه.

ولا أنسى أبداً أني قد تعرفت على زوجتي مارلين عن طريق الرعية حيث كانت تتردد بعض المرات وصدف أننا كنا في ذات الكلية في الجامعة، وكانت حفلة العرس والإكليل في سيدة دمشق وباركها الأب الياس وحضور أفراد الرعية. وكيف أننا بعد انتهاء مراسم الإكليل ذهبنا إلى مقر الرعية، ومن هناك سافرنا إلى شهر العسل.

مهما أطلت في الحديث فإني لن أستطيع أن أغطي كل شيء وكل ما يتعلق بالرعية الجامعية لأنها كانت جزءاً مني وأعطتني الكثير وأثّرت فيَّ كثيراً في كافة اتجاهاتي الفكرية والدينية والاجتماعية. لقد أعطتني القدرة على إخراج ما بداخلي من خلال الصلاة والمشاركة الإنجيلية. وكانت تجربة رائدة في مجال كنيسة سورية. لا بل عندما كنت أتحدث عن الرعية الجامعية في بعض البلاد التي زرتها أو عملت بها كان الناس يتفاجئون بمثل هذه التجربة وقد قال لي البعض أنها تجربة فريدة على مستوى العالم. وليت كان لها امتداد في الدول الأخرى. إنها تجربة يجب أن تستمر من خلال الشباب المتجدد الذي يسلم الراية إلى الأجيال التي تليه. وإذا كنا نتحدث عن وحدة الكنيسة فإن الرعية الجامعية كانت ويجب أن تبقى معلماً هاماً في هذا المجال حيث كان الجميع من كافة الطوائف يعملون سوية من دون السؤال عن الطائفة حيث يجمعهم السيد المسيح والكنيسة الواحدة.

5) مشاركة مارلين

الرعية الجامعية لم تقدم لي الكثير، أو هكذا خيل إلي! واكتشفت بعدها أني أحملها بين ضلوعي أينما حللت. كنت ضيفة زائرة أتردد بين الحين والآخر، والسبب في ذلك بعد المسافة من سكني في الميدان الى القصاع. سبب آخر هو توقيت القداس يوم الجمعة وكان هو اليوم الوحيد الذي أرتاح فيه من عناء العمل في التدريس طيلة أيام الاسبوع. ودوامي اليومي في الجامعة ما بعد الظهر. كانت أمي تشجعني الى الذهاب الى الرعية، وأنا كنت أرى أن انقطاعي أحيانا، كان يبعدني عن جو الرعية، وخاصة أن هناك العديد من الأعضاء الملتزمين، أجدهم دائماً حينما أزور الرعية بين الآونة والأخرى.

خلال زياراتي المحدودة الى الرعية، تعرفت الى اللّه، حيث لمس شغاف قلبي، وشعرت أني باتكالي عليه، ومحبتي اياه، فهو دائماً موجود معي بقدر اتكالي عليه. تعلمت أن اتحدث اليه وأناجيه، بعيدا عن تمتمة الصلوات المكتوبة. كان اسلوب حياة جديد أعيشه، تعرفت فيه على آراء الآخرين، على صدق التعبير عن مكنونات النفس، بل واكتشاف الذات من خلال علاقتي مع اللّه والآخرين.

الأب زحلاوي كان ومازال له دور رائد ومؤثر في الشبيبة الجامعية الغضة العود، التي تبحث عن مرشد روحي يقودها الى اللّه. وبالتالي لتبدأ حياتها الحقيقية كأشخاص بالغين، يشقّون طريق حياتهم بأنفسهم.

الأب زحلاوي من خلال الرعية احتضن الجميع وكان أباً روحياً للجميع، وكم هذه المرحلة الانتقالية للشباب مهمة لتوجيههم الى طريق الرب، وأن يؤسسوا بنيان عائلة المستقبل على أسس متينة.

تعرفت على اميل زوجي من خلال الرعية، وكان سريع الانفعال والحركة على عكس طبعي الهادئ، ولكن وجدت فيه الانسان المؤمن، الصادق، الأمين، الزوج المخلص والأب الحنون الواعي. ولا شك أن البيئة التي يعيش فيها الانسان تؤثر عليه ايجابا أو سلبا، ولكن عند التزامه بالرعية الجامعية كان ذلك خياره الشخصي. وبقيت مبادئ الرعية ترافقنا في حياتنا العائلية، وبقيت علاقتنا مع الأب زحلاوي مستمرة ومزهرة. نتابع أخباره بالرغم من مغادرتنا سورية منذ عام 1978. ما زال يذكر أسماء أولادي لؤي وريتا وأعياد ميلادهم، حتى أنه كان حاضرا في عرس ابنتي ريتا عام 2007، وكان هذا مصدر سعادة للعروسين ولنا أيضاً.

الرعية ليست ظاهرة، بدأت وانتهت مع الوقت. لقد تأسست على المحبة والايمان باللّه والانسان. وأتمنى أن تعيش الرعية من خلال أبنائها، وأن يكون

هنـاك رابطـة للأعضـاء القـدامى والجـدد، وكـل ذلـك ممكـن في عهـد التكنولوجيا والاتصالات السريعة. هناك قول في الغرب، أن المواطن الذي يتطوع بالعمل في المجتمع، إنما هو يدفع من جهده ووقته للبلد الذي أعطاه... وهذا واجب كل مواطن صالح وقادر على العطاء. الرعية أعطت الكثير وأتمنى أن يتواصل أعضاؤها بدافع المحبة الخالصة بدون أي هدف أو مصلحة شخصية.

6) **عادل خيمي**

الأب العزيز والكبير والدائم العطاء الياس زحلاوي

ترددت كثيراً في التعليق على موضوع رسالتكم "رسالة إلى عناصر سابقة في أسرة الرعية الجامعية" لنفس الأسباب التي تضمنتها الرسالة لكنني لم أشأ أن يمر هذا الموضوع دون تعليق أو مشاركة مهما بدت هزيلة أو غير مفيدة لكنها تبقى كذرّات الرمال إذا ما وقعت مع إخوتها بين يديّ بنّاءٍ محترف قد يصنع منها الكثير.

تعرفت على الرعية الجامعية في عام 1994 عن طريق أخي الذي كان قد انتسب للرعية قبلي بعدة سنوات في ذلك العام كنت ما أزال في السنة الرابعة لدراسة طب الأسنان في جامعة البعث في مدينة حماه وكنت أفتقد خلال ذلك الوقت الوسط الاجتماعي الملائم بعد بقائي فترة طويلة بعيداً عن أصدقاء المدرسة وشجعني على ذلك وجود صديقين يدرسان معي في نفس الكلية كانا عضوين في الرعية وكان أخي وأصدقائي في حديث دائم عن الأجواء المسلّية والممتعة التي يقضيانها في الرعية وعن النشاطات و"المشاريع" المشتركة التي يقوم فيها الجميع . لم يكن دافعي في البداية أكثر من التعرف على مجموعة جديدة من الأصدقاء والمشاركة في النشاطات التي تقوم بها الرعية من حفلات ورحلات ومخيمات.

بعد البقاء في الرعية فترة تقارب العام بدأت أشعر بشعور قوي من الانتماء لهذه المجموعة والذي عززه فكرة ما كنّا نظنّه في ذلك الوقت المشروع الكبير المشترك وهو "حفلة الرعية الجامعية" والتي كانت تقام سنوياً

في تاريخ يوافق تاريخ عيد البربارة حيث كان الجميع يعمل كخلية نحل واحدة لإنجاح ذلك العمل كلٌ بما يستطيعه تمثيلاً أو تأليفاً أو ديكوراً أو غير ذلك ملتزمين بمقولة الجميع للواحد والواحد للجميع وإلا فالفشل سيكون حليف العمل كله وخلال ذلك كله ودون أن نشعر كان المشروع الكبير الفعلي يُبنى فعلاً بين يدي مهندسه البارع الأب الياس زحلاوي كانت بذرة جيل مسيحي عربي جديد تنبت، فقد كانت الرعية الجامعية مدرسة حقيقية لتعلّم عمل الفريق، العمل الجماعي المنسّق والمتكامل.

لم تكن الرعية الجامعية مشابهة لنظيراتها من التجمعات التي كانت تقام في الكنائس الأخرى أو تلك التي كانت تُعنى بهدف محدد كالكورال. كانت شجرة من نوع مختلف حقلها ليس كالحقول الأخرى أشجاره ليست منسقة والمسافات بينها مدروسة بل كانت تتمتع بحرية الحب تبقى فيها لأنك تحبها فلا تسرق منك حس المبادرة والإبداع والتفرّد لدرجةٍ تحس فيها أن الجميع متعمداً كان أو دون عمد يضيف لبِنَة يبني فيها الآخرين من حوله والرعية الجامعية كفكرة.

كنا بناءً فريداً من نوعه كنّا مجتمعاً أو قرية فهناك المهندس والطبيب والمحامي والرسام والموسيقي ومن أجيال مختلفة هناك حيث تمتزج حماسة وإبداع جيلٍ بخبرة ودهاء الآخر لتنتج مزيجاً سحرياً يغذي الجميع.

لم يكن الكثير منا واعياً للبذرة التي كانت تنبت داخله، لم نكن مهتمين بالسياسة، على الأقل معظمنا، لكننا فهمنا داخلنا أن وجودنا في هذه الأرض أصيل، لسنا ضيوفاً ولا مهاجرين نحن البداية التي تستمر ولا تندثر بل تصير ملح الأرض فلا تفسد. لم تحمل أفكارنا التعصب لم تحمل العنصرية فهمنا أننا جزءٌ من هذا الشرق وأن لدينا مهمة لننجزها دون تعالٍ على مكوناته. مهمتنا أن نبني الإنسان ابتداءً من أنفسنا. حملنا مشاعر فهمناها لاحقاً، فبعض المشاعر لا تدرَك إلا في وقتها كالأبوة والأمومة لا يحسها المرء فعلاً إلا عندما يعيشها. ذكرت هذا لأسرد حادثة حصلت بعد الغزو الأمريكي على العراق كنا مجتمعين في أحد المخيمات

أعتقد أنه كان القلبين الأقدسين في الكفرون. لكن ما أذكره أن الأب زحلاوي حضر ليكون معنا يوماً واحداً من أيام المخيم. اجتمع معنا في بناء الكنيسة وكما كان يفعل كعادته دعانا لنتحدث كلٌ بما يختلج في صدره، تحدث الكثيرون لكن هو امتلأت عيناه بالدموع. كنا نتحدث حول مواضيع مختلفة معظمها كان سطحياً وشخصياً، استغربنا في البداية دموعه حتى بدأ بالحديث عن العراق ومعاناة أهله وما ستجر هذه الحادثة من بلاء على الوطن العربي والتواجد المسيحي فيه. لم أفهم الكثير مما قيل وكنت سأعتبره ضرباً من الانفعال العاطفي لولا ما خبرته عن الأب زحلاوي بأنه ليس رجلاً يؤمن بالانفعالات بل إنه رجل يؤمن بالحقيقة... عندها أنصت الجميع باهتمام...

الآن وبعد بداية الأزمة في سورية أدركت ما كان يرمي إليه وما البذرة التي غُرست ولماذا، غُرست لنكون محصَّنين غُرست لنفهم.

أدين بالكثير للرعية الجامعية وللأب الياس زحلاوي والذي لطالما شعرت وبغض النظر عن الوقت الذي يوليه للرعية الجامعية بسبب الانشغال المستمر بالمسؤوليات المختلفة الملقاة على عاتقه أنها الابن البكر الذي يحمل شخصية الياس زحلاوي، قبل أن يكون أباً بحريته وشجاعته وبحثه عن الحقيقة واحترامه للإنسان والوطن وإيمان الأب الياس زحلاوي بالله هكذا كانت الرعية الجامعية.

لست ممن يحبون تبجيل الأشخاص بل الأفكار والمُثل التي يحملونها لكن الأب الياس زحلاوي كان وما يزال أكبر من شخص بل لطالما كان فكرةً ومثلاً يُحتذى.

في النهاية أعتذر عن فقر نصي بالأحداث التي قد يسردها غيري بشكل أدق وأكثر تفصيلاً موثقة بالصور أو دفاتر اليوميات أو مدعومة بتواريخ دقيقة. لكن كتابتي اليوم لا تتعدى أن تكون أكثر من شهادة أمام الله والتاريخ بفضل الرعية الجامعية ومرشدها الأب الذي أفتخر أنني عرفته الياس زحلاوي.

2015/01/09 **د. عادل خيمي**

7) سمير جبارة

"احتضنتني... احتضنت شبابي... احتضنت النموّ الثقافِي لديّ... احتضنت إنشائي لعائلتي واحتضنت فترتيّ مراهقة ابني وشبابه...

ذلك هو مختصر قصتي مع الرعية الجامعية والأب الياس زحلاوي...

ابتدأت الحكاية كصدفة/نكتة في يوم مشمس من شتاء عام 1970. أحد الأصدقاء كان في زيارتي... قال لي بأنَّ لديه موعداً بعد ساعة مع الأب زحلاوي ومع مجموعة من الشباب الذين يعملون على تحضير عمل مسرحي... كان يشعر بالوجل... لأنه لم يكن قد وقف على خشبة المسرح من قبل... دعاني لمرافقته... لم أتردد... فقد كنتُ لتوي خارجاً من أول تجربة لي على خشبة المسرح... كما أنني كنتُ مشتاقاً للقاء الأب زحلاوي الذي كانت تربطني به علاقة عائلية... إضافة إلى أنني كنتُ من المعجبين به بعد حضوري قبل ذلك بسنتين تقريباً لعمل مسرحي من تأليفه... وكان اسم العمل: "ليتك كنت هنا"... وليتني كنت هناك وليتني كنتُ من المشاركين فيه...

ذهبنا معاً وكان الموعد في إحدى قاعات البطريركية الواقعة في حارة الزيتون... دخلنا القاعة... كانت مجموعة من الشباب والفتيات تحيط بالأب الياس وبرجل شاب لم أكن أعرفه من قبل... الرجل الذي أصبح بعد سنوات أقرب الأصدقاء إلى قلبي... وأصبح بيتَ سرّي وأصبحت أنا بيتَ سرّه: الصديق المرحوم سمير سلمون...

كان سمير يطلب من كلّ شاب ومن كل فتاة قراءة جزء من نص مسرحي مأخوذ عن رواية الكاتب اليوناني العظيم نيكوس كازانتساكي المطبوع ويدلي بملاحظاته... فاجأني الأب الياس بالطلب إلي بقراءة أسطر من النص... اندفعت بحماس... اقترب سمير من الأب الياس هامساً فالتفت إلي وقال: هل ترغب في لعب دور الأب فوتي؟؟؟ لم أتردد... بل ربما كنتُ أرغب أن أطلب المشاركة لو تأخر الأب الياس بسؤاله...

أثار عرض مسرحية "المسيح يصلب من جديد" ضجتين: ضجة على مستوى بعض رجال الكهنوت... وضجة أخرى على المستوى الثقافي في

البلد... ليس من السهل على مخرج شاب في نهاية العشرينات من عمره تحريك مجموعات يبلغ عدد أفرادها ستين شخصاً على خشبة مسرح صغيرة... لقد كان العمل إنجازاً فنياً وفكرياً جريئاً...

لعبتُ دور الأب فوتي في "المسيح يصلب من جديد" بشكلٍ مُرضٍ... وأذكر أنني تأثرتُ جداً بشخصية الأب زحلاوي وتقمصتها في أدائي لهذا الدور... وهذا ما حصل أيضاً حين لعبتُ دوراً آخر في عمل مسرحي آخر سيأتي الحديث عنه لاحقاً... ومازلتُ أحمل في ذاتي بعضاً من شخصيته تظهر في أحيان كثيرة...

من هنا كانت البداية... وكانت مشاركتي الأولى مع الثنائي الأدبي المسرحي الأب زحلاوي وسمير سلمون...

كانت الرعية الجامعية في بداياتها... ولم أكن سوى تلميذ في الصف الحادي عشر حين بدأت بالتردد عليها... وبالتعرف على مجموعات من الشباب يكبرونني بأعوام لكنهم جعلوني أشعر أنني ندّ لهم عمراً وعلماً وثقافة...

أهم ما كرّسته الرعية الجامعية في ذاتي منذ ذلك الوقت وحتى اليوم هو التناغم بين الإيمان بالله والإيمان بالوطن بحيث يصبحان واحداً...

أتراني كفرت؟؟؟ غير مهم... أنا راضٍ عن نفسي...

ساهمتُ في العديد من النشاطات الثقافية والروحية... وأعترف أن اهتماماتي الثقافية كانت أكبر من اهتماماتي الروحية... كنت أنتظر المحاضرات التي كان يلقيها علينا كبار مثقفي البلد من أصدقاء الأب الياس كما تنتظر الأرض العطشى دِيَمَ السماء... أذكر أنني كنت مشاكساً... أُكثرُ من طرح الأسئلة المتذاكية أحياناً والذكية أحياناً أخرى... ولا كثير عتب على ابن الثامنة عشرة... عانيت من المشكلة نفسها مع أولادي حين مرّوا بهذه السنّ...

كنتُ دائم الشوق للعودة إلى خشبة المسرح... حتى سَرّ لنا الأب الياس يوماً أنه سيمضي بضعة أيام في صافيتا ليكتب نصاً مسرحياً جديداً...

كان هذا دأب الأب الياس دائماً... تأتيه الفكرة... يخمرها لشهور في عقله

وقلبه الكبيرين حتى تنضج... ثم يبحث عن مكان لا يزعجه فيه أحد حيث يصبّ فكرته الناضجة على الورق...

عاد الأب الياس من صافيتا وفي يده نص مسرحية: "المدينة المصلوبة"...

"المدينة المصلوبة" نصّ مسرحيّ متدفق... سريع الإيقاع... حادّ النبرة... نصّ مواجِهٌ وغير مُهادن... قرأته... وتمنيت بيني وبين نفسي أن يختارني المخرج الصديق سمير سلمون لألعب دور "الأب عيسى" الذي رأيتُ فيه شخصية الأب زحلاوي تماماً... وهذا ما حصل فعلاً يوم اجتمعت الفرقة من أجل توزيع الأدوار... لقد أسند لي المخرج (أعتقد أن الأمر تم بالاتفاق بينه وبين الأب الياس) دور الأب عيسى... وكانت بداية جديدة لتجربة مسرحية جديدة...

بعد أشهر من البروفات وإنشاء الديكورات التي كان يشرف عليها الفنان الكبير بطرس خازم أطال الله بعمره... وتحديد موعد العرض وحجز قاعة المسرح... تذكرنا بأن علينا اختيار اسم للفرقة... قد يبدو الأمر مضحكاً... لكنه حدث: المسرحية جاهزة للعرض والفرقة ما تزال دون اسم...

كنا أربعة أشخاص في غرفة سمير سلمون الصغيرة في بيت أهله الدمشقي الصغير الواقع في حارة حنانيا: الأب زحلاوي وسمير سلمون وجوزيف زعرور وأنا... كنّا نسمي هذه الغرفة بالصومعة... كان الجميع محتاراً في انتقاء اسم للفرقة... لا أذكر من الذي خطرت له فكرة أن مجموع عدد الممثلين والفنيين في هذا العمل كان عشرين شخصاً... فاقترح اسماً جميلاً هو: "هواة المسرح العشرون"...

لا أذكر تماماً من الذي اختار الاسم الذي رافقنا في عدد من الأعمال المسرحية اللاحقة... من المؤكد أنه واحد من اثنين: الأب الياس أو المرحوم سمير سلمون...

عرضنا العمل أياماً عديدة في قاعة أمين... ثم انتقلنا به للمشاركة في مهرجان المسرح للهواة فقدمناه على خشبة مسرح القباني... ونال العمل عدداً من الجوائز لم تنله أية فرقة مشاركة من محافظات القطر جميعها: جوائز أفضل نص وأفضل مخرج وأفضل ممثلة وأفضل ممثل... رغم

المنافسة الشديدة ورقي مستوى الأعمال التي قدمتها الفرق الأخرى التي أصبح بعض من أفرادها نجوماً مثل عباس النوري وعلي كريّم وسمير الحكيم ونجاح سفكوني وغيرهم... كان هذا في عام 1972...

قامت الفرقة لاحقاً بتقديم هذا العمل في حلب وفي صافيتا... والنشاط الثقافي والمسرحي لم يتوقف...

أذكر أنّ آخر عمل مسرحي قدمته الفرقة كان من تأليف الأب الياس أيضاً وعنوانه: ""الطريق إلى كوجو"...

وقد كان الصديق المرحوم سمير سلمون يرغب بشدة أن نعرض نصاً مسرحياً للأب الياس أيضاً هو "وجبة الأباطرة"... وكان يقول بأنه أفضل النصوص التي كتبها الأب الياس... ومن أفضل النصوص المسرحية التي قرأها على الإطلاق... لكنّ ظروفاً تسببت بتأخير طباعة العمل والظروف نفسها تسببت في عدم عرضه... كان ذلك قبل الوفاة المفاجئة والصاعقة لمخرجنا الكبير سمير سلمون رحمه الله...

هذا ملخَّص قصير لتجربتي الطويلة مع الرعية الجامعية على المستوى الثقافي والمسرحي... ولكنّ لي مع الرعية الجامعية تجربة حياة وتأسيس عائلة...

أذكر في أحد أيام الصيف عام 1975 كنتُ والصديق المرحوم سمير نهمّ بدخول غرفة الأب الياس في كنيسة سيدة دمشق... لفت نظرنا فتاتين تجلسان في غرفة الانتظار وترنمان أغنية للسيدة فيروز... كان صوتهما جميلاً وأداؤهما لافتاً... استمعنا قليلاً إليهما ثم دَلَفنا إلى غرفة الأب الياس...

ما لبثنا أن تعرفنا إلى هاتين الأختين الجميلتين وكان لي معهما نصيب: شاركتني الصغرى بشرى بشور بطولة مسرحية "الطريق إلى كوجو"...

وكان لي مع الكبرى ميّ حياتي التي شاركتني بها فتزوجنا بحضور أصدقائنا الكثيرين من أفراد الرعية. أنجبنا ميشيل وجورج...

لا بدّ أن الجيل الجديد من أفراد الرعية الجامعية يعرف ابني جورج جبارة جيداً... جورج له تجربته الرعوية الخاصة الرائعة التي أتمنى عليه أن يقدم فيها شهادته في مستقبل الأيام...

8) نعمان الشدايدة

"عندما طلب منا الأب الياس زحلاوي كتابة شهادتنا عن أسرة الرعية الجامعية وقد بسطها لنا ببضعة أسئلة معدودة، لم تكن بتلك البساطة بالنسبة لي وكأنه طلب مني أن أكتب عن جزء وليس بصغير عن ذاتي وحياتي وليس من الماضي بل دائما حاضر بفكري وشخصيتي وذاكرتي لذلك تأخرت بتسليمه هذه الشهادة، لأنه ليس من السهل، على الأقل عندي، أن أكتب عن ذاتي.

تعرفت على أسرة الرعية الجامعية عن طريق أحد أعضائها، وزميلي بالدراسة (وضاح صوصانية) وبعدها بات صديقي لعدة سنوات وأشكره كثيرا لأنه عرفني على هذه الأسرة، وعرض علي الحضور والتعرف على هذه الأسرة في أوائل عام 1990. وكانت لدي الرغبة الكبيرة للتعرف على مجتمع الشبيبة المسيحي وخصوصاً أننا كنا ولا نزال حتى الآن نسكن في منطقة المزه فيلات ذات الأغلبية السنية (طبعاً لم يشكل ذلك لي أي مشكلة يوماً أو أي تساؤلاً أو نقاشاً بل بالعكس كان كله معرفة ومحبة واحترام متبادلين وقد ساهم عندي في معرفة الآخر والتعايش معه وقبوله لي وقبولي له دون النظر إلى أي شيء آخر سوى الإنسان في داخل كل منا، وهذا أيضاً استطعت نقله إلى شبيبة الأسرة).

في أول اجتماع لي حضرته أذكره حتى الآن كان تأملاً بنص أنجيلي، فعندما دخلت كانت القاعة الصغيرة للرعية ممتلئة فلاحظت دخولي فتاة (هند صباغ) على الفور وقفت وأعطتني مكانها للجلوس وذلك أثر بي كثيراً وأشعرني أنني لست غريباً بل في بيتي منذ البداية.

أمضيت في هذه الأسرة 10 أعوام بشكل مستمر دون انقطاع وقد كانت لي مصدراً للمعرفة بمواضيعها الغنية والمتنوعة في جميع المجالات (الروحية والاجتماعية والثقافية) وناقشنا عدة مرات في مواضيعنا التي تناولناها أهمية التشبث بالأرض ومصير المسيحيين في الشرق، وكنت في كل مرة أتساءل لماذا نناقش مثل هذه المواضيع أو نطرحها فهي بعيدة جداً عن

تفكيري، لماذا يمكن أن نهاجر ونترك بلدنا ولمن؟ أو لماذا يكون للمسيحيين مصير مختلف عن مصير أي إنسان في هذا الشرق؟، ولم أتخيل أو أتصور يوماً أننا سنصل لمثل هذا اليوم الذي بات فيه طرح هذه التساؤلات أمراً عادياً في كل منزل، ولكم طرحت على نفسي خلال السنين الأربعة الماضية سؤالاً علمتني إياه الرعية: ماذا أستطيع أن أفعل أنا، أو ما هو دوري أنا كشاب سوري اتجاه ما يحدث الآن، ما الذي يجب أن أقوم به من أجل بلدي وعائلتي وأحبائي وجميع الناس من حولي؟؟

كانت الإجابة دوماً هي المحافظة على محبتي واحترامي للآخر بمختلف مذاهبه وطوائفه وآرائه وأن أكون نوراً أو مصدراً للفرح ولو بسيطين لمن حولي، وأن أمارس حياتي اليومية بشكل طبيعي (قدر المستطاع والمتاح) حتى لا أسمح لأن يفرض علي نمط حياة معين أنا لا أريده.

وساهمت الرعية الجامعية بتقديم حياة اجتماعية رائعة وغنية بالتجارب تكاد تكون هي الأساس والمصدر الأول والأكبر لأصدقائي ومعارفي من المسيحيين، لقد كان فيها من جميع الفئات (الغني والفقير، المتواضع والمتعالي، المحب والأناني)، كنا نجتمع بشكل دوري أسبوعياً بالإضافة إلى المخيمات الصيفية السنوية التي أغنت معرفتي بالآخر وقبوله ومحبته وعززت ثقتي بما أملك وما أعرف وأعطتني الجرأة للحديث وإبداء الرأي أمام جميع فئات المجتمع والجموع، وما أجمل العمل الجماعي الذي كنا نقوم به أثناء الطبخ والتنظيف والخدمة والصلاة والسهرات الذي أعطاني روح التنظيم في جميع مجالات حياتي حتى الآن.

أما مسرحيات الرعية فكان لها طعم خاص في العمل الجماعي وتعب الليالي والنجاح والاعتماد على الذات بكل ما يخص هذه المسرحيات من كتابة النص والإخراج والتمثيل والديكور والإضاءة ... وهذا عزز عندي الإيمان بوجود ما هو مميز بشخصية كل واحد منا ويستطيع من خلاله أن يكون رسم صغير ضمن لوحة كبيرة متكاملة ابتداءً بمن كانوا بالكواليس ولا يظهرون على المسرح إلى الممثلين والمغنين والراقصين وانتهاءً بمن

يهتمون بالطعام وخصوصاً السليقة بأيام البربارة فقد كانوا يحضرون من بيوتهم، وبتحضير منهم أو من أمهاتهم، المأكولات المتنوعة والخاصة بالبربارة إلى قاعة الكنيسة لمشاركة كل من يعمل في هذه المسرحية.

كما كانت أسرة الرعية الجامعية المصدر الروحي والديني الوحيدان حينها بالنسبة لي وأساساً لإيماني المسيحي الحالي، فقد قدمت لي النموذج والقدوة للكاهن المسيحي الأب الياس زحلاوي الذي تعلمت وأتعلم وسأتعلم منه القوة والتواضع وحب بذل الذات في سبيل الله من خلال الإنسان، وكيفية فهم الإنجيل وعيشه في حياتنا، كما عمق لدي فكرة أن علاقتنا مع الله تتجسد في علاقتنا مع الآخر، والبساطة بإقامة القداس الإلهي والمشاركات الإنجيلية أو التأملات الرائعة بأجوائها البسيطة والصادقة وخصوصاً تلك التي كنا نقوم بها في الطبيعة والتي لا تنسى أبداً وأثرها لا يزال يعمل فينا حتى يومنا هذا. لا أنسى القداس الليلي الذي قمنا به على جبل السيدة في منطقة الكفرون تحت شجرة كبيرة وقد علقت الشموع على جذع الشجرة وحوله ووضع الخمر والماء في كأسين من كؤوس الماء التي نشرب فيها عادة والخبز في طبق من أطباق الطعام اليومي ووضعت جميعاً أمام جذع الشجرة مرفوعة عن الأرض على خشبة صغيرة وكانت صلوات الشبيبة من أعمق وأجمل ما يكون مع ترانيم دينية بأصوات الموجودين، حتى أن بعض الشبيبة لم أسمعها تصلي من قبل. لقد كان مثالاً للقداس البسيط بطقوسه والعميق جداً بروحانيته وإيصال صورة الله المحب والمتواضع لنا.

في المخيمات كنا نتشارك ونناقش بكل ما عندنا من أفكار وأعمال ومشاكل، كنا نبكي ونضحك، نأكل ونعمل، نحضر الطعام وننظف الدير سوية، ومن كل هذه المشاركات كانت تظهر إيجابياتنا وسلبياتنا وكل ما نحب أو نكره. ومنها مرة في أحد المخيمات (الكفرون) قام البعض بأعمال أغضبت أبونا مما حمله لطرح فكرة تعليق الاجتماعات والنشاطات في الرعية ودعانا للاجتماع في قاعة الدير لمناقشة الموضوع معنا، فكان الجميع بما فيهم أبونا

الياس مذهولا ومتأثراً بما سمع وشاهد من مشاركات وانفعالات، لقد أظهر هذا اللقاء مدى حب وتعلق كل شخص منا بأسرة الرعية الجامعية وقد دافع الجميع دون استثناء عن هذه الأسرة، ولا أخفي أن الأغلب بكى من شدة التأثر وهو يتحدث ويدافع عن هذه الأسرة وكيف أن هذه الأسرة تحمل الكثير من المعاني لكافة أعضائها.

وطبعاً بنهاية اللقاء فرح أبونا لما رآه من تماسك وحب لبعضنا البعض بشكل خاص وللأسرة بشكل عام وبالتالي ألغى فكرة تعليق الاجتماعات وطلب منا الصلاة الجماعية في نهاية اللقاء كالمعتاد.

بالإضافة لكل تلك النشاطات كان هناك نشاط آخر بالرعية وهو الخدمة الاجتماعية والذي نقوم من خلاله بزيارة الأشخاص أو العائلات الفقيرة وخصوصاً المسنين والمنسيين منهم أو المرضى في بيوتهم أو مآويهم للعناية بهم والتحدث معهم وبناء علاقة أسرية معهم، وذلك أيضاً كان تجسيداً لفكرة أن الله هو في الآخر وزيارة هذا الآخر هي زيارة الله ذاته ("كلما صنعتم شيئاً من ذلك لواحد من إخوتي هؤلاء الصغار، فلي قد صنعتموه" — متى: 40/25) وبالفعل هذه الفكرة أخذت حيزا كبيراً في حياتي حتى الآن ولم تعد فكرة فقط بل مبدأ أعيشه كل يوم (طبعاً مع بعض فترات الفتور التي أمر فيها من حين لآخر).

لقد ساعدنا أبونا الياس كثيراً كما ساعدتنا هذه الأسرة على البدء من ذواتنا بكل ما نريد أن نغيره نحو الأفضل بهذا العالم وبأننا الأساس لهذا التغيير، كان يقول أبونا وبشكل دائم (اقبضوا حالكن) كان يبث فينا روح التحدي لمواجهة المصاعب والحب نحو الآخر، ومن أجمل أو أكبر الأعمال التي حاولت الرعية القيام بها هي محاولة توحيد عيد الفصح، كنا وبشكل دائم نقيم قداس الفصح في الرعية الجامعية بين العيدين الشرقي والغربي لا لأننا مع هذا أو ذاك بل لأننا مع الاثنين معاً، وكنا نختار في كل عام كنيسة بطائفة مختلفة لأننا مع كل الطوائف وبالفعل كان يصيبنا ارتباك عند الرغبة في زيارة بعضنا البعض في عيد الفصح ونتساءل (هل فلان

معيد أو لسه) لعدم معرفة طوائف بعضنا مع العلم أننا مع بعضنا منذ عدة سنوات.

هكذا عززت ومكنت الرعية عندي عدم التفرقة أو التمييز بين دين ودين أو طائفة وطائفة بين غني أو فقير، علمتنا أن الإنسان هو الإنسان بما يفعل ويفكر ويقول، كنا نحاول دوماً أن نرى الخير الموجود في الإنسان والعمل على تكبيره وبذلك نكبر معه ونكبر بنظر أنفسنا وبنظر بعضنا البعض.

كانت زيارة المآوي، ومع كل الحزن وتعب الحياة الذي كنا نراه على وجوه الساكنين فيها، تعطينا فرحاً كبيرا ومعنى أكبر لوجودنا، منها كان لكبار السن ومنها للأطفال أو من ذوي الحاجات الخاصة، ومنها واحد في منطقة برزة (مركز زيد بن حارثة للقطاء) زرناه عدة مرات ولفترة جيدة وحاولنا أن نقدم بعض الخدمات وإقامة بعض الحفلات المصغرة فيه لأولاده، وكم هو قاسٍ أن ترى أولاداً قد تخلى عنهم أهلهم ورموهم في الطريق، كانت أعمار الأولاد الموجودين تبدأ ببضعة أيام لتبلغ عدة سنوات يعيشون ويتربون مع بعضهم في هذا الدار ليصبحوا شباباً وبناتاً ويصلوا إلى مراحل الدراسة والعمل.

ولا أكذب إن قلت أنني تعلمت وأخذت من هؤلاء الأولاد ومن غيرهم من كبار السن أكثر مما أعطيت، أخذت فرحاً وحباً وتقديراً ومعنى لحياتي ووجودي ورضى عن كل ما أملك، ولا أخفي أن الكثير من أجمل لحظات حياتي وأكثرها فرحاً كانت معهم وأسمى معاني حياتي بسبب وجودي بينهم وهناك لحظات وصور لا تفارق ذاكرتي أبداً.

نعم وبكل صدق أقولها هكذا أخذت وأعطيت ومع كل ذلك الزخم والعمق والفرح أمضيت مع أسرة الرعية الجامعية سنواتي العشر. ومع كل تلك الصور والذكريات بقيت وستبقى هذه الأسرة في عقلي وقلبي. وكم أنا محظوظ وسعيد بأنني حظيت بفرصة كهذه فتحت أمامي آفاق فكرية كثيرة ورؤية وسماع وعيش تجارب رائعة وغنية بالمعرفة والحب والألم والفرح، انعكست كلها قوة وخبرة على شخصيتي وحياتي.

أرجو أن أكون قد وفقت في إيصال خبرتي ومحبتي للرعية إليكم، والحقيقة مهما كتبت لن يكون من السهل وصف ما عشته مع هذه الأسرة، لكني أعرف تمام المعرفة أنها ستبقى حية في ذاكرتي وحياتي وشخصيتي طوال حياتي.

وفي النهاية أقدم كل الشكر لكل من ساهم في تطوير وتكبير هذه الأسرة وخصوصاً الأب الياس زحلاوي من أنشأها وتعب كثيراً معنا وقدم ذاته كاملة لبناء أجيال من الشبيبة تكون خميرة طيبة وصالحة لبناء أسرٍ مسيحية متماسكة وبمستوى فكري عالٍ لتكون هي بدورها مساهمة فعالة في تطوير وتقدم بلدنا سورية.

شكراً أبونا دمشق 2015/3/25

نعمان الشدايدة مواليد 1972

9) **أنطون كردي**

أسرتي الثانية "أسرة الرعية الجامعية"

هكذا فهمتها - هكذا عشتها

تعود أولى خبراتي مع أسرة الرعية الجامعية إلى مرحلة دراستي الثانوية يوم وصلتني الدعوة التي أطلقها على ما أذكر الأب الياس زحلاوي، للمساهمة في أعمال إعادة تأهيل القاعة الكبرى تحت كنيسة سيدة دمشق، بهدف وضعها في خدمة أسرة الرعية الجامعية، وكنيسة دمشق جمعاء. أغرتني فكرة المساهمة بعمل جماعي تطوعي، على أمل استهلاك بعض الطاقة من جهة ولقاء شباب آخرين أعرف بعضهم، وقد أتعرف على آخرين جدد. خاصة وأن بعضاً من أصدقائي سبقوني لتلبية الدعوة، ربما زادني الفضول كون أخي الأكبر جورج، أحد شباب أسرة الرعية الجامعية.

لم تتجاوز مرات مشاركتي في هذا العمل أصابع اليد الواحدة، إلا أن ما اكتسبته منها ما كان يخطر على بالي أبداً، وحتماً لم أدركه في حينه:

تعلمت أولاً أن ما نبنيه من علاقات إنسانية في ساعة عمل مشترك مع

الآخر، حتى لو كانت صامتة أو شبه صامتة، يبلغ من العمق والصدق والرقي، ما قد لا تكفيه أيام طويلة من العلاقات العادية، ولو كانت يومية، وتضج بكم هائل من الكلام والحوار، ولذلك يمكنني أن أؤكد أن صداقاتي الحقيقية حتى اليوم كانت ثمرة عمل مشترك في هذه المجموعة أو تلك.

كما أتاحت لي ثانياً، هذه الخبرة البسيطة أن ألمس وأشعر بجهد وتعب وحب وفرح هؤلاء الشباب والشابات الذين كانوا يمضون ساعات وأياماً في هذا العمل الجبار، رأيت بأم عيني ولمست كيف امتزج كل حجر بل كل حبة تراب من تلك القاعة، بجهد سواعد وبعرق كل شاب وفتاة منهم. وربما أحياناً بقطرات دم انهمرت من جرح لم يأبه له صاحبه، وهو فرح بعمله مع الآخرين. لذلك اعتبر كل ركن وكل حجر وكل بلاطة، في تلك القاعة التي سميت منذ إتمام تأهيلها "قاعة السواعد"، تذكيراً بسواعد الشباب والشابات، إنما تحمل في طياتها كل جهدهم وكل تعبهم، وكل عرقهم، وكل فرحهم، في عمل مجاني، لا يلتمس إلا لذة العمل الجماعي الطوعي، والأمل في أن تصبح تلك القاعة وتبقى كما أريد لها مركزاً ومنبراً وحاضنة لنشاط ثقافي وروحي واجتماعي لهم، شباب الرعية الجامعية، ولكل نشاط على سوية من النقاء والصدق والبعد عن المظاهر المادية البراقة إذ كانت دمشق، وخاصة كنيسة دمشق، بمختلف طوائفها تفتقر لمثل هذا المكان. ربما هذا ما جعلني لاحقاً، وحتى يومنا هذا حاداً، ربما أكثر مما يجب، في كل ما يتعلق بهذا المكان، تثور ثائرتي علناً، أو ضمناً، كلما تجرأ أحد على عدم تسميتها باسمها "قاعة السواعد". وكم كنت أحتد كلما يتاح لي أن أعطي رأيي في نشاط يراد لها أن تحتضنه، عندما يراد استثمارها مادياً، وفقط مادياً. إذ أجد في ذلك تنكراً فاضحاً لكل الجهد الذي بذله هؤلاء الشباب يوماً، ولكل الأهداف السامية التي دفعتهم لبذله بحب مجاناً.

مع وصولي إلى نهاية المرحلة الثانوية، رغم مثابرتي على القداس الأسبوعي بحكم العادة العائلية من جهة، وكجزء من نشاط أسبوعي مع مجموعة أصدقاء، إلا أن القداس بكل تنوع الطقوس التي كنا نشارك فيها،

سواء اللاتيني، أو البيزنطي أو السرياني، حول الغاية منها، ومعناها وخاصة العظات التي كنت أنتظر في الغالب انتهاءها بفارغ الصبر، لما كانت عليه من رتابة وبعد، عما نعيشه ونعاني منه. ترافق ذلك مع تساؤلات حول ذاك النشاط الذي كان يجتذب أخي جورج بشكل شبه يومي مهما كانت الظروف حتى غدا النشاط الرئيسي، إن لم يكن شبه الوحيد خارج الدراسة والعمل، حتى شبكة أصدقائه غدت، في معظمها، من الرعية، ومن خلال بعض الحوارات معه، شرح لي ما يمكن تسميته مبادئ الرعية. أهم ما أذكره منها، الارتباط الوثيق بين الإيمان بالله ومحبة الإنسان، الذي يضعه الله في طريقنا كائناً من كان، والثقة به. وبالتالي أن نشاط الرعية يرمي إلى تقوية المحورين معاً، بتعميق الإيمان بالله، والكنيسة الواحدة، والذي يرتكز على أهم عامودين في المسيحية، التجسد الذي نتلمسه في الميلاد والقيامة، التي نتلمسها من خلال الصلب، وتعميق فهم وحب الإنسان، والعمل معه وله، من خلال مختلف النشاطات الثقافية والاجتماعية وغيرها، كون وجه الله يتجسد فيه.

كما أخبرني أن اللقاءات الأسبوعية تبدأ، وترتكز على القداس، إنما بشكل مختلف عن القداس، الذي كنا تعودنا عليه كل أحد في الكنائس، وبشكل أبسط لكن الكل تقريباً يشارك فيه، أحسست وقتها أن هذا، ربما ما كنت أبحث عنه، وأظن أخي لمس ذلك مني فبادرنا بنهاية الحديث "إذا عجبك هالشي، وما عندك شي ضده، تعا شي مرة بتشوف وبتفهم أكتر". وهذا ما كان. وابتدأت مسيرتي مع "الرعية".

أذكر تماماً زيارتي الأولى، كان المقر عبارة عن غرفتين، مكتب الأب الياس زحلاوي في الداخل، وبجواره غرفة. وبقرب الباب الخارجي مطبخ صغير، كان الجميع في الغرفة الخارجية يتبادلون الأحاديث، وللمفارقة يومها، أخي لم يكن موجوداً، مع ذلك أذكر أنني لم أشعر بأية غربة، إذ كان أول من تلقفني صبية ربما من جيل أخي أو أصغر قليلاً، لتعرفني بنفسها، "أنا نايلة صايغ" تتعرف علي، وتعرفني بالموجودين، ذلك كان لقائي الأول بتلك الصبية التي

اكتشفت مع الوقت، كم هي عميقة وصادقة وبسيطة في آن معاً. خصوصاً لما كان لي بعض النشاطات ضمن مجموعتها لاحقاً. وما هي إلا دقائق حتى بدأنا جميعاً بالدخول إلى غرفة أبونا من أجل القداس، وقبل إغلاق الباب، ألصقت عليه من الخارج، ورقة كتب عليها ما معناه "نحن في الداخل نصلي، إذا أردت المشاركة تفضل، أو الرجاء الحفاظ على الهدوء". أذكر تلك العبارة لأني لمست فيها عمق الحرية في العلاقة مع القداس. فهو أولاً رغبة وليس تقليداً أو واجباً أو فرضاً.

أغلق الباب. جلس الجميع... كل كيفما أتيح له، على كرسي، على كنبة، وحتى على الأرض، وبدأت المفاجآت: أمام أبونا طاولة صغيرة، وعليها كأس عادي، ربما من الخزف وتحوي القليل من الخمر، وصحن يشبهه يحوي قطع خبز. خبز عادي، لا قربان ولا برشام، صليب وشمعة مضاءة. صلّينا واستهل أبونا الصلاة بصلاة بسيطة حتماً، لا أذكر تفاصيلها، لكن أذكر أنني أحسست أنها تعنيني شخصياً، كما تعني كل من كان مشاركاً. ثم قرأ أحدهم نص الإنجيل، وأذكر تماماً أنه كان نص زكا قصير القامة، الذي تسلق الجميزة ليرى يسوع. ومع انتهاء النص صمت الجميع. تعلمت لاحقاً أنها فترة للتأمل في النص، لكن حينها التزمت بما يفعل الباقون وأنا أنتظر التالي دون أن أفهم ما الذي يحصل، مضت ربما 10 دقائق. وقتها أحسستها طويلة جداً بانتظار التالي، وإذ بأحدهم أو إحداهن يبدأ الكلام، بما عناه النص له اليوم، وكيف يمكنه أن يعيشه هو اليوم، وتتالى المتحدثون الواحد تلو الآخر، دون أي ترتيب معين وهناك آثر الصمت، استمعت بانتباه ولمست كلاماً بسيطاً، لكنه في منتهى الصدق ويعبر تماماً عنه ما يعيشه المتحدث دون أي تكلف، ولم أشعر بنفسي إلا وأني أحب أنا أيضاً أن أشارك الآخرين بما فهمت من النص، أشكر الله والمجموعة التي كانت يومها، فلهما معاً يعود انهيار جدار كنت أتصوره في بداية استماعي لأول المتكلمين منيعاً جداً. وسيفصلني عن الاقتداء بالآخرين والمشاركة ربما لفترة طويلة. وإذ به ينهار ويتلاشى سريعاً. تتالت المشاركات ليختتمها الأب الياس بمشاركته التي

اختلفت جذرياً عن ما ألفته من عظات الكهنة الآخرين في الكنائس، فكانت مشاركته تلك المرة، وفي كل مرة تلت، تربط نص الإنجيل بحياتنا اليومية مباشرة، انتقل بعدها إلى رفع النوايا. وسأل إذا كان لدى أحد ما نية خاصة، يرغب برفعها مع الذبيحة. تتالت بعض النوايا الشخصية والعامة، من بعض الصبايا والشبان، وكلها من صميم الواقع، والحاجات والمتطلبات الآنية، ثم قام أبونا بتكريس الخبز والخمر، بالكلام الجوهري. لتليها المناولة التي كانت بالنسبة لي بطريقة أعيشها للمرة الأولى، إذ يسلم أبونا القرابين لمن بجانبه، وكل يعطيه للذي يليه ليتناول كلّ بيده. مع المفاجأة بهذا الأسلوب الذي أحببته، إذ شعرت بأمرين، أصبحا مع الوقت يعنيان الكثير بالنسبة لي، وأتلمسهما في كل مشاركة لي في التناول حتى يومنا هذا. أولهما أن لكل إنسان دور في إيصال يسوع إلى الآخر، كما يناول كل من القرابين للشخص الجالس أمامه. وثانيهما الشعور بالتماس المباشر مع يسوع المتجسد في تلك القرابين المقدسة التي ألمسها بيدي، وكأن يسوع نفسه يمسك بي كما أنا أمسك به.

هذا ما كان من أمر لقائي الأول، الذي شعرت فيه أن هذا فعلاً ما كنت بحاجة إليه، وما يمكنه أن يعبر عني. فالتزمت من يومها بلقاءات الأسرة، التي لم أغب أو أتخلف عنها إلا في حال الضرورة القصوى.

وتوالت اللقاءات وتزايدت معرفتي بأفراد الأسرة كمّاً ونوعاً. أي أتعرف على عدد أكبر. وتزداد العلاقات عمقاً مع من أعرفهم وكذلك المرشدين طبعاً، الأب الياس الذي كان معروفاً لي حتى من قبل، بفعل نشاطه الكنسي، والقداديس التي كان يحييها وتستقطب العدد الكبير من مختلف المناطق والأعمار، خصوصاً الشبيبة، لكن كل ما كنت أعرفه عنه، اكتشفت أنه سطحي بعد معرفتي به، من خلال مشاركاته في قداس الأسرة ومشاركاته في الحوارات والنقاشات. وكذلك والأهم، عبر إرشاده، سواء الجماعي أو الفردي، كما كان لي كنز عظيم في معرفتي للأب يوسف بربي، الذي بهدوئه وإصغائه وعمقه استطاع أن يدفعني في اكتشاف بعد روحي

لكل نشاط ثقافي أو اجتماعي نقوم به، كما كانت الأخت ماري تيريز أيضاً من مرشدي الأسرة، وكنت أعرفها بشكل جيد بحكم صداقة أسرية مع الراهبات الفرانسيسكانيات، حيث كانت منهم. إلا أن التزامها بإرشاد الأسرة لم يدم طويلاً. بعد ذلك لتأتي في وقت لاحق، الأخت بيا Pia، من راهبات يسوع الصغيرات. كلتاهما كان لهما حضور آثر في محبة كل منهما لكل فرد من أفراد الأسرة. وكنت ألمس ذلك من الحوارات والمشاركات والصلوات، التي كانتا تشاركان فيها إضافة للنصح، والإرشاد سواء الروحي أو الاجتماعي.

أبقى على المستوى الروحي، حيث إضافة للقداس الأسبوعي، تقيم الأسرة في كل من فترتي الميلاد والفصح، لقاء روحياً خاصاً، يشمل زيادة عما يقام في القداس الأسبوعي، صلوات وتأملات من وحي المناسبة مع حيز للصمت والتأمل الفردي، ليتهيأ من يرغب بسر المصالحة والاعتراف،إذ يكون المرشدون جاهزين، في مشاركتي الأولى كان حاجز يفصلني عن ممارسة هذا السر (أظن هذا وضع الكثيرين)، والكثير من التساؤلات، ماذا سيفكر الأبونا حين يسمع اعترافي؟ هل سيأخذ فكرة ما عني؟ ماذا سيفيد أن أسرد أخطائي؟ ماذ سيقول لي "مرتين أبانا ومرتين السلام... بقولون لحالي"؟ كنا قبلاً في لقاءات الأسرة تكلمنا عن الاعتراف وأهميته، وربما طرحت بعض الإجابات لتلك الأسئلة. لكن مخلفات موروث الطفولة أعاد الأسئلة أمامي فترددت كثيراً، ثم "طحشت"، وقررت أن أجرب من جديد ما قد ابتعدت عنه ربما لسنين لأجد لدى الأب المرشد مهارة في الإصغاء وجهداً للدخول بحب إلى عمق نفسي، ليسلط على النقاط الجميلة فيها ويحفزها ويضيء بعض نقاط المعتمة، بكثير من النصح الأبوي لتجاوزها، وينقل لي مع حبه الأبوي حب الله الآب، منذ تلك اللحظة كسرت كل الحواجز بيني وبين سر المصالحة، وبت أحاول كلما احتجت وسنحت الفرصة، أن أعترف، ولكن حتماً أمام كاهن من أمثال مرشدي الأسرة، والحمد لله ما زلت ألتقي حتى الآن بالعديد منهم.

تزامن بدء التزامي مع بدء توزيع الكتاب الذي ضم مجموعة من

مشاركات شباب وشابات الرعية بعنوان "مجد الله هو الإنسان الحي". وكان من أبرز نشاطات أعضاء الأسرة جمع الكتب، التأكد من سلامتها وتغليفها، كل مجموعة كتب في رزمة تمهيداً لتوزيعها. وكذلك العمل على بيعها، وكان سعرها رمزياً، إنما يهدف إيصال خبرة هؤلاء الشباب، إلى أكبر قدر من الناس، وتلك كانت أولى مساهماتي المتواضعة في الرعية، التي أصبحت أسرتي الثانية. فكانت مثل عائلتي الأولى في كل شيء، إلى اليوم الذي رأيت مع بعض الإخوة ضرورة الانسحاب وتسليم الأمانة لمن اتفق على أنه الأجدر.

كما تزامن بدء التزامي أيضاً، مع استقرار الأسرة في مقرها، وبدء استخدام قاعة السواعد الذي ساعد على نمو الأسرة سريعاً عدداً ونشاطاً. وبدأت الحاجة إلى تنظيم وتوزيع العمل على مجموعات تتناوب على الأنشطة الروحية والثقافية والاجتماعية. ثم شكلت مجموعات حسب ميولنا ورغباتنا، وبدأت كل مجموعة تهتم بجانب من جوانب النشاط، فأصبح هناك مجموعة روحية، وأخرى ثقافية، وثالثة اجتماعية، وتشكلت نواة لتنسيق العمل في الأسرة بشكل عام، وبين المجموعات بشكل خاص، ودفعتني ميولي نحو المجموعة الثقافية، التي كان من مهامها تنظيم وإعداد الأحاديث والحوارات والمحاضرات حسب الخط العام، الذي تتبناه الأسرة كل عام بما تقترحه المجموعة أو يطلب منها، وكانت المهمة تستدعي الحوار والنقاش ضمن المجموعة بعد المطالعات والقراءات الفردية، ثم البحث والاتصال مع المحاضرين والحوار والنقاش معهم بغية الإعداد لمحاضرات شيقة وتلبي طموحات الأسرة. وهذا فتح لي أفق واسع للقاء العديد من المفكرين والمثقفين والاختصاصيين ذوي السوية العالية من العلم والأخلاق، والفكر مما أغناني شخصياً، وكل من كان يشاركنا هذه الزيارات واللقاءات ممن أتذكر من هؤلاء العمالقة الأستاذ انطون المقدسي على رأسهم، رغم أن ابنه ميشيل كان من أصدقاء الطفولة. وكنا نتبادل الزيارات لكن المرة الأولى التي أدخل فيها مكتبه الخاص في المنزل، كان بمرافقة المجموعة ومنهم ابنه

ميشيل الذي كان في حينه مسؤول المجموعة لتفاجئني غرفة جدرانها الأربع مكتبة كبيرة من سطح أرض الغرفة حتى السقف عدا ما خزن في علب جانبية. وليتبين لي لاحقاً أن هذا المفكر العظيم، لم يكن قد قرأها كلها وحسب، بل هضمها ويحفظ كل كتاب وموقعه ومحتواه، وكم كانت حواراتنا معه أبوية ورائعة، وكم أسدى لنا النصح وأرشدنا إلى الكثير من القراءات كما أذكر منهم أيضاً وأرجو أن لا أكون مخطئاً في بعض الأسماء: الدكتورة آرليت قاضي والسيدة حنان نجمة، الأستاذ فايز فوق العادة، الأستاذ فيصل العبد الله، الدكتورة رفاه الناشد وغيرهم كثيرين. تجربة أخرى في المجال الثقافي جميلة في بدايتها لكن لم يكتب لها النجاح لاحقاً هي مجلة الحائط وكانت فكرة ميشيل مقدسي مسؤول المجموعة، ولقي حماس الجميع فحضرنا الأفكار والمواضيع كتبنا ما تيسر وظهر العدد التالي، لنتأكد من جاهزية أكثر من عدد قبل متابعة النشر لنضمن الاستمرار بتواتر ثابت لكن للأسف، تلاشت الهمم، وكان ذاك العدد اليتيم، لكنه علمنا كيفية البحث واختيار وكتابة المقالات الشيقة، لشدة استمتاعي بالتجربة، اقترحتها لاحقاً بعد بضع سنوات، لكن كنت مصراً وقتها على عدم محاولة النشر قبل توفر عدد مناسب من المواضيع والمقالات حتى لا نكرر الفشل السابق. وفعلاً بقيت تلك التجربة يتيمة.

كان نمو الأسرة في هذه الفترة رائعاً، نشاطاً وعدداً وحماسة، فانبثق عن مجموعات العمل الثلاث، مجموعتان جديدتان، "مجموعة العمل الاجتماعي"، و"مجموعة الوحدة المسيحية".

مجموعة العمل الجماعي والتي كانت جزءاً من المجموعة الاجتماعية، لكن لما توسع نشاط وعدد شباب الأسرة ولخصوصية نشاطها استقل بكيان مجموعة مستقلة ينحصر ميدان عملها خارج مقر الأسرة، إذ كانت تهتم بزيارة العجزة وخصوصاً الذين فقدوا لسبب أو لآخر علاقاتهم الأسرية، وباتوا إلى حد ما مهملين دون مورد يذكر والأهم من حاجتهم المادية، التي كانت جمعية ما، أو مصدر آخر يسد البعض منها، وكانت حاجتهم الماسة

إلى علاقة اجتماعية وأسرية حتى فقد البعض أية رغبة ومتعة في الحياة، فأغلقوا نوافذ بيتهم وأبوابه، وكأنهم لا ينتظرون سوى رحمة الله. لكن شباب المجموعة بحبهم وصبرهم استطاعوا كسر الكثير من الحواجز، ودخلوا قلوب وبيوت من استطاعوا الوصول له، فأقاموا معهم مع الوقت علاقات رائعة، حتى بات بعضهم يعاتب الشباب إذا ما تأخر أحدهم مرة عن موعده كما ساعدوهم على الخروج من عزلتهم وبناء علاقات اجتماعية بين بعضهم البعض وأخرجوهم ببعض الرحلات والاحتفالات في مناسبة أو أخرى. كما كثيراً ما ترك شباب الأسرة عائلاتهم في أيام العيد من ميلاد أو فصح ليشاركوا أصدقاءهم العجزة الاحتفال الذين لن يجدوا غير هؤلاء الشباب معهم في هذه المناسبات. كان أخي جورج من الفعالين في تلك المجموعة وكثيراً ما كانت هذه النشاطات مثار أخذ ورد مع أهلي، "كيف نترك البيت في يوم العيد" ربما الفضول لمعرفة ما الذي يدفعه لقبول تلك المواجهة بفرح والخبرات الجميلة والغنية التي كان ينقلها لنا إخوتنا في المجموعة عن عملهم دفعني لتجربة الزيارات ربما مرتين فقط أو ثلاث. لا أنكر الغبطة التي غمرتني بعد الزيارة إلا أنني اكتشفت أن صعوبة وضع هؤلاء العجزة وحساسية العلاقة معهم يجعل هذا النوع من النشاط يحتاج إلى قدر كبير من الصبر والقلب الكبير. وفوق ذلك قرار صادق بالالتزام لفترة زمنية معقولة إذ لا يمكن بناء علاقة ثم قطعها فجأة مع مثل هؤلاء. وإلا سيكون رد الفعل عكسياً جداً. ولم أجد نفسي في هكذا نشاط فتركته فوراً رغم غنى الخبرة البسيطة التي اكتسبتها.

أما مجموعة الوحدة المسيحية فكانت بالنسبة لي بحراً واسعاً من الخبرات وهي المجموعة التي انطلق عملها مع الجيل الذي سبقني في الأسرة، جيل أخي، وعلى أهم المبادئ التي نشأت عليها الأسرة وهو الإيمان بالمسيح الواحد والكنيسة الواحدة. فانطلقوا باتجاهين الاتجاه الأول من خلال الحوار مع مختلف المجموعات العاملة في نطاق الشباب الجامعي بهدف تبادل الخبرات والتعارف وبخاصة نقل خبرة شباب الأسرة الذين

ينتمون إلى طوائف عديدة ومختلفة. لكن عملهم لا يمثل طائفة وحتى يجهل كل منهم طائفة زميله وحتى طائفة بعض المرشدين؛ أما الاتجاه الآخر فكان الاتصال بكافة الطوائف على حد سواء، عن طريق رؤسائها أو من يمثلهم بغية تعريفهم بعمل الأسرة من جهة ووضعهم أمام مسؤولياتهم عن هذا الكيان الذي يفترض أنه يمثلهم جميعاً أو هكذا نؤمن. هذا من جهة، ومن جهة أخرى تلمس إمكانية وجود أي عمل هذه المجموعة من المفترض أنها تمثل الأسرة ككل فقد كلف بهذه المهمة من توفر لديهم بعض الخبرة، وتاريخ عمل في الأسرة وغالباً ما كان يعهد إلى مجموعة النواة المنسقة لعمل الأسرة هذه المهمة، ويشاركهم أحياناً من يرغب بذلك، واقتصر عملها دوماً، على عدد قليل من الأشخاص، مع اهتمامي ومحبتي لعمل هذه المجموعة، كان لي المشاركة فيها في بعض اللقاءات. ومنذ كلفت لأكون من مجموعة النواة أصبحت مشاركتي شبه أساسية. طبيعة هذا العمل وحبي له دفعني لبحث وقراءات حول نشأة الطوائف والاختلافات والخلافات بينها وأسبابها، وكان هذا أحد مصادر الغنى التي اكتسبتها. أما المصادر الأخرى، والأهم فكانت اللقاءات التي كنا نقوم بها سواء مع المجموعات الأخرى، أو مع المسؤولين الكنسيين إذ من خلالها تعرفنا على أنماط مختلفة جداً من الأشخاص، أذكر من هذه اللقاءات الإنسان العظيم قداسة البطريرك عيواص، الذي كان الحديث معه غنياً بحد ذاته، فهو رحمه الله، كان عميق الإيمان بامتياز، مثقف إلى أبعد الحدود، قارئ بامتياز وكاتب ومؤلف ومفكر عظيم ومع ذلك متواضع إلى أقصى الحدود، يخجلنا باحترامه. ففي كل لقاء معه، كان يحرص على استقبالنا وتوديعنا شخصياً من الباب، ومنذ اللقاء الثاني كان يذكر اسم كل واحد ويكلمه شخصياً.

لقاء آخر كان له تأثير كبير علي وصحح لي بعض وجهات النظر، كنا في مرحلة نحاول البحث عن مبادرة لتوحيد عيد الفصح. وفي هذا الإطار كان لنا لقاء مع أحد الأساقفة، ووجدناه من القليلين المتحمسين جداً للفكرة ولكن نبهنا إلى أمر صدمنا، إذ كنا نعتقد أن كافة أبناء الكنائس مجمعون على

الرغبة في التوحيد وأن المشكلة محصورة في رجال الدين وخاصة المطارنة والبطاركة، فروى لنا ما جرى مع كاهن إحدى القرى، الذي بادر مع مجموعة شبان رعيته في محاولة لتوحيد العيد في القرية على الأقل، وأخذ مباركة وموافقة الأسقف، وإذ بعد أيام قليلة يزور وفد من كبار الطائفة الأسقف شاكين ومعترضين على عمل الكاهن، ولما أعلمهم الأسقف بموافقته المسبقة على عمل الكاهن، وحاول إقناعهم بالفكرة جددوا اعتراضهم الشديد وقالوا له، بالحرف الواحد "أنت والخوري هي بدكم تسطفلوا نحنا ما منحطها واطية لحدا"، وهددوا بمقاطعة الكنيسة نهائياً، أو اللجوء إلى طائفة أخرى. وخشية تفاقم الموضوع اضطر الأسقف للطلب من الكاهن التراجع عن المبادرة، وتأجيلها إلى وقت أنسب. وهنا اكتشفنا أننا بحاجة أيضاً لمبادرات على مستوى أبناء الكنيسة بمختلف طوائفهم لمزيد من الوعي حول أهمية وضرورة الوحدة على مستوى العقائد والشركة إضافة لوحدة العيد، مع اكتشاف غنى كل طائفة في طقوسها وتقاليدها، ولهذا الهدف أدخلنا في سلسلة محاضرات الأسرة عدة محاضرات وندوات ولقاءات تصب في هذا الهدف.

في صيف كل عام تقيم الأسرة لقاء سنوياً، يكون فرصة لتعميق العلاقات بين شباب الأسرة، تقييم العام السابق، ووضع الخط العام للعام القادم، إضافة ما يتم مناقشته من مواضيع أو محاضرات، وبت أنتظر قدوم موعد اللقاء بفارغ الصبر كل عام، إذ كان ما أكتسبه من معارف وعلاقات وهمة، لا يمكن وصفه حيث نتشارك العمل والفرح والتعب والتسلية وكل شيء، لكن أذكر أني ترددت كثيراً قبل المشاركة في أول لقاء لكنه كان فعلاً مميزاً، عن كل ما جاء بعده من لقاءات. كان اللقاء في صافيتا، وخصص اليوم الأول للصلاة والتأمل استعداداً للأيام التالية المخصصة لمشاركات حياتية يقدم كل فرد مشاركة عن كل حياته قبل وفي الأسرة وخارجها، وطبعاً كان المطلوب فقط الصدق، وأن تكون المشاركة حقيقية. لا شيء إلزامي سوى حب مشاركة الآخرين. طبعاً ابتدأت المشاركات بمن كان لديه كم أكبر من الخبرة والجرأة. طبعاً لم أجرؤ أنا على تقديم أية مشاركة إلى آخر يوم بعد بعض التشجيع

من مسؤولي الأسرة والشخصي. حضرت بعض رؤوس الأقلام وببعض التردد بدأت لتنكسر مع أولى الكلمات كل الحواجز فكل اكتشف نفسه أولاً على حقيقتها واكتشف الآخرين أيضاً على حقيقتهم. الجميع دون استثناء شارك إلا شخصين فضلا تقديم مشاركتهما كل على حدة، مع مجموعة مصغرة من المرشدين ومسؤولي الأسرة. أذكر منهما صديقي توفيق نوفل، حيث كانت تلك المرة الأولى التي يتكلم فيها عن أمر شخصي أمام أحد. إلا أنها كانت فاتحة خير حيث بات توفيق من أكثر المشاركين، بل لم يعد يتردد مرة في المشاركة. ودوماً مشاركاته حقيقية وشخصية وصادقة. سنوات من الصداقة معه استمرت حتى اليوم، بكل انفتاح هو الذي عرفته قبل ذلك كما كل أصدقائه شديد الانطواء.

ذكرت سابقاً أنه تم تكليفي في مرحلة كأحد أفراد النواة، وكنا بداية ثلاثة أشخاص: بيبا خوري، طوني عبود، وأنا. وكنا على درجة عالية من الانسجام، بحيث بتنا نكتشف أن آراءنا شبه متطابقة، في كل ما كان يطرح للنقاش. ثم انضم إلى النواة، حنا خوري بتزكية من المرشدين، كونه يتمتع بعمق مشهود له في البعد الروحي، لتكون له مساهمة فعالة في هذا المجال، وكنا نسعى أن يشارك في كل لقاءاتنا على الأقل أحد المرشدين، كما كنا نعتمد على الكثير من تبادل الآراء مع العديد من الجيل الذي سبقنا، وكنا نثق بخبراتهم وآرائهم. أذكر منهم منصور إبراهيم، منى سيوفي، وأخي جورج. وكذلك مع شباب الأسرة في حينه وخاصة من كان يبدي اهتماماً والتزاماً وتفانياً أكثر من سواه. مع الوقت تغيرت وتبدلت بعض مكونات النواة، تضيق العدد أحياناً إلى الحد الأدنى 3 أشخاص، وتوسع في أوقات أخرى حسب ما كان ممكناً.

في عام 1990-1991 لمسنا حاجة إلى دم جديد، يحمل أفكاراً جديدة، آراء جديدة... وبعد مشاورات تم توسيعها، ورفدها ببعض المميزين التزاماً بعمل وفكر الأسرة والأكثر شباباً ونشاطاً...

وبداية العام الدراسي 1991، وجدنا أنه أضحى من الأفضل لمجموعة

جيلنا الانسحاب من المسؤولية لترك المجال للجيل الجديد ببلورة أفكاره الخاصة، وتحمل المسؤوليات كاملة. وهذا لا يمكن أن يتم مع وجود جيلنا بنفس الوقت إذ لاشعورياً كان الجميع ينظر إلينا كأكثر تأثر وأهمية إن جاز التعبير. فكان لا بد من الانسحاب، وتسليم المسؤولية إلى مجموعة نواة جديدة من 3 أشخاص شاب وصبيتين (جورج صراف، ربى عازر، وثناء حسواني).

آخر محطاتي مع المسؤولية في أسرة الجامعيين في لقاء 1991/10/4، حين سلمنا الراية، استمر حضوري لفترة أخرى كشاب من شباب الأسرة، دون أي مسؤولية. لكن الأمر كان في غاية الصعوبة إذ كنت أجد نفسي مدفوعاً للتدخل في بعض النقاشات بحكم العادة، وكأنني سوف أعطي قراراً أو رأياً نهائياً، ثم ألجم نفسي في اللحظة الأخيرة، لأني كنت متأكداً أن ذلك لا بد سيحرج المسؤولين الجدد، ويحرجني، وحتماً سوف يربك شباب الأسرة إذ لن يكون واضحاً هل فعلاً سلمنا الأمانة لهؤلاء المسؤولين، وهل هم محط ثقة من الجميع، أم لا؟ فقررت الانسحاب من كل النشاطات نهائياً لنبقى على اتصال دائم مع أصدقائي في الأسرة وأنا نلتقي ونتحاور ونتشاور في كل شيء.

وحادثة لا يمكن أن أنساها، أشعر أنها تعبر عن صدق وعمق العلاقة بيننا. ذات يوم حصل موقف من أحد رفاقي أزعجني جداً (بصراحة لم أعد أذكر ذلك الموقف ولا من كان الرفيق... أذكر مشاعري حينها) وكنت كثير التوتر، وبحاجة إلى أن أفضفض لأحد ما. التقيت البعض من أصدقاء الطفولة، لكن لم تكن لدي المبادرة لمحادثة أي منهم، وكنت أنتظر حركشة من أي منهم، قد يستشعر ما بي من انزعاج، لكن لم يحصل وغادرتهم لأن موعد لقاء الأسرة، كان قد اقترب. وبذلت كل جهدي لأهيئ نفسي لأكون طبيعياً مع شباب الأسرة، الحمد لله وصلت قبل موعد اللقاء بقليل مثل آخرين، وإذ بإحدى الصبايا الصديقات تبادرني "شو بك اليوم طوني، مانك على بعضك". إن صدق العلاقة وعمقها جعلها في ثوان تلمس ما لم يستطع أصدقاء الطفولة أن يستشعروه في ساعة أو أكثر. وكان أن رويت كل ما كان

يـزعجني وتحاورنـا قلـيلاً حـول الموضـوع، لأدخـل بعـدها إلى اللقـاء، وكـأني شخص آخر، غير الذي وصل قبل دقائق.

إن انسـحابنا هـذا كـان سيشـكل فراغـاً كبيراً، في حيـاتي خاصـة الروحيـة. فالأسرة كانت تشغل الحيز الأكبر في حياتي. لكن والحمـد لله كنـا قبـل فـترة وقد أحسسـنا أن الأوان قد اقترب لتسليم الرايـة وسيأتي يـوم لـيس ببعيـد، نترك فيه مجموعة الجامعيين كما بـدأنا نلمـس، أعنـي مـن تجاوزنـا المرحلـة الجامعيـة. وقـد أمضـينا حتـى ذلـك الوقـت فـترة نسـبياً مديـدة في الأسـرة. الحاجـة إلى مـا هـو أعمـق أو علـى الأقـل مـا يكـون أكثـر ملاءمـة لسـننا، ومرحلتنـا فجمعنـا أنفسـنا نحـن بعـض مـن تجـاوزوا المرحلـة الجامعيـة مـن أفـراد الأسـرة الحـاليين والسـابقين. ووجـدنا صـيغة عمـل تناسـبنا أسميناهـا مجموعـة الخـريجين. وكـان مرشـدنا الأب بـولس ديـاب اليسـوعي. واسـتمرت مجموعتنـا لسـنتين تقريبـاً كـان أملنـا أن ينضـم إلينـا كـل مـن يرغـب ممـن يتجـاوز المرحلـة الجامعيـة مـن الأسـرة، لكـن ذلـك لم يحـدث خـلال فـترة نشـاطنا. ومـع الوقـت أصـبح لكـل منـا انشـغالاته، وأضـحى الاسـتمرار بـدون فائدة ترجـى، وفي ختـام لقـاء صيفي لمدة أسبوع قيمنـا فيـه الفـترة الماضـية، وتدارسنا حول الإمكانات المستقبلية قررنا حل المجموعة نهائياً.

هكذا عرفت أسرة الرعية الجامعية، وهكذا عشـتها، حتـى أضـحت أسـرتي الثانية، التي ربتني وعلمتني وصقلت شخصيتي، كمـا فعلـت عـائلتي. وصـارت جـزءاً مـن حيـاتي. ولمـا توقـف نشـاطي فيهـا بقيـت بكليتـها جـزءاً مـني، ومـن شخصـيتي. وحتـى اليـوم لا أسـتطيع أن أتصـور حيـاتي دون نشـاط مشـابه يغذيها. والحمد لله وجـدت ضـالتي دومـاً بعـدها، في مجموعـة شـباب عـائلات مريم أولاً، ولاحقـاً بعد الزواج، في عـائلات مـريم. لكـن تبقـى شـبكة العلاقـات في أسـرة الرعيـة الجامعيـة إضـافة إلى المستوى العـالي مـن الصـدق والنقـاء الأطول (حوالي 15 عاماً) والأوسع.

الطريف أنه حتى يومنا هذا يصادف أن ألتقي أشخاصاً شباباً أو شـابات،

مضى زمن طويل لم نلتقِ... وأكون مع زوجتي... لتفاجأ زوجتي من حميمية اللقاء، رغم أني أحياناً أكون قد نسيت اسمه، (طبعاً أتذكر الشخص تماماً، لكن اسمه يغيب عني، وهي مشكلتي الدائمة مع الأسماء). وهي لم تعرفهم من قبل رغم مرور 15 عاماً على زواجنا، لكنها مع الوقت تعودت، وباتت فوراً تقول لي بعد أن يغادرنا: "أكيد متل العادة من الرعية".

كنز من الصداقات، كنز من العلاقات، كنز من المعارف، كنز من الإيمان، كنز من الحب، كنز من الحياة... تلك هي أسرتي "أسرة الرعية الجامعية".

أو هكذا عرفتها... وهكذا عشتها...

دمشق 2015/6/8 أنطوان كردي (أو طوني كما كنت معروفاً)

10) **منصور إبراهيم**

"الإله الواحد... والكنيسة الواحدة... كان هاجسي الدائم دون أن أعرف من أين أبدأ... حتى عام (1974) كان التزامي بالكنيسة اجتماعي لا يحقق لي المستوى الأدنى من الروحانية. إلى أن سمعت بالصدفة من أحد الأصدقاء بأن طلاب جامعيين يلتقون في قاعة تابعة لكنيسة سيدة دمشق مع كاهن في قداس بالإضافة لبعض النشاطات الثقافية والاجتماعية. وكان أول لقاء لي في صلاة كان يشارك فيها البعض بتأملات في نص من الإنجيل المقدس بوجود الأب الياس زحلاوي والأب يوسف بربي والأخت ماري تيريز ثم المشاركة بالذبيحة الإلهية بطريقة جديدة علي ببساطتها وخشوعها وكأني وجدت، ما كنت أبحث عنه، حيث كان شعوري بوجود يسوع بيننا روحياً وإنسانياً. وبدأت أتردد على هذه اللقاءات بخجل أراقب الجميع من حولي لأتعلم منهم كيف أصلي وكيف أشارك، رغم معارضة بعض من أصدقائي /حتى أنه في إحدى المرات كنت عند أحدهم نلتقي بقصد الدراسة وعندما حان موعد ذهابي إلى اللقاء في الرعية وجدت الباب مقفلاً لمنعي من الذهاب، مع العلم أن هؤلاء الآن يسبقوني بأشواط في الإيمان والالتزام في كنائسهم/ بالإضافة إلى أن البعض في الرعية كانوا يحاولون عزلي وتركي

خارج دائرتهم لغايات أنانية/ رغم أن تأملاتهم خلال المشاركات الروحية كانت في قمة المثالية والقداسة/.

ولكن كان في داخلي إصرار على البقاء والاستمرار والتحدي لهؤلاء فالرعية كانت مجتمع مصغَّر في المجتمع الكبير الذي نعيشه بتناقضاته، بالإضافة إلى وجود ما كنت أبحث عنه من علاقات إنسانية برعاية يسوع الذي لم يتركني ولا لحظة وهكذا كان... حتى مع الذين حاولوا وضعي خارج دائرتهم ازدادت علاقتي معهم... حتى أصبح تواجدي والتزامي أكثر مما هو عليه مع عائلتي وأصدقائي في الجامعة وهذا ما جعلني أي وبعض أصدقائي في الجامعة ممن كانوا يعارضوني السباقون في الالتزام والتواجد والمشاركة في النشاطات وهكذا كانت سعادتي في قمتها...

ازداد التزامي بنشاطات الرعية مع مرور الأيام، فكنت عندما ينتهي دوامي في الجامعة أعود إلى الرعية دون المرور بالمنزل وقد اعتاد أهلي على ذلك مع العلم لست الوحيد في مثل هذا التصرف.

كان وضعي الصحي غير ملائم للقيام بأعمال مجهدة وخاصة عند إعادة تأهيل قاعة السواعد. ولكن كان الجميع سعيد لوجودي بينهم وكلما حاولت المساعدة كانوا يرفضون ويقولون المهم أنك معنا وهذه قمة في المحبة كنت أشعر بها من الجميع.

من أهم المحطات الهامة خلال وجودي في الرعية:

1- لقاءات الصيف لتقييم العام المنقضي ووضع برنامج لنشاطات العام المقبل فكانت لقاءات /صافيتا- الزبداني- مرمريتا- القنية.../ هذه اللقاءات كانت تزيد المحبة والتعرف ببعض وتصحح الأخطاء سواء كان على المستوى الشخصي أو الجماعي وتزيد من التزامنا بأرضنا وهويتنا الوطنية. وكان الجميع يعود بنفس جديد كله حماس ونشاط وثقة بالمستقبل وابتكار نشاطات جديدة والتزامات جديدة على المستويات الروحية والثقافية والاجتماعية.

2- مشاركتي لدورتين في الحوار المسيحي الإسلامي في /أيانابا بقبرص/ (Ayia Napa) حيث كان تواجد شباب الرعية له أثر كبير في هذا الحوار من حيث كونهم الأصغر سناً بين الحضور والأكثر التزاماً في اللقاءات والمحاضرات والمشاركات. وكان من الملفت أنه خلال الدورة الأولى كان همّ الكثير من الموجودين معرفة طائفة كل واحد منا ولكن دون جدوى حيث كان الجواب دوماً نحن مسيحيون وهذا ما أدهش الجميع وخاصة المطارنة والمفكرون من أقطار عربية مختلفة.

3- خلال بعض اللقاءات الروحية كان يتغيب الأب الياس والأب يوسف اضطرارياً رغم ذلك يتم اللقاء والمشاركة بنص الإنجيل كالمعتاد /ولكن بدون الذبيحة/ وكأن الآباء موجودين... ومن الملاحظ أن البعض من الشباب ينادوني /أبونا منصور/ مما جعل الأب الياس يطرح علي أن أصبح كاهناً وكان جوابي له رسالتي علمانية وليست كهنوتية وهذا ما يريده الرب.

4- كانت رحلة إلى الأردن للقاء شبيبة الفحيص من اللقاءات الهامة إذ من لحظة الانطلاق في دمشق حيث كانت بإشراف الأب الياس ولكن في اللحظة الأخيرة اعتذر بسبب طارئ، فأوكل الإشراف لي فكان التزام الجميع من لحظة الانطلاق حتى العودة مع العلم أنه كان برفقتنا بعض العائلات من أصدقاء الرعية. فكان منهم أيضاً كل الالتزام والتعاون مما جعل اللقاء مع شبيبة الفحيص مميزاً بكل المعايير حيث تم استضافتنا في بيوتهم ومع أسرهم خلال فترة الإقامة. فكان لنا الشرف بالتعرف على أهلهم... وقد تم بعد فترة استضافة شبيبة الفحيص في دمشق بنفس الطريقة أي في منازلنا وهذا ما أدى إلى بناء صداقات لا زالت قائمة حتى الآن.

وهكذا كان للرعية الجامعية الأثر الكبير في حياة الكثير من الشباب للمسيح الواحد والكنيسة الواحدة والإيمان الواحد.

2015/7/31

11) **ضيف الله خوري**

تعرفت على الأسرة في عام 1985 إذ عرفني عليها صديقي الدكتور رزق الله بطرس. الذي ثبتني بها (بدون مزاودة) الجو النظيف الذي لمسته فيها الذي حملته منها كثيييييير. إليكم أمثلة عليها وليس كلها:

+ أصدقائي إخوتي الذين عشت و لا أزال أعيش معهم أجمل لحظات حياتي وهم يعرفون أنفسهم

+ تعرفي على وعيشي مع سر الاعتراف

+ كيف أقرأ و أعيش تعاليم المسيح

وأنا الآن بألمانيا صدقاً صدقاً صدقاً أعيش على درب الإيمان الذي زرعته الأسرة بداخلي سواء روحيا أو اجتماعيا

وأخيرا الأب الياس زحلاوي أطال الله بعمره
سلموا لي عليه جداً من ألمانيا
وشكرا للقائمين حالياً على الأسرة
وشكرا لمن قام بفكرة هذا الاستبيان

12) **ميري كرزة**

الرعية الجامعية هي من أهم مراحل حياتي، أثرت علي بشكل كتير كبير أنا لهلأ ورغم غربتي عن بلدنا لسنوات، بحس حالي ما طلعت من الشام... مبدأ التشبث بالأرض متغلل بعضمي، حبي وتمسكي بفكرة عودتي للبلد هو نتيجة ما زرعته الرعية بقلبي، حتى إيماني بالمسيح الواحد عم يسهل علي تقبل المسيحي الآخر وارتياحي بالدخول لأي كنيسة بجميع طوائفها وهم كثر خاصة في أميركا.

رفقاتي يلي تعرفت عليهم بالرعية هم أخوة وأخوات بكل معنى الكلمة وانا على تواصل مستمر مع اغلبهم. يكفيني أن أقول ان اجمل ايام حياتي واجمل الذكريات كانت على ايام الرعية وأتمنى من كل قلبي العودة لبلدنا والاجتماع مرة أخرى بالجميع وخاصة لقاء ابونا الياس زحلاوي الله يطول بعمره.

13) **حبيب الطويل**

قصة دخولي للرعية الجامعية غريبة شوي وبنفس الوقت طريفة للغاية، لما رجعت من السعودية بعد البكالوريا تعرفت عالعديد من الأصدقاء سألتون شو في نشاطات كنسية كان معظمهم بمجموعة الفرسان بكنيسة سيدة دمشق ،طلبت منهم الانتساب حددوا لي موعد الاجتماع وتوجهت فعلا ودقيت الباب واستقبلوني لكن لما تطلعت حوالي مالقيت حدا من رفقاتي... قلت بيني وبين حالي يمكن متغيبين عن الحضور اليوم، بس بنهاية الاجتماع اكتشفت أني دخلت قاعة أخرى... هههه... وهي وكانت أول خطوة من مشوار عشر سنوات من المحبة والإخاء والتسامح... ما بقدر غير قول انو ما شفت أنقى من هيك أجواء عشنا مجانية العلاقات الإنسانية الكل بيخدم من قلب ورب، مردوده الوحيد هو الفرح ونقاء القلب والروح... اللي ثبتني بأسرة الرعية الجامعية هو نفس اللي ثبتني مع أخوتي بالبيت... المحبة...

أهم ما حصلت عليه من أسرتي أسرة الرعية الجامعية

1. **تشكلت أسرتي الحالية وتفرعت من أسرة الرعية الجامعية من خلال لقائي وتعرفي على زوجتي وحبيبتي ريم... وبظن أنو ما في أغلى من هيك هدية تقدملي ياها أسرة الرعية الجامعية زوجتي وولادي أغلى ما أملك**
2. **لمتني كيف أتحدث بطلاقة وثقة لامتناهية أمام أكثر من 100شخص**
3. **علمتني أنو حب وأغفر وسامح وعلمتني العطاء دون طلب مقابل من خلال انتسابي لمجموعة عبير للخدمة الاجتماعية علمتني أخدم المسن وساعد الفقير وأشعر بالآخر...**

باختصار هي من أهم محطات حياتي... وكل الأصدقاء أو الأخوة والأخوات اللي تعرفت عليهم بالأسرة هنن مشاعل نور ومحطات مضيئة بأحلى أيام مرت علي بحياتي... شكراً أسرتي

شكراً رب الأسرة أبو الجميع الأب الياس زحلاوي أطال الله في عمرك... دمتم لي...

14) **لمى باخوس**

أنا: خلينا بكرا نعمل شي مشروع...

هي: والله ما بقدر يا لمى بكرا الجمعة بدي أنزل ع الرعية...

أنا: اوووووف منك ومن هالرعية...

هي: تعي انضمي للرعية

انا: حلي عني ما عاد اللي خلق لهيك قصص

هي: جربي واذا ما عجبك بلا

أنا: ما بدي ليوم كان اخر يوم بعرض مسرحية للرعية وطلبت هذه الصديقة من الشيفية اني ضل احضر الحفلة اللي بتصير اخر يوم بالعرض...

وفعلاً حضرت المسرحية وحضرت الحفلة وتفاجأت بتفاعل الأشخاص مع بعض... تفاجأت كيف سألوا عن هي البنت اللي اقتحمت خصوصية حفلتهم وكيف تفاعلوا معها وخلوها تشاركهم نجاحهم بالمسرحية بكل حب وبكل ترحيب... ومن بعدها طلبت وضع اسمي للدخول ع الرعية...

بالبداية كان هدفي التثقيف الديني ولكن كان للتنوع الفكري والثقافي والديني والترفيهي مكانه في الرعية... وكانت الخبرات التي نأخذها من بعضنا تكسبنا ثقافة وثقة وحب وقوة... نتعلم من من كان يكبرنا بتجاربه ونعطي بعضا من تجاربنا لمن يأتي جديدا بيننا...

من أجمل ما قدمته لي الرعية وقوفي على خشبة المسرح مرات عديدة وأخذ ردة الفعل مباشرة من الجمهور... (والحمد لله كانت دائما ردات فعل ايجابية)

الى الآن ما زلت أذكر بعضا من كلام الأب الياس زحلاوي من أفتخر بمعرفتي به دائما واستشهد بكلامه وبعضا من جمله وأمثلته عند الدخول ببعض النقاشات...

لن اقول ان الرعية كانت ذلك المجتمع الشفاف الخالي من الشوائب فهي مثلها مثل اي مجتمع يوجد بها التنوع بكل شيء...

الرعية الجامعية كانت فترة مهمة بحياتي أفتخر بها وأحبها وسعيدة بانتمائي يوما ما لهذه العائلة التي كونت فيها صداقات حقيقية ما زالت بجانبي ومعي إلى الآن.

15) **عبد اللّه حنا**

الرعية شمعة حب حول الايمان بالمسيح الواحد والكنيسة الواحدة اشتعلت، شاركت وجدانها، واعترفت بذاتها ورتلت: "لكني الآن ابنك.أنت ترعاني بحبك فلن أخاف أبدا... لأنك تمسك يميني"، شمعة تأملت فتألقت.

الرعية كتاب قديم متجدد، سطرت عقول أبنائها عليه بألوان قوس قزح.

الرعية موضوع حضرته فتاة لأول مرة، ليبدأ ذلك النقاش الطويل الممتع الغني بالأفكار والتساؤلات الجوهرية ذات المعنى، والذي لا يخلو من المواقف الطريفة والضحكات اللطيفة، تكبر الفتاة لتحضر موضوعاً تلو الآخر، وإذ بها اليوم دكتورة محاضرة في الجامعة.

الرعية عقول تحاورت، أرواح تسامحت، سواعد تكاتفت، فبنت فسحةً سماوية على أرض الواقع.

الرعية صديقٌ أمضى حوالي الساعتين برفقة صديق مخلص مصغ، محاولاً أن يفهم نفسه ليبدأ بعد هذا اللقاء الصافي بداية جديدة كلها فرح وإيمان وقوة.

الرعية سهرة فنية من العمل الجاد حتى الصباح، مواهب كامنة تتفتح، تأليف وإخراج وديكور، عزف وغناء ورقص، ضحكة من هنا، وطرفة من هناك، وصوت عتاب من المسرح: المسرحية غداً يا شباب.

الرعية قانون محبة، سيد أول يحكم جميع القوانين.

الرعية شاب أدرك مبكرا عظمة الوالدين من خلال خدمته الاجتماعية لرجل عجوز سافر أولاده.

الرعية عطر معتق لملابس شاب وصبية اعتلت روحهما خشبة المسرح، وبقيت تعبق في فضاء المكتبة.

الرعية فتاة أغرقت عيناها الدموع، عندما ارتسمت على شفاه القادم الفقير السعادة بارتدائه لقميص كانت قد تبرعت به، إيماناً منها بان قلب يسوع الأقدس ومحبته لجميع الناس دون أي تمييز.

الرعية ابن مسافر كلما عطش روحياً واشتاق للوطن، سرح في ذكرياته معها، ليتمشى في تلك الشوارع، ويشم الياسمين، يقدم خدمة لها، يأخذ زوادته المباركة، ليعود مطمئناً من جديد.

الرعية حبة قمح مبادرة، اختبرت الأخذ والعطاء، ثم تسامت الى العطاء، لتغدو بيادرها في متناول الجميع.

الرعية أغنية جميلة من كلمات وألحان وغناء اولادها، دخلت القلوب وما فارقت الحياة.

الرعية راعي واثق مؤمن، مثقف متواضع وحكيم، كرس حياته للكنيسة من خلال اهتمامه بشبابها، شاهد حي باقي على قول السيد المسيح: "أنتم نور العالم، أنتم ملح الأرض".

الرعية حلم جميل، عميق ودافئ، أيقظ صاحبه عند الرابعة فجراً ليوصف سحر ذلك الينبوع المتدفق.

الرعية وجه نقي، يبتسم لي كل صباح، أحتسي وإياه فنجان قهوة على شاطئ البحر، نغني سويا مع فيروز:

"المحبة لا تريد شيئاً، ولا تريد لأحد أن يملكها، لأن المحبة مكتفية بالمحبة... بالمحبة"... اذا الرعية خاطبتكم فصدقوهاااا

2015-3-2 **عبدالله أديب حنا**

16) **كينده ميدع**

لم أعد أذكر تاريخ ذلك اليوم بالضبط، ولكنه كان عام 1997. كنت قد أنهيت دراستي الثانوية وسجلت في كلية الطب البشري في دمشق. اتصلت بي "جولي خوري" لتخبرني عن قبولي في أسرة الرعية الجامعية وكان ذلك بمثابة قبولي في أكاديمية الخبرات الشبابية.

في ذلك الوقت كنت مازلت أنتسب لمجموعة سنابل المحبة الكشفية وقد كنت مسؤولة عن مجموعة الأشبال والزهرات بعمر 9 و10 سنوات وقد أحسست وقتها بأن ليس لدي المزيد لأقدمه لهم، لابد لي أن أنهل من نهر جديد لأستطيع أن أقدم لهم ما هو جديد وهذا كان سبب رغبتي بالانتساب إلى أسرة الرعية الجامعية. ولكن لماذا لم أختر سواها؟ لأنه كانت لدي فكرة أن من ينتسب إلى هذه المجموعة يعيش أروع خبرات الشباب، ويستمع إلى العديد من المحاضرين الذين نسمع عنهم في وسائل الإعلام، نراهم وجهاً لوجه، وكان لرغبتي الخاصة والداخلية أن أتعرف على الأب الياس زحلاوي، ذلك الكاهن الاستثنائي والذي لم أتعرف عليه مع كل سنواتي الاثنتي عشرة التي قضيتها في كنيسة سيدة دمشق، ولم تسمح لي الفرصة أن أحادثه أو استمع له عن قرب.

اجتماعات الرعية كانت غنية، كنت أحضرها بشغف للاستماع والمشاركة بالأفكار، أفكار كثيرة كانت غريبة عني وعن عادات بيتنا وعن معتقداتنا، ولا أبالغ إن قلت أن منها ما كان يشعرني بالخجل بحيث أمتنع عن السؤال أو المشاركة بالحديث لجرأتها.

مخيمات الرعية كانت حياة محبة ببساطة، وكثير ما كانت تستمر معنا هذه الأجواء الحميمية لعدة أسابيع بعد العودة.

مسرحيات الرعية: انسجام وتناغم بين عدة أفراد، وكان يزعجني عدم تمكني من المشاركة بها بسبب دراستي وساعات دوامي الطويل، فكنت أحس بالغربة في تلك الفترة والابتعاد عن الرعية، في الوقت الذي كان الكثير يصبح ويضحي في جو الرعية.

الرعية الثانوية: سررت لانضمامي إلى المشرفين عليها لفترة قصيرة من الزمن، إلا أن ما كان ينقصها هو توحيد الهدف من إنشائها، فالبعض اعتبرها فرصة للتعرف على صغار السن، والبعض كانت له مفخرة أمام أصدقائه بأنه قائد في مكان ما. وآخرين أحبوا أن يكون لهم شعبية وقاعدة جماهيرية تصعد معه إلى الرعية الجامعية. وأما أنا فقد كنت سعيدة لأنني

عندما حرمت من مهمتي في الإشراف في فرقة سنابل المحبة، وجدت بديلاً عن ذلك في الرعية الجامعية. مضت ست سنوات في الرعية بلمح البصر، وعندما بدأت تخصصي انقطعت عن الرعية، وكلما قرأت إعلاناً بشأنها أستعيد ذكريات حلوة في ذاكرتي، إلا أنها وكمثل غيرها من المؤسسات مرت بعصر ذهبي، وعصر تدهور وما زالت تتوالى عليها التغيرات، مع تمنياتي بعصور ذهبية متوالية.

2014-11-19 كندة ميدع - دبي

17) **ريما الفريح**

أنا ريما نقولا الفريح خريجة معهد سكرتاريا. دخلت أسرة الرعية الجامعية لأصبح ابنة من أبنائها في عام 2000. عملت في مجال دراستي في شركة هندسية لمدة عشر سنوات إلى أن جاءت أبنتي لتدخلني مرحلة جديدة في هذه الحياة.

ساعتان في الأسبوع لمدة 15 عاماً كانتا كافيتين ليغيرا الكثير في حياتي.

كانتا كافيتين لأتعلم أن الصوت القادم من الآخر وجد كي أصغي له ليس لأسمع فحسب، فسماع الصوت قد يكون كافياً لأجيب ببعض الكلمات ولكنها ستكون كلمات عابرة لن تغيّر في الأمر شيء تعلمت هنا في الرعية أن يدخل الصوت لداخلي لأضع نفسي عوضاً عن الآخر فأجيب و كأني الآخر لكن دون الوقوع في حيرته.

كانتا كافيتين ليقولا لي أن الله صديق وبإمكاني أن أتحدث معه بلغتي أنا فأخاطبه دون وسيط حيناً وحيناً آخر عبر أيقونة الأمومة مريم العذراء التي ما قصدتها يوماً إلا ووجدتها.

كانتا كافيتين لأشعر بشعور الأمومة عند تحضير وجبات المخيمات لأعوام ثمان متواصلة من كل قلبي شعور استرجعه في بيتي اليوم حيث الأمومة أصبحت واقعة.

كانتا كافيتين لأعرف هويتي، لأعرف من أنا وماذا أحب من خلال كل تفصيلة عشتها في هذه المجموعة.

كانتا كافيتين لأخرج ما بداخلي من ثوب الخجل على خشبة المسرح أمام المئات من الأشخاص.

كانتا كافيتين لأدرك أن لي بعض من القوة ألمس أن آخراً بحاجتها من خلال عملي فترة قصيرة تركت فيّ الأثر الكبير في مجموعة عبير.

كانتا كافيتين أن أدرك أن المحبة مسؤولية، عليّ أن أنقلها لأشخاص أصبحوا عالمي كله، وأنا أركض، أصرخ، أرقص، أغني، أصلي وأتنفس معهم.

ساعتان في الأسبوع لمدة خمسة عشر عاماً قادمة لن تكون كافية لأكشف سر روح الرعية، هذه الروح التي نشعر بها، نلمسها ونرتبك عندما نحاول أن نصفها في كلمات، روح تغلغلت بأبناء المجموعة ليكونوا أشخاص حقيقيين وفقط.

لن تكون كافية لأشرح كيف تغيرت نظرتي إلى الله من إله وجدنا لنطلب منه لإله وجدنا لنشكره وحده الأب الياس زحلاوي يعرف كيف غير نظرتنا هذه، هو الذي علمنا أننا أبناء الله ليس عبيد.

لن تكون كافية لأتحدث عن تجربتي بقيادة الرعية الجامعية ،هذه التجربة التي كبرت بها، غيرت فيَّ الكثير تعلمت من خلالها معنى الصبر، الإصرار، المحبة والعطاء.

بين الأعوام التي مضت والأعوام القادمة أنا اليوم أبتعد قليلاً عن أسرة الرعية الجامعية لأنقل خبرتي وتجاربي وكل تلك التفاصيل لبيتي بمساعدة ابن الرعية، صديق الرعية، أخ الرعية وزوجي فادي اسكاف الذي أصبح هو والرعية جزءان لا يتجزءان من حياتي.

ريما الفريح ابنة أسرة الرعية الجامعية

18) **فادي اسكاف**

أنا فادي اسكاف دخلت أسرة الرعية الجامعية عام 1999، خريج معهد فندقي و أعمل في شركة خاصة.

لم يكن ليخطر لي يومها أنهما كانا يتحدثان عن ولادة جديدة لي في هذه الحياة يتحدثان: أقصد بشار أخي وعبود (عبد الله حنا) صديقه

وصديقي اللذان كانا يحاولان أن يجدا لي دافع ما لأدرس البكلوريا، توصلا أن يشجعاني لأكون من الناجحين ليتسنى لي الدخول لأسرة الرعية الجامعية. وإذ بي (بقدرة قادر) أخذت الشهادة و دخلت الأسرة.

ولادة جديدة آلام مخاضها شعور الرهبة من نقاشات لم أكن أفهم الكثير منها في اجتماعاتي الأولى.

رحمها محبة أشخاص أحاطت بي و نحن لم نلتقي قبلها يوماً.

حبلها السري شغفي لانطلاقة جديدة كانت تنتظر نقلة كهذه في حياتي.

أذكر تماماً أنه في نهاية الاجتماع الأول دهشتني دموع ذاك الشاب الذي كان يشكر تجربته في الرعية قبل انطلاقه للسفر. أذكر كيف نشب خلاف بين شاب وفتاة كانا يربطهما الإعجاب نتيجة رأي ذكرته في الموضوع لم يكن يعجب أحدهما بعكس الآخر. أذكر كيف أعاد اكتشافي ذاك المخرج ففتح باب عشقي للمسرح ولم يقفل لا أستطيع أن اذكر الرعية ولا أسترجع ذاك الشعور الغريب من الفرح بعد دموع صلاة المشاركة، لا أستطيع أن أنسى خواطري التي كنت أكتبها متأثراً بما يجري معي في الرعية وخصوصاً تلك الخاطرة القاسية عن صلاة أبونا زحلاوي التي كانت تطول عاماً بعد عام و هو يصلي لأهلنا في فلسطين، ثم في فلسطين والسودان، ثم في فلسطين والسودان والعراق ولبنان و... و...

مربك لي أن ألخص سنين طويلة كثيفة في الرعية ببعض الأسطر فالحقيقة أن معظم ما أقوم به اليوم أرجع فضله للرعية فرغم سنيني الطويلة كأحد قادة الرعية التي تبدو وكأنها قمة العطاء أدرك أنني أخذت أكثر بكثير مما أعطيت فأنا الذي أهدتني الرعية علاقتي الغير تقليدية مع الله أهدتني صديقة أيامي ومنها ابنتي أهدتني النجاح في العمل أهدتني محبة و فهماً أعمق لذاتي.

ليتني أستطيع أن أذكر كل شخص ترك أثراً في حياتي الرعوية فهؤلاء لهم دين علي سأبقى أوفيه للرعية عل أولادهم يستردوه.

19) رنا الفريح

اسمي رنا الفريح، من أبناء أسرة الرعية الجامعية، أتممت دراستي في كلية الآداب قسم اللغة الفرنسية منذ 10 سنوات، وأنا الآن مدرسة في مدرسة الرعاية الخاصة (البزنسون).

من الصعب أن تصف شيء كبير لا يوصف كالحب و الوطن مثلا وبالنسبة لي الرعية الجامعية كبيرة يصعب وصفها ببضع كلمات أو جمل لعمقها و لروحها التي تجمع بين أفرادها.

لم أكن أعرف عن الرعية الجامعية سوى نشاطها المسرحي الناجح بعيد البربارة من كل عام إلى أن دخلت في سنتي الجامعية الأولى، كنت تلك الفتاة الخجولة المرتبكة المراقبة للأشخاص من حولها كيف يناقشون وجهات النظر فيما بينهم بصدق وصراحة وإصغاء. جاء دوري لتحضير موضوع ومن موضوع لموضوع ومن ارتباك لارتباك ومن محاورة لمحاورة بدأت هذه الحواجز بالتكسر وخاصة أنني لم أكن أعرف يوماً أنني أستطيع الغناء أو الترتيل قدام الناس إلا من خلال خشبة مسرح الرعية الجامعية ومن خلال تشجيع الأصدقاء لي كي أرتل دون خوف في الكنيسة أو في المخيم أو في المكتبة تلك المكتبة التي لطالما قرأنا ودرسنا و بكينا وضحكنا وتدربنا وعزفنا فيها.

أذكر مرة في أحد المخيمات كنت جالسة أغني فسمعني أبونا الياس زحلاوي وقال: (شو بعدك ناطرة ما تفوتي ع جوقة الفرح؟) فمن خلال باب الرعية الجامعية انفتح لي باب آخر وهو باب جوقة الفرح الدمشقية وكم كنت سعيدة بذلك.

وأصبحت الرعية من أهم محطات حياتي التي شكلت عندي مخزون من الأفكار والطاقات الايجابية التي ظهرت في مسيرة حياتي ولا تزال حتى الآن سواء على الصعيد الاجتماعي أو الترفيهي أو الثقافي أو الروحي. الرعية جميلة، دافئة، عميقة، فيها روحانية عالية تجعلنا نعيش مفهوم الحب والتسامح من القلب وكل شخص فيها هو شعلة نور للآخر. لن أنسى كلمات أبونا الياس لنا اقبضوا حالكون - لا تنصابوا بالشيخوخة المبكرة - خلوا الانجيل مرايتكون - اذكروا الله بكل شي...)

وبالفعل تقربت من الله أكثر وأحاول الإصغاء له بكل آية من آياته الانجيلية. تزوجت و لم أكف يوماً عن الحديث لزوجي عن أسرة الرعية الجامعية وما قدمته لي من تجارب وخبرات وسأعمل جاهدة على ضوء الرب أن أنقل تلك الروح، روح الرعية الجامعية لمنزلي و أولادي.

شكراً رعية... وشكراً أبونا الياس زحلاوي... أطال الله بعمرك

20) **جنى كويتر**

كلمة الرعية هي كلمة المفتاح لشخصيتي (جنى)، الرعية تختصر خمسة عشر عاماً من حياتي إلى تاريخ سفري إلى كندا. لم أكن أعلم أن اتخاذ قرار دخولي إلى نشاط في كنيسة سيدة دمشق هو قرار مصيري لي، فقد انتسبت للعديد من النشاطات ولم أشعر بشعور الراحة وأنني وجدت نفسي إلى يوم رؤية أشخاصاً يبادرون بالتحدث إلي والدخول بنقاشات كنت أشعر حينئذ أن عقلي لا يحتمل الأفكار، و فجأة أبدأ بتحضير موضوع في مخيم خريبات عام 2001 على ما أذكر وإلى الآن أذكر شعوري ويدي ترتجف وأنا ألقي معلومات عن نفسية الطفل وعن عقدة أوديب، تجربة إعطاء موضوع أمام أشخاص يكبرونني سنين ولقد كنت أصغرهم وقتها، تجربة تجسد الثقة بالنفس.

وأيضاً تجربة المسرح فلقد شاركت بالعديد من الأعمال المسرحية ولم ولن أنسى دور (شخصية زلفة) في مسرحية رحلة شيطانية وصوت الحضور وقهقهتهم عندما أركض هاربة من الكاهن، وأيضاً دور (شخصية مرح) في مسرحية انتظار والتدريبات التي دامت خمسة أشهر متواصلة يوم بيوم لقد أثرت بي بشكلٍ غريب حيث اكتشفت أشياء بذاتي لم أكن أعرفها.

لقد منحتني الرعية إخوة كثيرين من شبان وشابات. لقد قررت أن أسدي أسرتي الرعية الجامعية بعضاً من فضلها علي عندما عرض المسؤولين أن أكون مسؤولة، ولكن رغم الست سنين من دوري كمحاولة اكتشفت في نهاية المطاف أنني اكتسبت الكثير والكثير من تجربتي في هذا المجال.

إن أسرة الرعية الجامعية بالنسبة لي كالينبوع الذي لا ينضب إن الرعية

أسرتي بكل معنى الكلمة بكيت عندما ودعت إخوتي وأخواتي في الرعية كما إخوتي في بيتي أتمنى أن أستطيع رد الجميل ولو قليلاً وخاصة بمجال الصلاة حيث أصبحت جزء أساسي في حياتي وأكثر شيء سأشتاق إليه هو الصلاة والشموع والترانيم وأصوات أصدقائي وهم يشكرون ويتضرعون ويذكرون أصدقائهم المسافرون أو الغائبون في الرعية. هنالك الكثير من الذكريات والوجوه والضحكات والدموع لا تستطيع أي كلمة أي صفحة أي كتاب أن يصفها وأتمنى لأولادي أن يشعروا ويعيشوا هذه التجربة وأتمنى لوطني سوريا أن يقوم من آلامه.

وبالنهاية أريد أن أشكر وأصلي للأب الياس زحلاوي من كل قلبي، أب أسرتي - أسرة الرعية الجامعية. 2015/7/2 الرعوية: جنى كويتر

21) **سنا قصقص**

لم تكن أسرة الرعية الجامعية التي انتسبت إليها عام 2008 الأسرة لي بكل معنى الكلمة ولم أشعر بها، إلا أنني بين أفراد أسرتي وإخوتي.

اسمي سنا قصقص تولد دمشق عام 1990، وشكلت لي أسرة الرعية الجامعية وسطاً حاضناً كما لكل أصدقائي وهذا الوسط هو الذي شجع كلاً منا لإظهار شخصيته وتقويتها وتنميتها بمجالات اجتماعية ثقافية روحية... من خلال اجتماعاتنا الأسبوعية التي جعلت مني ومن الجمعة يوماً مخصصاً للرعية!

وأستطيع القول أن من أهم الأهداف التي تسعى الرعية لتحقيقها والتي شهدتها بنفسي هي تطوير القدرة على التواصل مع الآخر، القدرة على النقاش المنطقي والاهم القدرة على الإصغاء واستيعاب الآخر على اختلافه ولقد عمل هذا على توسيع مداركنا وتعميق رؤيتنا لمحيطنا وتشجيع روح البحث وفضول المعرفة.

لم أتعرف على الرعية بشكل فعلي إلا بعد ذهابي إلى المخيم الصيفي (حيث قبل ذلك الحين لم أكن عضواً فعالاً)

ففي صيف 2009 في منطقة عزير تعرفت على الرعية كاسرة لي وشعرت بمعنى هذه الكلمة، شعرت بالانتماء بالمحبة والإيمان! بالنسبة لي كانت المخيمات (ولم تزل) عصب الرعية الأساسي فهي توطد العلاقة بيننا كأفراد رعية واحدة وتعمق معرفتنا ببعض من خلال تفاصيل الحياة اليومية التي نتشاركها لمدة رغم قصرها غنية بالتواصل الإنساني والروحي... فكل منطقة زرناها تركت أثرها فينا وندين للرعية بفضل التعرف على هذه المناطق التي ربما لم نكن لنتعرف عليها لولا المخيمات.

أما ما هو الأهم في شهادتي هذه والذي تقصدت الحديث عنه في ختامها فهو الأب الياس زحلاوي مؤسس هذه الرعية: هو الأب الروحي لنا جميعا، هو الذي أسبغ على الرعية روحها الطيبة المنفتحة المنطلقة إلى عوالم واسعة والاهم روحها الوطنية التي كانت هي الطاغية دائماً والتي تجاوزت الدين والطائفة إلى الوطن بكل مكوناته... هي روح الرعية هي الانتماء المحبة الصداقة الأمان الإيمان هي العائلة.

2015-7-12

22) **فادي سروجي**

اسمي فادي سروجي مواليد دمشق 1985 وأعمل في منظمة إنسانية.

أسرة الرعية الجامعية محطة مهمة بحياتي...

بدايةً كان دخولي للمجموعة مجرد نشاط أقضي فيه بعض الوقت وتلبيةً لرغبة والدتي بالدخول إلى نشاط كنسي، ولكن الموضوع كان بالنسبة لي صعب لأنني شخص خجول ولا يوجد لي أصدقاء خارج المدرسة فكان لدي تخوف من الانضمام إلى مجموعة جديدة لا أعرف أحد فيها. فكان دخولي إلى أسرة الرعية الثانوية في بداية خريف 2001 وكانت حديثة العهد، وكان الاجتماع الأسبوعي يوم الثلاثاء، فواظبت على حضور الاجتماع دائماً من ناحية تمضية الوقت لا غير. كنت أشارك بالمخيمات والنشاطات، ولكن بالرغم من ذلك لم أكن أستطيع الخروج من خجلي.

فبعد عام ونصف تقريباً بدأت التحضيرات للمسرحية السنوية التي تقوم الأسرة بها، ومن ضمن المسرحية "مسرحية لا أحد بريء"... كان يوجد فقرة دبكة وكان المسؤولين بحاجة إلى أشخاص تشارك بالدبكة، فتجرأت واشتركت معهم وكانت تجربة رائعة وهي خطوة في مشوار كسر الخجل لدي.

انتقلت إلى أسرة الرعية الجامعية بحدود عام 2003 ولكنني لم أكن ألتزم كثيراً بالاجتماعات لعدم قدرتي على التواصل مع الرعويين.

ومن الاجتماعات التي أثرت فيّ هو الاجتماع مع ميرنا الأخرس، التي تحدثت فيه عن ظاهرة الصوفانية، وتأثرت كثيراً بحديثها، أثرت بداخلي جملة قالتها ميرنا "أن هنالك أشخاص من جميع أنحاء العالم تأتي لزيارة الصوفانية والأشخاص الذين يسكنون في دمشق لا يعرفون بيت الصوفانية"... فأصبح لدي الفضول لزيارة هذا البيت. فبدأت زيارتي إلى الصوفانية لحضور قداس يوم السبت ثم يوم الثلاثاء حيث صلاة التأمل. وبدأت أجد شيئاً جديداً في إيماني وصلواتي مع العلم أنني كنت مواظب على الصلوات وحضور القداديس بشكل عام ولكن ببيت الصوفانية لمست شيئاً روحياً جديداً يحمل البساطة والإيمان الصادق وبدأت معرفة حقيقية بالعذراء والسيد المسيح وخاصة بعد رؤية الزيت ينسكب من يدي ميرنا وسماع رسالة السيد المسيح الأخيرة التي تحدث فيها عن الشرق.

ومنذ تلك الفترة بدأت بالالتزام باجتماعات أسرة الرعية الجامعية، إلى أن كان اجتماع مع المخرج جمال سلوم الذي تحدث فيه عن المسرح وأهميته بهدف عرض مسرحية جديدة للأسرة، ولكن موضوع التمثيل لم يكن يعني لي الكثير، وبعد أسبوع طلب المسؤولون عن الرعية في ذلك الحين شباب للمشاركة وذلك بسبب نقص الممثلين، رغبت بالمشاركة لأنهم بحاجة إلى شباب وذلك بهدف إنقاذ الموقف، اشترطت بدايةً أن يختبرني المخرج إن كنت أصلح لأمثل فأنا أبعد ما يمكن بنظري عن التمثيل وخاصة مع مشكلة الخجل التي لم أتخلص منها كفاية. ووافق الأستاذ جمال سلوم عليّ وبدأت رحلة جديدة وجدية بحياتي ضمن التدريبات التي قمنا بها. بدأت أتخلص

بشكل جدي من الخجل وبدأت أستطيع التواصل مع الآخرين بطريقة أفضل بالرغم أن المخرج تركني لمدة تزيد عن شهر أتواجد بشكل يومي ملتزم بالتدريبات دون إعطائي أي دور أو تدريب يُذكر، وعلمت بالنهاية أن جلوسي كان تدريب بحد ذاته لي، واستمر التدريب حوالي 6 أشهر، ومن أجمل اللحظات عندما عُرضت مسرحية "انتظار" ولاقت إعجاب كبير وخاصة من الأشخاص المقربة مني والتي تفاجأت بما حصل لي من تغيرات على صعيد التواصل وكسر الخجل. وكانت تجربة عرض مسرحية انتظار في الأردن من اللحظات التي لن أنساها بحياتي.

ببساطة مسرحية انتظار مفصل هام في حياتي فالجميع يقول "فادي قبل انتظار وفادي بعد انتظار".

ومن اللحظات المفاجئة لي كانت عندما دعاني فادي اسكاف "أحد المسؤولين في الأسرة في ذلك الحين" لاجتماع في الكنيسة وتحديداً في مكتبة الأسرة مع المسؤولين الآخرين، وهنا كانت المفاجأة أنهم يريدون مني أن أكون معهم "كمسؤول" للأسرة فتفاجأت كثيراً، وشعرت بالخوف، فأنا أصغر المسؤولين سنّاً وغالبية الرعويين أكبر مني ولم يكن لدي تجربة بقيادة مجموعة من قبل، لكنني وافقت رغبةً مني بتقديم شيء جديد للأسرة ومن جهة أخرى لرد الجميل للأسرة، لفضلها علي الذي لن أنساه بحياتي من خلال ما قدمته لي.

تجربة إدارة الأسرة لم تكن تجربة عادية ورد جميل فقط، بل كانت مشوار مليء بالتجارب الجميلة والصعبة، وحملت الكثير من المواقف والتجارب التي لن أنساها وكثير من الذكريات التي جعلت من الأسرة بيتي الثاني، ومن الأفراد عائلتي الثانية. واستمرت هذه التجربة 9 سنوات من تحضير مخيمات واجتماعات ومواضيع ومسرحيات وتأملات وصلوات والكثير الكثير.

من 15 سنة بدأت تجربتي بأسرة الرعية، لا أستطيع اختصارها بكلمات قليلة، بل هي أكثر بكثير من مجرد كلمات، فببساطة أنا لا أستطيع أن أتخيل مشوار حياتي بدون تجربة الرعية... فالرعية أعطتني:

أب طيب وحنون... الأب الياس زحلاوي
الإيمان الصادق والصلاة البسيطة... من خلال صلوات وتأملات الرعية
المحبة والأصدقاء ورفاق الدرب...
جرأة الشخصية والقوة من خلال مخيمات ومبيتات ومسرحيات الأسرة
التعرف على أشخاص من بلدي ذو فكر وثقافة عالية
رؤية مناطق بلدي الرائعة
بالنهاية أشكر الله على وجود الرعية بحياتي.

23) **سناء المهنا**

اسمي سناء المهنا مواليد دمشق 1979/05/18

الدراسة: أدب فرنسي - جامعة دمشق.

دخلت أسرة الرعية الجامعية سنة 1999-2000. أسرة الرعية الجامعية نقطة تحول بحياتي والحمد الله تحول إيجابي سأذكر بعض النقاط فمن الصعب ذكر كل شيء.

أول اجتماع لي بأسرة الرعية الجامعية كان حوار مجموعات ولأول مرة اكتشف أني أملك صوت ورأي... ضمن الحوار كان لي مشاركة فعّالة جعل الغالبية ضمن مجموعتي تحب التعرّف عليّ...

كنت أشعر بالراحة في الاجتماع لدرجة أني تكلمت وأبديت رأيي وكان هذا نادراً ليحصل، ومنذ تلك اللحظة بدأت أتعرف على سناء وأفكارها ومبادئها التي لم تكن لي فكرة مسبقة عنها وبدأت ثقتي بذاتي تكبر... كنت ولا أزال أقول أن الرعية عرفتني على صوتي.

أول موضوع شاركت بتحضيره بأسرة الرعية كان عن القناعة والطموح بمخيم بعيت وأنا أعتبره من أنجح المواضيع التي شاركت بتحضيرها مع أنه الأول مع ملاحظة أني منذ الصغر كنت إحدى أفراد مجموعة بكنيسة سيدة دمشق وكبرت بتلك المجموعة وكنت مسؤولة عن أحد فرقها لكن للأسف لم أتعرف على نفسي إلا بأسرة الرعية... وتعلمت أني لازم أقرا وأقرا لأن لازم أعرف أكتر وأكتر لأن عدم القراءة والمعرفة يعني كون الأخيرة بالمجموعة

الكبيرة بأفرادها... تعلمت أن أحب نفسي أقبل كل ما هو موجود لديّ بفرح لأستطيع تقبّل التغيير... وهنا كبرت الأفكار وبدأت رحلة اكتشاف الذات بكل تناقضاتها بإيجابياتها وسلبياتها... بدأت أتعرف على ذاتي لأستطيع أن أغيّر من طباعي السيئة.

منذ الصغر وإيماني بيسوع كبير ومختلف عن الآخرين فأنا لا أحب الصلاة المنظمة ذات الكلمات المكررة وكانت أسرة الرعية بصلوات ومشاركات الرعويين العفوية الصادرة من القلب باب لأتعمق بمعرفتي بيسوع من يكون لي وما أكون له... تأكدت أني ابنة محبوبة عند الله رغم كل أخطائها فأنا لست عبدة واجب عقابها دوماً... لم تعد صلاتي واجب وفرض وإنما محبة وضرورة حياتية... تعلمت مع يسوع أن أعيش بفرح دائم رغم كل الصعاب والمشاكل...

لأسرة الرعية الفضل الأكبر بالفرح الموجود بقلبي، للمحبة الكبيرة لكل الأشخاص حتى المستفزين لي... تعلمت أن المسامحة أساس المحبة والفرح.

وكان لنا (فادي سروجي - وردة سرور - فادي بخصار - جنى كويتر - أنا) مشاركة صغيرة بكتابة صلاة مشاركة نبتدئ بها اجتماعاتنا الدورية نعبر بها عن شكرنا لله ومدى حاجتنا لبقائه بجانبنا:

« ربنا وإلهنا يسوع المسيح/ نشكرك على كل ماوهبتنا وهبنا من نعم.

قلباً نقياً اخلق فينا يا الله/ وروحاً مستقيماً جدّد في داخلنا.

يارب/ أنت الطريق وأنت النور/ فليشعّ نورك في طريقنا/ لنكون أرضاً خصبة لكلمتك.

أعطنا الإيمان لنفهم حضورك ونؤمن به/ امنحنا يارب بعض الوقت لنفكر بالآخرين/ ولنعرف فرحة المساعدة./ وامنحنا يارب القدرة الدائمة على الانفتاح/ بكل ما أعطيتنا من نعم/ لنكون رسل محبة حقيقية/ واجعل منا أبناء صالحين/ متمسكين بتراب أرضنا نعمل لما فيه خيرها وتطورها.

ربنا وإلهنا/ كما أنت واحد في الآب والابن والروح القدس/ ألهم آباءنا الروحيين/ الحكمة القادرة على جمع كنيستك/ لتكون كنيسة مسيحية واحدة جامعة.

استجب بما فيه خيرنا يا رب... آمين. »

كان لي مشاركات صغيرة بمسرح الرعية... عرّفتني معنى الوقوف على الخشبة أمام أناس سيحاسبونني على أي خطأ. فكانت المسؤولية الكبيرة والتي كبرت بمشاركتي بمسرحية انتظار عام 2006 وهي من أهم تجاربي... هنا تعلمت ضرورة التعبير عن الفرح والغضب والحزن. تعلمت ضبط المشاعر وإخراجها بالطريقة الصحيحة. تعرفت على أجمل وأصدق أخوة وما زالوا بجانبي برغم كل الظروف... وانطلقت لأكون إنسانة اجتماعية "والبنت يلي ما بتعرف تضحك صارت الضحكة مرسومة ع وجا وطالعة من قلبا".

ومن مسرحية "انتظار" انطلقنا لنمثل جامعة دمشق - أسرة الرعية الجامعية بمهرجان فيلادلفيا بالأردن. وكان لنا مشاركة فعّالة واستطعنا نحصل على عدة جوائز... وكان من أجمل لحظات حياتي... ما بنسى الفرح والإحساس بالمغامرة والمسؤولية مع أخواتي بالرعية ونحن بالأردن.

صيف 2006 كان مخيم القلبين الأقدسين في الكفرون، أول مخيم لي كأحد المسؤولين عن المجموعة ومن أصعب المخيمات... طريقة تعاملي مع أصدقائي يجب أن تتغير وبالوقت ذاته يجب أن أحافظ على روح المحبة والأخوة بيننا... وبدأت رحلة التعلم كيف أكون قائد مسؤول وصديق وأخ محبوب لكل الأفراد الأكبر سناً والأصغر بكثير وأتمنى أن أكون قد حققت التوازن المطلوب... بالحقيقة لقد كان لهذا الأثر الأكبر في حياتي المهنية.

أجمل هدايا الرعية أصدقائي... لولاهم لما أنا ما عليه الآن... أعلم علم اليقين إن كانوا سبباً في بكائي فلأنهم يحبونني ويريدون الأفضل لي دوماً... لا أستطيع أن أوفي أحداً من أصدقائي بأسرة الرعية حقه ولكنني أرغب من هنا أن أشكر بعضاً منهم فأنا لا أستطيع ذكر الجميع، وأخص بالذكر أخي وصديقي فادي سروجي وريما فريح وفادي اسكاف ووردة سرور وفادي بخصار وجنى كويتر.

أهم الشخصيات التي تعرفت عليها في أسرة الرعية الجامعية هي شخصية الأب الياس زحلاوي. بفضله زدت غنى روحيّ وثقافيّ واجتماعيّ...

أبونا لا أنسى أول لقاء لي معك في مخيم بعيت 2001 عندما أردت أن

تراني بعد أحد المواضيع وكان حديث لا أنساه... زرعت فيَّ بذور الأمل والثقة بالنفس... معك تعلمت أن ليس كل الكهنة سيئين هناك كهنة حقيقيون... المحبة المسيحية مزروعة بقلوبهم ولديهم القدرة لنقلها للآخرين... أشكرك من كل قلبي فأنت لهذه اللحظة تتحمل بكل فرح تساؤلاتي الكثيرة عندما أكون متعبة أو لديّ عتب على يسوع.

الحديث يطول ويطول وبالمجمل فإن الرعية:

- علمتني أن لي صوت ورأي أستطيع أن أعبر عن ذاتي منذ الاجتماع الأول لي بالأسرة.

- علمتني أن أحب ذاتي لأستطيع أن أحب الآخرين زرعت بي محبة كبيرة.

- علمتني أن الإيمان المسيحي ليس بعدد الصلوات وتكرارها دون الإحساس بها وإنما علاقة محبة وفرح وثقة مع يسوع. شكراً لصلوات ومشاركات الأسرة.

- علمتني أني شخص قادر على التغيير إن أراد.

- علمتني الثقة بالنفس وبالآخرين.

- علمتني التفاؤل والأمل وأن الضحكة النابعة من القلب أسهل وأسرع طرق التواصل.

- علمتني الجدية والمسؤولية والالتزام.

- علمتني أن أكون قائد وبذات الوقت تحت القيادة. شكراً للمسؤولية والثقة التي منحت لي كأحد المسؤولين عن الأسرة.

- علمتني معنى التمتع باللحظة الراهنة مهما كانت.

- علمتني كيف أضبط مشاعر الغضب أسوأ ما أملك.

- علمتني كيفية التعامل مع الآخرين حتى المختلفين عني بآرائهم وأفكارهم أو الأصغر مني سناً بكثير.

- أهدتني أجمل وأصدق الهدايا... ذاتي وأصدقائي.

- بالنهاية إن عادوا بالزمن للوراء وقالوا لي "بتفوتي عالرعية؟"

بكل ثقة وبدون تردد ولا للحظة أقول "أي".

24) وردة سرور

إنـه زمـن الصـوم مـن عـام 2000 عنـدما أخـبرتني صـديقتي في المدرسـة بتأسـيس فرقـة شـبان جديـدة في كنيسـة سـيدة دمشـق رديفـة لأسـرة الرعيـة الجامعية تضم أعمار المرحلة الثانوية.

وكأي فتاة في أول الشباب أعجبتني الفكرة: "ثقافة دينية بالدرجة الأولى - تسلية - معرفة - تعرف على أشخاص جدد" كل هذا ضمن كنف الكنيسة وهذا الأمر محبب لي ولأهلي.

كانـت الرعيـة الثانويـة بالنسـبة لي أصـدقاء جـدد، صـورة لمجتمـع مصـغر علّمنا منهج جديد للتفكير والتعاطي مع الآخرين كنـا نسـتفيد مـن تجـارب المسؤولين ومن خبراتهم.

وعنـد انتقالنـا إلى المرحلـة الجامعيـة ومـع مـرور الوقـت أصبح مختلـف مجـالات الحيـاة الالتـزام والاهتمـام بشـؤون الآخـرين وحـب المعرفـة الطـابع الغالب و تحول كل هذا إلى... شغف بالرعية.

هؤلاء النـاس الغربـاء تحولـوا إلى أصـدقاء مقـربين، نلتقـي نتحـاور ونـناقش مواضيع شتى تعلمنا كيف يمكن الاجتماع و التلاقي مع الاختلاف.

نعم إنها تستحق هذا الاسم إنها أسرة كبيرة لكل فـرد مـن أفرادهـا، عشـنا معـاً تجـارب لم نكـن لنعيشـها بـدون وجـود أسـرتنا الثانيـة مـن مخيمـات ومسرحيات ومواضيع ومناقشات. لم يكـن لكلمـة طائفـة أي وجـود كنـا نسـير معاً ودوماً على درب الإيمان بالمسيح الواحـد والكنيسـة الواحـدة. جمعنـا روح الرعيـة برعايـة ذاك الأب القـديس... نعـم إنـه بالنسـبة إليّ قـديس مرشـدنا الأب اليـاس زحـلاوي الـذي طالمـا اسـتمديت منـه القـوة الروحيـة والمعنويـة. تعلمت منه معنى التشبث بأرض الوطن تعلمـت منـه كيـف تجتمـع القداسـة مع الانفتاح... كيف تتلاقى الأضداد وتتعايش الأديان بسلام.

تعلمـت مـن الرعيـة قيمـاً وخصـالاً عـدة. أثـرت علـى شخصـيتي وطريقـة تفكيري وخصوصاً بعد أن أصبحت عضو مسؤول في إدارة الرعيـة الجامعيـة، هذا الأمر الذي لم أتوقع حدوثه يوماً.

في تلك المرحلة كثرت لقاءاتنا مع الأب الياس لمتابعة أمور الرعية، كم أمضينا من الأوقات في مكتبه المتواضع ذلك المكان القيم الثمين المليء بالمعاني كنت اشعر بالسلام والأمان والطمأنينة عندما ندخل إلى الغرفة. نعم انه مكان مختلف تماماً عن هذه الأرض لكنه في الوقت نفسه جزء لا يتجزأ منها.

مرت السنوات وانقلب الزمان وفجعت بأخي بسبب الحرب البشعة على بلدي. كم كانت فاجعتي كبيرة استسلمت بعدها لليأس فلم يعد لأي شيء معنى، فوجدت أسرتي الكبيرة بجانبي بجميع أفرادها. وقفوا معي يعزونني ويقوّوني فعلاً كأخوة لم يتركوني بمأساتي. حتى الآن "بعد مضي ثلاثة أعوام" وبالرغم من عدم قدرتي على متابعة مسؤولياتي كانوا يشاركونني بكل شيء. لن أنسى وقوفهم بجانبي ومؤازرتهم لي بشدتي... عودتي للرعية وللحياة كانت بفضلهم ومتابعتي لمسؤولياتي كانت بمساعدتهم. عدت على الرغم من الآلام والأوجاع، عدت لحضور اجتماعات الرعية ولحضور اجتماعات مسؤولي الرعية مع الأب الياس زحلاوي، إلى الاجتماع في ذلك المكان الذي لم يعد كالسابق، فقد امتلأ بصور الأبطال والشهداء. قد أعجز عن التعبير عن مشاعري في هذا المكتب وأنا جالسة وصورة أخي بجانبي قد يكون إحساسي القديم بهذا المكان قد وجد تفسيراً له ذلك الشعور الغريب بوجودية هذا المكان فعلاً، إنه لمنبع القداسة فقد أصبحت اليوم. على يقين أنه قطعة من السما، منبعها الأرض وقديسيها.

قد يأتي اليوم الذي سأكون فيه خارج الرعية لكنني سأحمل روح الرعية معي أينما كنت، وسأنقل ما تعلمته للناس من حولي، و سيبقى أفراد الرعية أخوة لي مهما كانت المسافات بعيدة بيننا... وستبقى كل كلمة من كلمات أبونا الياس محفورة في عقلي وقلبي ما حييت

شكراً على كل شيء لأسرتي أسرة الرعية الجامعية...!

25) جيورجيو حداد

سلامات ومحبة بالرب يسوع. أشكرك على الاتصال ، أعدك ان أفكر بالموضوع خلال هذا الأسبوع. فعلا لي ذكريات جميلة مع أسرة الرعية الجامعية، لا تنسى. بارك الرب ايامك وأعمالك الرعوية. متحدين بالصلاة

ذكرياتي مع عائلة الرعية الجامعية في دمشق لقد مضى عليها عدة سنين، ومع كل ذالك لم ولن تنمحي من ذاكرتي على الإطلاق. كانت بالنسبة لي عائلاتي الروحية كما كانت عائلة الرب يسوع مع تلاميذه. قلب واحد وهدف واحد، بناء علاقات روحية مسيحية، قولا وعملا؛ كل عضو ينمي نفسه بانفتاحه على اخوته لكي يساعدوه على التعمق بمعرفة المعلم الوحيد والأوحد، وحتى ننمو معا لكي نشعر أننا جسد واحد مع تنوع أعضائه. كل عضو حسب خبرته الشخصية، كانت في عائلته التي ترعرع بها، حسب مجتمعه والبيئة التي تتطبع بتعاليمها الثقافية والدينية. كباقة ورود مختلفة الأنواع ولكنها تبرز جمال المكون وجمال التضامن في خدمة الواحد للاخر باخوه وتواضع، حتى يصبح كل واحد مبشر في بيته ومجتمعه . هكذا عمل تلاميذ الرب يسوع، تعلموا وبدورهم انطلقوا ليعلموا اخوتهم بالانسانية. والبرهان على كل ذاك الأفعال والأقوال الشخصية. هنا في سويسرا، وبمدينة لوزان، لقد حاولت ان ازرع ما تعلمت من أسرة الرعية الجامعية في دمشق. بالاشتراك مع احد القساوسة البروتستانت، ان نفل أسرة رعية في رحاب جامعة مدينة لوزان التي كنت ادرس فيها علوم اجتماعية. بنعمة الرب لقد تحقق مشروعنا . منذ عشر سنوات تقريبا ، انا والقسيس انسحبنا تاريكين مسؤولين آخرين، كاهن وقسيس شابان. الحمد للرب على كل نعمه، في كل حين وكل اوان. انا اذكر بصلواتي المتواضعة كل الأخوة الذين صادفتهم خلال أسرة الرعية الجامعية، وبشكل خاص الأب العزيز الياس زحلاوي. بارك الرب الجميع. أرجوك يا ابونا المحترم أن تصفح عن أخطائي باللغة العربية

شهادة ثانية بالفيسبوك...

سلامات ومحبة بالرب يسوع. أشكرك بأخوية صادقة على رسالتك الأخيرة. بالنسبة لذكرياتي مع أسرة الرعية الجامعية، أحتفظ بذاكرتي وقلبي لحظة إقامة الإفخارستيا في الهواء الطلق. في هذه المناسبة الماضي يصبح حاضر، أي الرب يسوع يحتفل بالقداس مع تلاميذه، الجميع بقلب واحد بالرغم من اختلاف الخبرات الدينية لكل شخص، (unité dans la diversité)، التفاوت والاندماج يشمل الجميع بحرارة الإيمان. وكانوا يلتقون في الهيكل (الهيكل كان يوم ذاك على سطح أحد البيوت أو في الطبيعة) بقلب واحد وروح واحدة يكسرون الخبز في البيوت. صورة خاصة للكنيسة الحية، البارحة، اليوم والغد. أنا لم ولن أنسى تلك اللحظات المقدسة. كما وعد الرب يسوع، أي اثنان أو أكثر يجتمعون باسمي، أنا سأكون معهم؛ آمل أن كل الأخوة الذين عاشوا هذه المناسبات ما زالوا محافظين على روح تلك الخبرات. أنا أذكر الجميع في صلواتي. أنعم الرب بالمحبة الإنجيلية على الجميع.

26) **مها فريد سابا**

الرعية الجامعية "حياة إيمان وعمل".

رانيا زحلاوي صديقة طفولتي و"جارة الرضا" عرفتني على الأب زحلاوي عام 1975، إثر وفاة والدها ابن عم الأب الياس.

أول ما تعرفت عليه جاء ليعزي العائلة وذهلت وأعجبت بالأب الياس لما تحمل شخصيته من كاريزما وعلم.

لعب الأب الياس دوراً هاماً في مساعدة رانيا على التغلب على الوفاة الفاجعة. كنت يومها بالخامسة عشرة من عمري. علاقتي بالكنيسة علاقة تقليدية أذهب كل يوم أحد إلى سيدة دمشق بالقصور وطبعاً بالأعياد والأفراح والأتراح.

بدأت رانيا بالذهاب إلى الرعية كنوع من التواصل مع أشخاص من نوع "مميز". كانت تعود وتقص علي عن الاجتماعات وكيف ساعدتها على توسيع أفقها على عدة مستويات.

عـام 1977، دعـاني الأب اليـاس إلى أحـد الاجتماعـات وعـدت يومهـا إلى البيت بحالة "ذهول".

1978 انتسـبت إلى الرعيـة وبـدأت أفهـم أمـوراً عديـدة بطريـق جديـدة طليعية (Avant-garde) على 3 مستويات.

المستوى الروحـي: لأول مـرة في حيـاتي أصـلي مـع مجموعـة مـن الشـبان والشـابات بطريقـة غـير تقليديـة - نقـرأ نصـاً مـن الإنجيـل - تـأملات - مشاركات حياتية صادقة.

وكنـا نـدعو كبـار المفكـرين والكتـاب والفنـانين وعلمـاء الـنفس لإلقـاء محاضرات، تليها نقاشات مفتوحة وأسئلة ذكية من الحضور.

وكان المحاضرون من الإخوة الإسلام، وكانوا يلقـون أحلـى وأرفـع ترحيـب من قبل الرعية.

أما على الصعيد الشخصي البحث ساعدتني الرعية على تجاوز محنة صعبة جداً حيث استشهدت صديقتي الغالية دوللي ديب في 13 أيار 1981.

أحـاطوني بمحبـة لا توصـف، ودعمـوني عـن طريـق الصـلوات واللقـاءات والرحلات.

أحببت الرعية بكل جوارحي وحتى الآن ما زلت على علاقـة (الحمـد لله) صداقة وطيدة مع مجموعة منهم.

بارك الرب الأب زحلاوي "الراعي الصالح" وأطال عمره.

2015/10/9

27) **الطبيب النفسي إيلي غربي**

الرعية الجامعية

اقـترح علـي الاب اليـاس زحـلاوي أن اكتـب حـول مشـاركتي وحضـوري في الرعية الجامعية كشهادة عن الحضور المسيحي في سورية في فترة يهدد فيهـا الوجود المسيحي والوجود الحضاري.

مـا كنـت أود كتابتـه لا علاقـة مباشـرة لـه مـع الرعيـة الجامعيـة، انمـا صـداقتي لـلأب اليـاس ومعروفـه علـي، جعلـني أكتـب مـن مـدخل الرعيـة

الجامعية لأصل بعدها إلى كتابات اخرى لها صلة حميمة مع المسيحية والإسلام واليهودية وخصوصاً بما يحصل في سوريا خاصة وفي الشرق الأوسط عامة.

أن ما أكتبه اليوم عما عشته قبل خمسين عاما تقريباً هو ذكريات، فيها المسافة الزمنية والبعد الحياتي أي التجربة الحياتية التي تتضمن نظرة تحليلية لما حصل في ذلك الوقت.

على كل حال، كتابة شهادة بعد خمسين عام مدموغ بالتجربة الحياتية لكل هذه الفترة.

انا طبيب اختصاصي الطب النفسي للكهول والاطفال والرضع، بدأت دراسة الطب البشري في جامعة دمشق في ايلول 1968 وتخرجت في حزيران 1974 حيث جئت الى فرنسا للتخصص بطب النفس ومازلت اعيش هنا وامارس عملي وبحثي السريري في مجال التفاعل العلائقي بين الطفل ووالديه بما فيه من التطور النفسي الحركي ثم التكلم. إذن هي التفاعلات الانفعالية والتحسيسية والفكرية مجال دراستي وعملي وثقافتي.

أما عن الإيمان: فالإيمان طاقة وعلاقة: هو طاقة لأنه اجتذاب نحو الإله كحقل طاقة مغنطيسية ترسم خطوط قوة تحدد وتشرِّط أفعال وأعمال المؤمن.

وهو علاقة؛ طبعاً بين المؤمن وإلهه، وكذلك بين المؤمن وقريبه (القريب بمعنى كل من حوله له صلة به ان كانت عائلية، مهنية صلة صداقة أو جوار) فهو أساساً نوعية علاقة انسانية.

ان كان مجال الطب النفسي او مجال الإيمان، ففي المجالين نجد العلاقة مع الآخر كصلب الدراسة والعلاج والممارسة.

كما هو معروف، فالشاب أو الشابة يبدآن ببناء علاقاتهم الاجتماعية ببدء المراهقة، وخصوصاً عندما تبدأ استقلاليتهم عن والديهم. وهذا ما يحصل للكثير من الشبان والشابات بعد الشهادة الثانوية حيث يغادرون للمرة الأولى البيت العائلي ليلتحقوا بالمدينة الجامعية. فهاهم مسؤولون عن أنفسهم أحرار من رقابة الوالدين. يخرجون متى شاؤوا يرجعون متى

شاؤوا. لا ضابط لهم سوى الضوابط الداخلية لنفوسهم. فمنهم من يضيع لأنه ليس في داخله المرجعيات الضرورية لتحميه. ومنهم من يسيرون على خط مستقيم لا يحيدون عنه. يبقون على ما تلقُّوه. ومنهم (وأنا في هذه الفئة)، من ينشدون المغامرة والاكتشاف على غرار حنا مينة في إحدى قصصه حيث يترك الراوي أمر قيادته لجحشه، والجحش في القصة رمز للهوى أي لما يتمناه المرء في أعماقه. فهي غريزة الحياة أي الدوافع الحيوية.

لم أعد أذكر كيف قادتني قدماي إلى كنيسة القصور، أعتقد أَنَّ أحداً أعلمني عن قدَّاس نهار الجمعة مساءً في كنيسة القصور للجامعيين فذهبت لهناك من مجال الفضولية لأتعرَّف على ما يحصل هناك وعلى الناس المتواجدين في ذلك الاجتماع، وهكذا تعرفت على الاب الياس زحلاوي. وهكذا بدأتُ أشارك بنشاطات الرعية الفكرية الثقافية والروحية، فيها يلتقي الشبان والشابات للصلاة وللحديث والدردشة ولمشاريع ثقافية (محاضرات ومناقشات)، ولمشاريع روحية (رياضات وتأملات هنا وهناك، صافيتا، جونية، معلولا).

في كل هذه النشاطات، كانت تسود روح الحرية، روح قبول ان يكون للآخر وجهة نظر مختلفة، رأي مختلف او مناقض. هناك مارسنا الديالكتيكية الافلاطونية بمعنى ان كل واحد كان مدعواً لتكميل فكرة الآخر او نقضها، وهو هذا التفاعل الفكري البنَّاء الذي عشناه (عشتُه) في الرعية الجامعية والذي غذَّاني فكريا وروحا طوال دراستي الجامعية وأكمل إعطائي الروادع التي كانت وما تزال كنز مرجعيات في تعاملي مع الاخرين.

قضية المشاعر والأحاسيس والانفعالات:

الصلاة كلام وحوار. ولا حوار دون عواطف، كل كلمة لها معنى محملة بانفعال عاطفي، فلما نقول أبانا الذي في السماوات فنحن ننادي احداً ورجاؤنا أن يجيبنا على مناداتنا. فهو شعور انتظار ورجاء. ولما نقول اغفر لنا ذنوبنا فنحن نعبر عن شعورنا بالذنب ورجاؤنا أن نتخلص من هذا الشعور. لا صلاة بدون أحاسيس ومشاعر.

والتأمل أفكار وانفعالات عاطفية: قد تسكن الانفعالات وتتأتى الأفكار، إنما الأغلب ان تتأتى الأفكار مع انفعالاتها العاطفية، وتداعي الأفكار والعواطف تشبه نوعا ما، ما ننتظره في جلسات التحليل النفسي. الفرق هو في الحضور: في جلسة التحليل، هو حضور المحلّل النفسي، أمَّا في التأمُّل فالحضور لله.

ما أمنته الرعية الجامعية هو إطار لين يؤمن للشباب وللشابات مجالا للحوار الروحي والفكري والعاطفي حسب مبادئ الاحترام المتبادل، ويضمن بالممارسات هذا المبدأ المتعارف عليه كونياً كمبدأ التعامل الإنساني المبني على الصدق والمواطنة إن كنا مؤمنين أو غير مؤمنين.

28) **رابية بطح**

العزيز أبونا الياس،

لقد طلبت مني أن أكتب عن تجربتي في الرعية الجامعية و هذا ما كتبته:

الرعية الجامعية... هي نصب في ذاكرتي لسنين شبابي الرائعة!

في كل مرة أذكرها، تستنشق ذاكرتي، هنا في غربتي، رائحة مميزة عطرة لا أعلم إن هي رائحة كنيسة سيدة دمشق، أم هي رائحة دمشق بكاملها؛ تلك الرائحة تختصر أحلى وأمتع وأقوى سنين عمري!

انتسبت للرعية الجامعية عندما كنت في الواحدة والعشرين من عمري، وأعطتني بعدها 5 سنوات من المعرفة والثقة بالنفس. والأهم من ذلك علمتني الاعتزاز بالوطن والإخاء والمحبة و... الوحدة الدينية بكل أطيافها!

لا زالت علاقاتي مع أصدقائي من ماضيّ هناك، من أوطد وأعمق العلاقات حتى اليوم. وسنبقى كلنا نعتز بتاريخنا الرائع في الرعية، ونفتخر أننا كنّا في وقت من الأوقات جزءاً جميلاً منها!

24 **شباط** 2016

29) نهى غربي سمعان

شهادة عن الرعية الجامعية

أبت الغالي إيلي، نهارك سعيد.

منذ زمان بعيد، أشعر برغبة في الكتابة لك. ولكن أمور كثيرة تتزاحم في الوقت نفسه، فأشعر بالتمزق بين عملي كطبيبة، وحياتي العائلية بالمعنى الواسع للكلمة، الذي يتوجب علي أن أتحملها.

ما الذي حملته أسرة الرعية الجامعية لحياتي؟

سؤال هام جداً. وإن كنت، حتى الآن لم أجب، فإنما ذلك لأن في الأمر قصة طويلة في حياتي، ومنعطفاً حقيقياً على الصعيد الروحي، وعلى الصعيد الإنساني، وعلى الصعيد العائلي.

وإذا ما فكرت في مختلف هذه الأصعدة...

على الصعيد الروحي،

نشأت في عائلة كاثوليكية، محافظة، تعود إلى مدينة محافظة أيضاً. دراساتي كانت في مدرسة خاصة تديرها راهبات (كل ما هو مطلوب كي يكون الإنسان كاثوليكياً تقليدياً). ولكن النتائج فاقت كل توقع. وما إن وصلت إلى الجامعة، حتى فزت بالحرية. لم أعد أريد العودة إلى الديانة، حيث تجمّد حياة المسيح في القداس كل يوم أحد، وبتكرار الوعظ من أجل تجنب الخطيئة الخ...

وصلت إلى الرعية الجامعية، فاكتشفت وجه المسيح الحقيقي، وجهه الإنساني في الإنسان، إله حي بيننا على هذه الأرض، والحال أن ما تعلمته كان يقول لي أن الله في السماء! دعني أوضح: أنا لا أنتقد التعليم الذي تلقيته، ولكني أقول أني اكتشفت، لحسن حظي، الرعية الجامعية من خلالك أنت، الأب إيلي، وفهمت أن الله ليس احتمالاً، ولكنه يعيش معي في كل لحظة، من خلال كل إنسان ألتقيه في أوسع معنى للكلمة: المساعدة. وفي الرعية الجامعية، تصالحت مع الإله الحي، وهنا أيضاً اكتشفت هذا الشيء الهام، وهو تعلقي ببلدي، سورية، حيث يجب أن أعيش إيماني.

ستقول لي: إذن، لماذا هاجرت؟ هذه قصة أخرى، يجب أن أكتبها. ثمة أمور كثيرة يجب أن أقولها وأكتبها (وهذا يحتاج إلى أيام كثيرة من التأمل...)

لنتحدث قليلاً عما هو شخصي وعائلي: هنا أيضاً، في الرعية الجامعية، وجدت رجل حياتي، الذي يشاركني أفكاري عن الحياة، عن الإيمان المسيحي، عن دور المرأة، وخصوصاً عن الحب الحقيقي في حياتي. وأنا أذكر حتى الآن يوم باركت لنا خطبتنا وقرأنا إنجيل تلميذي عماوس... وهنا كنّا قد تعاهدنا على أن نحيا ثلاثة، مع المسيح الذي يرافقنا في طرقات حياتنا، على الرغم من جميع صعابها، والذي يواصل مرافقتنا على الرغم من جميع المطبات، المطبات طبعاً من جانبنا، وليس من جانبه هو. وإن كنا الآن قد بنينا حياتنا في سخاء إلهي، وهبنا ثلاث بنات وطفل، تملأهنّ الحياة والفرح، فذلك إنما يعود الفضل فيه إلى الرعية الجامعية.

ثمة أمور كثيرة أريد أن أحكيها وأشهد لها، ولكنها تقتضي بضعة أيام من الخلوة الروحية، لأستعيد كل ما عشته في الرعية الجامعية، وما قدمته لي في حياتي. هذه شهادة وجيزة.

أرجو، أبت، ألا أكون قد خيبتك بشهادتي هذه الوجيزة.

أقبلك بقوة، مع الرجاء بلقائك قريباً في صحة جيدة.

30) **عصام سمعان**

أبتي الحبيب الياس

هاأنا بدوري اكتب لك بعد نهى التي كتبت لك في فترة انتظاري في المستشفى خلال عمليتي الحمد لله مرت بسلام وانا الآن في البيت.

ارجو من الله ان تكون انت بخير

قصتي مع الرعية بدأت في الطريق كما بدأت اغلب قصص التلاميذ مع الرب.

كنت فعلاً في الطريق ابحث عن شيء ما لأملأ وقتي لان الجامعة كانت متوقفة بسبب حرب تشرين 1973، وإذ ألتقي بسهيل سابا (لا ادري اذا

تواصلت معه لكي يكتب عن الرعية اعتقد ان لدي عنوانه) فسألته أين ذاهب، فقال لي بالحرف الواحد: تعال معي وانظر، أنا ذاهب الى كنيسة ابونا زحلاوي، وكنت اعرف انه يتردد بالأحرى الى كنيسة الأرثوذكس، فقال لي أنا ذاهب لعند الكاثوليك، حيث يحدث أشياء تخرج عن المعتاد في كنائسنا، تعال وانظر! وهكذا ذهبت معه وكانت هي اللحظة التي غيرت كل حياتي وانا مازلت على نفس الطريق مع الرب منذ ذلك الوقت اي منذ 42 سنة!

أنا ولدت من أب عاش يتيم الام في عمر التاسعة، وبدأ حياته وأنهاها، كموظف صغير في الجمارك، تزوج من أمي التي اختارها جدي، وكانت تدرس كممرضة، وتركت التمريض مباشرة بعد زواجها، لتنجب خمسة اولاد 4 شباب، أنا الثاني منهم، وابنة وحيدة أتت بعدي.

والدي أرثوذكسي. كان يذهب الى الكنيسة فقط في المناسبات، وكان ينتقد هذه الكنيسة، وما يزال بسبب طقوسها، ولكنه كان يذهب، ونحن أيضاً إلى الكنيسة المعمدانية للبروتستانت، لان الماما كانت متعلقة ومواظبة عليها منذ صغرها. (جدي كان شيخ كنيسة)... وكانت تقرأ لنا الإنجيل قبل كل وجبة طعام، كواجب عليها وعلينا، دون ان تفسر ماذا يقول الإنجيل، فكان يقرا الإنجيل وخصوصا العهد القديم، كقصة في بعض الأحيان، تبدو لي خرافية... ولكني أتقبل هذا من أمي لمحبتي لها، واعتقد الان انها زرعت فيّ البذرة، والرعية أتت لتكون التراب الجيد الذي وقعت فيه، ونبتت النبتة لتسقى، من كل ما سمعته من كلام للرب، وما عشته تطبيقاً عملياً من خلال الرعية الجامعية.

عندما وصلت الى الرعية مع رفيقي سهيل، نزلنا الى قبو الكنيسة، وانا أتوقع ان هناك صلاة في الكنيسة، كما اعتدت عندما كنت اذهب عند البروتستانت، دائماً هناك تراتيل، ولكن هنا وجدت صمت سائد، وهناك عدد من الشباب والصبايا، يُعَبّون الكبريت في العلب! فقلت لصديقي ماذا تفعلون بهذا، أهكذا تصلون من اجل ان ينقذنا الرب من الحرب الدائرة؟ فقال لي هكذا نترجم صلاتنا، وهكذا كان... وانخرطت معهم وتعرفت على

الأب الياس زحلاوي، الذي قام بالترحيب بي بشكل شخصي، قبل ان يقيم الصلاة في آخر النهار... وهنا بدأت افهم المعنى الحقيقي للصلاة والانجيل، وانكشف لي الوجه الحقيقي ليسوع، الرب الساكن فيما بيننا، وليس بعيداً في السماء، او وجد على بعد قرون، كما عرفته من خلال قراءة أمي للإنجيل!

وبدأ المشوار مع الرب الحاضر فيما بيننا، والذي يرافقنا واحداً واحداً، كل حسب متطلباته، لكي ينير لنا الطريق علّنا ان نتعثّر .

من خلال الرعية عرفت الأب الياس زحلاوي: أب دؤوب يصلي، ويسير بخطا أكيدة، لأنه مع الرب، ثورياً على كل من يحاول ان يشوه صورة الرب، لانه غيور عليه كما على نفسه، حنون بشكل لم أتصوره عندما يلتقي بأمه، التي كانت بالنسبة له صخرة يجلس عليها، فلا تهتز برغم انها كانت مريضة، كانت ابتسامتها لا تغيب عن وجهها عندما تراه وترانا معه، كما لو كنّا أحفاداً لها.

كان بالنسبة لنا الأب والأخ، وكان شاب الفكر أكثر منا نحن الشباب، في كثير من الأحيان فيدفعنا الى الامام لنفعل ما هو مستحيل.

هكذا حفرنا قبو الكنيسة بأيدينا... جعلنا منه مسرحاً ليكون منبراً لنسمع صوت الأب الثائر، على كل ظلم، ومن أجل كل المظلومين، من خلال مسرحياته التي كتبها بخط يده، وترجمت بتمثيليات من شباب الرعية أنفسهم، لانها بحد ذاتها ترجمة، لما علمنا إياه المسيح، لنقف بجانب كل مظلوم أمام كل ظالم.

اذن مسيرتي الحقيقية مع الرب، بدأت في الرعية الجامعية، واكتشفت آنذاك ان من وضع يده بيد الرب فسوف يجره الى ما لانهاية، والحبل طويل، يكفي ان نمسك بطرف الحبل والسوق عالجرار، هذا ما كان يقوله لنا الأب زحلاوي إنتوا عملوا يلي عليكم، وخلوا إصبع الرب تلعب.

هكذا كنا نذهب للقاء المسنين لمساعدتهم على تدبير امورهم، ولكن في الحقيقة هم الذين ساعدونا على فهم ما هو أساسي في الحياة. لقاءاتنا بين

بَعضـنًا الـبعض مـن خـلال الصـلاة، سمحـت لنـا ان نتعمـق في ترسـيخ معتقداتنا، في فترة البحث عن هذه المعتقدات في بداية حياتنا الجامعية.

هذه الفترة مهمة جداً وتختلف عن كل فترات الحياة، فما قبل هي فترة التلقين في الطفولة ورفض ما تلقيناه في فترة المراهقة وما بعدها، هو العيش حسب المعتقدات التي ترسخت فينا... هناك الكثيرون الذين يعرفون هذه الفترة متأخرين، في سن الأربعين او الخمسين، ليبدأوا حياتهم من جديد...

لذلك أقول وأركز ان الرعية الجامعية كانت محطة مهمة جداً لنا نحن الشبيبة الجامعية...

هنا نلتقي أيضاً برفيقة او رفيق العمر، على أسس سليمة ومرسخة لتدوم. بشرط ان نستمر بترسيخ هذه المبادئ وهذا ما حصل معي بلقائي بنهى غربي...

قبل أن أسترسل في قصتي ولقائي بنهى في الرعية، أودّ ان أقول ان الرعية كانت المكان الأمثل للعطاء والاخذ المجاني. وهذا أمر مهم جداً ترسيخه في العلاقات الانسانية، وخصوصاً في عصرنا الحاضر الذي يفتقر كثيراً لهذا الأمر.

بالطبع هناك الكثيرون الذين مرّوا بالرعية لهدف معين، لأخذ شيء، ولذلك لم يستمروا كما هو الحال، في أي مجتمع هناك الكثير من الأمثال، بدون ذكر أسماء بعض الأشخاص، او بعض العلاقات التي مرت مرور الكرام، دون ان يستمروا لأن الرعية لم تكن الجو الملائم لاحتضانهم.

ان دور الرعية في حياتنا، تجاوز بعد فترة قصيرة، حدود الكنيسة ليتجسد في الحياة الاجتماعية والدراسية في الجامعة وما بعدها.

بسرعة وبشكل تلقائي تكونت مجموعة دراسية في الجامعة، كلهم ينتمون الى الرعية الجامعية وخصوصاً، في كلية الطب وهنا التقيت بنهى، لأني كنت اعرفها من الرعية، ولكن لم يكن هناك أخذ وعطي، لان نهى آتية من جو محافظ جداً، هو مسيحيو مدينة حمص، وكانت تأتي الى الرعية مع

أخوها إيلي دون ان تبدي أي مبادرة للاختلاط، وخصوصاً مع الشباب حتى في الجامعة... كانت تسير مع رفيقتين لها كل الوقت... بحيث لا أحد يمكنه التدخل، حتى أني في احد الأيام نظمت رحلة كاملة الى اللاذقية لمدة ثلاثة ايام، وجميع رفقائنا ذهبوا إلا نهى، وبذلك كنت وحيداً في هذه الرحلة.

وفي يوم من الأيام وبمناسبة انتخابات مجلس إدارة رابطة العلوم الطبية، التي فزت بها، نهى قفزت من بين الطلاب وكسرت كل الحواجز، لتقبّلني أمام جمهور الطلاب الجالس، فشدهت لهذا الموقف، وقلت في نفسي منذ تلك اللحظة أنّ نهى، تكنّ لي ود كبير (لو لم يحدث هذا يمكن كنت عملت خوري)

وهنا أقول ان الرعية كان لها دور كبير فيما حدث لانها لو لم تعرفني من خلال الرعية لما اقدمت على أخذ هذا الموقف... الرعية ساعدتها على أن تتحرر مما يكبلها وانا استطعت ان اعرفها عن نفسي من خلال عملي في الرعية.

هكذا بدأت علاقتي مع نهى واستمرت بكل صدق ومحبة، في حضن الرب من خلال الرعية.

هذه المسيرة توّجت بمباركة الأب زحلاوي، عندما أقام حفل خطبتنا في مكتبه في الرعية، في السابع من تشرين الثاني عام 1976، أول وعد أمام الرب، وبمباركة الأب زحلاوي، حدث منذ 39 سنة، كنّا نحن الاثنين فقط مع ابونا، وفي نفس الوقت كانوا اهلي في حمص ليطلبوا يد نهى من أهلها...

هكذا بدأنا المشوار مع الرب، في الطريق الى عماوس (هذا كان نص الإنجيل لخطبتنا)

من بعدها افترقنا بالمكان مدة 3 سنوات بعد تخرجنا، نهى أتت الى فرنسا وأنا بقيت لأخدم العسكرية.

وهنا أقول ان دور الرعية كان اكثر من اي وقت مضى، لنتمكن من الاستمرار برغم البعد الجغرافي، وحتى بعد لقائنا في فرنسا، لو لم تكن ثوابت الرعية ترسخت فينا، وحضور الرب الى جانبنا، لما كنّا قد استمرينا...

لان عيش كل واحد منّا في بلد مختلف كليا، احدث بيننا شرخاً كبيراً، بنظرتنا الى كل الأمور الحياتية، ولكن كوننا قريبين روحياً اعطانا اليقين بامكانية استمرارنا في الطريق مع الرب الذي يرافقنا، وتقدمنا على الزواج بعد سنة من لقائنا في فرنسا برغم ان كل الامور لم تُحلّ، ولكن كنّا على يقين بأن الربّ معنا، فممّن نخاف؟ هذا اليقين هي الرعية التي أعطتنا إياه، بأن الرب حاضر معنا، وليس في سابع سماء، كما كنّا نتخيله قبل معرفتنا إياه في الرعية.

وهكذا خضنا معركة الحياة في الغربة، وأنجبنا ثلاث زهرات، ولكن تبخّر حلمنا بالعودة الى بلدنا الحبيب... صدقوني انه في عام 2010، يوم عدت بمناسبة وفاة أمي، الله يرحمها، وبحثت جدياً، وزرت عدة مستشفيات في حلب، لأني كنت أنوي على الأقل ان أعود، من وقت لآخر لأقوم بإجراء عمليات تغيير مفاصل، او غيره من عمليات العمود الفقري، مجاناً لمن هم بحاجة، ولكن القدر شاء أن بلدي تغوص فيما دبّر لها.

31) **كوليت...**

أبت المحترم الياس زحلاوي،

بداية أشكر الله على أسرة الرعية لأنها كانت محطة رائعة في حياتي، فقد تعرفت على الأسرة من خلال صديقة لي في المدرسة، هي رولانا الحلبي، حيث كنت خلال هذه الفترة من حياتي أبحث عن التزام ما يقربني من الله والإنسان. وقد وجدت بأسرة الرعية غايتي من حيث الاستقبال الحار للأعضاء الجدد، والاهتمام بهم وتشجيعهم، أو من حيث حضور الأب الياس الذي كان له الأثر الأكبر، في ذاتي من خلال محاضراته وكلماته وقداديسه، وإحساسه العميق بحاجاتنا الروحية واهتمامه وتسميته لكل شخص منا باسمه الشخصي، وتأكيده على قيمتنا عند الله، مهما تواضعت إمكانياتنا. وهذا ما كان يسندني في لحظات شعوري بالدونية، أو الخجل أو الابتعاد عن الله.

وإن أكثر ما شجعني على الاستمرار والثبات جو المشاركات الحياتية، التي كنا نعيشها سواء في الاجتماعات، أو في المخيمات. وكل المواضيع التي كنا نتناولها، والتي تمس مختلف نواحي حياتنا الروحية والثقافية، وكانت تعمق الإحساس بأننا جميعاً أبناء الله، وكلنا في العمق متشابهون، ومغمورون بنعم الله ومحتاجون للحب لينشلنا من ضعفنا.

أما عن المخيمات فالجو العائلي الأخوي، رسخ فيّ إنسانيتي، وغنى التعاون والمشاركة وقبول الآخر وفهمه، وبعض المشاركات إلى الآن محفورة في فكري. مما أذكره جملة قالتها لنا الأخت رنا مسوح آنذاك، في سياق حديثنا عن الوطن والهجرة، "أنه إذا كان وطننا مريضاً فهو بأمس الحاجة لنا في هذا الوقت، ولا يجوز تركه". ومحاضرة للأب الياس عن كيفية التغلب على عادة سيئة استحوذت علينا وعدم الانجرار كالقطيع وراء أفكار وعادات خاطئة والبدء بذواتنا، في ضرورة التغيير والتقدم.

وفيما يخص المشاركات الحياتية والإنجيلية، فقد عمقت فهمي لله، المحبة والعطاء، والمتألم لانقساماتنا وضعفنا البشري، وأن طريق الحياة هو الخروج من الأنانية نحو الآخر، وأن لا قيمة لحياتي في الانغلاق والتقوقع، ورسخت إيماني وحبي لله وكيف أطرح كل ما في أعماقي أمامه، لأنه وحده يقبلني ويحبني كما أنا. ولا أنسى إلى اليوم صورة ليسوع المسيح المصلوب في قاعة الكنيسة وهو منحني على الإنسان الساقط بالخطيئة والمتألم لكي ينتشله، هذه الصورة الرائعة إلى اليوم تشجعني وتقويني في لحظات ضعفي.

وقد ساعدتني الأسرة على قبول أكثر لذاتي، فأنا الخجولة والفقيرة والمتواضعة، بإمكانياتي أستطيع أن أقدم شيئاً للآخرين، وأن يكون لي دور في مجتمعي. لذلك كنت متحمسة ومندفعة للانضمام لمجموعة العمل الاجتماعي، التي عرّفتني على مدى بؤس وفقر بعض عائلاتنا وأهمية الاعتناء بهم ومساندتهم وحبهم، وقد أغنوا حياتي بالفرح والحب. وكنت أشعر باندفاع وحب كبير للخدمة، وأعتبر هذا كعرفان بالجميل لله، وتلبية لدعوة يسوع... "كنت جائعاً فأطعمتموني، كنت مريضاً..." الذي يغمرنا بحبه ويدعونا

لنكون عوناً بعضنا لبعض، بعيداً عن كل أنانية رغم ما كنت أواجه بعض الأحيان من معارضة لأمي، وخشيتها عليّ وكلامها لي بضرورة الالتفات لنفسي، كان جوابي لها بأن راحتي في وجودي معهم، وأن بعض الوقت الذي أقدمه لإخوتي هؤلاء هو ما يفرحني ويعطي بعض القيمة لحياتي.

ما سبق جزء بسيط ومتواضع، ولكنه صادق فيما عشته واكتسبته ولا يسعني أيضاً في النهاية، إلا أن أشكر الله له المجد على شخص أبونا الياس، وكل ما أغنى به فكري وروحي وقلبي وعلى كل الأشخاص الذين عشت معهم أجمل الأيام والصداقات التي اكتسبتها وأعتز بها إلى الآن

ابنتك المحبة كوليت

الرب يبارك عملك وخدمتك ويوفقك في كتابك الجديد.

وأعتذر كثيراً عن التأخير.

32) منذر عيد

عندما دخلت الغرفة، أصبحت الثامن عشر من الشبان والشابات، الذين كانوا يعدّون لمرحلة جديدة بمشاركة روحية مع الأب الياس زحلاوي. كانوا يجتمعون في إحدى الغرف الصغيرة، في دير راهبات أخوات يسوع الصغيرات. دخلت الغرفة، فوجدتني في جو صاف، مشبع بالصلاة وعطر البخور، ووجوه جميلة صافية غمرتني بمحبة. أمسكنا أيادي بعضنا، وصلينا ما علّمنا إيّاه يسوع، لنقدّس اسم الرب ونعمل ملكوته بيننا بفعل المحبة، فعل كان يكبر فينا ويزداد، لنندفع بمشيئة الرب أقوياء بخبزنا الجوهري، وكل كلمة تخرج من فم الله.

أخبرتهم أني منذر عيد، وتعارفنا جميعاً، تصافحنا بمحبة، وانطلقنا.

كانت تلك موهبتي الكبيرة والجديدة، التي ترددت كثيراً في قبولها، فقبلها مرتين، لم أجد فيها ما أريد أو ما أبحث عنه. إنما كان لا بد من ذلك، فقرعت الباب ودخلت.

كان ثمة شيء يدعوني للدخول، عرفته فيما بعد وعلى مدى اثنين وعشرين عاماً!

كنت خائفاً أن لا يطول بقائي أكثر من أسبوعين على الأكثر، لكن الأسبوعين كانا اثنين وعشرين عاماً!

ومع أسرتي الجديدة، رويداً رويداً صرت ما أنا عليه.

لا أتعامل مع الواقع إلا بمنطق مجرد قدر الإمكان، وقدر ما استطعت كانت طبيعة الإنسان هي وسيلتي وغايتي معاً لإبلاغ الرسالة.

لم يرضني أن أقف عند حدود. رحت أسعى للأقصى. كان يغريني الاكتشاف. وكثيراً ما كان الحوار والنقاش يتحدياني بالرغم من أني لم أخض به إلا قليلاً، ولا سيما عندما كانت تلوح الولادات الجديدة. كثيراً ما اختلفت في وجهات النظر. وأحياناً كان هذا يقود للأسف إلى خلاف عميق مع الآخرين.

جلُّ ما كان يهمني أن نكون شهوداً من حيث نحن، بما كان لنا وما كان معنا، كي نكون حاضرين وفاعلين، وجلّ ما كان يهمني أن نسير بثبات نحو القمة، وأن نثبت عليها راسخين، فما عاد يعجبني البقاء على الأرض.

وثمة من علمني التحليق خارج السرب، والذهاب نحو أقصى الشيء. كان التحليق عالياً تُوجبه معرفة الحقيقة والسعي المتواصل إلى المطلق. ولم يكن البقاء وحيداً بالنتيجة سيئاً، مع أن هذا كاد أن يكون، أو كان في كثير من الأحيان، حاجزاً من الصمت والعزلة.

لكني كنت أنقضّ سريعاً على ما لا يعجبني، فأنقد ما يجب أن يُنقد، وأعود من حيث أتيت.

علّمني أن أتحدّى الكل بدءاً من الذات، وأن أسعى دائماً وراء الحلم. لذلك لم تكن أسرة الرعية الجامعية مجرد محطة في حياتي، بل كانت منبراً وسيفاً. ومن هنا كان لزاماً عليّ أن أترجم كل هذه الوزنات، لا لوحدي بل جميعنا، وأن نخرج من الكلمة التي نقولها. وإلاّ فكيف سيعرفون أننا بعض من التلاميذ؟ فرحت أدعو الجميع بأن لا نكتفي ببناء المدينة الفاضلة، بل نخرج لنمسك بأيدي الآخرين، ليأتوا معنا وليعيشوا كمال الرب.

ورحت أبحث وأبحث. لم أعرف حدوداً. وتجاوزت كل ما هو متوقع، وما هو غير متوقع. وفي صفاء الذهن الذي بدا كصحراء ذهبية، مضيت أبحث عن حكايتي الشخصية. فثمة وجود جوهري كنت أفتقده في حياتي، هي الأنثى، الأسطورة الذاتية، التي كان وجودها دافعاً إلى ما لا نهاية، إلى التخلي والتلاشي في غمرة انتصار الحب. فانطلقت وتجاوزت في طريقي كل شيء. لم يعمني ما أنا عليه، بل ما أسعى إليه، فليس بالخبز وحده يحيا الإنسان. كان الحلم أقوى من الخبز، وما زال إلى الآن أقوى من الواقع، الذي لم يشغلني يوماً. فتخليت بلا تردد عن ما اعتبرته خطأً مادياً غير مهم عندما يقف مائلاً دون قدرة الإبداع والخلق. فتركت جانباً كتب الحقوق، وتبعتُ عملي، تبعت قلبي.

ساعدني في هذا القرار الجريء ذهنية تفكير اتضحت معالمها من هنا. فأنا كنت أريد أن تكون لي فكرتي. فكما تكوّنت أول معرفة، وكما تراكمت، أستطيع أيضاً أن أفعل. لم يعجبني مجرد الحفظ. أريد فعل ما هو أكثر. وها هو المسرح يعطيني تلك المساحة الواسعة لأبحث.

كما كانت اللوحة واللون رحلة بدأتها ودامت لبعض الوقت، رحلة بحثت فيها واحتفلت فيها كثيراً، لكن فجأة لم أعرف لماذا خفت إن تلاشيت وغرقت في اللون، أن أبقى غريقاً وأن لا يستطيع أن ينقذني أحد. فصرت أقبض على اللون وأعانق قماش اللوحة، لكن يدي كانت كل مرة ترتجف، وتتيبس أصابعي، إلى أن هربت أبحث عن بقعة ضوء، تكون أكثر وضوحاً وأكثر قدرة وتعبيراً. فأعادتني أسطورتي بكل رموزها وكل غموضها، صوب فسحة أكبر من الأمل بسطتها أمامي خشبة المسرح. التي كانت في يوم ما مجرد مكان للتهريج، قبل أن أعرف حقاً ماهية هذه الخشبة وفعلها وأثرها، إلى أن دعاني بعض الأصدقاء إلى تجريب شيء ما من باب المرح والتسلية.

لم أعرف وقتها أن هذه التسلية وهذا المرح سيكونان شيئاً مزاجياً في وقت لاحق، سيُغير كل شيء ويصبح المسرح أسلوب حياة ومنهج تفكير. الخطوة الأولى غيرت الكثير، وقلبت المشهد، كان شيطان المسرح بانتظاري، وكان

القيد جاهزاً بيده، لأبقى أبداً على تلك الخشبة الشاحبة تكفيراً. كانت تلك الخشبة الحزينة معبداً للآلهة، وليست حلبة تهريج. كانت مكاناً ينشد فيه الإنسان كما الإنسانية، ومن هنا رفعت طقوس أسطورتي تلك الأنثى التي كانت بجانبي، فيما كنت أبحث عنها. إنما كانت أكبر مني وأغلى مني، ولم يكن عليّ إلا أن أكون كاهناً أرفع بحب طقوس أحتفل بها وأقدم ذاتي قرباناً.

عندما صعدت إلى الخشبة، ما إن صعدت حتى عرفت أن باستطاعتي أن أفعل ما أريد، وأن أكون ما أريد، بل يجب عليّ أن أفعل وأكون ذلك وأن آخذ الجميع للأقصى، أقصى ما يكون، بالرغم من أنه لم يكن لدينا جميعاً الإيمان ذاته، حتى نثبت كثيراً ما هوينا. لم يجارِني الجميع بالحلم، ولم يرافقني أحد منهم في مجاهله الغامضة، ولم أقدر أن أفعل شيئاً لوحدي. بقي حلم "هواة المسرح العشرون" مجرد حلم، واسماً من ماضٍ جميل، رغم هذا لم أستسلم يوماً. فالمسرح كان هاجساً. كان هاجسي ولم يكن بمقدوري التخلي عنه، أو حتى التفكير بذلك.

فمن البداية وإن كانت نوعاً ما غير جادة، إلا أننا كنا نشق درباً صنعنا فيه محطات مضيئة كثيرة بخبرات بسيطة، تراكمت شيئاً فشيئاً. وكان لنا أن نقف مع الدكتور رياض عصمت على خشبة مسرح القباني، ومسرحية "رؤى سيمون ماشا". وبعدها مع الدكتور عجاج سليم، ومسرحية "سيدة الفجر" على خشبة مسرح بُنيت خصّيصاً لهذا العمل.

لم تكن آمالي هنا هي فقط الكبيرة. بل آخرون رأوا فينا شيئاً جميلاً وزمناً جميلاً يعود، افتقدوه في عالم ملأه الضجيج. لكن للأسف خابت كل هذه الآمال. ولم يستمر الحلم.

استيقظ الجميع على واقع فج. إنما لم أستسلم، ومضيت بعناد نحو ما أريد. وقف الجميع مذهولين سعداء، لعودة كانت قوية بما يكفي لتأخذنا بعيداً، لنوقّع بأسمائنا كأفراد من "أسرة الرعية الجامعية"، ونسجل حضوراً لافتاً كشباب مسيحي قادر على الفعل والحياة. ورفعنا العلم السوري

ليسجل حضوره القوي في واحد من المهرجانات المسرحية الدولية، وهو مهرجان "فلادلفيا" للمسرح الجامعي في الأردن. وقد تحقق وقتها حلم كنت أظنه بعيداً. فكما كان "هواة المسرح العشرون" يسجّلون اسمهم في العديد من المهرجانات، كنت أريد أن أحمل هذه الشعلة وأستمر بها.

وعندما كنت أظن أن هذا مجرد أمنية، كانت الظروف تتحضر ربما لأننا جميعاً، ولست أنا وحدي، أردنا ذلك في لحظة ما. فكان لي من هذا الحضور اللافت والبصمة القوية، جائزة أفضل ممثل في مهرجان عمان!

لم يكن المسرح أهم ما عملت به وعملت له، وإن كان وما زال الهاجس الأوحد. كان أمامنا دروب آلام كثيرة، يجب أن نحمل به الصليب ونمضي بلا تردد، تحت شعار قامت عليه "أسرة الرعية الجامعية". فعلى درب الإيمان بالمسيح الواحد والكنيسة الواحدة، كان يجب أن نسير دائماً، فنشهد للكلمة المعطاة لنا. إلا أنه لم تكفني صلوات ومشاركات وإقامة القداس كل مرة على نية الكنيسة الواحدة. كان يجب أن أنتقل إلى الخطوة التالية. وكان عليّ أن أعمل شيئاً ما كان جاهزاً بانتظارنا، فبعد أن سألت صديقين لي من الأسرة، وهما شيرين سيوفي وسامر عبود، أن يدخلا معي مكتب الأب الياس زحلاوي، لنسأله ما يتوجب علينا أن نفعل، لأن ما نقوله لم يعد يكفي، أعطانا ما انطلقنا به، كنا ثلاثة أشخاص اجتمعنا مع "أخوية سيدة الصوفانية".

ومن بضع شبان وشابات بدأنا نجمع الكل على كلمة واحدة: نريد كنيسة واحدة، نريد احتفالاً واحداً، نريد فصحاً واحداً فالمسيح واحد أبداً!

وبإيماننا هذا اندفعنا بتواضع وخدمة نحو الآخرين.

على درب الإيمان بالمسيح الواحد والكنيسة الواحدة، فلنسِر دوماً!

2015/6/8 منذر عيد

33) داني داود

أحبائي القراء،

تحية وبعد:

أحببت من خلال هذه الأسطر القليلة والكلمات البسيطة أن أعيش معكم ذكرى تجربة رائعة عشتها مع أصدقاء لي هم أخوة في كنف كنيسة سيدة دمشق بدعم وتوجيه روحي ومعنوي من قبل الأب الياس زحلاوي الذي أنار بصيرتنا وفتح قلبنا على أمور حياتية رائعة ملؤها المحبة والتواضع والروح الجماعية البناءة، هذه التجربة اسمها الرعية الجامعية. فاسمحوا لي مع محاولتي بالإيجاز أن أكون جسراً حقيقياً تصل عن طريقه إليكم حضارة هذه التجربة وروعتها.

إن جوهر الرعية الجامعية كان ولا يزال هو دعم الفكر الروحي والثقافة الاجتماعية وبلورتها في خدمة المجتمع بكل أطيافه على صعيد، وعلى صعيد آخر تنمية التعاون بين شبابنا الجامعيين الذين هم هيكل الرعية الأساسي ليكونوا نواة فاعلة ومثالاً واضحاً في فعل الخير وتنمية الإحساس بالغير والشكر الدائم لله على نعمه وعطاءاته.

طبعاً لا بد أن يتم هذا كله عن طريق عدة نشاطات منظمة تنصهر جميعها في بوتقة واحدة مفتاح نجاحها كان التعاون بين هؤلاء الشباب الجامعيين.

نبتدئ هذه النشاطات باللقاء الأسبوعي، الذي كان يتم كل يوم جمعة من كل أسبوع حيث يلتقي الجميع بإشراف أشخاص مسؤولين هم (الشيفية)، حيث كانت تجهز مواضيع ثقافية مختلفة يتفق عليها وتتم المناقشة بها بهدف التوصل إلى معلومة واضحة وتعميق ما يسمى بالمناظرة الفكرية، التي كانت مرآة حقيقية لحياة اجتماعية نعيشها، ومن بعدها كانت نتيجة الاجتماع ترفع إلى الأب الياس زحلاوي ليضع لمسته الأخيرة عليها فتغدو اجتماعاً كاملاً متكاملاً قد أصاب هدفه بالتقرب من الله وبناء فكر كما ذكرنا روحي وثقافي عالٍ.

دعونا ننتقل لنشاط آخر وهو زيارة الجمعيات الخيرية، سواء للعجزة أو الأيتام أو أي جمعية إنسانية، طبعاً هذه الخطوة كانت تشعرنا عند العودة للمنزل بعد انتهائها كم الله مغدق علينا بنعمه، وكم نحن مقصرون تجاه أخوتنا الذين قست عليهم الظروف.

وهذا الشعور قد ولّد عندنا جميعاً الإحساس بواجب المسؤولية تجاههم، فكانت نواته هو فعل الخير وتقدمة المساعدة لمن هم مشتركين بالإنسانية معنا.

وبالانتقال إلى نشاط آخر وهو المخيم، الذي تكون مدته عادة أربعة أو خمسة أيام، نتعلم من خلاله أهمية الصلاة وحب الله، بالإضافة إلى الاعتماد على الذات والابتعاد ولو لفترة وجيزة عن حياة الرفاهية التي نحن معتادين عليها، ناهيكم عن احترام الوقت ومحبة الآخرين وتوليد الإحساس لديهم بأنهم فاعلين في المجتمع، ولكي لا أسهب في الكلام كما وعدتكم نختم هذه النشاطات بما يسمى مسرحية الرعية الجامعية التي كانت تقام كل سنة في عيد البربارة، يشترك في هذه المسرحية شباب وصبايا الرعية مقدمين كل ما لديهم من مواهب وفن، مجسدين ما يدرسونه في الجامعات لإنجاح هذا العمل ابتداء بديكور المسرح الموجود في كنيسة سيدة دمشق وتأليف السيناريو والإخراج والتمثيل وتصميم اللباس وتجهيز الإضاءة والموسيقى، كنا نسهر الليالي لإتمام هذا العرض وروحنا مليئة بالفرح والسعادة، ينتهي التحضير، تدق الساعة السادسة مساء معلنة ابتداء هذا العرض المسرحي المسخر لهدف إنساني بحت ضمن إطار كوميدي يزرع البسمة والأمل على وجوه المشاهدين كاسباً تصفيق العديد من الممثلين القديرين الذين كانوا يحضرون العرض كضيوف شرف، ويكون الأب الياس زحلاوي جالساً بين المتفرجين يزرع بابتسامته المعهودة الثقة بأبطال المسرحية لتنطق حناجرهم عالياً بأعذب الكلمات وأرقها معلنين في نهاية هذا العمل الرائع: نحن شباب الرعية الجامعية، نحن أبناء كنيسة سيدة دمشق، دمشق العروبة... دمشق المحبة... دمشق وردة سورية الحبيبة.

(ملاحظة: هذا العرض كان يعاد لمدة أربعة أيام)

في النهاية لا تلوموني على دمعة ذرفت مني في آخر هذه الكلمة التي أحببت بها أن أعطي تصوراً جميلاً لرعيتنا الجامعية ماضياً وحاضراً وبإذن الله مستقبلاً، فالعمل مستمر والتواصل بين أجيال الرعية دائم، وهذا الفضل كله يعود لله بمحبته اللامتناهية ولظاهرة لن تتكرر اسمها الأب الكبير الياس زحلاوي

ابن الرعية

34) **رنا خوري**

حضرة ابونا الياس،

لا اعرف لماذا ترددت في الكتابة إليك، لقد وصلتني سابقاً الرسالة التي تطلب منها ان نتحدث عن الرعية، وكنت دوماً أؤجل. الرعية هي من اهم فترات حياتي وأروعها. دخلت الى الرعية الثانوية عام 1985 وبقيت فيها سنتان. دخلت اليها مع عدد من زميلاتي في المدرسة لان اخوتي الشباب كانوا سبقوني اليها.

في البداية كانت الرعية بالنسبة لي ملتقى شبابي للاجتماع والتسلية والتحدث. وعندما عدت الى الرعية الجامعية في 1989 على ما اعتقد، أخذت تشكل لي اكثر من ذلك، لقد أصبحت مصدر تعارف مع الرب والكنيسة، لقد أصبحت محور ثقافي (بسيط) ان جاز التعبير للتحاور ومناقشة مواضيع لا نطرحها في الخارج، ممكن ان لا تهم أحداً غيرنا ولكن كنا نستمتع في الاستماع مع انني كنت قليلة المشاركة. مع ذلك لقد جعلتني الرعية ما انا عليه اليوم، إنسان مسيحي سوري منفتح على الجميع. لا يهمني اي دين او اي طائفة ينتمي اليها الاخر ما دام يعيش انسانيته.

لقد أصبحت أبغض التعصب المسيحي لأنني ببساطة انتمي الى مجموعة لا نهتم ما هي طائفة الآخرين ما دمنا نؤمن بالله وبيسوع الذي جاء ليخلصنا. لقد أصبحت أحب اكثر سوريتي التي ولدت وعشت فيها وأهلي

ولـدوا فيهـا. لا أسـتطيع القـول أبـداً ان هـذا البلـد لـيس لي. كيـف لا وانـا امضيت اجمل سنين حياتي فيه وكم حلمت ان اعود انا واولادي اليه لنعيش فيه. لقد أعطتني الرعية افضل أصدقائي الذين ما زلت على تواصل معهم واعتـز بهـم كثيراً وعنـدما نتحـدث مـع بعـض تلتغـي المسافات والسـنين الـتي فرقتنا ونعود نضحك وننكت كما كنا منذ عشرين عاماً أو اكثر. والاهـم مـن كـل ذلـك انهـا عـرفتني الى الله واوضـحت لي أهميـة وجـوده في حيـاتي وان أعمالي وأقوالي كلها يجب ان تكون متجهة لخدمة كلمته.

لا اعرف ما اذا كان علي ان أقول ان وجودك في هذه الرعية كان لـه ابلـغ الأثر في نفوسنا، كانت كلمتـك دومـاً وسـتبقى كصـوت الضـمير الـذي يضـيء طريقنا وينور حياتنا. حتى انني كنت اذهـب الى كنيسـة سـيدة دمشـق لسـماع وعظتك التي كنت دوماً منها ارتوي. وفي الأيام الـتي اسـتعنا بهـا بـأب آخـر لم يترك فينا الأثر نفسه. لقد كانت الرعيـة بكـل مـا فيهـا صـخرة نرتكـز عليهـا. حتـى انـني هنـا في ألمانيـا أصـارع حتـى آخـذ أولادي الى التعلـيم المسـيحي (وعليك يـا ابونـا ان تتخيـل هـذه الاجتماعـات) فأنـا مـا زلـت احـن الى تلـك الفترة وكنت ارغـب لـو ان أولادي يعيشـون شـبيهاً بهـا. لكن كمـا تقـول ابـنتي، فأنا اعرفها اكثر على الله وعلى يسوع.

هذه هي الرعية باختصار انها حياه ومشاركة وتفاعل مـع الله والاخـرين. أتمنـى ان يصـدر كتابـك قريبـاً وان يتسـنى لي قراءتـه والاحتفـاظ بـه في مكتبتي.

ادامك الله بصحتك وقوتك.

35) ريما شيحة

كـان دخـولي إلى الرعيـة بفضـل صـديقتي لينـا زهـر الـتي دعـتني لحضـور الاجتماعات واللقاءات بعد أن حدثتني كثيراً عنها، أحببت الفكرة وذهبت معها للاجتماع الأول وكنت خجولة نوعا ما، ولينا كانت تجيب عـن الأسئلة الموجهـة لي نيابة عني. ولكن لطف الأشخاص واسراعهم للقائي شجعني وأراحني.

أذكر أن والدتي قد لاحظت مدى سعادتي عند عودتي إلى المنزل، ودفعتني للالتزام بالرعية بعد أن حدثتها عن اللقاء الاول ومحبة الرعية لي.أخذت بنصيحة أمي، وواظبت على حضور اللقاءات مع لينا في البداية ولكنني تشجعت بعدها وأصبحت أحضر اللقاءات بمفردي، وفي إحدى المرات طلبت مني الأخت بيا مساعدتها للاجتماع مع الأطفال ومشاهدة الرسوم المتحركة. كان يوماً رائعاً جداً، أحسست بشعور جميل وضحكنا من قلبنا.

قررت الرعية أن تتوزع في مجموعات مختلفة، ولكن لم يكن لدي الجرأة الكافية للانضمام لأحدها. بعد التفكير قررت أن أنضم إلى مجموعة مرسلات المحبة، والتي كان الهدف الرئيسي لها هو العمل الخيري كمساعدة الفقراء والمحتاجين وذوي الاحتياجات الخاصة، من خلال زيارة دير الآباء اليسوعيين، أسرة الإخاء السورية والأخوات الصغيرات.

بالإضافة للأعمال الخيرية، كان للرعية نشاطات متنوعة، كالاجتماعات والمحاضرات الثقافية والمخيمات والرياضات الروحية، وغيرها الكثير من النشاطات التي منحتني الفرصة للقاء الراحل وديع الصافي والتعرف إلى الأب فرانس، الذي كان بمثابة المرشد الروحي لي في حياتي. أعطاني الكثير من الأمل للتغلب على الصعاب والمحن.

بالرغم من أن لي شقيقة واحدة تكبرني بأربع سنوات ونصف، إلا أن الرب قد وهبني أخوة وأخوات كثر، هم أخوتي في الرعية ووجودهم بجانبي دعمني ودفعني للاستمرار، وأشكر الرب لأنهم كانوا فعلا أخوة بمحبة وسلام دائم.

انقطعت عن الرعية لفترة طويلة لأسباب عديدة، منها دخول والدتي المشفى ومن بعدها انتقالنا إلى لبنان. ثم تعرفت إلى شاب وعقدنا قراننا. صارحته بمكانة الرعية في حياتي، وبأنني لم أجد مثل ذلك الحب الصافي في أي من نشاطات الكنيسة الأخرى ولست مستعدة للتخلي عنه. فكان متفهما جدا ووقف إلى جانبي.

كان الفضل للأخت رولانة حلبي في تجديد العلاقات مع باقي أفراد

الرعية عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي (فيس بوك)، والتي أحببتها جدا لأنها قربت المسافات بين المتواجدين في سوريا وخارجها ومنهم:

د. فوزي فلوح وصديقته أمل خوري، طوني بدين، د. هشام سالم، د. مها مناشي، د. غسان كويتر، د. طوني باشا، لينا معتوق، لينا عطاالله، غراسيا عبيد، نورا لطفي، حنان لطفي وصديقها حبيب خوري، فايز معمر، عطاالله حسواني، أسعد سالم، جورج صراف، سمر صراف، مها غناجة، جورج غناجة، ريما بهنم، توفيق نوفل، وصديقتي الغالية رولانة حلبي

كانت الظروف العائلية سببا أساسيا في انقطاعي عن الرعية منذ عام 1985، ولكنني فرحت جدا عندما بادر بعض من أعضاء الرعية القدامى بتجديد اللقاءات، وكانت البداية في الأول من شهر تموز عام 2016. رحت أدعو جميع أصدقائي للحضور، حتى أنني دعوت ابني الغالي الذي كان مترددا في البداية. التقيت هناك في قاعة السواعد بالأب الياس الزحلاوي، د. حبيب الطويل، حسيب اسبر، راجي وكوليت وتعرفت على سلوى ووفاء وعبدالله وغيرهم كثير من الأخوة من كافة الأعمار، حتى أن ابني أُعجب بهذه الروح الجميلة وتحمس للانضمام.

في الختام، أود أن أقول أنني دخلت الرعية بمحبة وعدت بعد أكثر من ثلاثين عام بمحبة، وأشكر كل من ساهم في إعادة غرس جذور التواصل من جديد وبالأخص الأب الياس زحلاوي...

36) ديالا رحمة

بدأت رحلتي مع الرعية منذ خمس سنوات عام 2011 بعد تخرجي من الهندسة المعلوماتية، حين تعرفت على صديقي فادي سروجي الذي شجعني على الانضمام لهذه العائلة. أذكر حتى الآن تفاصيل الاجتماع الأول، حين كنت متشوقة للقاء ولكن بذات الوقت مرتبكة وخجولة لرؤية وجوه جديدة لم أعتد عليها. كان الاستقبال لطيفاً مما ترك انطباعاً جميلاً داخلي ودفعني للاستمرار.

من المحطات التي لها مكان دائم في ذاكرتي هي المبيت الأول لي في دار السلام عام 2013، حينها بدأت أتقرب من الأشخاص وأشاركهم حياتهم وقصصهم. لتلك الأيام نكهة خاصة، فلم تعد الرعية مجرد وجوه وأسماء، إنما حياة وتجارب أصدقاء. وبعدها بفترة قصيرة أدركت أنني لن اعيش الفرح فقط مع هذه العائلة وإنما الحزن والفراق، إذ كان استشهاد لين كويتر، الفتاة المرحة المتلهفة للحياة والتي شاركتنا لحظات المبيت، صعباً ومؤلماً جداً.

توالت اللقاءات والنشاطات، وتعلمت الكثير من الأب زحلاوي ومن أصدقائي، وساعدوني في فهم جوانب عديدة وتكوين أرائي الشخصية وامتلاك الجرأة الكافية للتعبير عما في داخلي. وصار تحضير المواضيع والقائها في الاجتماعات بمثابة عمل ممتع وشيّق لي، أسعى فيه جاهدة ومتلهفة للقراءة والبحث لفترات طويلة لأصل إلى محتوى جيد أقدمه لأصدقائي. ساعدني ذلك في عملي كثيراً، إذ تعززت ثقتي عند القاء المحاضرات وبناء علاقات مع أشخاص جدد.

كان لمخيم معرة صيدنايا عام 2014 أثرٌ كبيرٌ أيضاً، إذ تقربت من صديقتي ريم شطاحي بفضل أغنية كانت مدخلاً لحديث دام ساعات تبادلنا فيه قصصنا وأسرارنا، تشاركنا همومنا ومشاكلنا، دخلت إلى قلبي من دون استئذان وصارت من أقرب الناس إلي. وكان نقطة تحول في حياتي المهنية بعد أن ساعدتني دردشة بسيطة مع صديقي بشار سكاف في المخيم في العثور على عمل جديد.

ثلاثة كلمات تصف أثر الرعية في حياتي: المشاركة، العطاء والتجدد. تعلمت أن الحياة تصبح أغنى عندما أشارك الناس حياتهم ويشاركوني بحياتهم، أصغي إليهم ويبادلوني آراءهم، عندما نجلس سوية إلى مائدة واحدة لتناول الطعام، عندما تتشابك أيدينا لنصلي بصوت واحد لأبينا الذي في السموات، عندما أكون بينهم ذاتي وأعطي بفرح وأفيد من حولي بمهاراتي واهتماماتي، عندما نخلق سعادة من لا شيء، من أبسط الأشياء لتولد طاقة في داخلنا تدفعنا لنكمل حياتنا.

مرت بلدنا بظروف قاسية، عشنا فيها أياماً صعبة لا تشبه أحلامنا ولا حتى أعمارنا، ظُلمنا واضُطررنا لمواجهة أبشع ما يمكن أن نتخيله يوماً من دمار وقتل وخطف واستغلال، ووداع أقرب أصدقائنا وأحبائنا بداعي السفر. ولكن وبالرغم من إحساسنا بأن كل شيء توقف، كان الدافع للاستمرار أكبر، بالرغم من تعثرنا بالكثير من اليأس والحزن والفشل، نهضنا وتابعنا نشاطاتنا في الرعية، ومن أبرز ما يثبت ذلك هو مسرحية المرآة عام 2015، تكاتفنا كعائلة واحدة لإنجاح هذا العمل. حضرنا التدريبات، بنينا مسرحنا بأيدينا، ساعدنا في إتمام ملابس الممثلين وتنظيم القاعة والاستقبال... لقد أحسست بتعب أصدقائي الممثلين وقدمت لهم من الدعم والمحبة ما كنت أحمله في قلبي بصدق وشفافية.

عندما بدأت العروض وسارع الناس لحجز مقاعدهم، وأعربوا في النهاية عن إعجابهم واحترامهم لما شاهدوا، شعرت بالفرحة والفخر بأن المرآة قد خُلقت في قلب الرعية، من أبنائها الذين سخروا أوقاتهم وجهودهم لتقديم عملٍ متكاملٍ أدخل السعادة لقلوبنا وقلوب الكثيرين.

بعد أربعة أعوام، وبعد أن كنت تلك الفتاة الخجولة المرتبكة، أصبحت ابنة الرعية وأصبحت الكنيسة بيتي والرعية عائلتي، وأعطوني ثقتهم لأكون مسؤولة لأنظم وأساهم في تحضير النشاطات والمخيمات، ومنها مخيم كفرسيتا عام 2016. لم تكن المرة الأولى لي لأكون مسؤولة في المخيمات ولكنها المرة الأولى في الرعية. لأكون صادقة، اختلفت تماماً طريقة تحضيري للمخيم، فبينما كنت سابقا أجهز أمتعتي في ساعة على أبعد تقدير، واستمتع بالطعام المحضر والنشاطات من دون عناء، تحولت الآن هذه الساعة إلى ساعات طوال من التنسيق والتحضير والتنظيم لأدق تفاصيل المخيم من المكان والمواصلات إلى المواضيع والصلوات إلى الطعام وغيرها من مستلزمات. والرعاية والاهتمام بأفراد المخيم ومساعدتهم للشعور بكل لحظة والاندماج مع البقية ورمي همومهم المثقلة بعيداً.

صراحة، ازداد الشعور بالمسؤولية وزاد الحمل والتعب، ولكن، عندما أجد في النهاية سعادة الرعية ودعمهم وتشجيعهم لي بكلمات رائعة تحفر في داخلي مكاناً مميزاً، يزول التعب كله ويمنحني ثقة لأستمر وأعطي أكثر فأكثر.

في النهاية، أود أن أقول أن الحياة لا تقتصر على العمل والدراسة فقط، إنما ما يضفي عليها نكهة ولذة هي تلك العلاقات التي تكونها وتقربك من أفراد الرعية، هي تلك الروح التي لا يمكن أن تتواجد في مكان آخر، روح الرعية التي ستحفر ذكريات جميلة في قلوبنا ستدوم طيلة مشوار حياتنا.

37) **سوار العواد**

لم تكن تلك الفترة طويلة مع أسرة الرعية الجامعية حتى تمكنت أن ألمس صدق مشاعرهم و حسن سجاياهم والطيب في أخلاقهم وما لنشاطاتهم من أهمية وأثر.

ففي كل لقاء يكون لك زاد وفير يغني سعادتك ويقوي إيمانك ويرتقي بأفكارك أو يتاح لك السبيل كي تعطي من ثقافتك وخبرتك بما يعود على الجميع بالفائدة ويعود على النفس بفرح العطاء ولكلا الامرين جمال من نوع خاص ومتفرد في ألقه.

أما عن المشاركة في العمل المسرحي فهي فرصة رائعة لعيش تجربة جديدة إن كنت من عشاق هذا المكان...

وللتخييم معكم نكهة خاصة في طقوس الصلاة ومرح اللعب فيطيب السهر ويلذ الطعام هذا ما يجعل العودة للحياة اليومية مفعما بطاقة جديدة وإيجابية.

مع خالص المحبة وأطيب الأمنيات بالتوفيق وبكثير من الفخر أنني كنت ومازلت واحدا من أفراد هذه الأسرة الحقيقية.

38) **الدكتور سعيد عواد**

محطة نور ليست كباقي المحطات

أنا شاب نشأت في مدرسة ضمن أحياء دمشق القديمة العريقة، أمضيت فيها كامل مراحلي الدراسية من ابتدائية وإعدادية وثانوية، غادرتها إلى مدينة حماه للدراسة الجامعية في عام 1991، خلال فترات الدراسة (الإعدادية والثانوية) كنت أعيش الوحدة والغربة ضمن مدرستي وضمن أسرتي، فقد نشأت على أنظمة وقواعد خالية من الحب والفرح، قواعد ومعادلات تعلمُك انك لست جديراً أن تُحَب إلا من خلال ما تنجزه من أعمال ونتائج، وأنه كي تكسب ود طرف ما فلا بد أن تعادي الطرف الآخر، وأنه علي أن أجد حلاً لكامل مشاكلي دون العودة إلى أي مساعدة أو مرجعية، فأمضيت حياتي كلها مجتهداً عن مضض وأضع لنفسي القيود والضوابط حتى أقدِّم أفضل ما باستطاعتي... لأستحق الحياة... ولأتجنب الوقوع في مواقف أكبر من استطاعتي على التحمل، كوني وحيداً ولم يكن لي أي سند حماية أو دعم نفسي، جسدي، أو حتى عاطفي، فكان ينتابني شعور بتأنيب الضمير عند اللعب أو الفرح لفترة أطول من اللازم... وقد كنت أتجنب قصداً تجمعات أصدقاء المدرسة أو أية مشاريع خارج الدوام حتى أصبت بما يمكن تسميته (رهاب اجتماعي).

وقد أثمرَتْ جهودي الدراسية وحصلت على مقعد في كلية طب الأسنان في مدينة حماه... خلال كل تلك الفترة كنت أضع قناعاً اجتماعياً يوحي بأنني شخص فَرِح ومحبوب وناجح وصاحب نكتة وطبعاً كنت أفرح لهفوات الآخرين وأعلنها للجميع لأكسب إعجاباً أكثر، ولكن الحقيقة أنني كنت أشعر بالدونية وأُمضي الكثير من الساعات بشكل يومي وحيداً في غرفتي يغمرني الحزن الشديد الذي يصل لحد البكاء...

واستمرت تتراكم الأحزان، وتتراكم الأقنعة حتى سنتي الدراسية الثانية في الجامعة، خلال فترة الامتحانات النهائية تعرضت لحادثة اعتداء شارفت خلالها على انهيار عصبي لولا تدخل أصدقاء لي في الوقت المناسب (أؤمن

الآن أنهم كانوا يد الله التي تدخلت وقتها) خاصة أنني لم أخبر أهلي بالحادثة، أمضيتُ فترة ثلاثة أيام أو أكثر في شبه غيبوبة نتيجة المنومات والمهدئات، وذلك تبعاً لنصيحة طبية كي يجنبني أصدقائي فترة الصدمة، وعندما استيقظت كان عالمي بالكامل قد انهار، انهارت المبادئ وانهار الحب، انهارت العائلة، انهارت الأخلاق وانهار تعبي مدى الحياة ورسبت في سنتي الدراسية... لم تكن المرحلة التي تبِعتها بأفضل حال... غرقت شيئاً فشيئاً بمستنقع من الكآبة واليأس والخطيئة والغربة القاتلة... أودى بي إلى ثلاث محاولات للانتحار باءت بالفشل نتيجة الجبن والخوف من ألم الموت الذي تخلل إلى شخصيتي...

لملمت آلامي ويأسي وعدت إلى مدينة دمشق، لم أكن حزيناً على سنة الرسوب في الجامعة بل على العكس لأنني كنت بحاجة ماسة للتوقف عن الدوران في دوامة الحياة، وإعادة ترتيب أولوياتي، عندها دعاني صديقي الدكتور حبيب الطويل للانضمام إلى أسرة الرعية الجامعية كوني سأمضي هذا العام في مدينتي دمشق وليس لدي ما أفعله، وهكذا كان، فذهبتُ معه محرجاً ومعنا صديقنا الدكتور عادل الخيمي وكان بدوره يذهب للمرة الأولى، كنا زملاء وقتها في الدراسة في الجامعة، كان اجتماع الرعية يوم جمعة الساعة السادسة مساءً من صيف 1993 وعدد الحاضرين لم يتجاوز 20 شخصاً (كان عدد أفراد الرعية وقتها بحدود 25 شاب وفتاة) وقد عادوا منذ بضعة أيام من مخيم في الزبداني، أحسست الاجتماع طويلاً كونه توجب علي المجاملة وإخفاء الرهاب الاجتماعي، ولا أتذكر عنوان أو محتوى المحاضرة كوني كنت متوتراً، ولكن في نهاية الاجتماع قدمني د. حبيب إلى أعضاء الرعية من شباب وصبايا...

وللمرة الأولى بعد فترة طويلة من الجفاء والبرود في حياتي أشعر بـ "**هالة من الدفء العاطفي والمحبة النقية**" محاطة بهؤلاء الأشخاص وأخص بالذكر منهم: ريما باليكي، ميرنا شمعون، جورج صراف، وفاء ابراهيم، منذر العيد، نعمان شدايدة... كان هناك عامل مشترك بيننا، لم أعلم ما هو، ربما

كان الألم المخفي وراء الابتسامة، أحسست بهم يبتسمون رغم جراحِهم، من المؤكد أنهم كانوا على درجة كبيرة من اللطف والقدرة على الاستقبال لدرجة استطاعوا كسر الرهاب الاجتماعي الذي كان متأصلاً بداخلي.

توالت الاجتماعات بشكل أسبوعي، وفي كل مرة أعيش صراع الذهاب أو البقاء في المنزل، **وكل مرة كانت تنتصر محبتهم ولطفهم على خوفي وانطوائي**، حتى غدوت فرداً حقيقياً في هذه الأسرة، للمرة الأولى في حياتي أشعر بأنني فرد في عائلة، يحبونني لذاتي، وليس لما أقدمه أو أنجزه، يشتاقون لي وأشتاق لهم، ياااااه إنه شعور رائع، **لم أشعر بالاشتياق لأحد في حياتي كلها، حتى لأهلي**، بدأت شيئاً فشيئاً أزيل أقنعتي، فلم يتغيروا، كانوا يحبونني كما أنا في كل مرة. كنت صامتاً مبتسماً ملاطفاً أغلب الوقت مسايراً للضحك والنكت، كانت لحظاتي الذهبية هي صلوات التأمل والتراتيل دون الطقوس الكنسية المعهودة والمشتتة للتركيز.

في الاجتماعات الروحية بدأت **علاقتي مع الله**، كنت أشعر أن المحاضرات الثقافية والاجتماعية طويلة، بينما كانت الاجتماعات الروحية تمضي وتنتهي بلمح البصر، بدأت أتردد على الكنيسة خارج أوقات محاضرات الرعية، بتّ احضر صلاة التأمل مساء الخميس، غمرني حب كبير وإحساس بالطمأنينة، فأنا لم أعد وحدي، **الرعية أسرتي، المسيح سندي، والعذراء أمي والله يحبني رغم خطاياي**، لم يكن **مفهوم الفداء** واضحاً من قبل كما هو الآن.

في أسرة الرعية الجامعية **ولدت ولادة ثانية**، بشخصية مختلفة محبوبة حقيقية، بحثت للمرة الأولى عن مواهبي وكان لها صدىً إيجابي على ذاتي وعلى من حولي، اكتسبت في الرعية **الثقة بالنفس** التي لم أكن امتلكها سابقاً، تعلمت **المحاكمة العقلية بمحبة**، استطعت **التعبير عن رأيي الشخصي دون خوف**، تعلمت **الإصغاء، والإلقاء، وكيفية التواصل الحقيقي مع الآخر** وتبادل الأفكار، **واحترام الآخر** الذي كنت سابقاً أبحثُ عن هفواته، كم خجلت من نفسي لما كنت أفعله سابقاً، **قطعتُ عهوداً مع الله**

نتيجة ذلك على احترام كل إنسان يمر في حياتي بغض النظر عن خلفيته الثقافية أو الدينية أو غيرها.

في الرعية اكتسبت مفاتيح نجاح عديدة لحياتي، كنت أعود إلى المنزل بعد كل اجتماع وأدون في دفتر خاص كل ملاحظاتي والنقاط التي توضّحت في اللقاء، أراجعها وأدققها وأرى صداها في الحياة، لقد كانت المحاضرات واللقاءات أشبه بجامعة تربوية أخلاقية ثقافية على مدى إقامتي في الرعية، ساهَمتْ في بناء شخصيتي لبنةً لبنة، مع سد نقاط الضعف الموجودة لدي، وتقوية نقاط القوة والملكات التي منحني إياها الله (الوزنات).

سافرت بهدف الاختصاص لفرنسا وأقمت لمدة أربع سنوات، وعدت لدمشق لأن الرعية زرعت في داخلي حب الله، وحب الأرض التي منحتني كل ما لديها، من عطاء وهوية ومعنى لوجودي لم أجده خارج وطني، رغم انسجامي الممتاز مع المجتمع الفرنسي ونمط الحياة الأوروبية.

أنا الآن طبيب مشرف على تدريب وتدريس الأطباء المقيمين بهدف الاختصاص، ومسؤول علمياً وإدارياً عن مركز تخصصي رائد على مستوى الشرق الأوسط تابع لمديرية الصحة، هذا المركز كان محطة نور واحترام للإنسان ونبع محبة مجاني للمراجعين خلال سنوات الأزمة (بالعامية، ما منكسر بخاطر أي حدا مع ابتسامة وعطاء غير مشروط)، بالإضافة لعملي الناجح في عيادتي الخاصة.

أنا أعلم في أعماقي أن كل تدبير أو إجراء أو قرار أتخذه الآن من موقعي كمسؤول عن المركز أو كطبيب في عيادتي أو كفرد في المجتمع بين أهلي وأصدقائي، هو ناتج عن ما اكتسبته في أسرة الرعية الجامعية من القدرة على: **إنكار الذات والإحساس بالآخر، حب الوطن والانتماء، أداء الواجب، تفضيل المبادئ عن مشاعري الشخصية، تحديد الأولويات الحقيقية وعدم الغرق في مستنقع الحياة العصرية...**

قد تبدو الجمل السابقة مثالية وشعارات رنّانة، لكنها في الحقيقة دعامات ومبادئ في شخصيتي تم زرعها في كنيسة سيدة دمشق في أسرة

الرعية الجامعية في المحاضرات والصلوات والتأملات وكلمات الروح القدس روح الفهم المقدس للحياة التي نطقت على لسان أبونا الياس زحلاوي وعلى لسان الآخرين، الكلمات التي كانت تخترق كل الجدران وتصيب أهداب القلب في الصميم حتى تنمو حبة القمح التي زرعها الله في قلوبنا، وهي دعامات ومبادئ قيد التطبيق على أرض الواقع، قد لا أنجح دائماً في المعارك اليومية ضد الشر الموجود في المجتمع، وفي الإدارات، وفي داخلي وذاتي... لكنني كل يوم أبدأ من جديد، بنور جديد، بفرح جديد، بأمل جديد، بتفاؤل متجدد، بصفحة جديدة لأقدم أفضل ما يمكن ضمن استطاعتي رغم جميع العوائق والآلام.

أؤمن بحقيقة الرسالة والشمعة التي أحملها، رغم كونها رسالة صغيرة قد لا تفعل الكثير في هذا البحر الواسع من الظلام، لكنني أؤمن أيضاً أن الله يفعل من خلالنا ومن خلال شموع كثيرة قد لا أراها في الوقت الحاضر لكنني مؤمن بوجودها، ومؤمن أنه باتحاد جميع الشموع سنضيء بلدنا الغالي، وسنبعث بنور حقيقي لكل فرد في العالم يبحث عن الحقيقة... عن الحب... عن الله.

أؤمن وأفتخر أنني ابن لهذه الأرض المقدسة، وابن للمسيح، الله المتجسد الفادي الذي حمل عني وعن الجميع خطايانا، كي يكون لنا خلاص وحياة أبدية.

2016/10/14 مع محبتي واحترامي

39) أدونيس الحلاق

بدأ المشوار مع الرعية الجامعية في صيف عام 2014، حين طلبت من صديقتي جنى كويتر الانضمام لهذا النشاط، والذي لم أكن أعلم أنه سيصبح في وقت قياسي كعائلتي.

في كل مرة أذكر فيها الرعية الجامعية يجتاحني شعور من الفخر بكوني جزءاً من هذه العائلة، ربما لست من المؤسّسين أو القادة لهذه العائلة، ولكن أعلم أن لوجود أي فرد فيها أهميته الخاصة، تشعرك بالانتماء والدفء،

تشعرك بتميزك، تشعرك بالقبول المجرد من أي شرط، فهنا تتجلى روح الرعية، روح تشبه حضن الأم، حضن يقدم كل ما تحتاجه لنمو سليم وإيجابي.

رغم أن خبراتي في الرعية الجامعية لم تتجاوز العامين حتى الآن، لكني أجزم أن هذه الخبرات ستكون زاداً أحمله طيلة حياتي، وذلك بفضل أسرة لامتناهية الحب والعطاء، كمؤسسها الأب الياس زحلاوي.

40) **الدكتورة مها فرج الله مناشي**

اختصاصية أمراض دم وأورام وزرع نقي منذ عام 1991 - جامعة دمشق. بريطانيا - ليستر.

ومضات من تجربة حياة مع الرعية الجامعية

رعيتي... رعيتنا... اختيارنا.

منذ ربيع 1980 وجدتها مع الأب الياس زحلاوي. قصدته في بداية سنتي الجامعية الأولى، دون معرفة مسبقة، أشكو إليه همومي وعثراتي... أبتغي النصيحة والسكينة من ضوضاء العالم الخارجي وسلبياته. قصدته في مكتبه آنذاك على يسار درجات كنيسة سيدة دمشق المؤدّية إلى قاعة السواعد.

ذلك المكتب المتواضع المرصوص بالكتب من مختلف الثقافات والأديان واللغات، فعيناك لا تكفّان عن النظر إلى الرفوف. والحقيقة أني انبهرت بمقدار التراث والثقافة المرصوف على رفوف الغرفة بكافة الاتجاهات... كنّا نلمح أبونا الياس زحلاوي من خلال زجاج النافذة المطلة على الدرج (درج الياسمين بالنسبة لي)، إما منكباً على كتبه وأوراقه، يكتب ويؤلف، أو مع الناس والأشخاص يستمع ويصغي بكل حواسه، ينصح ويساعد. عيناه الوديعتان المغرورقتان بالسلام والمحبة، وكلماته النابعة من قلب عطوف، جعلتني منذ ذلك الوقت المبكر أعتبره المرشد الروحي الحقيقي لي.

عرفني الأب زحلاوي في ربيع 1980 على أسرة الرعية الجامعية ومنذ تلك اللحظة انتميت إليها قلباً وروحاً وفكراً لما وجدته في أغلب شبابها

وشاباتها من فكر نيّر ومحبّة ورغبة في التغيير الإيجابي والتواصل والتبادل الفكري الاجتماعي معهم، كان يسيراً وبسيطاً وخالياً من التكلف والاصطناع بشفافيّته.

وهكذا بدأت مع أسرتي الجديدة. بدأت معهم مسيرةً كانوا هم من بدأها وحملت معهم شعلة نور فسرنا بها سوية. ولم أدرك كم كانت تلك الشعلة المتواضعة آنذاك نوراً ساطعاً، إلا فيما بعد ذلك بسنوات، فهي الحياة... كثيراً ما يأتي فيها الإدراك متأخراً.

بدأت، وأصبحت جزءاً من المجموع. كان عددنا بين 60-80 فرداً من مختلف البيئات المتفاوتة الثقافة، والوضع الاجتماعي، ودرجات الإيمان، جامعيين وجامعيات. كانت نشاطاتنا الأسبوعية دورية، وهي عبارة عن اجتماعين أساسيين، (أربعاء وجمعة)، بينهما لقاءات متفرقة.

1- لقاء نقوم فيه بقراءة نص إنجيلي ومن ثم دراسته بعمق وأخذ العبرة منه، لنطبقّه في حياتنا اليومية، ونختم اليوم بصلاة روحانية يصلّيها فرد منّا بصوت عالٍ، ومن ثم الأب زحلاوي يجمعنا بصلاة عميقة وخلاصة للقاء اليوم الإيماني، يرشدنا به إلى طريق الحقّ، لتبقى بوصلتنا الإيمانية عميقة وغنية بمسيحيّتها الحقة.

2- ولقاء ثانٍ ثقافي، يشمل محاضرات متنوعة المواضيع والأهداف، يقوم بها أعضاء الرعية أنفسهم بعد طول بحث. وكنّا ندرس ونهتم بمواضيع شتى علمية وثقافية، اجتماعية، وطنية، طبية... مثل معنى الوطن، الأرض، الأم، الآخر، الأنا، المحبة، الخدمة، الزواج، التجربة، الكون، المجرات، الإنسان، الحقوق، الواجبات... الخ.

كنّا نستند إلى مراجع وكتب وقراءات إنجيلية... كنسية وغيرها، ودائماً كنّا نستنير برأي الأب الياس وتوجيهاته.

وقد يكون المحاضرون من خارج الرعية... كنّا نحظى بمحاضرين متميزين مشهود لهم، عملهم ودراساتهم ومؤلفاتهم... كالأستاذ فايز فوق العادة من الجمعية الكونية السورية... د. آرليت القاضي، د. نجاة قصاب

حسن... أ. أنطون مقدسي، د. مطانيوس حبيب، ومن ينسى جان فانيسيه، أو نظرة في كتاب الانتصارات المذهلة لعلم النفس الحديث.

كنا نتبادل الرأي بالكتب والروايات الجديدة وحتى القديمة منها. وبعقلنا وقدراتنا المتواضعة، كنا نغوص في الإنجيل المقدس ومراجع الكنيسة، وبقلوبنا المتفاوتة الإيمان نحاول أن نفهم ونعزز الإيمان، لا شك قرأنا عن المعجزات في المسيحية في الزمن الحديث، كأطفال مديوغورييه في يوغسلافيا، وتجليات الرب في الصوفانية.

كثيراً ما كنا نصلي في الصوفانية مع الأب زحلاوي، ونرى انهمار الزيت المقدس والانخطاف الروحي لميرنا بأعيننا وأرواحنا، وفي كل خطوة كان الأب الياس مرشدنا، رجل الدين والذي كان يعد من القلائل الذي يستوعب هذا الجيل الجامعي، ويقوده نحو الإيمان. وهبنا الوقت كله، الإصغاء، الحوار، الفكر والرؤيا... عاش معنا كل لحظاتنا، ونهض بنا من عثراتنا، بمحبة وثقة زرعها فينا، في وقت كان الكثير من رجالات الكنيسة والكهنوت، تخلى عنا، وحاربنا كشباب جامعي يبحث عن الانتماء والوجود... يبحث عن الله في وجوه الآخرين والناس. لذلك فإن بصمة الرعية الجامعية والأب زحلاوي في حياتي، هي بصمة لا تنسى.

الرعية الجامعية لها الأثر الكبير علي وعلى العديد ممّن عاشوها. شذّبت الكثير فينا وصقلتنا لنصبح ما نحن عليه اليوم. وهذا شيء عظيم برأيي. الكثير منا كانت تتجاذبه مواقف وآراء، انتماءات فكرية، وحزبية، ودينية روحية، لحظات تمرد، وانغماس في العلمانية ونكران الوطن والله والآخر. حياتنا خارج الرعية كانت تتجاذبها تناقضات شديدة وغليان أفكار وطاقة... كل هذه الأجواء بانفعالاتها كنا نحملها معنا إلى رعيتنا، أسرتنا الصغيرة، ونصب فيها كل سلبيات المجتمع وفوضى الأفكار، تلك الفوضى كنا نطرحها في نقاشات شديدة، عنيفة، نبحث خلالها عن ذاتنا، لنبلورها ونلتزم فيما نصل إليه للحقيقة والصواب، تلك الأجواء واللقاءات والحوارات فيما بيننا وبإشراف ورعاية الأب زحلاوي، زرعت بداخلنا روحاً، وبعقولنا فكراً، زرعت

بذوراً كثيرة للوطن، للخدمة، للانتماء، للعائلة، للمحبة، للصداقة، الأنا والآخر، للنجاح... للعديد من كل شيء. صنع منّا رعية جامعية على مر الأسابيع والشهور والسنوات، رعية تستقي من إنجيلها حياة ومن يسوع رمزاً.

وهكذا خرجنا من دائرة الخوف والتشتت إلى دائرة الوضوح والعطاء والعمل، وتعلمنا أن للحياة زوايا كثيرة، ننظر إليها، ومن خلالها لكل قضية، وأدركنا أن المحبة والحوار والتبادل والتفاهم، هي السبيل للحياة كجماعة بينها تفاوت المنشأ والتربية والإيمان، وذلك مهما اختلفنا في حدة النقاشات والغضب والاستفزاز. وهنا يجب أن أذكر أن الكثير من الشباب والشابات من المسلمين، كانوا يحضرون معنا اللقاءات، وحضورهم ولا شك، أغنى التبادل الثقافي والديني فيما بيننا، وربما هي من المرات الأولى التي تعلمنا بها المواطنة الحقّة مع مجتمعنا.

لا شك أن هذا العمل والجهد الجبار في رعاية الرعية روحياً ودينياً واجتماعياً وثقافياً، لهو عمل جبار وجهد صعب، وقد شارك الأب يوسف بيربي اليسوعي نشاطاتنا، وعاصرنا لسنوات طويلة، وكان العون للأب زحلاوي ولنا.

لقاءات الرعية الأسبوعية كانت تتغذى وتنتعش بالرياضة الروحية والمخيمات السنوية في مناطق مختلفة من سورية الحبيبة. فمن ينسى القنية، دير صيدنايا، بلودان، صافيتا، دير مار موسى، وغيرها... تعرفنا بها على جغرافية سورية الواحدة. في كل مخيم عشنا العائلة رغم عددنا الكبير، وفيه تعلمنا التحمل، تحمل الآخر والاستيعاب. فعشنا تجربة اكتشاف المكان والبيئة والعمل، نتعلم الطبخ والتنظيف ومسؤوليات التنظيم والخدمة، جلسات مسائية ناقدة، بناءة... وأهم من ذلك نعيش الإنجيل المقدس من خلال كل نشاط نقوم به. كل منا كان يحمل معه حلقة بحث موسعة لنص إنجيلي، يقوم بها مجموعة. ونغوص لأعمق مدى روحي.

وأنوه بأن كل مخيم يحمل معه معاناة جدل وإقناع منزلي لأهالينا. لأن تلك الأيام ليست كاليوم. فالأهل لا يرحبون بذهابنا لمخيمات مختلطة

وبعيداً عن دمشق. فهم غير مقتنعين بفكرة الرعية أصلاً، وكان البعض من الأهل يبذلون ما بوسعهم لصرف أبنائهم عنها، فلديهم أفكار مسبقة ويعتقدون أننا نجتمع لنلهو ونلعب فقط، وأن الرعية فكرة تحررية غير واقعية الأفضل إيقافها، عدا أن بعض الأمهات كنّ يعتقدن أن زواج بناتهن سيتوقف، فالسمعة مهمة!

نَمَت الرعية في الثمانينات وازدهرت... رغم أجواء الثمانينات المشحونة بالسياسة وأفكار الإخوان والضائقة الاقتصادية... في تلك الأيام عشنا مع الرعية بكل انتماء وشغف وتفانٍ.

وبدأت فكرة النواة والمجموعات.

النواة هي مجموعة محددة من أفراد الرعية، واجبها المتابعة واقتراحات سير الرعية للسنة القادمة وخطة العمل. والمجموعات تلبي هذه الأهداف بهمة الشباب والشابات.

لا شك أن مجموعة النواة بإشراف الأب الياس، تعمل جاهدة لوضع السنة الروحية والفكرية للرعية، حتى لا تضيع البوصلة باختلاف الرؤيا بين الأعضاء، إذ بقيت من أهم أولويات النواة هي التركيز على تفسير معاني النصوص الإنجيلية وكيفية تطبيقها في حياتنا اليومية... فهل نحن مسيحيون حقاً، وإلى أي مدى؟ وهل الإنجيل مستحيل التطبيق، خاصة برسالة المحبة والتسامح والغفران؟

هل هناك شرخ بين الحقيقة الإيمانية لتعاليم السيد المسيح وحياتنا الواقعية؟!

بالنسبة لي هذه اللقاءات كان لها عظيم الأثر في بلورة رؤياي، وكذلك للكثير من شباب وشابات الرعية. وما زلنا حتى اليوم نذكرها، وتطنّ في آذاننا الكثير من الكلمات والجمل التي حكيناها وذكرناها، وأصبحت في ذاكرتنا ناقوساً، وفي ضميرنا صوت المسيح.

ومن رعيتنا انطلقنا إلى الآخرين... اشترك البعض مع جوقة الفرح، وآخر مع حركة "إيمان ونور"، لأصحاب الاحتياجات الخاصة، وآخر مع أسرة

الإخاء، أو تطوع لزيارة المرضى في المنازل ومساعدتهم، أو مد يد العون في المساعدات الدراسية والفعلية لبعضنا البعض، في الرعية أو خارجها.

مجموعات العمل التي انبثقت من النواة، هي مجموعات نشيطة حقاً في تلك الأيام، بكل أنواعها، سواء الاجتماعية أو الروحية أو الثقافية أو مجموعة الخدمة...

لا أنسى العمل مع ذوي الاحتياجات الخاصة، كنا نزورهم في منازلهم، ونشارك معهم الوقت والجهد والتعليم والترفيه، مهما كانت الإعاقة جسدية أو دماغية. وهنا يجب أن أقول لا يوجد فرح أنقى من فرح الطفل الصغير الساكن في كل شخص محتاج، عندما تقرأ الفرح في عينيه أو يديه أو تتلمسه في روحه البسيطة. هذه اللحظات كانت تجعلني أعمل للمزيد، وأدركت كم كانت مساعداتنا وخدمتنا تعني الكثير لهم ولذويهم، وبالمقابل كانت لنا درساً في الصبر وتعلم صناعة الفرح، وفي مجتمع لم يكن لهؤلاء الكثير من المتنفس والدعم الحكومي.

رعيتنا عززت فينا وعلمتنا خدمة المجتمع.

مجموعة الخدمة كانت تعمل بصمت بيننا، لتجعل من مكان رعيتنا وكنيستنا نظيفاً عابقاً. هذه المجموعة كان يتناوب فيها أفراد رعيتنا لنهيئ مكاناً نظيفاً لائقاً في قاعة الاجتماعات أو قاعة السواعد أو الكنيسة، وكل ذلك طوعياً، وجزء منها كان يذهب لخدمة الأديرة القديمة، كدير مار موسى.

حلقات البحث في المجموعة الروحية والثقافية، كانت شديدة النشاط والاجتهاد... تغرف المعرفة... تعمق الإيمان، وتعطي لنا وللآخرين، وتشع بمعرفتها وعطائها. فهي تسبر التاريخ السوري وتشده إلى الحاضر. وإلينا كأشخاص نعيش اليوم، ولها فضل كبير علينا لمعرفة تاريخنا من كل الأوجه الحضارية... لغتنا، جذورها السريانية والآرامية، لهجتنا، شوارعنا، بيوتنا، وكل مكان من دمشق القديمة داخل السور وخارجه، أبواب دمشق وطرقاتها، حكت ما قاله وذكر - كتابنا المقدس وإنجيلنا القدوس... مئات السنين الغابرة. كان شباب وشابات الرعية يجتهدون ببحثهم لينقلوها لحاضرنا،

ويصلونا به، ليصبح مرسوماً أمام بصيرتنا... فتعلمنا معنى الرموز المرسومة في الإنجيل، وآثار دمشق وكنائسها القديمة، ومنها كنيسة يوحنا في الجزماتية والمريمية وحنانيا.

هذا الجهد أعطى لنا ثقافة عن حضورنا المسيحي، أهملته مدراسنا وحكومتنا. وربما لم يهتم به الكثير من الأهالي أيضاً، ونحن منذ أمد التاريخ، جذور لا تقطع ولا تُحرق.

محاضرات الشباب والمؤرخين وعلم الإيقونات الذي تبحّر به الرسام الفنان الياس زيات، كل ذلك عمّق فينا جذورنا المسيحية وانتماءنا... نحن جزء من الكل.

المسير بين حارات دمشق وأزقتها... ماضٍ وحاضر... مسلم ومسيحي... كلها متصلة متواصلة عبر المسير الجماعي في رحاب التاريخ، وكان متعة من المتع الكبيرة، خاصة عندما نتشارك في جلسة حلوة، عند بكداش أو كأس شاي معتّق في المقاهي القديمة.

صحيح... من المسير في ثقافة دمشق، عرفت حي الأمين... عرفت حارة اليهود ولغتها الخاصة. وكيف أننا نسيج واحد سعيد ممتد بمحبة.

مسرحياتنا السنوية بعيد البربارة والميلاد وعن الأم، كانت تأخذ من المجموعات جميعاً الجهد والتوتر لاختيار الأفكار والحوارات وشخصيات المسرحية، لرسمها وإيصال الأهداف إلى الناس، وما نريد أن نقول بشكل بناء إلى الجميع. بالنسبة لي كانت تجربتي الأولى مع المسرح وقد جعلنا من أيام المخرج والممثل أوجا أبو الذهب أياماً صعبة في تلك الفترة، ولكنها على مدى سنوات كانت المسرحيات والنشاطات تتكلل بالنجاح. هذه التمثيليات القصيرة والمسرحيات كنا نتلمسها من كتب ونصوص الأب زحلاوي، وبعض الكتاب الآخرين بعد طول نقاش. وهنا يجب أن أذكر الأخ عجة، ونزار البدين، اللذين لهم يد خضراء في تنمية مواهبنا تلك.

لا شك مسرحياتنا وحفلاتنا كان يحضرها الأهالي وغيرهم، وأصبحوا يمتلئون فخراً وحباً، ويقتنعون مع الوقت أن رعيتنا هي رعية هادفة وبناءة.

نسيت أن أحكي مساهمتنا جميعاً المجانية بالوقت والجهد، في إتمام حفر وتصميم قاعة السواعد وتجميل مسرحها. سواء بالعمل نهاراً أو ليلاً، حسب ما تسمح به دراستنا. وأذكر جيداً أني عملت وتعلمت من الرسام والرياضي (الله يرحمه) سمير يونس، الذي رسم كل اللوحات خلف المسرح... ولونها بكل حب وانتماء لتخدم أهداف مسرحنا... تلك الأيام كانت مثال التآخي الإسلامي المسيحي عشناه واقعاً وحقيقة.

قاعة السواعد اليوم هي استمرار لجهد جماعي كبير، قامت به الرعية بأفرادها الأطباء، المهندسين، الأدباء، معاهد التقانة والفنون... كلنا معاً عملنا وبجهود جبارة، تحولت تلك القاعة المصمتة الإسمنتية إلى قاعة مفتوحة ومسرح، لونّاه بآمالنا وأحلامنا. أحلام الشباب، والشابات لوطن انتمينا إليه، ولكل حبة تراب فيه، وربما ليس فقط الانتماء الذي عشناه مع وطننا بل هو العشق والوله.

هي رعيتنا منها عبرنا إلى الوطن الكبير سوريا.

ظروف الدراسة ومتابعة الاختصاص والزواج، أبعدتني عن بلدي حوالي عشر سنوات. سافرت فيها إلى بريطانيا وأنجبت وأصبحت أماً. ولديّ عائلتي الصغيرة الحلوة، زوج حنون، محب، وأطفال ككل الأطفال أشقياء يملأون الحياة حياة... كل ذلك وبقيت رعيتي، في قلبي وعيني ذكرياتها. زواجي وأمومتي أعطياني بعداً آخر للحياة، لم أدركه قبلاً وأصبحت مع مرور الوقت أكثر إدراكاً لما عشته في رعيتنا، وأرنو للعودة إليها. لحظات كثيرة تمر في بالي من مناقشاتنا الجامعية، حول الوطن والعودة والرجوع إلى الوطن. هذه المناقشات التي سجلتها في ذاكرتي كلماتٍ آنذاك، عشتها لاحقاً في الغربة رغم حلاوة العمل والإنجاز والمال... تلك القيم والمبادئ المستقاة من إنجيلنا، كل تلك الحوارات أعادتنا، وانتصر الوطن فينا لنعود إليه.

صحيح الكثير من المغريات عشناها، مغريات العمل وتطور السلّم الدراسي والعلمي لي ولزوجي، د. عماد سعادة، كان يفتح لنا مجالاً كبيراً، خاصة وأني أمتلك الجنسية التشيكية... صحيح عشنا الصراع والتناقضات

بألم وصعوبة، أنا وعماد... ولكن بذرة الوطن التي زرعها أهلنا فينا، وزرعتها رعيتنا وعزّزتها، ومحبة الأب الياس وكلماته التي تصدح في كل ذكرياتي... الوطن يسمو... الوطن شجرة زيتون إليها وحولها نعود... وهكذا عدنا لسوريتنا الحبيبة.

رعيتي معك كبُر الوطن في قلبي، وصار رسالة كيف نتركها؟؟!! رعيتي الجامعية كان لها وفي مواقف كثيرة الأثر والدور الكبير، لأهم قرارات عائلتي الصغيرة المصيرية.

تساؤلات وتساؤلات الجميع، كنا نجمعها ونحملها للأب زحلاوي، الذي كان يرافقنا بكل خطوة... فكرة ولقاء... في كل رياضة روحية... كان الأب والمرشد ورجل الدين الصبور... السامع لنا والمتفهم والموجه الذي حملنا من الأرض، لنستطيع النهوض من كل عثرة. ولا زلت أذكر صورة الذكرى لرسالته الكهنوتية الراسخة والمحفورة في ذاكرتي، المسيح ومن عمق الألم وأنين الصلب المضني، ينحني من صليبه، ويمد يده الممزقة بمسمار الصلب، ليمسك الإنسان المتألم من الأرض، ويجثو ليرفعه من جديد إلى الحياة. هذه الصورة هي إنجيلي الصغير، عرفته، وعشته من خلال رعيتي، وأؤمن أن يسوع هناك يرعاني ويرعى أسرتي وكل مؤمن... يداه وقلبه لنا إلى النهاية.

هي رعيتي، عشت مسيحيتي فيها... تعلمت فيها التراتيل، بعد كل إنجيل نقرأه وندرس تفسيره، تعلمت معناها وبعدها، فلكل ترتيلة قصة.

رعيتي، كما يشتاق الأيل إلى مجاري المياه، هكذا نفسي تشتاق إليك يا الله.

ظمئت نفسي إليها رعيتي... ظمئت شوقاً وعطشاً، لكل ما تعنيه. صحيح اختلفت الظروف والحياة، وصرت بعمر يضاعف أضعاف السن الجامعي، إلا أنني كل يوم أكتشف بذرة قمح، زرعتها فيّ دون أن أدري، وبصمت أعطت اليوم ما هو أنا.

لكل مَن معي وكنت معه، شكراً لأننا عشنا معاً حياة فريدة، وتجربة إيمانية عميقة. أذكر من البعض الذي أصبح معطاء في الحياة، وهم غيض من فيض الجميع... رنا... ملك... توفيق... هشام... رياض... فوزي... رولا...

سمير... نبيل... حنا... أمل... ريما... سمير... عجاج... جورج... مازن... طوني... عبدالله...

أذكر أيضاً الأخت بيا، وأخوات يسوع الصغيرات، اللواتي آنذاك كنّ يعملن في الخدمة... خدمة المريض في مشفى دوما والأطفال... والسجون وكنّ يرعين الحالات الصعبة، التي أهملها الأهل والمجتمع. تعلمنا منهن التفاني بالعمل وبساطة الصلاة. كنا نجتمع معهنّ في دير شارل دو فوكو، أخوات يسوع الصغيرات في باب توما، ونصلي تحت الشجرة العتيقة في باحة الدير، فالإيمان عمل وصلاة.

كبرت وصرت في الخمسين، ولأولادي أذكر الرعية دوماً. الكثير من حياتنا الأسرية نستمده من رعيتنا. وهي الآن تستمر مع أولادنا، لتبقى حبة الحنطة وحقول القمح، مسيحيتنا وإيماننا جذر وحنطة.

لكل تلك الأيام من رعيتنا، لكل أفرادها الشكر والمحبة، وأعتذر لنواقصي، وتبقى المحبة تعلمتها معكم. زرعتموها بذرة... لن تموت.

رعيتي... الأم والأب والعائلة.

رعيتي... الصديق والأخ والآخر.

رعيتي... تموت الأنا ويبقى الوطن.

شكراً لكم جميعاً.

شكراً أبونا الياس زحلاوي... فأنت من انحنى ليرفعني في خضم الحياة، لأجد المسيح، وأبصر الإيمان في كل من حولي.

شتاء 2017

41) المهندس الزراعي راجي أصطون

أيام لا تنسى. الشباب النشيط المليء بالطاقة والحيوية، أيام الرعية الجامعية التي علمتنا على الحياة المشتركة، والمشاركة في المجتمع والعمل الجماعي وبتطبيق تعاليم السيد المسيح في حياتنا العملية، والتي تحض على المحبة والإخاء والتواضع، وأكثرها عمقاً بذاكرتي، تلك التي كنا نساهم

في ترحيل الأنقاض والأتربة، ونملأ الشاحنات كل يوم جمعة لرفع بناء القاعة الواحدة، إلى قاعة متعددة الأغراض وسط المرح والسرور.

تمر الساعات ولا ندري كيف مرت رغم صعوبة العمل والتعب وخاصة حينما نجتمع مساء بالصلاة الربانية يوم الثلاثاء بحضور الأب الياس زحلاوي، الذي أعطانا الكثير من الثقافة والمعرفة والثقة بالنفس، وبحضور الأب يوسف بيربي العراقي الأصل.

علمتنا الرعية المحبة بأن نحب ونعامل الآخر كما نريد أن يعاملوننا. فالرعية جمعتنا وكأننا ضمن أسرة واحدة مليئة بالأخوة والمحبة والمشاركة خاصة الرياضة الروحية التي تملأنا بالسلام الداخلي والسرور.

ولا أنسى الرحلات الترفيهية مع الأخوة بالرعية، وأذكر منهم جميل حتمل وشقيقته رجاء، وسامي داوود، وعصام سمعان، والأخوان بشور...

عام 1982 كان عاماً مليئاً بالمفاجآت، التي يمكن أن أقول عنها مليئة بالألم والحزن لدرجة المأساة، ثم تتحول فجأة إلى فرح لا ينطق به، ومجيد لا يمكن وصف فرح آخر مثله، بمعجزة الرب يسوع المسيح بشفاء أخي عامر. وذلك عندما أعلن طاقم أطباء مجتمعين في المشفى أنه لا شفاء له من مرض السرطان المنتشر بكافة أنحاء جسده المريض، بالكبد والطحال والمعدة والبريتوان، لم يكن الأطباء الذين أشرفوا على العمل الجراحي يتوقعون النتيجة بعد فتح بطنه وتركها مفتوحة لفقدان الأمل بالحياة، وكأنهم يقولون لي قد حكم عليه بفقدان الحياة.

أخي عامر الشاب ببداية العشرينات آنذاك، تجمع الأهل والأقارب وطلبنا من الأطباء نقله إلى الولايات المتحدة لعلاجه فأجاب أحد الأطباء إنني أكلمكم بلغة الصديق لا بلغة الطبيب. أخوك لا يمكن نقله من سرير إلى سرير، ولا يمكن الوصول به إلى المطار، في الوقت الذي ترك الأطباء بطنه مفتوحة دون خياطة لانعدام الأمل بالحياة.

ذهبت وأخواتي إلى الكنيسة لوضع صورته مع القديسين والطلب بالدعاء إلى الشفاء وهم بوضع من الاضطراب والحزن لدرجة أنهم طلبوا

من مؤذن الجامع أن يدعو له بالشفاء بصلاة الصباح من وسط المئذنة لكونه قريبة المسافة من الله. ترك الأطباء بطنه مفتوحة لكون سوائل جسمه قد أغرقت الفراش وتركوه لقدره المحتوم...

وقفت والدتي أمام أيقونة العشاء السري في منزلنا ورفعت يداها وقالت محاورة الأيقونة: يا عذراء أنت أم وتعرفين حب الأم لولدها. خذي من عمري وأعطه لعمر ابني عامر، وأبقيه لأخواته العازبات. وكأن السماء مفتوحة أمام دعائها وأذني السيد المسيح مصغيتان له المجد.

بهذه الأثناء وجرحه مفتوح زارته السيدة ميرنا، وقامت بالصلاة بالغرفة رقم 9 بالطابق الرابع المتواجد بها أخي، وبدأ الزيت ينسكب بين أصابعها أثناء صلاتها فقمت برفع اللحاف عنه وقلت لها ضعي الزيت هنا وهنا... فتحولت شخرة الموت إلى تثاؤب ومطمطة، ثم ذهبت إلى منزلنا وصلت مع والدتي أيضاً وراح الزيت ينساب من بين أصابعها مرة ثانية وقالت بالحرف الواحد إن عامر قد شفي حتماً.

باليوم التالي وبعد أن ترك الأطباء معدته مفتوحة وجدوا أن الجرح ملتئم ومعدته ملتحمة تماماً، وهو يطلب الطعام من الطبيب رغيف خبز تنوري مع قطعة من الجبن وكأس شاي. ذهل الدكتور وتفاجأ وأجاب سأحضر لك صحن تبولة وخس. بهذه الأثناء ذهبت إلى الدكتور محمود الشرع (رحمه الله) وقال بالحرف الواحد "أخوك أعادنا إلى الصف الأول الابتدائي"، علماً أنه قد حضر جميع أقربائنا من المحافظات لحضور مراسم الدفن.

انتهى العام بعودته إلى منزله متعافياً سليماً بعد استجابة صلاة السيدة ميرنا الأخرس التي ظهرت الأعجوبة من انسكاب الزيت من بين أصابعها ودعاء والدته والمحبين، حيث استجاب الله لوالدته بأن توفيت حسب طلبها بعودة ابنها للحياة ورحيلها.

الطاقم الطبي قد أجمع بأنه بحال شفائه يحتاج إلى سبع عمليات جراحية.

هكذا مرت الأيام متعافياً دون عمل جراحي وعاد إلى نشاطه في ممارسة الرياضة التي تجري في عروقه.

أما من ناحيتي تابعت مسيرتي في الرعية الجامعية بين صداقة وصلاة ومحاضرات وتابعت عملي في إعالة أخواتي ووالدتي حتى تخرجت من كلية الزراعة مهندس زراعي.

دمشق في 2017/2/17

42) **المهندس المدني فادي الفحل**

لم أكن أدرك أن ذلك اليوم الذي دعاني فيه أحد الأصدقاء للذهاب معه إلى كنيسة سيدة دمشق للانضمام إلى الرعية الجامعية سيكون بمثابة بداية جديدة لحياة جديدة.

ولم أكن أدرك أن خمس سنين أمضيناها في كنف الرعية ستكون من أجمل سنين عمري على الإطلاق...

كنا شباباً متحمسين لكل شيء... للعمل، للعطاء، للصلاة، للفرح، فأخذنا أكثر مما أعطينا ومنحنا الرب أكثر ما ابتغينا.

للرعية الجامعية ذكريات لا تنسى كيف ذلك وقد حفرت في وجداننا أنبل المعاني، ودعمت إيماننا وزرعت المحبة في قلوبنا.

ذكريات قد لا تتسع الصفحات لكتابتها ولكني أستذكر محطات لها أكبر الأثر في نفسي شخصياً:

1- **المخيمات الصيفية... تلك الأيام التي تحفر عميقاً في وجداننا، إنها الأيام الأجمل في حياتنا... أن تعيش مع أصدقائك أياماً كاملة في مكان واحد يكونون لك كل شيء.**

علمتنا المخيمات كل شيء... علمتنا روح التآخي، وروعة العمل الجماعي وعظمة الفرح المشترك... كانت المخيمات كفيلة في بناء شخصيتي على المستوى الثقافي والاجتماعي، ونظرتي لروعة العمل ضمن مجموعة يجمعها الرب تحت كنفه.

كان لي الشرف أن أشارك في خمسة مخيمات: في الزبداني والقنية 1، ومرمريتا، والقنية 2، والخراب. لا يمكن أن أعرف أيها الأجمل، لأنها كلها الأجمل.

2- مجموعة العمل الاجتماعي، التي كانت أروع ما يمكن أن يمنح للمرء ذاك الشعور بقربه من الرب عن طريق الآخر.

اللهفة والحب والعطاء - الرغبة في تخفيف آلام موجوع، الفرح في مد يد العون لعاجز، أو إعطاء لقمة لجائع. زيارتنا الدورية للعجزة واندفاعنا لمساعدتهم - صلاتنا معهم... خبرة لا تنسى.

3- القداس الإلهي الذي كان يقام بشكل دوري مع الأب الياس زحلاوي. من أجمل ما يمكن أن نعيشه خلال ساعة أو أكثر... الفرح الذي يغمرنا ونحن نشارك مع الإنجيل تجاربنا الحياتية وما تفعله كلمات الرب فينا شيء أتمنى أن أعود إليه، أن أعيشه مرة أخرى.

4- الاجتماعات الأسبوعية وفرح اللقاء بأصدقاء كانوا إخوة بحق... نقاشاتنا - وتفاعلنا - محبتنا لبعضنا... كان لها الأثر الكبير في حياتي.

5- الأعظم من كل ما سردت... هو وجود الأب الياس زحلاوي... الإنسان الكبير الذي لا يمكن أن أفيه حقّه مهما قلت، الإنسان الذي علمني كل شيء، نهر من العطاء المتدفق، لا حدود لإنسانيته ولا حدود لعطائه، أن تنظر إلى عينيه وهو يتكلم، تكفي لتدرك أن الرب منحنا شخصاً رائعاً، معجماً من ذهب الكلمات، إنساناً ليس كأي إنسان.

الرعية كانت ولم تزل لوحة فنية غاية في الروعة، وضع إطارها شخص رائع هو الأب زحلاوي، ورسم كل من أفرادها بريشة مميزة خطاً فريداً... فأضحت تحفة رائعة مدت حياتنا بمعان سامية لا تنسى.

أشكر كل أصدقائي الذين عاشوا معي تجربة الرعية، بعضهم لا زلت أتواصل معهم، وبعضهم فرقتنا السنين، لهم في قلبي حب عظيم حتى ولو لم يعلموا.

صلاة عربية: جميل حتمل

"في هدوء الليل... أناديك
من الأعماق يا رب...
وتندى عيناي بالدموع...
ويدق قلبي... قلبي الذي
لا أملك غيره في الدنيا!

أناديك يا رب...
باسم الحزانى
وباسم المرضى
وباسم البائسين
وباسم المعذبين
وباسم المضطهدين
وباسم المهاجرين

ففي قلبي، يا رب، تخفق،
هذا المساء، قلوب السوريين
جميعاً...
ودعائي إليك، يا رب،
دعاء يتصاعد من ملايين
الحناجر، لا من حنجرتي أنا
وحدي...
يتصاعد من قلب الجبل...
ومن الشاطئ...
ومن عبر البحر...
يتصاعد من قلوب السوريين
العائشين بين الصخور المعلقة

على قمم الجبال... وفي الأودية
العميقة... وفي انبساط السهول...
يتصاعد من قلوب السوريين
الذين رُحِّلوا وشقّوا في
الأرض... درباً من الآلام
يتصاعد من حناجر ملايين
السوريين الذين حرموا
"الملايين" لينعم فرد أو
أفراد "بالملايين"!

دعائي، يا رب، دعاء
السوري في كل أرض... وتحت
كل سماء...
وصلاة السوري، يا رب،
واحدة على مر الزمن
إنها صلاة "إنسان" يريد
أن يعيش إنسانيته...
أن ينعم بحريته...
وبكسرة الخبز...
وبالكرامة...
إنها صلاة "إنسان" يشقى
حتى البكاء لأنه مهدد بفقدان
الحرية... وكسرة الخبز...
والكرامة!
صلاة إنسان له عدوّان:
واحد أجنبي يطمع
بأرضه...

وواحد "بلدي" يتآمر
مع الأجنبي!
فيا رب...
نجّنا من "القرض"
الاصطناعي، ومن زمرة الأفاعي
التي تريد "إغراقنا"
قبل إروائنا...
نجّنا من الشركات الأجنبية
ومن حاشيتها "الفنية"
اللابسة الثياب المَدَنيّة فوق
الألبسة العسكرية
نجّنا من شر "السفارات"
ومن نشراتها "الصفراوات"
نجّنا من قيود الأحلاف
العسكرية التي وضعت
تصاميمها القوى الاستعمارية

ويا رب...
نجّنا من زمرة السماسرة...
سماسرة القروض...
وسماسرة الشركات...
وسماسرة الأحلاف!

واحفظ، يا رب، سورية
استقلالها...
وحريتها...
وخبزها...
وكرامتها...
إنك السميع المجيب!"

الفهرس

إهــــداء 5
مقدمة 7

الفصل الأول

أولى ملامح أسرة الرعية الجامعية 11
1- المقال الأول: 12
1. الحياة الروحية 12
2. الحياة الثقافية 13
3. الحياة الشخصية 13
- على صعيد الحياة الروحية 13
- على صعيد الحياة الثقافية 14
- على صعيد الحياة الشخصية 14
2- المقال الثاني 15
1. خبرات جديدة اكتسبتها الرعية خلال العام الدراسي 1970-1971 15
2. بشأن الميزانية 15
3. التعريف المعتمد 16

الفصل الثاني

ثمار أولى وتلمّسات جديدة 23
1. الوثيقة الأولى: تقرير أسرة الرعية الجامعية بدمشق، لسنة 1972–1973 24
2. الوثيقة الثانية: "برنامج لقاء صافيتا 3–8 آب 1973" 35
3. الوثيقة الثالثة: "أسرة الرعية الجامعية: لماذا؟... كيف؟... إلى أين؟..." 41
4. الوثيقة الرابعة: تقرير أسرة الرعيّة الجامعيّة السنوي عن لقاء صافيتا – 1973 51
5. الوثيقة الخامسة: رسالة الأب بطرس المعلم البولسي إلى الأب الياس زحلاوي 60

الفصل الثالث

قفزة ذات معنى..61
تقرير أسرة الرعية الجامعية عن لقائها في صافيتا........................61

الفصل الرابع

ملامح جديدة وغنية..67

الفصل الخامس

لمحات جديدة بارزة..79
"مجد الله هو الإنسان الحي" 80
تقرير أسرة الرعيّة الجامعيّة عن لقائها السنوي في صافيتا 1975........80

الفصل السادس

طفلة في حضن أمّها 105

الفصل السابع

إنجاز أم إعجاز؟ 137

الفصل الثامن

"من ثمارهم تعرفونهم" 147
1) المشاركة في مؤتمرات طلابية مسيحية دولية 147
2) مواجهة الجيل الجديد لمشكلة الإيمان. 161
3) "القدّاس والحرب".. 173
4) من له أذنان للسماع، فليسمع. 186
تقرير حول رحلتي إلى باريس والقاهرة.. 187
5) نموذج واحد من نماذج كثيرة مغمورة!.. 193
حديث للأستاذ أنطون المقدسي: "التجسد والخلاص" 194

6) أمن رسالة للمسرح؟ 202
7) "مجد الله هو الإنسان الحي" 203
1- نص الشاب إبراهيم عبدلكي 203
2- رسالة الاكتتاب على الكتاب 206
3- ردّي على رسالة المطران ديونيسيوس غيث 207
8) وللحب والزواج أيضاً دورهما 209
9) برعم صغير على سنديانة عريقة. 216
10) معسكر مشترك بين الأهل وأبنائهم من شبان وشابات جامعيين 219
1- المخرج السينمائي جورج بدرية 219
2- السيدة والدة ماريا عبدلكي 220
11) أهو تتويج لعمل أسرة الرعية الجامعية؟ 221
12) برسم جميع مسؤولي كنائس الشرق والغرب 234
من يوميات المطران "أوسكار روميرو" 248
13) نص عربي هام للكنيسة العربية الآتية. 272

الفصل التاسع

شهادات 299
رسالة إلى عناصر سابقة في أسرة الرعية الجامعية 299
1) جوزيف تيان 301
2) سمير زهر 304
3) بشرى بشور 306
4) إميل قردوح 315
5) مشاركة مارلين 317
6) عادل خيمي 319
7) سمير جبارة 322
8) نعمان الشدايدة 326
9) أنطون كردي 331
10) منصور إبراهيم 345

11) **ضيف الله خوري** 348
12) **ميري كرزة** 348
13) **حبيب الطويل** 349
14) **لمى باخوس** 350
15) **عبد الله حنا** 351
16) **كينده ميدع** 352
17) **ريما الفريح** 354
18) **فادي اسكاف** 355
19) **رنا الفريح** 357
20) **جنى كويتر** 358
21) **سنا قصقص** 359
22) **فادي سروجي** 360
23) **سناء المهنا** 363
24) **وردة سرور** 367
25) **جيورجيو حداد** 369
26) **مها فريد سابا** 370
27) **الطبيب النفسي إيلي غربي** 371
28) **رابية بطح** 374
29) **نهى غربي سمعان** 375
30) **عصام سمعان** 376
31) **كوليت...** 381
32) **منذر عيد** 383
33) **داني داود** 388
34) **رنا خوري** 390
35) **ريما شيحة** 391
36) **ديالا رحمة** 393
37) **سوار العواد** 396
38) **الدكتور سعيد عواد** 397
39) **أدونيس الحلاق** 401

40) **الدكتورة مها فرج الله مناشي** 402
41) **المهندس الزراعي راجي أصطون** 411
42) **المهندس المدني فادي الفحل** 414
صلاة عربية: جميل حتمل 416
الفهرس 419